



جامعة قاصدي مرباح - ورقلة

كلية الحقوق والعلوم السياسية

قسم العلوم السياسية



أطروحة مكملة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في العلوم السياسية
تخصص: ادارة الجماعات المحلية والاقليمية

بعنوان:

القدرة التفسيرية للاستشراق الجديد لتحولات ظاهرة الاسلام
السياسي في الشرق الاوسط بعد 11 سبتمبر 2001
دراسة حالة الاستشراق الامريكى

إشراف:

أ/د بوحنية قوي

إعداد الطالب:

➤ عطوات عبد النور

نوقشت واجيزت يوم الاحد 23 ماي 2021 امام لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
01	أ.د/ عبد المومن مجدوب	أستاذ التعليم العالي	جامعة ورقلة	رئيسا
02	أ.د/ بوحنية قوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة ورقلة	مشرفا ومقررا
03	د/ نور الدين حشود	أستاذ محاضر "أ"	جامعة ورقلة	عضوا مناقشا
04	د/ نور الدين فوزي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة بسكرة	عضوا مناقشا
05	د/ عبد الوهاب حفيان	أستاذ محاضر "أ"	جامعة تمنراست	عضوا مناقشا
06	د/ جيدور حاج بشير	أستاذ محاضر "أ"	جامعة غرداية	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2021/2020

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَنْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"

الآية (11) من سورة المجادلة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لقمان قال لابنه: يا بني، عليك بمجالسة العلماء، واسمع كلام الحكماء؛ فإن الله ليحيي القلب الميت بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر" رواه الطبراني في الكبير

شكر وعرفان

اشكر المولى عز وجل على نعمه وفضله واحمد الله على توفيقه وإحسانه

ثم جزيل الشكر والتقدير إلى الأساتذة المشرف البروفسور بوجنية قوي والذي

اثرى بنوجيهاته الثمينه هذه الدراسة وساندني بالعلم والمعرفة والخبرة الواسعة

طيلة مدة اجازها

وأقدم بالشكر إلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذا

العمل وإثرائه وكشف ما به من نقص

كما أقدم بخزير الشكر إلى جميع أساتذة قسم العلوم السياسية وخاصة

أساتذتي الذين تكونت عندهم في مرحلتي الليسانس والماجستير وإلى جميع

موظفي الكلية وخص بالذكر الاخ عبد الحاكم عواريب الذي كان مثالا

للعامل المثقاني والمخلص وكل من قدم لي يد العون في اجاز هذا العمل

المناضع .

الإهداء

إلى روح أبي الزكية الطاهرة

إلى روح أمي الغالية التي كانت السند والملاذ طيلة حياتي الدراسية والتي

مرحلت إلى جوار ربها قبل مناقشة هذا العمل بأيام قليلة جدا

إلى زوجتي العزيزة شريكتي في الحياة التي ساندتني ووقفت معي طيلة اعداد هذا

العمل

إلى من علمني أول حرف الأستاذ احمد مش حفظه الله ونفع به و إلى كل من

تلمذت على يديه في جميع مراحل دراستي وإلى شيوخني في مسجد علي بن ابي

طالب وخاصة شيخني بلخير عواريب أمدّه الله بالصحة وطول العس

إلى أشقائي وشقيقاتي وجميع أفراد العائلة وكل اصدقائي حيثما كانوا

اعدكم جميعا ان امضي قدما بمشيئة الله تعالى فهذه اللحظة مجرد خطوة على

الطريق وليست قمتة الاهداف

مقدمة

تُعد منطقة الشرق الاوسط ميدانا خصبا للباحثين والدارسين بفضل خصوصيتها الدينية والثقافية والسياسية والانثروبولوجية وتنوعها الاثني والطائفي والمذهبي ادت الى تنافس القوى الكبرى عبر العصور للسيطرة عليها واخضاعها بدءا بالامبراطوريات القديمة كالرومانية والبيزنطية والامبراطورية العثمانية، وصولا الى الاستعمارين الفرنسي والانجليزي، ثم السيطرة الامريكية على المنطقة وذلك باحتلالها افغانستان سنة 2002م والعراق 2003م، هذا المد الاستعماري المتواصل للمنطقة سبقته دراسات تاريخية وانثروبولوجية لشعوب الشرق وانماطه وعاداته ودياناته عُرفت " بالاستشراق " **"Orientalisme"** وعرف الباحثون المتخصصون بهذا المجال **"بالمستشرقين"**، واقامت المعاهد في الغرب والكليات والاقسام التي تعنى بدراسة حضارة الشرق ودراسة الدين الاسلامي كأحد أهم مكونات هذه الحضارة، وعلى هذا الاساس بنت الدول الكبرى سياساتها في المنطقة فجهزت الجيوش لاحتلال المنطقة بناء على المعارف الانثروبولوجية والثقافية لشعوب المنطقة وهكذا كان الاستعمار مرحلة تالية للاستشراق على حد تعبير المفكر الامريكي الفلسطيني ادوارد سعيد.

لقد ادت نهاية الحرب الباردة 1989 إلى اعلان سيطرة الولايات المتحدة الامريكية على العالم بعد هزيمة غريمها الاتحاد السوفيتي وإعلان تفككه الى 16 دولة، فقد شكل هذا انتصارا ساحقا للقوة الامريكية إذ أعلنت على لسان رئيسها انذاك جورج بوش **George Herbert Walker Bush (1993-1989)** عن إنبثاق النظام العالمي الجديد لتجد نفسها دون أي منافس على المسرح الدولي، وانكفأ صناع القرار في امريكا على رسم الخطة المستقبلية لإخضاع العالم لسيطرتها لعقود طويلة، هذا ما دفع بمفكر من داخل اوساط الفكر الليبرالي وهو فرانسيس فوكويوما **Francis Fukuyama** بكتابة كتابه الشهير "نهاية التاريخ والانسان الاخير" **"The end of history and last man"** لتتويج النصر الاقتصادي بنصر أكاديمي وثقافي، وقداعتبرت نظرة فوكويوما تفاؤلية لأنها تبشر بعالم ليبرالي حر خال من كل المشاكل والصراعات لان الجميع ادرك قوة الافكار الليبرالية التي قامت عليها امريكا.

لكن النزعة التفاؤلية التي بشر بها فوكويوما لم تدم طويلا، فسرعان ما طفت أفكار ومقولات تشاؤمية تحذر من الاخطار والتهديدات التي تواجه الحضارة الامريكية مستقبلا وتشكل تحديا لها، هذا الخطر هو الخطر الاسلامي " أو الخطر الاخضر " الذي حلّ كبديل للخطر الشيوعي الأحمر، أبرز من نظر لهذا الكلام هو المفكر الامريكي المعروف صموئيل هنتنغتون **Samuel Phillips Huntington** بأطروحته الشهيرة، "صدام الحضارات" **The Clash of Civilizations** والتي احدثت جدلا كبيرا بين

رافض ومستغرب ومحذر من الخطر الاسلامي، ولم تتأخر فرضيات هذه الاطروحة كثيرا لتجد تبريرها العملي سريعا، ففي عام 1995 حدثت تفجيرات عنيفة بمدينة اوكلاهوما الامريكية قام بها متطرفون مسيحيون راح ضحيتها عشرات القتلى الا ان اصابع الاتهام وجهت للمسلمين ليفتح هذا الحادث النقاش حول خطورة الاسلام والمسلمين على الحضارة الغربية والامريكية تحديدا.

جاءت هجمات 11 سبتمبر 2001 التي تبني تنظيم القاعدة على برجى التجارة بنيويورك لتعطي تأكيدا على ان الاسلام هو العدو المفترض الذي تتبأ به وحذر منه هنتغتون ومن قبله برنارد لويس وانطلقت الاطروحات والتفسيرات لهذا الحدث ولماذا؟ وكيف وقع؟ وتم اصدار عديد من الكتب والمجلات والبرامج التلفزيونية والاعمال السينمائية التي تتهم الاسلام والمسلمين بالرجعية والتخلف وبأعداء الانسانية والقيم الغربية، وفي ظل كل هذا نشطت الأطروحات الاستشراقية واعيد الاهتمام بدراسات الاسلام واتخذت حركات الاسلام السياسي كوحدات للتحليل من طرف مراكز البحث الامريكية ومن اكاديميين متخصصين ورجال اعلام وصحفيين انخرطوا جميعا في تحليل الظاهرة.

يمكن القول انه لا يوجد حدث اعاد الاهتمام بدراسات الشرق الاوسط مثل هجمات سبتمبر، وبناء على مخرجات هذه الابحاث التي اعدتها مؤسسات الاستشراق الجديد تم صوغ الاستراتيجيات والاهداف الامريكية في المنطقة، فكان لزاما القيام بإجراء اصلاح جذري يقوم على ديمقراطية دول المنطقة باستبدال قادتها المستبدون بأخرين اكثر انفتاحا واقل استبدادا لان ما توصلت له تلك الدراسات الاستشراقية هو ان انتشار الحركات الراديكالية والمتطرفة جاء نتيجة الاستبداد السياسي الطويل في دول الشرق الاوسط وعليه اخذت الولايات المتحدة على عاتقها نشر الديمقراطية والحرية هناك، ودعم حقوق الانسان، ومثلت عملية احتلال افغانستان 2002 والاطاحة بنظام طالبان المتشدد- حسب الادارة الامريكية- واستبداله بنظام ديمقراطي كأول مؤشر على جدية الإدارة الامريكية في الزرع القسري للديمقراطية بالمفهوم الغربي، ثم تلتها عملية غزو العراق 2003 واجتثاث النظام البعثي بقيادة صدام حسين من الحكم واستبداله بنظام اخر يقبل بقواعد الديمقراطية، وفي هذه الاثناء جرت عمليات اصلاح عديدة طوعية في كثير من الدول واجريت انتخابات فاز الاسلاميون في بعضها، لكنها سرعان ما شهدت انقلابا عليهم بسبب الضغط الامريكي.

ان موجات الاصلاح سرعان ما خفت بريقها وانطفأ توهجها في دول المنطقة بعد فشل التجريبتين الأفغانية والعراقية، فقد تحول العراق الى ساحة للحرب الطائفية والافتتال المذهبي بين السنة والشيعة وهما أكبر مكون للمجتمع العراقي، وتمزق النسيج العراقي الذي ظل صامدا لسنوات طويلة بسبب فشل فرض الاصلاح السياسي من الخارج، وظهرت تنظيمات اكثر راديكالية وتوحشا، ومن جهة اخرى وانطلاقا مما حدث في العراق لم توقف بقية دول المنطقة من عمليات الاصلاح فقط وانما رافقتها بزيادة في وسائل القمع والتضييق لكل المعارضين والمطالبين بتحسين الاوضاع، وضع كانت تغذيه مؤسسات الاستشراق الجديد بأن العالم العربي والاسلامي لا يمكنه ان يتعايش مع الديمقراطية جنبا الى جنب لان بذور الاستبداد والتخلف موجودة في جوهر الثقافة والدين الاسلامي.

لكن لم يستمر الأمر إلا سنوات قليلة وبسبب شعور المواطن العربي بالإحباط والتذمر مما يحصل في وطنه، اندلعت مع مطلع سنة 2011 ما سمي بثورات الربيع العربي في كل من تونس، ومصر وليبيا وسوريا، حين خرج مجموعة من الشباب مطالبين بالإصلاح لكنهم جوبهوا بالرد القاسي والعنيف من طرف أنظمتهم لكن وتحت إصرار هؤلاء المحتجين وضغط المجتمع الدولي استجاب رؤساء كل من تونس ومصر، اما ليبيا فقد أصر زعيمها معمر القذافي على التثبيت بكرسي الحكم مما اجبر حلف شمال الاطلسي على التدخل ومكّن الثوار الليبيين من قتل القذافي وشهدت ليبيا اجراء اول انتخابات رئاسية في تاريخها لكنها تشهد حربا اهلية طاحنة(2011-2020)، ونفس الامر ينطبق على سوريا التي نجح رئيسها بشار الاسد في الحفاظ على عرشه- الذي ورثه من ابيه- رغم دخول البلاد في حرب شاملة منذ قرابة عشرة سنوات ادت الى قتل وتشريد ملايين السوريين في باقي دول العالم، اما تونس ومصر فقد شهدتا اجراء انتخابات رئاسية بعد نجاح ثورتيهما باقل الاضرار وتشابهتا حتى في مشهد ما بعد الثورة، فقد وصل فيها الاسلاميون للحكم بعد تنظيم انتخابات رئاسية شفافة، عرفت تنافس عدة احزاب سياسية.

ويمكن اختصار أهم المتغيرات التي عرفها الشرق الاوسط منذ هجمات 9/11 في عددٍ من العناصر، من أبرزها: تقدّم الإسلاميين على مستوى السلطة في كلٍّ من تركيا وعددٍ من البلاد العربية، وخاصةً تونس؛ فقدان تنظيم القاعدة لهيمنتها، ظهور داعش الأشد تطرفاً؛ الهشاشة السياسية وشيخ الفشل الذي يُهدّد عدداً إن هذا التدهور الخطير في الشرق الأوسط، يكشف بشكل ملموس الآثار السيئة لتدخّل أمريكا بالمنطقة عقب 9/11؛ فاحتلال العراق، ومشروع ديمقراطية العالم العربي..، الذي كانت تسعى من ورائه أمريكا لتأمين نفسها وبقية العالم، والقضاء على التهديدات الإرهابية الصادرة من المنطقة، لم يحقق أهدافه، بل على العكس من ذلك أدّى إلى تدهور أمني خطير، وزاد من مشاعر العداء لأمريكا، وأضرّ

بأمن العالم؛ فالدماغ الأمريكية الكثيرة التي سالت في المنطقة والنفقات الهائلة بالمنطقة لم تُحَقَّق المرجوَّ منها من الدول العربية؛ الحروب الأهلية في كلِّ من سوريا واليمن وليبيا، وتزايد ظاهرة اللجوء، وحتى الاتفاق النووي مع ايران الذي حدث في فترة الرئيس اوباما والذي كان يؤمل منه ان يكون مدخلا للتغيير الايجابي في المنطقة، الغاء الرئيس الحالي دونالد ترامب.

أهمية الموضوع

إن لمنطقة الشرق الاوسط اهمية كبيرة في استراتيجيات القوى العظمى سبب موقعها الجغرافي المميز فهي تربط ثلاث قارات متجاورة جغرافيا (اوروبا، اسيا وافريقيا) وازدادت اهميتها الاقتصادية والجيواستراتيجية بعد اكتشاف النفط عام 1927م بالعراق وانشاء الكيان الصهيوني عام 1948م وظهور الحركات الاسلامية بعد نكسة 1967م كفاعل مؤثر على الساحة الاقليمية، والثورة الايرانية 1979م التي جاءت بنظام ديني ثيوقراطي على حساب نظام علماني موالي للغرب وحليف للولايات المتحدة الامريكية، هذه الاخيرة اعتبرت حركات الاسلام السياسي كأكبر مهدد للمصالح الغربية والامريكية على وجه الخصوص، وعلى المستوى العلمي والنظري دأب المستشرقون على صنع صورة نمطية في الغرب عن بدائية وتخلف شعوب المنطقة ووحشية الدين الاسلامي وارتباطه بالإرهاب والاستبداد وتعارضه مع قيم الديمقراطية الليبرالية الغربية على حد تعبيرهم، وعليه فان اهمية الموضوع تتلخص في جانبين .

الأهمية العلمية : تتمثل أهمية الموضوع من الزاوية العلمية في ما يلي:

أ- محاولة فحص المقاربات والمقولات النظرية المفسرة لتحولات الحركات الاسلامية في الشرق الاوسط من الناحية العلمية والمنهجية

ب- قياس مدى التزام هذه المقولات الاستشراقية الجديدة بالضوابط العلمية والصرامة المنهجية،

ج- نقد الاسس المعرفية التي بنيت عليها المعرفة الاستشراقية بطريقة علمية منهجية لظاهرة الاسلام السياسي في الشرق الاوسط.

الأهمية العملية : تهدف هذه الدراسة عمليا الى كونها تشكل مدخلا مهما في فهم السياسات الغربية ولاسيما الامريكية نحو الحركات الاسلامية، وابرار المنطلقات الفكرية التي يشكل الاستشراق الجديد بكل تفرعاته احد المؤسسات الرئيسية التي تعمل جاهدة على مساعدة صانع القرار الامريكي في رسم

السياسات والاستراتيجيات تجاه التغيرات الحاصلة في منطقة الشرق الاوسط منذ هجمات 11 سبتمبر 2001.

الهدف من الدراسة :

إن الهدف الأساسي من هذه الدراسة هو ما يلي :

_ إبراز أهمية الدراسات الشرق اوسطية في الفكر الغربي ولاسيما الامريكي.

_ القراءة التحليلية والمنهجية لأطروحات الإستشراقية الكلاسيكية والجديدة لظاهرة الاسلام السياسي في الشرق الاوسط بعد هجمات 11 سبتمبر 2001.

_ الدراسة النقدية لأطروحات الاستشراق الجديد حول الاسلام والسياسة في الشرق الاوسط وابرار حدودها المعرفية والمنهجية وتبيان قصورها المعرفي و كشف تحيزها العلمي.

اشكالية الدراسة :

يتعرض هذا الموضوع الى إشكالية محورية تتعلق بالأطروحات والحجج التي يطرحها الاستشراق الأمريكي الجديد ومؤسساته ومدى قدرتها على إعطاء تفسير علمي ومنهجي لحركات الاسلام السياسي والجهادي في الشرق الاوسط ومساهمة هذا الفرع المعرفي في امريكا في بلورة السياسات وبناء الاستراتيجيات تجاه المنطقة منذ هجمات 11 سبتمبر 2001 وما تلاها من تغييرات هيكلية في خريطة الشرق الأوسط بعد هذه الهجمات، واندلاع ثورات الربيع العربي سنة 2011 التي انجر عنها وصول الاسلاميين الى سدة الحكم في بعض الدول التي مستها هذه الثورات وعلى هذا الاساس فان التساؤل الجوهري الذي يمكن طرحه في هذه الدراسة يتمثل في الاتي:

ما مدى قدرة المقولات والاطروحات الاستشراقية الامريكية الجديدة في تفسير تحولات الاسلام السياسي في الشرق الاوسط بعد هجمات 11 سبتمبر 2001 ؟

وضمن هذا التساؤل تدرج مجموعة من الأسئلة الفرعية :

ما المقصود بالاستشراق الجديد؟

ما هي الأطر والتفسيرات النظرية التي قدمها الاستشراق الأمريكي الجديد في فهم حركات الاسلام السياسي؟

ما نوع الخطاب الإستشراقي الأمريكي الجديد في دراسة الظاهرة الاسلامية في الشرق الاوسط؟

ما هي طبيعة المعرفة العلمية التي يقدمها الاستشراق الأمريكي الجديد حيال قضايا الشرق الاوسط؟

كيف اسهم السياق الثقافي والسياسي والايديولوجي والمؤسسي في كتابات المستشرقين الجدد وابعائهم؟

فيم تبرز اهمية علم الاستشراق في رسم الاهداف الاستراتيجية الامريكية في الشرق الاوسط خاصة بعد هجمات 11 سبتمبر 2001؟

ما هو دور المستشرقين الجدد في عملية صنع القرار في الولايات المتحدة الامريكية تجاه حركات الاسلام السياسي؟

ما هي الحدود المعرفية والمنهجية للاستشراق الأمريكي الجديد؟

الفرضيات :

- (1) توجد علاقة بين السياق الثقافي والسياسي والايديولوجي والمؤسسي للمستشرقين الجدد وبين اطروحاتهم ونظرياتهم حول حركات الاسلام السياسي في منطقة الشرق الاوسط .
- (2) يتميز الخطاب الاستشراقي الأمريكي بتعدد الوسائل وتنوع المضامين في تفسيره لحركات الاسلام السياسي في الشرق الاوسط بعد هجمات 9/11
- (3) توجد علاقة بين المعرفة الاستشراقية الامريكية والاهداف الاستراتيجية للولايات المتحدة الامريكية في الشرق الاوسط .
- (4) توجد علاقة بين مخرجات الاستشراق الأمريكي الجديد و تحولات حركات الاسلام السياسي بعد ثورات الربيع العربي 2011.
- (5) يشارك المستشرقون الامريكيون بقوة في عملية صنع القرار السياسي الأمريكي منذ هجمات 9/11 حيال منطقة الشرق الاوسط.

اهمية الدراسة:

تتلخص اهمية الدراسة فيما يلي:

- التعرف على المدرسة الاستشراقية الامريكية وابرار تطورها التاريخي ومنطلقاتها الفكرية
- تحديد طبيعة الاستشراق الامريكي الجديد واهم مقولاته واطروحاته تجاه حركات الاسلام السياسي.
- تحديد القيمة العلمية وكشف مدى ارتباط المؤسسات الاستشراقية بصانع القرار في الولايات المتحدة الامريكية ولاسيما تجاه منطقة الشرق الاوسط.

اسباب اختيار الموضوع

جاء اختيار هذا الموضوع لجملة من الاسباب الذاتية والموضوعية يمكن ابرازها بما يلي:

أ/ الاسباب الذاتية:

- رغبة الطالب في بحث موضوع فكري ونظري له تداعيات عملية واقعية
- _ الاهتمام الشخصي بمواضيع الحركات الاسلامية والانتاج الفكري الغربي تجاه منطقة الشرق الاوسط وعلاقات الشرق والغرب
- _ الاطلاع على الاطروحات والمقولات الاستشراقية بعد ان تحول علم الاستشراق الى تخصص اكايمي في الجامعات الامريكية
- عودة حركات الاسلام السياسي بقوة الى المشهد السياسي ومشاركتها في الحكم بعد الثورات الشعبية التي شهدتها المنطقة العربية اوائل سنة 2011

ب/ الأسباب الموضوعية:

_ زيادة الاهتمام البحثي والاكاديمي بدراسة الحركات الاسلامية بمنطقة الشرق الاوسط ورصد كل تفاعلاتها واحداثها علميا ومعرفيا

_ اهمية المقاربات الاستشراقية الامريكية الجديدة في بلورة تصور امريكي حول منطقة الشرق الاوسط وحركات الاسلام السياسي كفاعل رئيس في العملية السياسية.

_ زيادة الدراسات النقدية للاستشراق الغربي بصفة عامة والامريكي بصفة خاصة من طرف باحثين غربيين وعرب.

مناهج واقترايات الدراسة :

تقتضي دراسة هذا الموضوع الاستعانة بالعديد من المناهج العلمية فيما يسمى **بالتكامل المنهجي**¹، ويأتي في مقدمة هذه المناهج: **المنهج التاريخي** وهذا بالتطرق الى تاريخ الاستشراق وبداية الدراسات حول العالم الاسلامي وصولا الى الدراسات الحديثة وتأثير التفاعلات الداخلية والخارجية في الشرق الأوسط في ظهور مفهوم الاستشراق الجديد، كذلك استخدم الباحث في هذه الدراسة **المنهج التحليلي الاكتشافي (الاستنباطي)**: فالمنهج التحليلي الاكتشافي يبحث عن حقيقة الظاهرة المدروسة عبر تبسيط عناصرها، المركبة في حين ينطلق المنهج الاستنباطي في تحليل الظواهر من خلال الانتقال من الصفات الكلية للظاهرة المبحوثة الى جزئياتها وعناصرها الفرعية².

بالإضافة الى استخدام **المنهج التفكيكي التركيبي** وتكمن اهمية هذا المنهج في انه يساعدنا على تفكيك الظاهرة المدروسة الى اجزاء وفحص كل جزء لوحده واعادة تركيبه لفهم مكوناتها وتركيباتها وتعقيداتها، ويظهر هنا في الدراسة عبر تفكيك المعرفة الاستشراقية الامريكية المتعددة الى اجزاء للوصول الى فهم كلي للتعاطي امريكي مع ظاهرة الاسلام السياسي، كما استعان الباحث باقتراب **صنع القرار** وهو اطار فكري يساعد الباحثين والمحللين على التعرف على العوامل والمتغيرات التي تشكل عناصر الموقف

⁽¹⁾ محمد شلبي، **المنهجية في التحليل السياسي**، الجزائر: د ن، 1997، ص 54

⁽²⁾ عصام بن الشيخ، **مقاربة الجندر وانعكاساتها على الوضع السياسي للمرأة المغاربية**، اطروحة دكتوراه ، تخصص علاقات دولية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2015

الذي يتخذ القرار في خضمه¹ وفي هذه الدراسة يسعى الباحث الى ابراز دور هجمات 9/11 كحدث عالمي اسهم في اشراك المستشرقين الامريكيين في التأثير على صانع القرار الامريكي وموقفه تجاه حركات الاسلام السياسي كفاعل رئيس في منطقة الشرق الاوسط وفي الاخير استعان الباحث بالمنهج النقدي لتبيان القصور المنهجي والحدود المعرفية للاستشراق الامريكي الجديد.

المقاربات النظرية

للقوف على تفسير اعمق واشمل للدراسات الاستشراقية استعان الباحث ببعض المقاربات النظرية في هذه الدراسة وهي كالاتي:

- **نظرية النظم** : تعتبر نظرية النظم من النظريات المهمة التي تفسر لنا التفاعلات التي تقع ضمن بيئة النظام السياسي من خلال مفاهيم المدخلات والمخرجات والبيئة والتغذية العكسية، وفي هذه الدراسة تفسر لنا هذه النظرية تأثير هجمات 9/11 على النظام الامريكي ضمن بيئته الداخلية والخارجية واعتبار الدراسات الإستشراقية الجديدة كمدخلات ساعدت الادارات الامريكية المتعاقبة في تحويلها الى مخرجات في شكل قرارات تتمثل في احتلال افغانستان والعراق و، ورفض التعامل مع الحركات الإسلامية، وتأييد الإنقلابات ضد الاسلاميين.

- **النظرية الاجتماعية النقدية في العلاقات الدولية** : إن النظرية النقدية لا تهتم بتفسير وفهم الحقائق الموجودة على مستوى العلاقات الدولية أو السياسية الداخلية، بل ترمي إلى نقدها بغرض تغييرها، ومعرفة إمكانات واحتمالات التغيير الممكنة، بهدف تأمين الحرية في مجالات المعرفة والممارسة، إنها ترمي إلى توسيع مجال العقلانية والعدالة والديمقراطية عبر الدول وصولاً إلى كل المجالات الإنسانية بإعادة النظر في المؤسسات والأوضاع الحالية للنظام العالمي على أساس أن المعرفة لها صلة بالأوضاع السياسية، ولها علاقة بالمصالح، كما يقول روبرت كوكس " النظرية تستعمل لصالح شخص ما ووفق غرض ما في نظر النقيدين لا يمكن النظر للمعرفة كعنصر محايد عما يتصل بالإنسان اخلاقيا وايدلوجيا او عقائديا ، المعرفة ككل هي انعكاس لرغبات

¹ شلبي، المرجع نفسه، ص 152

الانسان¹ وفي هذه الدراسة تزودنا هذه النظرية بعلاقة المعرفة الإستشراقية بسياسة الولايات المتحدة تجاه منطقة الشرق الاوسط ، واهداف النظريات الإستشراقية وغاياتها بشكل عام.

- **النظرية البنائية** : ظهرت النظرية البنائية في نهاية الثمانينات من القرن العشرين كرد فعل على النظريات التقليدية في العلاقات الدولية، ويعد مفهوم الهوية **Identity** من المفاهيم المركزية في النظرية البنائية، فهي مهمة في صناعة السياسات العامة للدول وتساعد في تحديد المصلحة للفاعل، اذ يفترض البنائيون ان الهوية تحدد او تمنح للفاعل دورا في العلاقات الدولية²، ويمكن توظيف هذه النظرية في هذه الدراسة في ان هجمات 9/11 مكنت الولايات المتحدة الامريكية من تحديد هويتها مقابل الاخر مما كان تأثير على عملية صنع السياسة العامة وساعدتها في تحديد مصلحتها ودورها في التعامل مع الحركات الاسلامية في الشرق الاوسط.

بالإضافة الى الاستعانة بالنظرية النسوية و نظرية ما بعد الحداثة في العلاقات الدولية والتي ظهرت كرد فعل على الاتجاه التقليدي في التنظير، وتركز هذه النظريات على دور القوة في انتاج المعرفة وهو ما نلمسه في هذه الدراسة من خلال علاقة التفاعل بين الفكر الاستشراقي الجديد وسياسة القوة التي انتهجتها الولايات المتحدة الامريكية في منطقة الشرق الاوسط بعد هجمات 9/11.

حدود الدراسة

الحدود الزمانية :تقتصر الحدود الزمانية للدراسة من سنة 2001 الى غاية 2019 اي من هجمات 11 سبتمبر 2001 ضد برج التجارة العالمي في نيويورك هذا الحدث الذي غير وجه العالم امنيا وسياسيا واستراتيجيا ومهد لظهور ثورة جديدة من الاستشراق كانت نتائجها احتلال افغانستان والعراق وما خلفه من تداعيات عميقة على المنطقة.

الحدود المكانية : ترتبط الحدود المكانية للدراسة بمنطقة الشرق الأوسط وبالأحرى المنطقة العربية التي تعتبر هدفا للدراسات الاستشراقية التقليدية و الجديدة وبظاهرة بروز الاسلام السياسي والجهادي ومشاركته في الحياة السياسية لاسيما بعد احداث الربيع العربي 2011.

¹ عبد الناصر جندلي، التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية والنظريات التكوينية، الجزائر: دار الخلدونية للنشر والتوزيع، 2007، ص 318.

² خالد المصري، النظرية البنائية في العلاقات الدولية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 30، العدد الثاني 2014، ص 326

صعوبات الدراسة :

واجهت الطالب صعوبتان اساسيتان في هذه الدراسة:

_ غزارة الانتاج المعرفي حول الموضوع وهو ما صعب على الطالب القيام بمهمة الجمع والتصنيف والانتقاء مما ادى عدم التطرق الى كل ما كُتبت حول الموضوع.

_ عدم تجاوب الباحثين المتخصصين في الموضوع بحجة السفر ولأسباب غير معروفة

الادبيات والدراسات السابقة:

لإجراء هذه الدراسة توصل الباحث الى العديد من المراجع والدراسات العربية والاجنبية التي تناولت موضوع الاستشراق الامريكي الجديد واهدافه، ومناهجه ومواضيعه...الخ، وقد اعتمدت على احداث هذه الدراسات واكثرها اهمية ومنها:

أ/ باللغة العربية:

الاطروحات والرسائل الجامعية:

1) دراسة الباحث " ابراهيم بن عمار " الموسومة بـ " الاستشراق المعاصر ودوره في صنع السياسة الخارجية الاميركية تجاه منطقة الشرق الاوسط " ، اطروحة دكتوراه علوم سياسية (غير منشورة)، تخصص علاقات دولية، قسم العلوم السياسية، جامعة وهران2، الموسم الجامعي(2018-2019)، من نتائج هذه الاطروحة هو اكتشاف الارتباط الوثيق بين المعرفة الاستشراقية المتمثلة في مراكز الابحاث الغربية والسلطة السياسية في امريكا وانعكاس ذلك على صنع السياسة الخارجية تجاه منطقة الشرق الاوسط، واعتمدت هذه الدراسة على مخرجات مؤسسات راند البحثية، ومعهد واشنطن، ومعهد كارنيجي تجاه الاسلاميين في المرحلة ما بعد هجمات سبتمبر 2001.

2) دراسة الباحث " محمد بحري" الموسومة بـ " الدور الاستراتيجي للاستشراق المعاصر في الشرق الاوسط - برنارد لويس نموذجا- " ، اطروحة دكتوراه في علوم الشريعة (غير منشورة)، تخصص عقيدة، قسم أصول الدين، جامعة الحاج لخضر باتنة 1، الموسم الجامعي(2018-2019)، قدمت هذه الاطروحة قراءة متأنية في اثر وفعل بعض التخصصات المعرفية

الكلاسيكية والحديثة في محاكمة وتشكيل الواقع لشعوب الشرق الاوسط ، من نتائج هذه الدراسة رصد تلك التأثيرات القائمة بين المعرفة الاستشراقية كعلم مجرد من اي اعتبارات، وبين الاستعمالات المجافية للحقيقة التاريخية العلمية، وذلك بجهود فردية وبرامج دوائر متخصصة في مثل هذه المشاريع، كما حاولت هذه الدراسة ان تحيب على بعض الاسئلة المهمة، وتعطي بداية لتفسير بعض الاحداث المعاصرة وقد اتخذت من افكار المستشرق الامريكي برنارد لويس نموذجا لمثل هذه الهندسة التي يراد رسمها في الشرق الاوسط .

(3) دراسة الباحثة امنة الجبلاوي، الموسومة بـ "الاسلام المبكر: الاستشراق الانجلوساكسوني الجديد :

بارتسيا كرون ومايكل كوك انموذجا" اطروحة دكتوراه في الدراسات الاسلامية (منشورة)، منشورات دار الجمل 2008 ، المانيا: لتساؤل الأول الذي قاد المؤلفة آمنة الجبلاوي لاختيار هذا الموضوع هو كيف لنا أن نثري معرفتنا بتاريخ القرن الأول للهجرة ؟ وكيف لنا أن نستفيد من قراءة مختلفة للتاريخ الإسلامي المبكر ؟ ولما كان مايكل كوك وبارتسيا كرون يقدمان قراءة تعتمد على مصادر غير إسلامية، كان أمل الباحثة أن تقدم هذه المصادر معلومات تكمل ما حصل لدينا بفضل النصوص الإسلامية أو تلغي ما اعتدنا على ترديده فيما يتعلق بهذا القرن الهام التأسيسي.

(4) دراسة الباحث مازن المطبقاني، الموسومة بـ " منهج المستشرق برنارد لويس في دراسة الجوانب

الفكرية في التاريخ الإسلامي" اطروحة دكتوراه (منشورة)، كلية الدعوة ، قسم الاستشراق، جامعة محمد بن سعود الاسلامية، المملكة العربية السعودية، 1414هـ / 1993م: توصل الباحث في نتائجه في هذه الدراسة الى الاخطاء المنهجية التي وقع فيها المستشرق برنارد لويس في تناوله للتاريخ الاسلامي والسيرة النبوية والقرآن الكريم والاصولية الاسلامية وتأثره بآراء الاستشراق الكلاسيكي، وما يميز هذه الدراسة ان الباحث قام بمقابلة شخصية للمستشرق برنارد لويس.

(5) دراسة للباحث خليل ربيع جابر، الموسومة بـ "موقف ادارة بوش من الاصولية الاسلامية في

الشرق الاوسط" رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم الدراسات الدولية، معهد ابراهيم ابو الغد، جامعة بير الزيت ، فلسطين (2010): تناول الباحث في هذه الدراسة تعامل ادارة الرئيس جورج بوش الابن مع الحركات الاسلامية الموجودة في الشرق الاوسط، وقد تبلورت نظرة هذه الادارة من خلال مواقف المستشرقين الامريكيين مثل برنارد لويس، وصموئيل هنتنغتون وفرانيس فوكوياما،

وتوصل الباحث في نتائجه الى الدور الكبير الذي شكلته هذه الافكار في سياسة التعامل مع الحركات الاسلامية.

(6) دراسة الباحث عبد الله بن عبد الرحمان الوهبي، حول الاستشراق الجديد مقدمات اولية، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الاسلامية، كلية الشريعة (منشورة)، مركز البحوث والدراسات، الرياض (2014): قام الباحث في هذه الدراسة بالتتبع التاريخي لتطور مفهوم الاستشراق الامريكي الجديد وعوامل ظهوره وانبعائه خاصة بعد احداث 11 سبتمبر ومن ثم نقد المناهج والاسس الفكرية التي قام عليها. وقد توصل الباحث في نتائجه الى ان الاستشراق الجديد ما هو الا ايدلوجيا لخدمة مصالح الولايات المتحدة الامريكية.

الكتب:

(1) الكتاب الموسوم بـ " ما بعد الاستشراق: المعرفة والسلطة في زمن الارهاب" من انجاز الباحث حميد دباشي ، عن منشورات المتوسط بميلانو بإيطاليا (2015)، يؤكد "دباشي" أنّ مسألة المعرفة في مواجهة صراعات مثل الإسلاموفوبيا والاستشراق المغلوط في زمن السموات المنفتحة، والإعلام ذائع الصيت، الذي يشكل العقلية الأوروبية كما الأمريكية ليس خلق "جيتو- ثقافي" آخر هو ما يتوجب فعله، وإنما احتلال المركز وإعادة تأطيره واستبعاد المحيط المختلق من ثم. وكلما تراجعنا للوراء باتجاه تحصينات خانقة أخرى في المحيط كلما اتسعت المساحة التي يحتلها في المركز "مريد وهنتجتون وفوكاياما وبريميلو"، ليبقى هؤلاء الوحيدون المخولون بقراءة التغيرات المقبلة. تتجلى أهمية هذا العمل من خلال بحث المؤلف عن ميكانيزمات عقلانية جديدة تسعى لابتكار سبل جديدة نحو نمط من التمثيل الذاتي المستقل يمكن التابع من إنتاج منظومته المعرفية بشأن العالم من دون أن يكون أسير ما يسمى أزمة المستلب.

(2) الكتاب الموسوم بـ " تاريخ الاستشراق وسياساته: الصراع على تفسير الشرق الاوسط" من انجاز المستشرق زكاري لوكمان، (2007)، الصادر عن دار الشروق المصرية، يتناول زكاري لوكمان، أستاذ التاريخ الحديث للشرق الاوسط بجامعة نيويورك، في هذا الكتاب الصراع بين الشرق والغرب تاريخياً، وتاريخ ما يسمى بعلم الاستشراق، كيف نشأ ولماذا وما أهدافه ومحركاته، وكذلك يسرد لنا تاريخ تطور الحضارة الغربية، منذ البداية وحتى الآن، كيف صعدت وكيف انحدرت، وكيف عادت للصعود مرة أخرى. كذلك ويتطرق الكاتب للحديث عن الإرهاب ووجهات النظر المختلفة وكيف يتم اتخاذه ستاراً لاستمرار الهيمنة الأمريكية، ويحوي هو كتاب الكثير من السرد

التاريخي والفكري، ويعتبر مرجعاً هاماً للإحاطة بالصراع بين الشرق والغرب. يحاول الكتاب حل الإشكالات في فهم العالم العربي والشرق الأوسط، القائمة عادة على افتراضات زائفة وتفسيرات سيئة، لها جذور تاريخية وثقافية عميقة، خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر/ أيلول 2001، ونتمس شعور المؤلف أنه من الضروري للأميركيين أن يكتسبوا فهماً أكثر لأنواع المعرفة بالشرق الأوسط وبالإسلام يقدم صورة عن كيفية دراسة الشرق الأوسط والإسلام في الولايات المتحدة على مدى نصف القرن الماضي، بهدف مساعدة الأميركيين على اكتساب فهم أفضل لافتراضات ونتائج المعرفة التي طرأت في العقود الأخيرة على سياسات الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، والإدراك الشعبي للمنطقة وشعوبها.

(3) الكتاب الموسوم بـ "كراهية الإسلام: كيف يصور الاستشراق الجديد العرب والمسلمين" من إنجاز الباحث فخري صالح، (2018)، الصادر عن الدار العربية للعلوم ناشرون ببيروت، يتحدث الكتاب عن كيفية تقديم الخطاب الغربي للإسلام، من خلال ثلاثة نماذج تتمثل بما كتبه ثلاثة من المفكرين الغربيين عن العالم الإسلامي وخطر المسلمين وديانتهم على الغرب، وهم المستشرق البريطاني -الأميركي برنارد لويس، والباحث الأميركي في العلوم السياسية صمويل هنتنغتون "صاحب نظرية صدام الحضارات"، وفيديار سوراجبراساد نيبول "مولود في الكاربيبي من أصول هندية" الحائز على جائزة نوبل للآداب العام 2001، وأكد في الكاتب في نتائجه: ان الاستشراق هو معرفة الشرق "المصطنع" من قبل الغرب والذي لم يكن نتيجة معاينة الواقع الشرقي مع تشكيل صورة نمطية للعرب والمسلمين، وأوضح ان مراكز البحث والدراسات ومراكز صناعة الأفكار "think tanks" التابعة للمؤسسات الرسمية والمستقلة شكلت أهم ملامح الاستشراق.

(4) الكتاب الموسوم بـ "مراكز البحوث الأمريكية ودراسات الشرق الأوسط بعد 11 سبتمبر" من إنجاز الباحث هشام القروي، (2013) الصادر عن مركز نماء للبحوث والدراسات ببيروت، اثبت الكاتب من خلال النتائج التي توصل إليها أن دراسات الشرق الأوسط في الولايات المتحدة لا يصح قطعها عن الأدوات البنوية التي تسهم في تشكيل العقل الأمريكي، وأن تلك الأدوات البنوية إنما تشكل في الواقع الأبواب الدوارة للسلطة في الولايات المتحدة الأمريكية .

(5) الكتاب الموسوم بـ "الإسلاميون ومراكز البحث الأمريكية: دراسة في أزمة النموذج المعرفي")

(2014) الصادر عن مركز نماء للبحوث والدراسات، من اجاز الباحث بلال التليدي، قدم

المؤلف بحثاً جاداً حول مراكز البحث الأمريكية وتغطيتها للإسلاميين حيث يحلل فيه المؤلف

مقولات هذه المراكز حول الإسلاميين و يذكر حججها التي تدعم هذه المقولات ثم يحاول بناء نموذج معرفي يمكن استخلاصه من ممارسة هذه المراكز البحثية و يمكننا ان نفهم كيف تفكر هذه المراكز في الإسلاميين والنتائج التي توصل اليها الباحث انه رغم ان هذه المراكز تشكل خدمة للاستخبارات الامريكية الا انها قدمت نموذج معرفي وعملي جيد يمكن الاستفادة منه لفهم حركات الاسلام السياسي .

(6) الكتاب الموسوم بـ " الاستشراق الامريكي: الولايات المتحدة الامريكية والشرق الاوسط منذ

1945.(2009)، للباحث دوغلاس لينل، نقله الى العربية طلعت الشايب عن المركز القومي للترجمة، الكتاب يتقصى جذور الاستشراق الأمريكي، ويعرض قصة العلاقة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط منذ أن وضعت الحرب أوزارها، بما يؤكد أن خطاب الرئيس الأمريكي الرابع والأربعين باراك اوباما من جامعة القاهرة لم يكن سوى تنويع على لحن أساسي، وحلقة جديدة من مسلسل النموذج الأمريكي للاستشراق بإخراج مبهر، أو خمرًا قديمة قدمها في آنية جديدة في صحة سياسات ثابتة تنتوع أساليب التعبير عنها مع تغير الظروف والأحوال و الرؤساء.

ب/الدراسات باللغة الانجليزية

Dissertations & Theses:

الاطروحات والرسائل الجامعية

(1) دراسة الباحثة بوخاتم حسيبة بعنوان " **American Orientalism within the East/**

"West Dichotomy" اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغات الاجنبية، قسم اللغة الانجليزية، جامعة وهران (2016)، تناولت الباحثة الاستشراق الامريكي الجديد من خلال ثنائية الشرق والغرب كإيدولوجية استخدمها المتخصصون للتمييز بين "الانا" و "الآخر" ووجه من الواجه لتكريس الهيمنة والتفوق ، واستعرضت الباحثة تاريخ المفهوم في النظريات الفلسفية والاجتماعية وتطور الاستشراق من شكله القديم الى الجديد بعد هجمات 11 سبتمبر واعتبرت هذه الدراسة نقدية لتبلور الاستشراق من القديم الى الجديد.

(2) دراسة الباحث محمد سميعي بعنوان " **Neo-orientalism? A critical appraisal of**

changing Western perspectives" Bernard Lewis, John Esposito and

Gilles Kepel" اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

واللغات، قسم الفلسفة، جامعة واهست منستر بالمملكة المتحدة (2009)، تناول الاستشراق الجديد من ثلاثة علماء غربيين معاصرون بارزون برنارد لويس ، وجون إسبوزيتو وجيل كيبيل ، تم

اختيارهم وجوانب مختلفة من وجهات نظرهم ومنهجياتهم ، وجهات نظرهم حول الإسلام والحدثة ، وطروحاتهم السياسية والعقيدة الإسلامية، وحصصها بشكل نقدي، هذه تهدف الأطروحة أيضًا إلى نقد الافتراضات التي لا جدال فيها في كثير من الأحيان للأعمال الغربية للإسلام ولكي تظهر من خلال الفحص المقارن أنه يمكن أن يكون هناك اختلاف كبير طرق ذات نتائج صحية للنظر إلى الثقافات الأخرى، وفي نهاية الدراسة تم اقتراح مناهج جديدة للهوية والأخلاق العالمية والمجتمع المدني العالمي، اجتناب جذور الاستشراق والاستغراب على السواء والقبول والحماية بل وحتى تعزيز التنوع هي خطوات أولى نحو مواجهة التهديدات المدمرة التي تعرض البشرية جمعاء للخطر.

(3) دراسة الباحثة Tinka van Wijngaarden الموسومة بـ " (NEO-) ORIENTALISM IN POST-9/11 FICTION AND FILM " مذكرة ماستر غير منشورة، في دراسات امريكا الجنوبية، جامعة لايدن هولندا، (2015)، تناولت هذه الباحثة مسألة تعميق الصورة النمطية العنصرية عن الاسلام والمسلمين في الافلام والرواية بعد 11 سبتمبر من خلال تحليل فيلم "United 93 and Rendition" ورواية "Falling Man and The Blind Man's Garden" ، يأخذ الفيلم والرواية السابقتين في الغالب منظورًا أمريكيًا ، والتركيز على تجارب وصدمة المواطنين الأمريكيين المتورطين في الهجمات. لم يستكشف أي من العاملين شخصيات الإرهابيين بعمق. للتأكد من أنهم لم يفعلوا ذلك ، وقد تلعب دورًا ثقافيًا في مساعدة القراء الأمريكيين على ذلك العمل من خلال الصدمة التي سببتها أحداث الحادي عشر من سبتمبر ، إلا أنهم فشلوا في تجنب الخطاب الاستشراقي. من ناحية أخرى ، تضع Rendition و The Blind Man's Garden الهجمات في مكان السياق الدولي ، وكلاهما يضم شخصيات تفكك الصورة النمطية ، تمثيلات المستشرقين للمسلمين. علاوة على ذلك ، ينتقد كلا العاملين سياسة الخارجية الأمريكية ، التي تظهر أن الولايات المتحدة ليست الضحية الوحيدة لهجمات 11 سبتمبر ، وتنتقد الولايات المتحدة لمساهمتها في الأزمات الجيوسياسية الدولية التي أعقبت 11 سبتمبر.

(1) ورقة بحثية للباحث سليم قريوة بعنوان "From Orientalism to neo-Orientalism: Early and contemporary constructions of Islam and the Muslim world" مقالة منشورة بمجلة Intellectual Discourse، (2016)، تناول فيها الباحث الاستشراق وانماط التحول الى الاستشراق الجديد مبرزاً سمات وصفات ومميزات الاستشراق التقليدي والجديد و الهدف من هذه الورقة هو من شقين: يستكشف التطور التاريخي والتحويلات النموذجية التي أثرت على مفهوم الاستشراق. ثم تشير بعد ذلك إلى ظهور استشراق جديد مؤخرًا ، وهو أقل إقليمياً ويعمل ضمن نموذج جديد. إنه يحمل أجندة أيديولوجية جديدة ، ويبني أشياء جديدة ، ويغذي الظاهرة الاجتماعية المسماة الإسلاموفوبيا.

(2) ورقة بحثية للباحث محمد سميعي تحت عنوان "Neo-Orientalism? The relationship between the West and Islam in our globalised world" ورقة بحثية منشورة بمجلة Third World Quarterly (2010)، حاولت الورقة تحليل عناصر التغيير في الاستشراق التقليدي. إلى تصور مستقبلاً أفضل لعالمنا المترابط ببعض الأساليب الجديدة.

(3) ورقة بحثية للباحثين Meghana V. Nayak and Christopher Malone بعنوان: "American Orientalism and American Exceptionalism: A Critical Rethinking of US Hegemony" منشورة بمجلة International Studies (Review) (2009)، في هذا المقال ، يجادل الباحثون بأن علماء العلاقات الدولية الناقدين يجب أن ينظروا إلى الاستشراق الأمريكي جنباً إلى جنب مع الاستثنائية الأمريكية من أجل فهم أفضل للهوية الأمريكية ، وصنع السياسة الخارجية ، والهيمنة ويدعون أن الاستثناء الأمريكي هو نوع معين من الاستشراق الأمريكي ، وهو أسلوب تفكير حول الفروق بين "الغرب" و "الشرق" التي تعطي الأساس للسرد التأسيسي لـ "أمريكا". و ينشر الاستشراق على حد سواء استطرادياً وجودياً وابستمولوجياً متشابهة ادعاءات حول "الغرب" و "الآخرين" غير الغربيين ، الاستثناء متجذراً بشكل خاص في الفكر السياسي الأمريكي ويرى هؤلاء الباحثون أن مثل هذا البحث مهم لاستكشاف قوة

البقاء الهيمنة الأمريكية وفهم تداعيات أوروبا تحديات للسياسة الخارجية الأمريكية ، لا سيما بالنظر إلى المخاوف الأخيرة حول ما يسمى بالانقسام عبر الأطلسي. هناك الكثير من الابحاث والدراسات التي كتبت عن الموضوع لكن هذه هي اهم ما توصل له الباحث لإنجاز هذا العمل، وتتميز هذه الدراسة عن سابقتها انها تناولت الاستشراق الاميركي باوجهه المتعددة ووسائله المختلفة وقدمت اضافة معرفية ومنهجية لموضوع الاستشراق الجديد وتناوله لظاهرة الاسلام السياسي بالتحديد، وذلك بالوقوف عند اهم المقولات الاستشراقية الاميركية الجديدة وتفسيرها المتعلقة بالظاهرة الاسلامية بشكل عام ونقدها باسلوب منهجي وعلمي.

خطة البحث

تنقسم هذه الدراسة الى اربعة فصول الفصل جاءت مقسمة على الشكل التالي:

ففي الفصل الاول: حيث حاول الباحث تفكيك بنية المفهوم لغويا واصطلاحا والوقوف على ابرز التعاريف المختلفة للاستشراق ومن عدة زوايا حسب وجهة كل باحث ودارس، معرجا على التطور الابستمولوجي للاستشراق الكلاسيكي الى الاستشراق الجديد، ثم تناول الباحث المناهج الفكرية والعلمية للمستشرقين في الميادين الرئيسية التي شكلت مادة دسمة للبحث في الحضارة الاسلامية، وفي نهاية هذا الفصل عدد الباحث المدارس الاستشراقية العريقة وصنفها على حسب انتمائها الفكري.

اما الفصل الثاني فانتقل الباحث الى الحديث عن ظهور الدراسات الشرق اوسطية في الولايات المتحدة الاميركية وتعقب بدايات انطلاقتها ومراحلها كاطار نمى فيه الاستشراق الاميركي الجديد وعوامل انبعائها خاصة بعد هجمات 11 من سبتمبر 2001

وفي الفصل الثالث فقد وقف الباحث بالرصد والتحليل والمتابعة للادوات الفكرية والتفسيرية للاستشراق الاميركي الجديد من تناول مخرجات ومقولات المستشرقون الجدد حول ظاهرة الاسلام السياسي، وقسم الباحث انواع الاستشراق الاميركي على حسب التخصص والهدف والاطار الذي يعمل من خلاله وكذلك على حسب النموذج المعرفي **paradigm** الذي ينطلق منه الاستشراق الاميركي الجديد، ومساهمة الاستشراق الجديد في صنع القرار في السياسة الخارجية الاميركية.

اما الفصل الرابع والآخر من هذه الدراسة فقد خصه الباحث في نقد الاسس العلمية والمعرفية للاستشراق الامريكي الجديد مستعينا بمقولات لمستشرقين اميركيين من غربيين ومتخصصين عرب وتأثير الفكر الاستشراقي على الرؤساء الامريكيين منذ هجمات 11 سبتمبر 2001 .

الفصل الأول:

الاستشراق (المفهوم،
المناهج والمدراس)

يعتبر الاستشراق من بين المفاهيم التي حظيت باهتمام الباحثين سواء الغربيين_ مركز الاستشراق- والشرقيين - موضوع الاستشراق- ولاسيما اولئك الباحثين الذين اسسوا ما يسمى بالدراسات ما بعد الكولونيالية او ما بعد الاستعمارية post colonialism studies والتي يعتبر المفكر الامريكى- الفلسطيني ادوار سعيد صاحب كتاب الاستشراق (1978) العراب الرئيس لهذا النوع من الدراسات رفقة كل من المفكر البريطاني من اصل هندي هومي بابا، والهندية غياتري سيفاك، ليلي غاندي وفرانز فانون.. الذي رفضوا الخطاب الغربي تجاه دول العالم الثالث في فترة ما بعد الاستعمار وما يلاحظ على رواد هذه الدراسات انهم شرقيين لكنهم تعلموا ونشؤوا في الغرب.

والاستشراق كعلم ظهر في النصف في الثاني من القرن التاسع عشر رغم ان جذوره تعود منذ ظهور الدين الاسلامي في شبه الجزيرة العربية، حيث شكلت البعثات الكنسية التي قامت بها الكنائس الأوروبية لفهم الاسلام اولى طلائع افواج المستشرقين، الى ان تبلور كعلم له اصوله وفروعه ومناهجه ومدارسه المختلفة فيما اطلق عليه بالاستشراق الكلاسيكي، غير ان الثورة في مناهج العلوم الاجتماعية والانسانية والتحولات الفلسفية والفكرية التي حدثت في النصف الثاني من القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين وما رافقها من تطور تكنولوجي في وسائل الاتصال والاعلام اقلت بظلالها على الدراسات الاستشراقية فظهر الاستشراق بمفهومه الجديد في الولايات المتحدة الامريكية وبمناهج جديدة ووسائل حديثة لدراسة الظواهر الاجتماعية والثقافية والسياسية والدينية في منطقة الشرق الاوسط بالتحديد.

في هذا الفصل يحاول الباحث معالجة الموضوع من خلال ثلاث مباحث تتعلق بالتنظير الإبستمولوجي والتاريخي لمفهوم الاستشراق والمناهج الفكرية والمدراس النظرية الكلاسيكية التي ترعرع فيها علم الاستشراق.

المبحث الاول: تفكيك البنية المفاهيمية للاستشراق

لقد اصبح الاستشراق اليوم علما له كيانه ومنهجه، ومدارسه وفلسفته، ودراساته ومؤلفاته، واغراضه واتباعه، ومعاهده ومؤتمراته، فصار حقا على الباحث ان يعنى بتحديد مفهومه والوقوف على معالمه البارزة، وافاقه ومظاهره واطواره، وخصائصه واهدافه قبل البحث في اثاره وميادين نشاطه.

فلا بد اذن ان نعرف ماهية الاستشراق، وموضوعه، وان ندرك من المستشرق؟ وما حقيقة مهمته؟ وما اسباب اهتمامه بهذا الفرع من المعرفة؟ ومتى تحولت الكلمة من مفهومها اللغوي الى مفهومها العلمي؟ انها اسئلة ضرورية يختلف الباحثون في الاجابة عليها بدرجات متفاوتة، وعلى الدارس ان يبحث هذا الاختلاف ويحاول التوفيق بين الآراء والافكار لكي يصل الى تعريف جامع مانع.

المطلب الاول: الاستشراق لغة واصطلاحا

أ/ لغة:

الاستشراق من الجذر (ش، ر، ق)، الذي تنفرع عنه عدة الفاظ بمعان متقاربة، والاستشراق هنا كلمة مشتقة من الشرق" ويطلق اهل اللغة لفظة الشرق على الشمس يقال طلع الشرق... والتشريق: الاخذ من ناحية الشرق."¹

ولكل لفظ له دلالاته من ذاته او من السياق الموجود فيه فلفظ استشراق/ استشراق على وزن استفعال/ استفعال، مؤلفة من مقطعين وهو " است" والثانية " شرق"، ولفظ "است" لها دلالاتها في اللغة العربية، وهي تدل على ابراز ما كان مخفيا او ما حقه الظهور سواء علم او لم يعلم، او طلب امر معين، ويفسر دلالاتها ما تلحق به من لفظ، فيقال استخراج، أي اخراج امر من باطن الارض او من غيره، مع العلم انه موجود في ذلك المكان او لم يعلم، ويقال استعراض، استفعال، أي اظهار امر غير موجود كالمرض والغفلة، وكذلك استغفار أي اظهر العبد توبة، واظهار طلب الغفران من ذنوبه...نعود لكلمة استشراق فاذا كان اللفظ " است" تعني اظهار او ابراز ما كان مخفيا سواء علم او لم يعلم، فحين لحقت به

¹ محمد بن ابي بكر الرازي، مختار الصحاح، ترتيب محمود خاطر، القاهرة: الهيئة المصرية العامة، (ب،ت)، ص336.

كلمة " شرق " فاصبحت تعني اظهار وابراز ما كام موجودا في بلاد الشرق من علوم وافكار، وما جادت به حضارات الشرق بصفة عامة، او ما طلب ما فيه من افكار وعلوم ومعارف².

وتأتي لفظة الشرق Orient او East كمقابل او عكس كلمة الغرب Occident او west، المشتقة من الكلمة اللاتينية Oriens التي تعني شرق East، المشتقة من كلمة الشروق وهو مكان شروق الشمس¹.

اما اذا تفحصنا لكلمة استشراق باللغة الاجنبية وهي Orientalisme فنجد في اللغة اللاتينية ان كلمة " Orient " تعني بحث عن امر ما، وفي الالمانية Sich Orientiem تعني جمع معلومات او معارف من مصدر ما، اما باللغة الفرنسية Orienter تعني التوجيه والارشاد، وبالانجليزية Orientation " او "Orientate" لا تخرج عن مفهومها باللغة الفرنسية في انها تعني التوجيه والاهتمام بجوانب معينة³.

وفي مجمل ما نجد من معاني الكلمة في اللغات الاجنبية انها تعني جمع المعلومات ببحث او توجيه وارشاد، وهو ما يعكس المفهوم للاستشراق عند الغربيين بانه جمع معلومات عن حضارات الشرق وما صاحبها من معارف وعلوم واديان بالبحث والاهتمام⁴.

ونعود الى المعنى اللغوي باللغة العربية فان كلمة " الاستشراق " مشتقة من مادة " شرق " يقال: شرقت الشمس شرقا وشروقا اذا طلعت" كما جاءت في معجم الوسيط، وعليه فان الكلمة لا وجود لها في المعاجم العربية المختلفة، غير ان الاستناد الى قواعد الصرف وعلم الاشتقاق يقود الى معناها الحقيقي حيث يبدو ان معنى " استشراق " ادخل نفسه في اهل الشرق واصبح منهم⁵، والسين هنا للطلب أي طلب

² عبد الحلیم ریوفی، " ماهية الاستشراق، النشأة. المناهج والاهداف. الاصناف والوسائل " مجلة الانسان والمجتمع، جامعة تلمسان العدد 02، (ديسمبر 2001)، ص79.

³ Hassiba Boukhatem, "American orientalism the east / west dichotomy" doctorat dissertation, Oran university 2, 2016, p 15

³ مازن المطبقاني، الاستشراق، منشور على الشبكة العنكبوتية على الرابط: <https://www.noor-book.com/> pdf ص3

⁴ عبد الحلیم ریوفی، مرجع سابق، ص 80.

⁵ يحي مراد، معجم اسماء المستشرقين، لبنان، دار الكتب العلمية، 2004، ص06.

الشرق ولها عدة معان كلها في فلك واحد وهو الاهتمام او الدراسة، او التوجه، او البحث الذي يقوم به الانسان الغربي تجاه العالم الشرقي وتحديدًا العربي الاسلامي⁶.

وعلى الرغم من ان كلمتي "Orient" و "East" مترادفتان في الدلالة على معنى "الشرق" الا ان كلمة "East" تأتي في الغالب على الجهة الشرقية والجانب الشرقي من الكرة الارضية، بينما تطلق كلمة "Orient" في الغالب على الاقطار الواقعة في الشرق من البحر الابيض المتوسط واروبا، وربما كان هذا هو السبب في اقتباس مفردة "الاستشراق" و "المستشرق" من الكلمة الثانية، وانتشر مصطلح "Orientalism" و "Orientalist"، وتدل اللاحقة "al" على معرفة الاشياء المتعلقة "بالشرق" وليس "الناحية الشرقية من الارض"¹.

فكلمة الاستشراق كلمة عربية خالصة مأخوذة على وزن استفعال، والذي يرى البعض انه لا يمكن ان يكون مرادفا لمصطلح Orientation في اللغتين الفرنسية والانجليزية، مما يحتم علينا الاخذ بالتعريف الوظيفي والتكويني طالما ان التعريف اللغوي يبقى عصيا على الفهم، كون المصطلح ظهر في بيئة غربية وسياق حضاري مختلف له دوافعه وابعاده واهدافه.

ب/ الاستشراق اصطلاحا :

الاستشراق هو علم الشرق او علم العالم الشرقي، وكلمة "مستشرق" بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله: اقصاه ووسطه وادناه، في لغاته وادابه وحضارته واديانه، اما المفهوم الخاص فهو يعني الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الاسلامي في لغاته وادابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام².

وستنطلق الى مفهوم الاستشراق الاصطلاحي بصورة اكثر تفصيلية من خلال ابراز اهم التعاريف الغربية والعربية للمفهوم:

⁶ خالد ابراهيم المحجوبي، الاستشراق والاسلام: مطارحات نقدية للطروح الاستشراقية، ط 1، ليبيا: اكااديمية الفكر الجماهيري، 2008، ص 15

¹ محمد حسن زمني، "الاستشراق، تاريخه ومراحل" مجلة دراسات استشرافية، العتبة العباسية المقدسة، العدد 01، (صيف 2014)، ص 176.

² محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، القاهرة: دار المعارف 1997، ص 18.

يعرف قاموس اكسفورد Oxford الجديد "المستشرق بأنه كل من تبحر في لغات الشرق وآدابه" ويقول بارت "ان الاستشراق علم يختص بقله اللغة خاصة"¹، ويبدو من خلال التعريفين انهما يحصران مفهوم الاستشراق في المعنى الضيق وذلك بالتركيز على لغة الشرق وآدابه كمجال لدراسة الشرق وفهمه، وهذا التعريف غير كاف ولا يواكب حقيقة تطور المفهوم.

ويرى الباحث الالماني ديتريتش " ان المستشرق هو ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه ولن يتأتى له الوصول الى نتائج سليمة في هذا المضمار ما لم يتقن لغات الشرق"²، نلاحظ في هذا التعريف انه ركز على شرط معرفة اللغات كشرط لفهم ثقافة الشرق، وهو ما كان سائدا في فترة سابقة.

ويعرف المفكر الالماني رودري بارت الاستشراق بقوله: كلمة الاستشراق مشتقة من كلمة شرق، وكلمة شرق تعني مشرق الشمس، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق، أو علم العالم الشرقي. هو علم الاستشراق حيث كان الباحثون المعنيون بدراسة الشرق يتقنون لغات اهله³.

وعلى الرغم من أن لفظة الشرق فضفاضة من الصعب تحديدها؛ لأنّ ثمة أنواعاً مختلفة من الشرق، فهناك الشرق الأدنى، والشرق الأقصى، والشرق الأوسط، وشمال إفريقيا الذي يقع في الغرب. لذا، فمن الصعب تعريف الاستشراق بدقة وافية.

أما المستشرق (Orientaliste)، فهو الذي أتقن لغات الشرق، وأعد شهاداتٍ عليا في موضوع من المواضيع التي تتعلق بالشرق، وانكبّ على معالجة الظواهر والقضايا التي أفرزها هذا الشرق بغية فهمه وتفسير أحواله وتأويلها. وبمعنى آخر، تشتق لفظة المستشرق من طلب دراسة الشرق. ومن ثمّ، فالمستشرقون «هم الذين يتعلمون لغة الشرق، ويدرسون علومه وحضارته، ليكون لهم علمٌ تامٌّ بأحواله الاجتماعية والسياسية والعقلية، يطلبون بذلك أن يندمجوا فيه كل الاندماج، ليكون فهمهم له، وحديثهم عنه، وحكمهم عليه، خالياً من التخيل، بعيداً عن التوهّم، أو بمنأى عن التزئد، والمبالغة⁴.

¹ يحي مراد، مرجع سابق، ص 08.

² المرجع نفسه، ص 10.

³ رودري بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة مصطفى ماهر، القاهرة، مصر، ص:12.

⁴ جميل حمداوي، الاستشراق والاستمزاغ والاستعراب والاستغراب (مقاربة مفاهيمية)، مجلة دراسات استشرافية، العدد 19، صيف 2019، ص102.

ومن هنا، فالمستشرقون هم جماعة من العلماء والباحثين والدارسين والمفكرين الغربيين الذين تخصصوا في لغات الشرق وعلومه وفكره، وأغلب هؤلاء المستشرقين من رجال الدين، سواءً أكانوا رهباناً، أم يهوداً، أم ملحدين، أم مسيحيين كاثوليك، أم بروتستانتيين، أم أرثوذكس وبهذا، تكون دوافع الاستشراق استعماريةً دينيةً، قبل أن تكون دوافع علميةً وفكريةً وبحثيةً¹

تعددت الرؤى حول ظاهرة الاستشراق بين من ينظر اليه من منظور جزئي اختزالي لم يضعه ضمن النسق المعرفي المؤسس للحضارة الغربية، وبين من ينظر اليه على انه يشكل مساهمة كبيرة في كشف مآثر الحضارات البائدة، التي لم تعرف شعوبها كيفية التعامل مع موروثاتها واستخدامها او تنميتها، في الوقت الذي ربط البعض بين الاستشراق والظاهرة الاستعمارية بوجه عام وليس له علاقة بالمكونات الفلسفية والعلمية للحضارة الغربية، في حين يرى غراغوار منصور مرشو" ان ظاهرة الاستشراق ليست ظاهرة موازية للنسق المعرفي المؤسسي المهيمن الغربي ولا منقطعة عنه او عرضية فيه، انما على العكس استمدت جذورها من هذا النسق بكل مكوناته المعرفية والمذهبية وتضافرت خيوطها في كنفه، بل انها كانت ولا تزال تشكل جزءا اساسيا في انشاء نموذج الدولة- الامة في الغرب، ولهذا يرى ضياء الدين سرادار ان الاستشراق هو ضرب من التأمل الباطني ومجموعة من الهموم الفكرية والمخاوف والاهواء الغربية رُسمت في موضوع/objet مصطنع سمي بالشرق، ان ماهية الشرق هي مجموعة متحولة وملأى بالمبهمات².

يُصر سرادار على ان الاستشراق هو تأمل باطني، ويعد التخيل مركزا للفكر الاستشراقي، فعلى سبيل المثال يقول في معرض حديثه عن اللذة الجنسية لدى الغربيين " ان الفرد الكاثوليكي يفترض بان الحياة التي يكتنزها الكمال هي حياة العزوبية، وان في العلاقة الجنسية اشارات للذنب والوسوسة، اذن فالعلاقات الجنسية دخيلة في البنية الدينية للاستشراق، وان العين الغربية ترى في الشرق ذات عجيبة تشوبها الخطيئة الجنسية، ملفوفة في الالغاز المعقدة³.

¹ المكان نفسه

² حميد بارسانيا، هادي بيكي ملك اباد (تر: حسن الصراف)، الاستشراق في عصر ما بعد الحداثة اسسه ونتائجه،

مجلة دراسات استشرافية، العدد 10، شتاء 2017، ص 41

³ المكان نفسه

من هنا نرى المرأة الشهوانية والمطبعة الشرقية والرجل العنيف والقاسي الشرقي موجودين في ادبيات المستشرقين، وهذا ضرب من الخيال، إذ كانوا يلبون من خلاله رغباتهم الجنسية المكبوتة التي كانت أغلبها نتاجا لعوامل دينية، ويضيف سردار إذا اعتبرنا الاستشراق نوعا من السرديات سيكون المستشرقون كقطع من الذئب تريد تمزيق الدين الاسلامي وحضارته، وأن الاستشراق يقدر بسهولة على ان يخطط لمؤامرة عظيمة ضد الاسلام وكل الثقافات غير الغربية.¹

ويرى المفكر الأمريكي من اصل فلسطيني ادوارد سعيد² ان الاستشراق اسلوب تفكير يقوم على التمييز الوجودي بين والمعرفي بين ما يسمى " الشرق" او بين ما يسمى " الغرب" ، وهكذا فإن عددا بالغا من الشعراء والروائيون والفلاسفة واصحاب النظريات السياسية والاقتصاديون، ومديرون امبرياليون، قبلوا التمييز الاساسي بين الشرق والغرب باعتباره نقطة انطلاق نظريات مفصلة، وانشاء ملاحم وكتابة روايات ، واوصاف اجتماعية، ودراسات سياسية عن الشرق، وعن اهله وعاداته وعقله ومصيره، ويحاجج سعيد ان الاستشراق مبحث اكايمي مستخدما في عدد من المؤسسات الاكاديمية، فالمستشرق حسب كل من يعمل بالتدريس او الكتابة او اجراء البحوث في موضوعات خاصة بالشرق، سواء كان ذلك في مجال الانثروبولوجيا أي علم الانسان، او علم الاجتماع او التاريخ، او فقه اللغة، ويعتبر سعيد ان الاستشراق هو لون من ألوان الخطاب، الذي مكن الثقافة الأوروبية من تدبير امور الشرق، في مجالات السياسة، وعلم الاجتماع، وفي المجالات العسكرية، والعلمية، والايولوجية، والخيالية².

¹ المرجع نفسه، ص 42

² إدوارد سعيد Edward Said (1935-2003) باحثٌ وكاتبٌ فلسطيني حاملٌ للجنسية الأمريكية، وهو مُفكّرٌ أدبي وأكاديمي كتب عدة كتبٍ حول النقد الأدبي والنقد الموسيقي وقضايا ما بعد الاستعمارية. والداه هما وديع وهيلدا سعيد. خدم والده في الجيش الأمريكي مما منحهم الجنسية الأمريكية.

كان إدوارد سعيد من الشخصيات المؤثرة في النقد الحضاري والأدب وقد نال شهرة واسعة خصوصاً بكتابه «الاستشراق» المنشور سنة 1978، وفيه قدّم أفكاره واسعة التأثير عن دراسات الاستشراق الغربية المختصة بدراسة الشرق والشرقيين. قامت أفكاره على تبيان وتأكيد ارتباط الدراسات الاستشراقية وثيقاً بالمجتمعات الإمبريالية معتبراً إياها منتجاً لتلك المجتمعات ما جعل للاستشراق أبعاداً وأهدافاً سياسيةً في صميمه وخاضعاً للسلطة ولذلك شكك بأدبياته ونتائجه. وقد أسس طروحاته تلك من خلال معرفته الضليعة بالأدب الاستعماري، وفلسفة البنيوية و"ما بعد البنيوية" ولاسيما أعمال روادهما مثل ميشيل فوكو وجاك دريدا. أثبت كتاب «الاستشراق» ومؤلفاته اللاحقة تأثيرها في الأدب والنقد الأدبي فضلاً عن تأثيرها في العلوم الإنسانية، وقد أثر في دراسة الشرق الأوسط وعلى وجه الخصوص في تحول طرق وصف الشرق الأوسط. جادل إدوارد سعيد حول نظريته في الاستشراق مع مختصين في التاريخ، وبفعل كون دراساته شكلت منعطفاً في تاريخ الاستشراق فقد اختلف العديد معه ولاسيما المستشرقون التقليديون أمثال برنارد لويس. ومونتغمري واط.

² said Edward, *orientalism*. UNITED STATES: vintage eddition , 1979, p59

اذن يستشف من خلال مفهوم ادوارد سعيد للاستشراق انه دراسة كل ما يتعلق بالشرق من معارف وعلوم واداب وحضارات ومجتمعات واقتصاد وسياسة من طرف متخصصين اكاديميين غربيين بهدف السيطرة على الشعوب الشرقية واخضاعها، وفي هذا الاتجاه يذهب الباحث التونسي " المبروك الشيباني المنصوري" ان الاستشراق مصطلح مركبا ومضللا، فهو رؤية vision و منهج Method وايدولوجيا Ideology ومؤسسة Institution، وظاهرة حضارية، فعندما نريد تحديد معاني الاستشراق ينبغي علينا ان ننظر اليه بصفته كلا مركبا، ورؤية مخصوصة، لا يتناقض مع كونه كلا مركبا، بل انه في اطار عملية التفصيل والتحليل يتم اخضاع هذا الكل المركب المدروس طوعا او قسرا، ليصير مقوما من مقومات الرؤية المخصوصة، فبواسطة حركة الاستشراق تم تقسيم العالم الى شرق وغرب، وقسم الشرق الى شرق ادنى واوسط واقصى، ويطلق عادة لفظ الشرق عادة على المنطقة العربية وشعوب اسيا وافريقيا، اما لفظ الشرق الاوسط فيطلق عادة على المنطقة العربية فقط¹.

ويرى ادوارد سعيد ان المعرفة بهذا الشرق وجمع اكبر قدر من المعلومات حوله، بغرض فهمه وتفسير سيرورته التاريخية التي اثارت اسئلة كبرى حول هذا الكيان الذي يدعو للعجب، كيف تشكل في التاريخ؟ وكيف اختزل الزمن وصنع حضارة وفلسفة ونسقا ثقافيا ومعرفيا متميزا ومتحررا ومتجاوزا للتراث الاغريقي والروماني والمسيحي السابق له؟ كيف يمكن تفكيك هذا النسق الثقافي والحضاري او بمعنى اخر، كيف يمكن تعطيل اليات اشتغال هذا النسق الثقافي المتميز في الفكر والوجدان والحياة؟ هل تكفي عملية الفهم والتفسير لهذا الشرق ام يجب الانتقال الى خطوة ثانية تتمثل في استعمارها والهيمنة عليه؟ واستحضر ادوارد سعيد المفهوم الثقافي "الهيمنة" من المفكر الايطالي انطونيو غرامشي، واستخدمه في اعتماد الدول الغربية على الدراسات الاستشراقية في احتلالها لاقاليم الشرق والهيمنة عليها عسكريا وسياسيا واقتصاديا².

لكن النقد الحاد لإدوارد سعيد جاء من قبل أكاديميين مستشرقين، وبعضهم من أصول شرقية، وكان أول من أثار الردود من كبار المستشرقين الفرنسي مكسيم رودنسون (1915-2014) الذي كان صاحب أطروحات منقهمة عن العرب والإسلام وغير معادية لهم، وألف رودنسون عدة كتب تناولت في مجملها القضايا العربية والإسلامية، ومنها "الإسلام والرأسمالية" 1966، والماركسية والعالم الإسلامي

¹ الشيباني المبروك المنصوري،، صناعة الآخر: المسلم في الفكر الغربي المعاصر من الاستشراق الى الاسلاموفوبيا .

بيروت : مركز نماء للبحوث والدراسات . الصفحات 31--39

² ادوارد سعيد، الاستشراق المفهوم الغربي للشرق، تر: محمد عناني، القاهرة: دار رؤية، 2006، ص 51

1972، ومحمد ص 1979، والعرب 1979، وجاذبية الإسلام 1980-1989، ويؤكد رودنسون أن "مفهوم الاستشراق نفسه ناتج عن ضرورات علمية عابرة، التقى عندها علماء الاستشراق الأوروبيون المتمرسون في دراسة الثقافات الأخرى، وشوّهت هذه الحالة بقوة رؤيتهم للأشياء".¹

كما رد رودنسون على أطروحات إدوارد سعيد الواردة في كتابه "الاستشراق"، بالقول إن المستشرقين الأوروبيين ليست لديهم كلهم النية المبيّنة للتآمر على الشرق واحتلاله. وضرب مثلاً بالألمان، الذين لم يحتلوا أياً من بلدان الشرق، بل كانوا متعاطفين مع سكانه، ورغم أن الألمان كانوا أمهر الغربيين في النطق باللسان العربي وأكثرهم نبوغاً فيه، فإنهم كانوا يملكون رغبات استعمارية شرهة وشرسة، حيث لم يظهروا نواياهم الاستعمارية، إلا بعد الوحدة الألمانية عام 1870م، وما تجدر الإشارة إليه أن رودنسون لم يكن يحب مصطلح المستشرق، فحسب تصوره أن الاستعمار شوهه، ولذلك كان يعتبر نفسه مستعرباً، همه الاطلاع على الثقافة العربية والإسلامية.²

وفي مقدمة كتابه "جاذبية الإسلام"، تعرض رودنسون لما كتبه سعيد، ويعترف بأن قسماً كبيراً من نقده يظل صحيحاً في نطاق ما يسمى الاستشراق التقليدي، ولكنه يأخذ على بعض أفكار إدوارد سعيد أنها تقود لدائرة نظرية تتبني على علمين متضادين: أحدهما برجوازي، والآخر بروليتاري. لكن ذلك لا يعني موافقته في كل أحكامه وتصورات، حيث يبرر بعض انتقادات المستشرقين كالنزعة النسبية التامة التي يعدها غير مؤسسة عند إدوارد سعيد.³

ويعود فيقول "وتكمن مآثرة سعيد في أنه أسهم في تعريف أوسع لأيديولوجية الاستشراق الأوروبي، وفي الواقع الأنكلوفرنسي خصوصاً في القرنين 15 و 20، وتجذرها في الأهداف السياسية والاقتصادية الأوروبية آنذاك"، كما يرد رودنسون على سؤال حول رأيه في سعيد وتخصّصه في نقد الاستشراق؛ "لم أحبه منذ البداية، وبالنسبة إليّ فهو برجوازي، ثم إنه مثالي جداً، كذلك فإن له أفكاراً سطحية حول الإسلام أسميها أنا البرجوازية، من جهة أخرى فهو يستغل ذلك في أعماله الأدبية، كما أنه ينتمي إلى حقل ثقافي

¹ عبد الرحمن مظهر الهلوش-القامللي جدل الاستشراق مجدداً.. رودنسون ووائل حلاق في مواجهة إدوارد سعيد

<https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2020/2/11> / تاريخ الزيارة: 2020/07/09

² المكان نفسه

³ المكان نفسه

لا أحبه إطلاقاً، هو الحقل الذي أسميه الحقل الفلسفي الأدبي"، ويتابع "حسب رأبي، إن المنتمين إلى هذا الحقل مطلعون على أمور كثيرة ومتفرقة، ولكنهم لا يجيدون مجالاً معيناً"¹.

أما إدوارد سعيد فقد أثنى في كتابه "الاستشراق" على مواقف رودنسون، وعده من القلائد الذين خرجوا عن الاستشراق، وأشاد بالمستشرق الفرنسي جاك بيرك، ويعود رودنسون فيقول إن الفضل الكبير للكتاب هو أنه هز الرضا الذاتي لكثير من المستشرقين عن أنفسهم، وجعلهم يفكرون في مصادر أفكارهم وصلاتها، والتوقف عن النظر إليها على أنها استنتاج طبيعي ومحاييد لحقائق درست من دون أية افتراضات².

وفي كتابه "قصور الاستشراق من أجل نقد المنهج الحدائي" "Restating Orientalism" و" A Critique of Modern Knowledge"، قدم المفكر الفلسطيني وائل حلاق نقداً متأخراً لسعيد، معتبراً أنه أساء فهم الاستشراق، ولم يستطع أن يقرأ هذه النصوص خارج العالم الاستعماري، الذي أنتجت خلاله؛ في حين كان عليه -كما يرى حلاق- أن يتنبه لضرورة تسكين هذا الإنتاج في بنى تحتية أعمق، عبر النظر لخطاب الاستشراق، ليس كانعكاس أو تبرير لمشروع استعماري، بل كانعكاس للمشروع الحدائي، وتوصل حلاق من خلال كتابه إلى مفارقة مفادها أن سعيد كان مستشرقاً بحسب تعبيره؛ لأن الاستشراق -وفق حلاق- لا يعنى فقط بتفكيك صورة شرق المستشرقين المختلف الذي أنتج تحيزاتهم، بل هو أيضاً نقد للبنى التحتية التي أنتجت التنوير الغربي، معتبراً أن سعيد بقي وفيها لأفكار عصر التنوير الإنسانية العلمانية³.

ولا يُعتبر إدوارد سعيد أول من كتب عن الاستشراق، فقد سبقه إلى ذلك عدد من الباحثين العرب كمحمد البهي وعبد اللطيف الطيباوي وأنور عبد الملك وعبد الله العروي⁴ الذين قدموا مساهمات قيمة في دراستهم لمفهوم الاستشراق.

¹ المكان نفسه

² المكان نفسه

³ المكان نفسه

⁴ عارف حمزة، الاستشراق الاستعماري والمعاصر.. هل كان النموذج الألماني مختلفاً؟

<https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2019/11/30/الاستشراق-الاستعماري-ألمانيا تاريخ الزيارة>
2020/07/10

كان أنور عبدالمك أول من وجه نقده إلى الاستشراق في مقال كتبه عام 1963 بعنوان "الاستشراق في أزمة"، موضحاً أن الاستشراق يعاني أزمة أخلاقية حادة بسبب صلة هذا العلم بالحملات الاستعمارية التي قام بها الغرب ضد الشرق، ويومها تبارى كبار المستشرقين لتفنيد ما جاء في هذا المقال من آراء، لدرجة أن المستشرق الفرنسي مكسيم رونسون اعترف بأن الدول الأوروبية لم تكف بالدافع العلمي للمعلومات التي جمعها علماءها عن دول الشرق، بل إنها استفادت منها لغزو هذه البلاد واستعمارها¹.

تناول أنور عبدالمك مناهج وأدوات الاستشراق، خصوصاً بعد أن أصبحت الدول التي كانت خاضعة للاستعمار ذات سيادة، كما اختتم مقالته بعدد من التوصيات حول إعداد الباحث الغربي من حيث معرفة اللغة، والتمكن من المعارف المختلفة الخاصة بالعالم العربي والإسلامي، وقال: لقد حان الوقت لاعتماد توجه جديد بالضرورة².

2/ مفهوم الاستشراق الجديد/ المتجدد:

تعرض الاستشراق الكلاسيكي إلى جملة من الانتقادات من طرف المستشرقين أنفسهم وكذلك من مفكرين وباحثين شرقيين، هذه الانتقادات جاءت لتكشف مكامن القصور والثغرات التي احاطت بالمفهوم وبالذوايع الباطنة والظاهرة للمستشرقين أنفسهم، ناهيك عن الأخطاء المنهجية والتحيزات العلمية التي وقعا فيها في تصوير الشرق وحضارته، ومع هذه الأزمة التي وقع فيها كما اطلق عليها المفكر المصري الراحل أنور عبد الملك " أزمة الاستشراق " في مقلته الشهيرة سنة 1963، بني على هذا نوع جديد من الاستشراق اطلق عليه الاستشراق الجديد او المتجدد.

كما تم النظر إلى المستشرقين على أنهم كانوا جزءاً من تلك الحملات العسكرية والاستعمارية، أو مساهمين فيها أو مسهلين لها. ولهذا، وبعد وصف تلك الدراسات بأنها كانت مضللة، وجاءت فقط لتحقيق مطامع الغرب، تبرأ الكثيرون من صفة "مستشرق"، مفضلين صفة "باحث إسلامي"، وهذا ما قاله بالضبط الأستاذ الجامعي الأميركي جون إسبوزيتو في أحد حواراته "لا أود أن أسمى مستشرقاً؛ لما تحمله كلمة الاستشراق من انطباع سيئ، فادعوني باحثاً إسلامياً". والمثير كذلك في هذا السياق أن المستشرق

¹ أنور عبد الملك (تر: حسن قببسي)، الاستشراق في أزمة، مجلة الانماء العربي للعلوم الانسانية، بيروت: العدد : 32

أفريل/ جوان 1983، ص 70_93

² المكان نفسه

الشهير برنارد لويس يرفض وصفه بالمستشرق!، ليس هذا فحسب، بل غيرت بعض المعاهد المتخصصة أسماءها التي كانت تتضمن كلمة الاستشراق أو الاستعمار، مثل "معهد هامبورغ الاستعماري"، إلى أسماء تختص بالدراسات الإسلامية¹.

إن هذا الجدل، وهذا التحول العلمي والعملية في الاستشراق، الذي انقلب من حيث المفهوم والمصطلح الى طريقة الاداء، قد رافقه تحول في العمق ايضا، فالاستشراق والدراسات الشرقية قد اصبحت تحمل معها مصطلحا جديدا، هو دراسات الشرق الاوسط، او دراسات الشرق الاوسط وشمال افريقيا، جنبا الى جنب مع دراسات اسيا، وامريكا الجنوبية، والدراسات الافريقية، وغير ذلك، ومن ثم اصبحت هذه المراكز والمعاهد والجامعات تقوم على ادوات علمية حديثة ومنهجية جديد، مستفيدة من التطورات في حقول المعرفة، والمناهج المتنوعة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والتقنية...الخ².

ان الباحث المتتبع لظاهرة الاستشراق يستشكل عليه ان يحدد ماهية الاستشراق الجديد وصلته بالاستشراق الكلاسيكي، فبعضهم يصفه بالاستشراق المتجدد او المجدد عوضا عن الاستشراق الجديد، لأن الاستشراق المعاصر وبالرغم من التغييرات التي طرأت عليه لا يمثل حالة قطيعة عن الاستشراق القديم، إنما هو استمرار ومحاولة لاستثمار الأدوات العلمية الحديثة.

وقد مال عدد من المستشرقين متأثرين بجملة من التحولات الفكرية والفلسفية، الى وجوب تغيير اساليب الاستشراق وخلق استشراق جديد بديل عن الاستشراق الاستعماري وما بعد الاستعماري، وتحدث شلدن بلك Sheldon pollok عن تفكيك الاسس التقليدية التي تأسست عليها دراسات استشرافية عديدة ومنها الدراسات الهندية³ Indology.

وعلى ضوء هذا يختلف الباحثون حول ما يكون عليه الجديد، فنجد ان ادوارد سعيد يعني به " ذلك الاستشراق الذي مد المستعمر بالمادة اللازمة التي اعانته على السيطرة على شعوب المنطقة"⁴ ، وهكذا نرى الجديد في هذا المفهوم يتمثل في البعد الاستعماري الذي هو اشد خطرا من القديم، في حين يرى باحث اخر ان الاستشراق الجديد يعني " الاندماج في انساق النقد ما بعد الحداثوي، والتفاعل مع نظريات

¹ عارف حمزة، مرجع سابق

² محمد المحفلي، ادوات التحليل اللغوي في نقد الاستشراق الجديد، مجلة الذاكرة، العدد 11 جوان، 2018، ص 57.

³ C.Breckenridge and P.van der veer, **Orientalism and postcolonial Predicament** Philadelphia: University of Philadelphia Press, 1993,p111

⁴ Edward W. Said: Orientalism, 42- 49

النقد ما بعد الاستعماري والمدارس التفكيكية من تركيزه على التعددية الثقافية والنسبية ومناقشة للأساطير الأساسية للحدث، وسعيه لتجاوز ادعاءات المركزية والكونية والعقلانية الفجة" نلاحظ ان هذا المفهوم يربط بين الاستشراق والمناهج الحديثة التي تدرس الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، مستفيدا من هذه المناهج في دراسة الشرق دراسة علمية حديثة مستندة على هذه المناهج، بيد ان باحثا امريكيا يؤكد على ان الشرق يمثل في هذه الحالة حقل اشتغال جديد ومكان صالح لتطبيق النظريات التي تنتج في معامل الغرب ومراكز ابحاثه¹.

و في معرض حديثه عن الاستشراق الجديد يرى المفكر البريطاني من اصل باكستاني ضياء الدين سردار " ان الاستشراق تراجع ليصبح مجرد تخصص وخيال ادبي، هاهو يعود ليحتل عالم الافلام والتلفزيون والاقراص المدمجة، ليس في دراسة الشرق فحسب وانما اوربا نفسها موطن الاستشراق واصله²، يتبين هنا ان سردار يتحدث عن الاستشراق الاعلامي المتمثل في نظرة وسائل الاعلام الامريكية للاخريين بما فيهم اوربا نفسها.

كان الطموح النظري للمفكرين في عصر ما بعد الحدث الذين رفضوا الاستشراق الكلاسيكي ونتائجه ان يتأسس الاستشراق الجديد على جملة من المراجعات من اهمها:

_ رفض المثل القديمة للهيمنة الغربية وادعاءاتها الكونية والاعتراف باستحقاقات التعدد والاختلاف.

_ ترك النزعات القديمة لمثلثة الشرق مكانها لنزعات نقدية ولكنها ليست متسلطة، وهي تستند لتقاليد الشرق دون ان تكون انتقائية او ايدلوجية.

_ استبدال الهالة الخارقة للطبيعة التي احاط بها في يوم من الايام بأسس فلسفية واجتماعية وثقافية ورمزية فاعلة³.

والسؤال الذي يطرح هل تمكن الاستشراق الجديد بالفعل من ان يتأسس على المثل التي طالب بها هؤلاء المفكرون؟ ام ان الاستشراق الجديد هو استمرار للاستشراق الكلاسيكي بأدوات مختلفة؟ هذه هي

¹ Is the 'Orientalist' past the future of Middle East studies?: Third World Quarterly, Vol. 81, No. (- 2, pp. 423-433, 2004. P: 425

² ضياء الدين سردار (تر: صالح فخري)، الاستشراق، صورة الشرق في الاداب والمعارف الغربية، الامارات العربية المتحدة، هيئة ابو ظبي للسياحة والثقافة، 2011، ص 11

³ المبروك المنصوري الشيباني، مرجع سابق، ص 109

الاجابة التي سنقدمها في الفصول اللاحقة، غير انه يمكن القول ان الاستشراق الجديد هو جديد في ادواته المعرفية ومناهجه التفسيرية وبالتالي هو يشكل قطيعة ابستمولوجية مع الاستشراق الكلاسيكي، وهو متجدد في غاياته واهدافه كونه مرتبط بمصالح الولايات المتحدة الامريكية وهنا يتقاطع مع الاستشراق الكلاسيكي الذي هاجمه ادوارد سعيد الذي وصف المستشرقين بانهم السبب في تنامي النزعة الاستعمارية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

3/التعريف الاجرائي للاستشراق الجديد:

من خلال التعاريف المقدمة للاستشراق الجديد يمكن تعريفه اجرائيا " بأنه ذلك النوع من الدراسات الغربية التي ظهرت بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وزادت حدة بعد هجمات 11 سبتمبر 2001 التي قام بها متخصصون (المستشرقون الجدد) من شتى الاختصاصات حول القضايا الاجتماعية والسياسية والامنية، التي تخص منطقة الشرق الاوسط، بوسائل وادوات معرفية جديدة، وتسعى هذه الدراسات الى تقديم اطار تحليلي وتفسيري حول هذه الظواهر لمساعدة صانع القرار الغربي في رسم السياسات المتعلقة بالمنطقة".

4/ الاستشراق وعلاقته ببعض المفاهيم (الاستعراب، الاستغراب)

يلتقي مفهوم الاستشراق كغيره من مفاهيم العلوم الانسانية والاجتماعية مع بعض المفاهيم التي تتقاطع معه فيصعب على الباحثين التفريق بين هذه المفاهيم الا من خلال البحث والتحري وفرز المتشابه من المختلف، وحيانا تكون الحاجة الى معرفة المفاهيم المعارضة عملا بالمقولة الضد بضده يُعرف، ومن اشهر المفاهيم التي راجت في ادبيات الاستشراق الجديد مصطلحي الاستعراب والاستغراب، وسنتطرق الى هذين المفهومين بالتفصيل.

أ/ مفهوم الاستعراب (Arabisme):

إذا كان الاستشراق (Orientalisme) يدرس كلّ ما يتعلق بالشرق من حضارة وثقافة وعادات وتقاليد، بالدّرس والفحص والتحليل، فإن علم الاستعراب يختص بدراسة حياة العرب وما يتعلق بهم من حضارة واداب وفلسفة ولغة وتاريخ واديان، وله اصوله وفروعه، مدارسه وخصائصه واتباعه ومنهجه وفلسفته وتاريخه، واهدافه¹.

اما المستعرب فهو عالم ثقة في كل ما يتصل بالعرب وبلاد العرب و اللغة العربية و الادب العربي، او بالأحرى المستعرب هو من تبحر من غير اهل العرب في اللغة العربية وادابها وتنقف بثقافتها وعني بدراستها².

وهكذا يتضح جليا ان الاستعراب فرع من فروع الاستشراق كما هو الحال بالنسبة للاستعمار (أي دراسة الحضارة المصرية) ، والاستفراس (دراسة الحضارة الفارسية)، والاستتراك (دراسة الحضارة التركية) وهلم جرا، وتتضح فروع الاستشراق هذه ومجالات التخصص فيه من خلال مؤتمراته حيث تقدم الابحاث وتعدّد الندوات لكل فروع تخصصاته، فالاستشراق علم عام يختص بدراسة الشرق وآدابه، والاستعراب علم خاص يختص بدراسة العرب وما يتصل بهم من حضارة وآداب ومبلغ تأثيرهم في غيرهم وتأثرهم بسواهم³.

وينبغي التنويه ان حركة الاستعراب انطلقت في الاندلس لدراسة كلّ ما يتعلق بحضارة المسلمين في الأندلس أدباً، وفكرًا، وعلمًا، ولغةً، ومعرفةً. ومن ثمّ، فلقد ركّز المستعربون كثيرًا على الأدب الأندلسيّ، واستخدموا في ذلك اللغة العربية تارةً، واللغة الإسبانية واللغات اللاتينية تارةً أخرى. وقد ظهر الاستعراب في القرن التاسع عشر الميلادي بإسبانيا من أجل فهم المنتج العربي بالأندلس ودراسة قيمه وإبداعه، وتبيان أسباب ذلك. لذلك، التجأ الباحثون الأكاديميون والأساتذة الجامعيون إلى تحقيق المخطوطات العربية، وتشريح الفكر العربي بالأندلس، وتبيان أسرار تفوق العرب المسلمين في مجالات العلم والمعرفة والفن والفكر والأدب⁴.

¹ يحي مراد، افتراءات المستشرقين على الاسلام والرد عليها، بيروت: دار الكتب العلمية، ص 19

² المكان نفسه

³ المكان نفسه

⁴ جميل حمداوي، مرجع سابق، ص 118

ويرى الباحث المغربي مصطفى الغديري أن الاستعراب الإسباني «بدأ حركة ثقافية علمية أكاديمية منصبية بالدرجة الأولى على دراسة التراث الأندلسي، بكل أشكاله، وما له علاقة بهذا التراث في الزمان والمكان على اعتباره يمثل المصادر الأساسية لدراسة ومعرفة إسبانيا المسلمة، وهي حركة حديثة العهد يعود تاريخها إلى منتصف القرن التاسع عشر قامت بمجهوداتٍ فرديةٍ وبدوافعٍ أكاديميةٍ في الدرجة الأولى بين الجامعيين في بعض الجامعات الإسبانية، وخاصةً جامعة مدريد وجامعة غرناطة وجامعة سرقسطة¹.

وقد اهتم المستعربون الإسبان بكثيرٍ من المجالات المعرفية في العصر الوسيط، كاللغة وفقهها، والتاريخ والحضارة، والأدب العربي، والفن، والعمارة، والتربية، والمهن والصنائع، والسياسة، والفقه والشريعة، والعقيدة وأصول الدين.... كما اهتموا كذلك بالفلسفة والتصوف والفكر الإسلامي الذي أنتجه علماء الأندلس ومفكروها إبان العصر الوسيط، كما عند ابن طفيل، وابن رشد، وابن باجة، وابن حزم، وابن العربي على سبيل المثال².

لقد قدّم الاستعراب الإسباني للأدب العربي بالأندلس، إلى يومنا هذا، خدماتٍ كبرى وجلّى. ولا يمكن لأيّ دارسٍ عربيٍّ مسلمٍ -بأيّ حالٍ من الأحوال- إنكار ذلك تحت أيّ مبررٍ ذاتيٍّ، أو مُسوِّغٍ علميٍّ، أو رغبةٍ في المناظرة والجدل، أو غضُّ البصر عن تلك الجهود الجبارة التي قام بها كبار المستعربين الإسبان على مرّ السنين، على الرغم من تحامل الكثير منهم على ذلك الأدب. فلقد قام هذا الاستعراب - فعلا- بجمع المخطوطات الأدبية الأندلسية شعراً ونثراً، وتوثيقها متنّاً وتدويناً وتحقيقاً وأرشفةً، وتاريخ معطياتها سياقاً وتحقيقاً ومرجعاً، وترجمتها إلى اللغة الإسبانية في مختلف لهجاتها المتنوعة، ودراستها مضموناً وشكلاً ووظيفةً من أجل تحديد تطوّر الأدب الأندلسي، ورصد مجمل خصائصه الدلالية والفنية والجمالية، وتبيان مختلف سياقاته التاريخية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والدينية، والنفسية، والحضارية. علاوةً على ذلك، فلقد خُصّص للأدب الأندلسي بإسبانيا المكتبات العامة والخاصة، والمعاهد المتخصصة، والكراسي الجامعية. كما صدرت صحفٌ ومجلاتٌ تُعنى بالأدب الأندلسي تاريخاً، وتصنيفاً، ونقداً، وبحثاً³.

¹ المرجع نفسه، ص 119

² المرجع نفسه، ص 122

³ المرجع نفسه، ص 124

ب/ مفهوم الاستغراب: (occidentalisme)

يتساءل الدكتور يحي مراد: هل لدى الشرقيين علم شبيه بالاستشراق يدرسون فيه كل ما في الغرب من حضارة واداب وفلسفة واديان ونظم وفنون لهم فيها منهج وفلسفة وطريقة وهدف؟ او بالاحرى هل لديهم علم استغراب كما لاولئك علم الاستشراق¹؟، هذه الاسئلة التي تدور في خلد كل باحث ودارس للاستشراق ونظيره من جانب العلماء والمتخصصين الشرقيين، أي هل لدينا مستغربين **occidentalists** في مواجهة المستشرقين؟ وهل هناك ضرورة لذلك؟

بداية يمكن القول ان علم الاستغراب نشأ في مواجهة التغريب **westernization** الذي امتد اثره ليس فقط الى الحياة الثقافية وتصوراتنا للعالم وهدد استقلالنا الحضاري، بل امتد الى اساليب الحياة اليومية ومظاهر الحياة العامة وفن العمارة، فالاستغراب هو الوجه الاخر والنقيض لمفهوم الاستشراق فاذا كان الاستشراق هو رؤية الانا (الشرق) من خلال (الغرب)، فان علم الاستغراب يهدف الى فك العقدة التاريخية المزوجة بين الانا والآخر، فمنذ الاستشراق القديم الذي نشأ واكمل في عنفوان المد الاستعماري الاوروبي بجمع اكبر قدر ممكن من المعلومات عن الشعوب المستعمرة، اخذ الغرب دور الانا واصبح ذاتا وأعتبر اللاغرب هو الآخر فأصبح موضوعا، اما في الاستغراب فلقد انقلبت الموازين وتبدلت الادوار، ف؛أصبح الانا الاوروبي بالامس هو الذات الدارس بالامس هو الموضوع المدروس اليوم، فمهمة علم الاستغراب هو فك العقدة التاريخية في علاقة الانا بالآخر، والقضاء على مركب العظمة لدى الآخر الغربي بتحويله الى ذات ودارس الى موضوع مدروس، والقضاء على مركب النقص لدى الانا بتحويله من موضوع مدروس الى ذات دارس مهمته القضاء على الاحساس بالنقص العام امام الغرب، لغة وثقافة وعلماء، مذاهب ونظريات اراء²... الخ. اذن فان علم الاستغراب يظهر انه نقيض ومقابل لمفهوم الاستشراق، فهل لدى الشرقيين الادوات المعرفية والمنهجية اللازمة لدراسة الغرب؟.

ويبرز اسم المفكر المصري حسن حنفي كأول من نحت هذا المصطلح في كتابه " مقدمة لعلم الاستغراب الذي دعى فيه الى ضرورة تأسيس علم يكون مقابلا لعلم الاستشراق كي يتم التخلص من العقدة التاريخية بين للشرق تجاه الغرب، وعموما يرى حنفي ان الفرق بين الاستشراق القديم والاستغراب

¹ يحي مراد، المرجع السابق، ص 19

² حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، القاهرة: الدار الفنية للنشر والتوزيع، 1991، ص 22_29

الحالي يتمثل في الخلاف في اللحظة التاريخية للحضارة الأوروبية التي نشأ فيها الاستشراق سابقا وللحظة التاريخية التالية التي ينشأ فيها الاستغراب الان والفرق يكمن في¹:

_ ان الاستشراق القديم ظهر في مرحلة المد الاستعماري الاوروبي والشعوب الاوروبية منتصرة بعد مرحلة هموم للشرق بعد سقوط غرناطة وبالتالي فان الاستغراب ظهر كمرحلة الدفاع عن النفس.

_ يتميز الاستشراق بالطابع الايدلوجي وبالمناهج العلمية التي سادت في القرن 19م في حين يظهر الاستغراب اليوم في ايدولوجية مناهج علمية مخالفة مثل اللغة، وتحليل التجارب المعاشة وايدولوجيات التحرر الوطني.

_ تغير شكل الاستشراق الكلاسيكي وحلت محله العلوم الانسانية خاصة الانثروبولوجيا الحضارية وعلم اجتماع الثقافة في حين ان الاستغراب لازال في بدايته ولم يطور أي شكل له بعد، وما يميز الاستشراق عن الاستغراب انه سبقه باربعة قرون.

_ لم يكن الاستشراق الكلاسيكي محايدا بل غلبت عليه مناهج تعبر عن بنية الوعي الاوروبي التي تكونت عبر حضارته الحديثة، في حين ان وعي الباحث الان في علم الاستغراب ادى الى الشعور المحايد نظرا لانه لا يبغى السيطرة او الهيمنة وانما يبحث عن التحرر من الاستعمار وهيمنته الثقافية والحضارية، اذن فموضوع علم الاستغراب هو دراسة الفكر الغربي ومدارسه مثل: الديكارتيّة والهيغلية، الكانطية، الماركسية..الخ².

بيد أن هناك من يرفض مصطلح الاستغراب كالباحث المغربي محمد خروبوات، ويفضّل مصطلح الفكر الإسلامي الذي يتناول بدوره قضية الاستشراق بالدرس، والتحليل، والتقييم. وفي هذا، يقول الباحث : «وأعتقد أن الملائم للموضوع هو الفكر الإسلامي، وقد كنا ندرس في الجامعة المغربية مادة تسمى بـ«الفكر الإسلامي في مواجهة الحضارة الغربية»، وقد تغيّر اسمها بحكم ما طرأ على الجامعة المغربية من إصلاحاتٍ متتالية، أعتقد أن الفكر الإسلامي بهذا النعت كافٍ جداً للقيام بهذه المهمة، فهو ينطلق من القرآن الكريم ومن السنة النبوية وأصول الإسلام الأخرى، كما يستوعب ما كتبه المفكرون والمتفكرون حول الغرب والحضارة الغربية والاستشراق والاستعمار والتصوير والتبشير، ولا شك في أن المكتبة

¹ المرجع نفسه، ص 31

² المكان نفسه

الإسلامية حافلةً بشتى المؤلفات في هذا المجال، كما يستوعب ما كتبه الغربيون حول التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية لأنه مثلما أنّ هناك فكرًا غربيًا يواجه الإسلام والحضارة الإسلامية فهناك فكرٌ إسلاميٌّ يواجه الفكر الغربي والحضارة الغربية، ثم إنّ هذا الفكر يستفيد من تجارب الماضين في تعيين الشبه والطعون، وترتيبها وبيان كيفية الرد عليها واستلهاهم طرائقهم ومناهجهم، وله القدرة على استقراء مشاكل الواقع ومعاينة ما يجري بين الحضارات والثقافات والسياسات. وكثير، ممن تكلم عن الاستشراق من المفكرين العرب المسلمين وباسم الفكر الإسلامي، عالجوا قضايا فكرية وثقافية وحضارية، وردّوا على شبهات المستشرقين وطعونهم، وحاوروا الكثير منهم، كما سجّلوا زياراتٍ لأوروبا، وحاضروا في جامعاتها ومراكزها

ومن هنا، يهدف الاستغراب إلى فضح الخطاب الاستعماري الغربي، وتفكيك مقولاته المركزية التي تعبر عن الغطرسة والهيمنة والاصطفاء اللوني والعرقى والطبقي، باستعمال منهجية التشتيت والفضح والتعرية. لذا، فقد وجد كتاب الاستغراب في تفكيكية جاك دريدا آليةً منهجيةً لإعلان لغة الاختلاف، وتقويض المسلمات الغربية، والطعن في مقولاتهم البيضاء ذات الطابع الحلمي الأسطوري. كما تأثروا في ذلك بميشيل فوكو، وكارل ماركس، وأنطونيو غرامشي، وكان إدوارد سعيد رائدهم في ذلك¹، ولقد رفض كتاب الاستغراب ومثقفوه الاندماج في الحضارة الغربية، وانتقدوا سياسة الإقصاء والتهميش والهيمنة المركزية، ورفضوا كذلك الاستلاب والتدجين. وفي المقابل، دعوا إلى ثقافةٍ وطنيةٍ أصيلةٍ، ونادوا بالهوية القومية الجامعة. ومن هؤلاء -مثلا- كتاب الحركة الزنجية الإفريقية ومبدعوها الذين سخّروا كل ما لديهم من آليات ثقافية وعلمية لمواجهة التغريب، فتشبّثوا بهويتهم السوداء، ولم يكتف مثقفو الاستغراب أيضا بتوجيه النقد إلى الغرب، بل سعوا إلى نقد ذواتهم ضمن ما يُسمّى بالنقد الذاتي، كما عند الناقد الكيني الأصل عبد الرحمن جان محمد حينما صرح قائلاً: «أعتقد أننا نحتاج إلى الإفصاح بشكلٍ أكثر انتظامًا، عن الواجبات التي تفرضها علينا هذه الوضعية البينية، وهي واجباتٌ أشعر أنّها يمكن استشعارها من وضعية مثقف «العالم الثالث» في الأكاديميات الغربية، إننا لا نزال نكافح ضد الهيمنة المعرفية للغرب، لا نزال نحارب «الاستعمار» و«الاستعمار الجديد»، ولكن بالمقارنة مع التابع في «العالم الثالث»، نحن نعيش في ظروفٍ بالغة الرفعة. بعض النقاد يؤكدون أنّ نوعًا معيّنًا من نظرية ما بعد الاستعمار يمثل هو نفسه جزءًا من البنية القائمة على الهيمنة، أي أنّه نوعٌ مستمرٌّ ومكرّرٌ من الاستعمار. ولهذا أعتقد أنه لا بد لنا أن نستمرّ على خطى غاياتري سبيفاك وآخرين، فننقح وضعية ذواتنا في كل

¹ جميل حمدواي، مرجع سابق، ص 125

هذه النواحي وبشكل أكثر انتظاماً¹، اذن هكذا نرى ان حركة الاستغراب بدأت تتبلور بشكل قوي مع مفكرين درسوا بالغرب وينتمون الى العالم الثالث كرد فعل على الدراسات الاستشراقية، وقد عرفت بدراسات ما بعد الاستعمار او ما بعد الكولونيالية **studies postcolonielisme** وهي في مجملها الدراسات النقدية للفكر الغربي في دراسته لحضارة الشرق في فترة ما بعد الحداثة **postmodernisme**.

ج/ مفهوم الاستشراق المعكوس : Orientalism in Reverse

ثالث المفاهيم التي تصادف الباحث اثناء غوصه في علم الاستشراق ما يسمى "بالاستشراق بالمعكوس" وهو المفهوم الذي صاغه المفكر السوري صادق جلال العظم (1934_2016) كنقد لكتاب "الاستشراق" "Orientalism" لادوارد سعيد، وقد ضمن هذا النقد في كتابه الموسوم بـ "الاستشراق والاستشراق المعكوس" "Orientalism in Reverse and Orientalism" الصادر سنة 1981، ويعتبر العظم من المفكرين الذين اهتموا بالفكر الغربي والفلسفة الغربية بشكل خاص.

قدّم العظم في كتابه هذا، تصورا لما نتج عن ظاهرة الاستشراق من ردود افعال داخل ساحة الثقافة الشرقية والعربية على حد وجه الخصوص، وقد جاء في النقد الذي وجهه العظم لادوارد سعيد بأنه تأثر بالمستشرقين ووقع في نفس الفخ الذي وقعوا فيه، وهو الفصل الانطولوجي بين الشرق والغرب وهي المقولة المركزية التي ردها المستشرقون دون استثناء وبنوا عليها كافة تصوراتهم عن الشرق².

واوضح العظم ان ادوار سعيد قد اشار الى وجود قناعة محورية لدي المستشرقين بوجود فارق اساسي وجذري بين الجوهر المزعوم لكل من الطبيعة الشرقية من ناحية والطبيعة الغربية المزعومة، والمقارنة التي يوردها الغرب ان اعظم ناقد للاستشراق الغربي اعاد تكريس هذا الفصل الانطولوجي ولكن بصوة مقلوبة، عندما قلب نقطة التمرکز لتصبح حول الشرق بدلا من الغرب، وقد اطلق العظم على هذه الرؤية الاستشراقية "ميثافيزيقيا الاستشراق" والتي اشتدت في مقولاتها ودعاويها الى نظرية "الطبائع الثابتة" والتي تفسر الفوارق بين ثقافات الشعوب تفسيراً ميثافيزيقياً وليس الى صيرورة تاريخية متبدلة³.

¹ المرجع نفسه، ص 126

² Sadik Jalal al-ʿAzam Orientalism and orientalism in reverse ,on; <https://libcom.org/library> visited in 15.07.2020.

³ احمد محمود سلامي، الاستشراق المعكوس في فكر حسن حنفي، المجلة الاردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد 09، العدد:01، 2016، ص 109.

وتبدو ان فكرة " الاستشراق المعكوس تهدم فكرة " الاستغراب" التي نادى بها حسن حنفي فهي اوضح مثال على الاستشراق المعكوس في الثقافة العربية، فالقراءة المتأنية لمشروع حسن حنفي تدل على انه مارس " الاستشراق المعكوس" في شكله الصارخ وفي شكله المعلن والواضح والجلي، رغم ان العظم لم يوجه له انتقادا لان حنفي لم يكن قد اعلن مشروعه بعد، والواضح ان حسن حنفي لم يلتفت الى تحذيرات ادوارد سعيد في كتابه " الاستشراق" والتي دعا فيها الى عدم الانجرار الى الاستشراق المعكوس، فقد اخذ سعيد على الاستشراق الغربي، انه يكرس مقولة كيلنغ الشهيرة " الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا" ولهذا لم يرد سعيد ان ينتقل هذا الداء الى الفكر العربي، فتحذيراته لم تمنع حنفي من قلب المعادلة التاريخية، ولهذا اقترن مفهوم الاستغراب بالمفكر حسن حنفي بوصفه واضعا لأول مشروع استغرابي في تاريخ الثقافة العربية¹، وهكذا فان العظم يرفض و يدين بشدة ما يسمى بالدراسات الشرقية للغرب او الاستشراق المضاد الذي تبني عدد من الشرقيين افكاره ودعوا الى تأسيس مناهجه واصوله وفروعه.

لكن يمكن القول ان الشرقيين ملزمون بفهم الاخر وهذا لن يتأتى الا عبر دراسة هذا الغرب علميا و منهجيا تقوم على التجربة والتفاعل والاحتكاك، لأنه من الخطأ الاعتقاد - حسب رأي الباحث- ان الفصل بين الشرق والغرب خطأ منهجي انطولوج- كما قال العظم- لانه في الحقيقة تمييز واقعي وفعلي وفي نظرنا لم يخطئ ادوارد سعيد في ذلك حينما فصل بين الشرق والغرب فلا يمكن انكار ان التجارب الانسانية والثقافات والعادات تختلف حتى داخل الكيان الواحد فما بالك بالشعوب والدول والقارات، فالغرض من دراسات ما بعد الكولونيالية المضادة للهيمنة هو البحث النقدي في أنماط المعرفة المتمركزة حول أوروبا²، اذن هكذا وبعد ان تعرفنا على اهم المفاهيم التي تصادف الدارس لمفهوم الاستشراق يصبح من الضروري تتبع التطور التاريخي لهذا المفهوم وكيفية نشأته في الحضارة الغربية.

¹ المرجع نفسه، ص 110

² Jukka joukhi, **Imagining the other, Orientalism and Occidentalism**, Finland: University of Jyväskylä, 2006, p 68.

المطلب الثاني: التطور التاريخي لمفهوم الاستشراق

ان لكل مفهوم في العلوم الانسانية والاجتماعية سياقه التاريخي وظروفه التي نشأ فيها وتطور عبر الازمنة، والعوامل التي ساهمت في تشكله وانبعائه في كل مرة، والاستشراق بدوره احد المفاهيم الذي عرف ظهوره سياقاً زمنياً واسباباً ادت الى ظهوره كظاهرة ومن ثم كعلم في ارقى الجامعات له مناهج ونظريات وفروع واصول، وباعتبار ان الاستشراق كمصطلح يعني دراسة الاخر الشرقي فقد هناك عوامل في هذا الشرق جعلته محل اهتمام العلماء الغرب.

شكل الدين الاسلامي منذ ظهوره مشكلة بالنسبة لاوروبا المسيحية، فقد اجتاحت الفتوحات الاسلامية قلب العالم المسيحي، في الشام، ثم في صقلية وشمال افريقيا، والاندلس وقام المسيحيون بتنظيم حروب عدة امتدادا للعداء الديني المستحکم بين العالمين الاسلامي والمسيحي، فيما اصطلح عليها " بالحروب الصليبية" وفي اثناء ذلك بدأ المسيحيون الغربيون في تطوير صور اكثر تحديدا عن الاسلام من خلال تزايد الاحتكاك بالمشرق الاسلامي عبر قوافل التجارة وزيارات الحج وغير ذلك¹.

كانت الجهود الاولى التي بذلها باحثون كنسيون لتحقيق فهم اكثر دقة للإسلام مدفوعة الى حد كبير بالرغبة في معرفة الاعداء، ولتفنيد الاسلام بوصفه ديناً زائفاً وهرطقة باطلة، فنجد مثلاً، الاب المبجل رئيس دير كلوني 1156 م / 560هـ يرى انه لا يمكن تدمير الاسلام مالم تفهم اخطاؤه، ولذلك كانت الدعايات الكنسية ضد الاسلام والمرافقة للحروب الصليبية تعمق الصور المشوهة والعدائية عن الاسلام ونبيه، بدافع حماية اتباعها، ومع ذلك فقد رغب بعض الباحثين الكنسيين بالاستفادة من الثروة الفكرية المزدهرة انذاك لدى العالم الاسلامي، وكان ذلك يمثل بداية الاتصال الغربي الفعلي بالحضارة الاسلامية، فبدأت طلائع المستشرقين ومعظمهم كان من الرهبان بالوفود الى الاندلس ابان القرن الرابع الهجري الموافق للقرن العاشر الميلادي، ثم بعد عودتهم شرعوا بنشر المعارف التي حملوها من المسلمين الى بلادهم، وانشأت لذلك المدارس العربية في روما وظهرت العديد من الترجمات للكتب العربية في روما، وظهرت العديد من الترجمات للكتب العربية في الطب والفلسفة والرياضيات وغيرها الى اللاتينية².

وقد ادى الفشل الذريع الذي منيت به الحملات الصليبية ببعض الباحثين الكنسيين، ومنهم رجر بيكون 693/1294 هـ، الى القول بأن الكنيسة يجب ان تبذل جهداً كبيراً، طويل المدى، لكي تحول

¹ الوهبي عبد الله، *حول الاستشراق الجديد مقدمات اولية* . الرياض : البيان مركز البحوث والدراسات، 2014، ص 18

² ساسي سالم الحاج، *نقد الخطاب الاستشراقي*، الجزء الاول، ليبيا : دار المدار الاسلامي، 2002، ص 42

المسلمين بشكل سلمي الى المسيحية، ولتحقيق ذلك حثوا الكنيسة على تشجيع دراسة الاسلام واللغة العربية، وبالفعل قام الاب بطرس سالف الذكر باصدار اول ترجمة لاتينية للقران الكريم وكان ذلك في السنة 1143 / 537 هـ ، وقد استمرت هذه الترجمة معتمدة في اوروبا حتى نهاية القرن السابع عشر الميلادي، وهكذا فقد كانت فكرة التنصير هي الدافع الحقيقي خلف اشتغال الكنيسة بترجمة القران وعلوم اللغة العربية، كما يقول يوهان فوك " فالاستشراق في بداية امره لم يكن سوى اداة من ادوات التنصير"¹.

في عام 1312 م / 712 هـ عقد مجمع كنسي في فيين وهي مدينة صغيرة تقع على نهر الرون في جنوب شرق فرنسا، وتحدث فيه المعنيون بانه لا يمكن تحويل المسلمين عن دينهم لان قلوبهم قست، فهم يحتقرون الكتب المقدسة، وبناء على ذلك طالب المجمع باقامة كراسي للغة العربية، واليونانية، والعبرية، في جامعات باريس، واكسفورد، وبولونيا، لكن هذه المطالبة لم تنفذ، لاحقا، أسس اول كرسي للغة العربية في الكوليج دي فرانس وكان ذلك عام 1539م / 946 هـ، ومن هنا يمكن القول ان اول دراسة منتظمة للاسلام وتاريخه في اوروبا الغربية تعود الى ذلك التاريخ أي الى نهاية القرن السادس عشر².

في القرن العاشر الهجري الموافق للقرن السادس عشر الميلادي كان العثمانيون في اوج قوتهم، في الوقت الذي كان العالم الغربي يدخل الى عصر الاصلاح الديني الذي شهد تفكك العالم المسيحي، وانقسامه الى كنائس كاثوليكية، وبروتستانتية تتبادل العداء والعنف الذي يخل من اراقة الدماء. كان العثمانيون البعبع الاكبر لاوروبا، فقد اثاروا خوفا ملحوظا، وصوروا في الادب الشعبي غالبا بوصفهم قساة يتسمون بالتعصب والعنف، بطرق تعتمد على صور هزلية عن الاسلام ظلت سائدة طويلا بالاضافة الى العديد من القصص الشنيعة والمثيرة المتداولة عن الفضائح الجنسية المزعومة للترك والتي قيل انها جرت في حريم السلطان، وكان ذلك مما ساهم في ترسيخ الطابع الجنسي والشهواني والغرائبي للشرق في المخيلة الغربية³.

وفي القرن الحادي عشر الهجري الموافق للقرن السابع عشر الميلادي اصبحت الدول الاوروبية اكثر مركزية وقوة تحت تأثير التغييرات الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية العميقة، وهو الامر الذي دفع رجال الدولة والفلاسفة السياسيين الاوروبيين في فجر النهضة الى صياغة تصورات جديدة للنظام

¹ المرجع نفسه، ص، 51

² الوهبي، مرجع سابق، ص 21

³ المرجع نفسه، ص 22

السياسي بعد نجاح القوى الدينية في تقويض الاستبداد الكنسي، فعادوا قراءة وتفسير ارسطو وغيره، وتبنوا ايضا التقابل الذي رسمه كثير من كتاب اليونان القديمة بين الحرية الاغريقية، والاستبداد الاسيوي، واصبحوا يعتبرون مجتمعهم قائما على الحرية و القانون، وبالمقابل اصبحت الامبراطورية العثمانية نموذجا اصليا لما يسمى بـ " بالاستبداد الشرقي" لكونها تتميز بتركيز السلطة التعسفية غير القانونية المطلقة في يد السلطان كلي القدرة، وانزال كل رعاياه الى مرتبة العبودية¹.

اكتمل تطور مفهوم " الاستبداد الشرقي" على يد المفكر والقانوني الفرنسي موتيسكيو ، وهو يرى مثل ارسطو وغيره ان المزاج الانساني ومن ثم النظم السياسية والاجتماعية تتحدد بدرجة كبيرة تبعا للجغرافيا والمناخ ، فالناس في المناخ البارد مثل اوروبا نشيطون وشجعان بالطبيعة، ويستطيعون الحفاظ على حريتهم وتوسيعها، بينما الناس في المناخ الحار متأثنون، ومتذللون بالطبيعة، ولهذا كانت السلطة في اسيا استبدادية دائما².

وقدر لهذا المفهوم " الاستبداد الشرقي" ان يعيش ويزدهر عبر القرنين التاسع والعشرين الميلاديين، وقام بعض مستشركي تلك الحقبة بتوظيف الافتراضات الجوهرية لمفهوم " الاستبداد الشرقي" بوصفها نظرية تساعد على تفسير توصل الغرب الى الهيمنة على العالم اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا، ولماذا كانت هذه الهيمنة ضرورية وجيدة³.

ببزوغ فجر النهضة شحب حلم الكنيسة الغربية القروسطي برابطة شعوب مسيحية موحدة، وحل محله تصور اكثر علمانية، وجغرافية الى حد ما، وهو تصور ينظر الى الغرب بوصفه يتضمن اكثر من نوع من المسيحية، ويتكون بشكل متزايد من دول مستقلة لم يعد الدين يمثل قاعدة شرعيتها، وتم صرف النظر عن الرؤية عن الرؤية المسيحية التقليدية التي كانت تنتظر الى ميلاد المسيح بوصفه علامة على طبيعة جذرية مع كل حدث قبله، وبداية لعصر جديد ومقدمة للعودة الثانية التي ستكون علامة نهاية الزمن التاريخي، واعلان مملكة السماء على الارض⁴.

¹ المرجع نفسه، ص 23

² زكاري لوكمان، تاريخ الاستشراق وسياساته ، تاريخ الصراع على تفسير الشرق الاوسط ، تر: شريف يونس، القاهرة: دار الشروق 2007، ص 101_102

³ المرجع نفسه، 103

⁴ المرجع نفسه، ص 113-114

كان التصور البازغ عن الغرب بوصفه حضارة متميزة مبنيا على التأكيد على استمرارية وتماسك جوهريين عبر امتدادات شاسعة من الزمن والمكان، من الميلاد المدعى لتلك الحضارة في اليونان القديمة، وعبر حوالي عشرين قرنا وصولا الى اعادة بزوغها وفتحها في العصر الحديث، كان ادعاء هذا النوع من الاستمرارية الثقافية يتطلب افتراض ان الغرب كحضارة له جوهر او قلب ما ، ظل سليما لم يمسه تلوث من مصدر خارجي¹.

قام الاوروبيون برسم وتثبيت سلسلة من الصفات التي بدا لهم ان الغرب يمتلكها، وتميزه عن الحضارات الاخرى، كالحرية والعقلانية ، والعلم، والتقدم، وروح الاختراع...الخ، اصبح الغربيون يعتبرون هذه الصفات القيم المركزية للحضارة الغربية، وافترضوا ان اصولها ترجع الى الاغريق القدماء².

خلال القرن الثامن عشر اخذت الرؤية لتاريخ العالم في الخطاب الاوروبي تتبلور بوضوح في فكرة التمرکز حول الانا، اذ بعد مرحلة النهضة بما انتجتته من نزعات انسية، واصلاح ديني، وبعد التأسيس الفلسفي للمشروع الحدائثي على الكوجيتو، بوصفه انا مفكرا يقصد السيادة على الكون، ومع تزايد الكتابة الاوروبية عن الاسلام، والشرق في القرن الثاني عشر الهجري الموافق ل تقريبا للثامن عشر الميلادي لا سيما في عقود عصر التنوير، كان مفكرو التنوير يشنون حملة ضد ظلامية الكنيسة وطغيانها الفكري، والقيود القمعية التي فرضتها الكنيسة، وطغيانها الفكري، والقيود القمعية التي فرضتها الكنيسة، وطغيانها الفكري، والقيود القمعية التي فرضتها الكنيسة، وطغيانها الفكري، وساهم هذا الموقف في فتح الطريق امام توجه اكثر موضوعية في تعاطيه مع الاسلام، وبدأ يظهر الى السطح الشك والمراجعة لخطاب السخرية، ومخالفة المعقول الذي اتسمت به الكتابات الكنسية في العصور القروسطوية، ويات من الواجب دراسة مراجع التاريخ الاسيوي، ومصادر الدين الاسلامي بتجرد وموضوعية، واخذت بعض الاطروحات في تلك الفترة تقدم خطابا متعاطفا مع الاسلام، بوصفه ايمانا اكثر عقلانية وتسامحا نسبيا، كان يُنظر الى الاسلام بوصفه دينا عقلياو بعيدا عن الوثوقية (الدوغمائية) المسيحية الاكثر تعارضا مع العقل، ويدعو الى اخلاقية مع احترام معقول لمتطلبات الجسد والحياة الاجتماعية، لقد تداول الفلاسفة حينها وكل من شاركهم نزوعهم الثقافي (الشرق) لتوبيخ اوربا، ولتوفير سبل منظمة لهجائها ، والاشارة الى مواضع فشلها ان الاهتمام الغربي المتجدد بالاسلام والعرب قد وقع بفعل تداخل سياقين متمايزين، الاول: السياق المتصل ببروز الفحص النقدي لاساس الديانات

¹ المرجع نفسه، ص 114

² المرجع نفسه، ص 116

الاجتماعي والتاريخي، والسياق الثاني: يتصل بظهور تذوق معنن للادب العربي، وحضور واسع للادبيات والمغامرات والمسرحيات الشرقية¹.

تنامت الغرائبية الاستشراقية في اعمال عدد من الفنانين، في اوائل القرن الثامن عشر الميلادي ورحالة تلك الحقبة، فكانت الصور التي استدعاها الكتاب والمصورون المتأثرون بهذا الاستشراق الثقافي شهوانية ومثيرة، تعتمد على التصوير الاوروبي القديم، لاسيما خيالاتهم حو القصر العثماني ونظام تعدد الزوجات².

ولقد لعبت النساء المسلمات دورا حاسما بصفة خاصة في الادراك الاوروبي للاسلام في القرن التاسع الميلادي، بل ذهب بعض الباحثين الى حد القول بانه ما من موضوع مرتبط بالاسلام اعتبره الاوروبيون اكثر اهمية من حالة المرأة المسلمة" فكان من الشائع تصوير المسلمات بانهن مقموعات وخاضعات... الخ ، وحتى حين لم يتم اضافة طابع جنسي صريح على صور الشرق اوسطيين، كان يضى عليها طابع غرائبي في معظم الاحيان³.

الى جانب ذلك توفر في اوروبا ادب شعبي ضخم عن الشرق ففي عام 1704 م / 1116 هـ ظهرت في فرنسا ترجمة لكتاب" الف ليلة وليلة" بترجمة وتقديم انطوان غالان، وبعدها بعشر سنوات ظهرت الترجمة الانكليزية للكتاب، ويعلق الاكاديمي البريطاني نورمان دانيل (1992) في كتابه" الاسلام والغرب صناعة صورة" على ذلك مبينا تأثيرات انتشار هذا الكتاب" لقد لاقت نجاحا فوريا، واستمرت اعادة ترجمتها، واعادة طبعتها لقرنين او اكثر، وكان اثرها قويا ومستمر، وقد لقيت القصص بسبب العنصر السحري الغالب على المجموعة، ولانها تنقل صور الاساليب الشرقية، وقد ظل هذا العمل الغرائبي الى اقصى درجة في اذهان كل الزوار الاوروبيين للعالم الاسلامي، منذ ذلك الحين وحتى الان"، رافق ذلك ان اتيح للجمهور الاوروبي ان يقرأ عددا متزايدا من قصص الرحالة للشرق الاسلامي، وكان كثيرا منها خياليا⁴.

¹ الوهبي، مرجع سابق، ص 27

² المكان نفسه

³ المرجع نفسه، ص 28

⁴ المرجع نفسه، ص 29

برغم ان الاحتلال الغربي قد بدأ عندما ارسلت البرتغال قواعدها في الشرق في اوائل القرن السادس عشر ميلادي، ثم تبعتها بريطانيا وفرنسا، الا ان احتلالا آخر كان فارقا بالنسبة لمسيرة الاستشراق في الشرق والشرق الاوسط بالذات، وقد وقع الاحتلال الفارق في 1798م حيث وقعت الحملة الفرنسية على مصر، وكان ذلك تدشينا لعصر جديد اصبحت فيه اراضي الشرق الاوسط وشمال افريقيا تخضع بشكل مباشر، ومتزايد لتدخل اقتصادي و سياسي اوروبي، انتهى الى احتلال همجي واسع¹.

وقد افاد التوسع الاحتلالي للقوى الاوروبية في دعم مقدمات منطقية، او افتراضات معينة، في فهم الاسلام والشرق، قادت رؤية الاسلام بوصفها حضارة متماسكة ومتميزة واحادية الثقافة من حيث الجوهر كثيرا من المستشرقين الى القول بأن الافكار والمؤسسات السائدة في المجتمعات الاسلامية، وطريقة سلوك وتفاعل المسلمين في أي زمان ومكان، هي في العمق تعبيرات عن جوهر ثقافي نقي للاسلام، والتي يمكن فهمها على افضل نحو بدراسة نصوص فترته الكلاسيكية².

كانت المقدمة المنطقية والنظرية الصريحة او المبطنة في البحث الاستشراقي في المرحلة الكلاسيكية تقول بأن هناك " انسانا اسلاميا" له تركيب ثابت مختلف جوهريا، بل يشكل النقيض المطلق لتركيب الانسان الغربي، ويمكن التعرف اليه باستعمال مناهج الدراسة الفلسفية لنصوص لنصوص اساسية معينة، أعتبر انها تضم المبادئ الاساسية للحضارة الاسلامية³.

بقيت الصورة المقولبة التي ارتسمت في المخيلة الاوروبية عن الشرق الاسلامي تعاني تشوهات حادة، لاسيما وقد تبلورت في حالة صراع ديني وسياسي واقتصادي مرير، منذ ان كان الشرق الاسلامي هو سيد الحضارة، ورائدها، الا انه وبعد التقهقر الذي شهده العالم الاسلامي وانتشار انوار النهضة السياسية والثقافية والعلمية والصناعية في اوروبا، على انقاض الكنيسة، وتصوراتها اللاهوتية المحرفة، تراجعت الرغبة في تنصير المسلمين، الى حد ما، وتضخمت التطلعات الامبريالية التوسعية عند القوى الغربية لاكثر بلدان الشرق الاسلامي، وكان هذا يعني تحول كبير في الحقل الاستشراقي من ناحية قدرته على دراسة الواقع الاسلامي عن قرب، ومن ناحية اخرى ظهور الرغبة الرسمية من حكومات الاستعمار/

¹ المرجع نفسه، ص 30

² المرجع نفسه، ص 31

³ زكاري لوكمان، مرجع سابق، ص 134-143

الاحتلال في الاستفادة من الجهود الاستشراقية، وهو الامر الذي انعكس سلبيًا على النشاط الاستشراقي، فكان دخول العامل السياسي مساهمًا في تعميق الصورة الذهنية الكلاسيكية عن الاسلام والمسلمين¹.

اصبح الاستشراق بوصفه فرعًا بحثيًا في القرن التاسع عشر الميلادي الموافق للثالث عشر الهجري، مجسدًا في مؤسسات ومسارات مهنية جديدة، فقد اقيمت مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس عام 1795م / 1209 هـ في ذروة الثورة الفرنسي، كما ساعد سلفستر دي ساسي 1837م شيخ المستشرقين الفرنسيين - كما يقول عبد الرحمان بدوي- في وضع اسس الاستشراق المنظم، وهو اول من تولى رئاسة الجمعية الاسيوية التي اقيمت في عام 1821م لكي تجمع الباحثين والموظفين وغيرهم من المهتمين بالشؤون الاسيوية².

قام المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي Silvestre de Sacy بصناعة منهج كامل اما الراغبين في العمل الاستشراقي من خلال نصوص منتظمة، ومذهب تعليمي عملي، وتقاليد بحثية، ويفضل جهوده تحولت باريس في الثلث الاول من القرن التاسع عشر قبله لكل من يريد ان يتخصص في دراسة اللغات الشرقية، " ويتمثل مفتاح الفهم البحثي للشرق بالنسبة لساسي، ولكن من اتى بعده، في الفيلولوجيا، والتحليل التاريخي، واللغات المقارنة، والتي تمارس الى حد كبير من خلال دراسة النصوص المكتوبة، التي يعتقد انها تتيح الفاء نظرة نافذة بشكل فريد على الجوهر اللازمي لحضارة ما"، وتوالى بعد ذلك نشوء الجمعيات، والمجلات الاستشراقية³.

ويمضي المؤرخ الفرنسي ارنست رينان Ernest Renan 1892م -الذي يعتبر اهم الشخصيات الاستشراقية المركزية في ذلك القرن- الى الاعتقاد بأن دراسة دقيقة للنصوص في محتواها التاريخي باستطاعتها الكشف عن الطبيعة الاساسية للشعب، وعبر رينان عن نظريته تجاه الاسلام والشرق في محاضرة القاها في جامعة السربون بعنوان " الاسلام والعلم" وقد جرى تداولها بشكل واسع، كانت محاضراته تسعى الى مناقشة ما اسماه " التدني الواقعي للبلدان المحمدية، وانحطاط الدول التي يحكمها الاسلام، والخواء الفكري للاعراق التي تحصل على ثقافتها وتعليمها من هذا الدين وحده"، كان العرق بالنسبة لرينان - كما هي هي الحال بالنسبة لكثير من المفكرين التاريخيين والاجتماعيين الاوروبيين

¹ الوهبي، مرجع سابق، ص 32

² المرجع نفسه، ص 33

³ المرجع نفسه، ص 34

المعاصرين له- يقوم بدور تفسيري مركزي، فقد اعتبر ان العرق العربي غير قادر على التفكير العلمي والفلسفي، او حتى معاد له، واختتم رينان محاضراته بتأييد استعمال القوة في وجه المقاومين ضد الاحتلال، يقول " لقد قيل الكثير في نقد الاسلحة النارية، لكن الم تساهم مع ذلك في انتصار الحضارة؟"

إذا " فالشرقي الذي كان في اوروبا ابان القرون الوسطى عدواً يحسب له حسابه كذات عاملة، وتبدى في عصر الانوار والثورة الفرنسية كانسان قبل كل شيء، رغم تكرراته وعوائده، قد تحول مع استشراق القرن التاسع عشر الى موضوع ذي خصوصية ثابتة لازمة ملزمة انصهرت في نمط الانسان الاسلامي".

لاحقا استأنف العمل على تكوين تصور اكثر خبثا، واشد عنصرية عن كيفية انقسام البشرية، فقد بدأ بعض المفكرين الاوروبيين والامريكيين يرون - بتأثير تفسير معين لنظرية تشارلز داروين - 1882، عن نشوء وارتقاء الانواع، وبتأثير المسيرة الطافرة للاحتلال الاوروبي، ان تفوق الغرب الثقافي، والسياسي ليس نتيجة القيم والمؤسسات المتفوقة، وانما نتيجة نتيجة للصفات العضوية / البيولوجية المتفوقة للعنصر الابيض، امست هذه الرؤية في اواخر القرن التاسع عشر الميلادي، واول القرن العشرين مقبولة على نطاق واسع، وشكلت جانبا كبيرا من البحث العلمي، ولذلك تم تصنيف سكان افريقيا وآسيا بوصفهم منتمين لاعراق عضوية/ بيولوجيا، ومن ثم فان الاحتلال الاوروبي يبدو طبيعيا وحتميا¹.

في منتصف القرن التاسع عشر، وفي ظل الضعف العام المستشري في جسد الحكم العثماني كان الشرق قد بدأ بالخنوع للنفوذ الاوروبي المتزايد، ومع نهاية الحرب العالمية الاولى 1914/1917م كانت اوروبا قد احتلت 85% من اراضي العالم المأهولة، وكان هذا الاحتلال الاوروبي يتميز عن غيره من الوان الاحتلال الاخرى بتوفر المعرفة لخدمة المحتل، بالاضافة الى التطور الاداري، والتفوق في اصطناع التبريرات الايدولوجية التي تقوم على فكرة تفوق الجنس الاوروبي على ما دونه من الاجناس الاخرى، ومن ثم حق الغرب في الهيمنة على الشعوب المتخلفة من اجل رسالته التاريخية، في تهذيب العالم وتحضيره².

في الخطوط الامامية المكشوفة للهيمنة الاحتلالية نجد طوابير المغامرين، والمنصرين، والمنصرين، والمستخدمين المدنيين والعسكريين في اجهزة القمع والادارة والتجسس، اما في الدوائر

¹ المرجع نفسه، ص 37

² المكان نفسه

الاستكشافية والتوطيئي، او في الحلقات الخلفية التبريرية فاننا نجد طوابير الجواسيس والرهبان او المستشرقين المحترفين"¹.

قدّم المستشرقون خدمات جليلة للقوى الاوروبية المحتلة، وسمحوا لانفسهم ان يجيروا المعرفة لتخدم القوة، وبحسب تعبير زكاري لوكان" الاستشراق كمشروع فكري، كان مرتبطا بطرق مهمة بالاستعمار الاوروبي المعاصر، وان نوع المعرفة الذي كان الاستشراق كفرع بحثي يميل لانتاجه، قد استعمل كثيرا لاضفاء الشرعية على ممارسة السلطة الاوروبية على العالم الاسلامي وتدعيمها" وهذه العلاقة الوطيدة بين الاحتلال والاستشراق واجهت نقدا شديدا في وقت لاحق، من داخل الدوائر الاستشراقية وخارجها².

اسفرت الحرب العالمية الاولى عن انتصار الحلفاء وهو ما اتاح لبريطانيا وفرنسا الشروع في اعادة رسم خريطة الشرق الاوسط ونحت عدد من الدول الجديدة، في العقود التي تلت الحرب تسارعت التغيرات والتطورات في المجالات الاجتماعية والاقتصادية، والثقافية في العالم الاسلامي، بيد انه وحتى الحرب العالمية الثانية 1945/1939م كانت مثل هذه التطورات تعتبر الى حد كبير خارج نطاق البحث الاستشراقي الاكاديمي، او كما يقول مكسيم" لم يكن التطور الحديث للامم الاسلامية يعتبر موضوعا مهما في العمل البحثي، واقصي بازراء ليتناوله اناس مثل الاقتصاديين والصحفيين، والدبلوماسيين، والعسكريين، والهواة"³.

ظل الاستشراق اجمالا في بدايات القرن العشرين على ما كان عليه من اصطباه بالتوجه اللغوي (الفيلولوجي)، ورؤية الاسلام بوصفه حضارة مميزة دخلت الان في ازمة بسبب مواجهتها مع الغرب الحديث، وظل هذا التوجه يفرض على الباحث الذي يبرع في اللغات الاساسي، والنصوص الكلاسيكية للحضارة الاسلامية قادر على اصدار اقوال بشأن كل شيء تقريبا يتعلق بالاسلام، عبر امتدادات واسعة من الزمان والمكان⁴.

¹ المرجع نفسه، 38

² المكان نفسه

³ المرجع نفسه، ص 39

⁴ المرجع نفسه، ص 40

واصبح معظم الباحثين الجامعيين الذين يدرسون الاسلام في اوربا وامريكا يعملون في اقسام جامعية او معاهد للدراسات الشرقية، او دراسات الشرق الادنى، ومع الوقت مال الاستشراق الاكاديمي الى الانقسام بشكل مؤسسي الى اقسام علمية، وبرامج للشرق الادنى، والشرق الاسيوي (الصين اليابان)، وعلى ذلك اصبح الباحثون الذين يدرسون جوانب من الحضارة الاسلامية، يعملون ويتعلمون الى جانب باحثين متخصصين في لغات وتواريخ وأديان مصر القديمة، والحضارات العراقية القديمة، وكانوا جميعا يتلقون التدريب بوصفهم علماء لغة (فيلولوجيين)، في حين ان الدارس لتاريخ بريطانيا او فرنسا- مثلا- يتلقى تدريبا بصفته مؤرخا، ويعمل في اقسام التاريخ في الجامعات المختلف، وكان هذا يعكس وجهة نظر الاستشراق عن نفسه وعن موضوعه¹.

اضطرت الاوضاع الحرجة في الحربين العالميتين الساسة وصناع القرار الى مطالبة الاستشراق الكلاسيكي الذي تربي في احضان اللاهوت والفيلولوجيا، وحيانا علم التاريخ، بتحمل مسؤولية السياسة الحديثة، والاقتصاد، والمجتمع، فراح يتحدث عن كل شيء من المعلقة الجاهلية الى الصناعات البترولية، والبنك الحديث، كما يقول برنارد لويس ساخرا، كانت نواقض هذه الحالة جلية للعيان، وهو ما شجع نحو التخصص المتزايد، والاستعانة بمناهج جديدة، كانت هذه الاشكالية احد تمظهرات ازمة الاستشراق الكلاسيكي، والتي بدأت تتفاقم الى جانب النواقض الصارخة التي كانت تعتري الاطروحة الاستشراقية الكلاسيكية؛ كاستبطانها لفكرة التفوق العرقي، والمركزية الاوروبية، وكذلك تبنيتها للرؤية الجوهرائية والمثالية للحضارات الاخرى، ثم ارتباطها المسيء بحركات الاحتلال، والاستيلاء التي ارتكبتها القوى الاوروبية في بلاد المشرق².

بدا التغير يظهر بشكل تدريجي في مفهوم " الاستشراق " منذ اواسط القرن العشرين تقريبا، فبعد ان كان محتكرا من قبل فقهاء اللغة الفيلولوجيين، والمحترفين في اللغات الشرقية، شهد الحقل كما يؤكد المستشرق السويسري جاك واردنبرغ دخول باحثين من حقول معرفية اخرى كالمختصين في العلوم الاجتماعية، وهي علم الاقتصاد، وعلم الاجتماع، والانثروبولوجيا، والعلوم السياسية، ودخل احيانا

¹ المرجع نفسه، ص 41

² المرجع نفسه، ص 42

المختصون في الادب، والفنون، الذين انشغلوا- وعلى نحو متزايد- بدراسة المجتمعات والثقافات الاسلامية¹.

وبدأت فكرة التخلي عن الفكرة الضمنية المسيطرة منذ قرن ونيف على الدراسات الاستشراقية، والتي مفادها ان التنشئة اللغوية (الفليلولوجية) كافية لمعالجة الواقع الشرق، وتزايدت كذلك الانتقادات الموجهة للاستشراق التقليدي/ الاستعماري، ولنظرية المركزية الغربية، ونظرية التحديث، واتسع مجال الدراسات النقدية عن الاستعمار/ الاحتلال، والمداخل المبتكرة في التحليل التاريخي والاجتماعي، والاقتصادي، وكذلك مداخل التحليل الثقافي المتأثر بالانثروبولوجيا، كما اصبح الحقل الاستشراقي اكثر وعيا وقدرة على النقد الذاتي فكريا وسياسيا، الى غير ذلك من ملامح التحول نحو " الاستشراق الجديد/ المتجدد"، والذي كان نتيجة لتفاعل العديد من العوامل التي اثرت بشكل مباشر على التحولات الفكرية والمؤسسية في مسيرة الاستشراق عموما والاستشراق الامريكى بالخصوص²، وهكذا دخل الاستشراق عصرا جديدا حاملا معه قضايا واشكالات جديدة.

المبحث الثاني: المناهج الفكرية للمستشرقين في دراسة الاسلام :

في هذا المبحث سنخصصه لتناول المناهج التي استخدمها المستشرقون لدراسة الاسلام ، وطرق التفكير والياته والادوات التحليلية التي استعملوها لتفكيك البنية الكلية التي تُكوّن مفهوم الاسلام.

في البداية لا بد من التعرف على مفهوم المناهج في العلوم الاجتماعية فكما ترى الخبيرة مادلين غروايتز Madeine Grawitz ان هناك فوضى لا حدود لها في هذا الميدان، لان معظم الكتاب يميزون بين المنهج والمناهج³، ومع ذلك فان هذا المصطلح -أي المنهج- مستعملا لوصف اجراءات تأخذ موقعها من مستويات مختلفة، فيما يخص احياءها الفلسفي بدرجات متفاوتة، ودرجة تجريبها، وهدفها

¹ المرجع نفسه، ص 43

² المرجع نفسه، ص 44

³ ان الامريكيين يستخدمون مصطلح اساليب في المكان الذي نستعمل فيه مناهج (بالجمع)، ولكن هذا التبديل لا يضيف أي وضوح ، ونحن هنا في هذه الدراسة نتبنى وجهة نظر مادلين غروايتز في استخدام مصطلح المنهج بالمفرد والمناهج بالجمع.

التفسيري، بدرجة متباينة، وعملها على مراحل بحث ملموسة بدرجات مختلفة واللحظة التي تأخذ موقعها فيها، وبالتالي فإنه يمكن النظر الى المنهج من ثلاثة مستويات مختلفة¹:

أ) **المنهج بالمعنى الفلسفي**: هو مجموع العمليات الفكرية التي يسعى اختصاص بها الى بلوغ الحقائق التي يتابعها ويثبتها ويتحقق منها بمعنى الاسلوب المنطقي لكل خطوة علمية، تجعل من الواقع الذي ينبغي ادراكه سهل المتناول، والمقصود وجهات نظر فلسفية تحدد موقف العقل البشري تجاه الموضوع.

ب) **المنهج موقف ملموس تجاه الموضوع**: ومعنى ذلك ان يملئ المنهج طرائق ملموسة لتصور البحث او تنظيمه، ولكن ذلك يتم بدرجات متفاوتة من الالزام والدقة والكمال والانتظام، ولا تؤثر المناهج كلها بالطريقة نفسها في مراحل البحث ذاتها.

ت) **المنهج المرتبط بمحاولة تفسير**: أي انه يرتبط بمقدار او بأخر بموقف فلسفي، ويستطيع ان يؤثر بهذه المرحلة من البحث او تلك، والتفسير شئ مشترك بين المناهج فهي تهدف الى مخطط تفسيري، يمكن ان يكون متسعا بدرجات متباينة، وان يأخذ موقعه على درجة من العمق مختلف جدا.

ث) **المنهج المرتبط بميدان معين**: يسوغ مصطلح المنهج عندما يرتبط بميدان نوعي ويضم طريقة في العمل خاصة به، وهي مرتبطة بالتأكيد بالمحتوى، ولكن بطريقة اخرى، تعطي جوابا عن السؤال "كيف؟".

وتعد المناهج مجموعة من العمليات المستعملة لبلوغ هدف او مجموعة من الاهداف، وجملة من المبادئ التي توجه كل بحث منظم، وهي جملة من المعايير التي تتيح اختيار التقنيات وتنسيقها... مخطط عمل تبعاً للهدف².

نستشف من خلال هذا التقديم التعريفي للمناهج انها طريقة لتصور البحث او تنظيمه، بهدف تفسير الظاهرة ماديا وتختص بميدان معين ومجال محدد، وهي مجموعة من العمليات

¹ مادلين غراويتز، **مناهج العلوم الاجتماعية**، ترجمة: سام عمر، (ط 1)، دمشق: المركز العربي للترجمة والتأليف والنشر، 1993، ص 10-09.
² المرجع السابق، ص 11.

الفكرية المتناسقة لبلوغ هدف معين، باستخدام مجموعة من التقنيات والادوات للوصول الى حقائق، واهداف، وغايات ما.

ان من اشهر النماذج التفسيرية الغربية التي ظهرت في القرن العشرين مع الثورة العلمية

نجد نظرية توماس كون Thomas Kuhn " البراديغم " "paradigm"، ليفي شتراوس Levi's

'Strauss "البنوية" structuralism ، بيتر ل بيرغر Peter L Berger's

"objectification" "الكائن" أو أنطونيو غرامشي Antonio Gramsci's

"النسبية الذاتية" "autonomy relativity" وتطبيق تلك النظريات في محاولات لفهم طبيعة

المجتمعات الإسلامية.¹

ان التعرف على المنطلقات و الجوانب الفكرية و الفلسفية للمناهج الغربية مهمة جدا

فيما يتعلق بالدراسات الاسلامية او دراسات الشرق، او ما نعنيه في دراستنا هذه الاستشراق،

فالغرض من هذه الدراسة - كما اكدنا سابقا- هو معرفة تطور المناهج الغربية وتحليل ادواتها

التفسيرية في تفسير الظاهرة الاسلامية ومآلاتها، وتفحصها، وقياس مدى ملائمتها مع التحليل

العلمي في دراسة الظواهر ، واستكشاف الاهداف التي ترمي لها، لكن بداية سنتطرق الى مناهج

الاستشراق الكلاسيكي في الميادين المتعلقة بالدراسات الاسلامية بصفة عامة.

المطلب الاول: نظرة الاستشراق للفلسفة الاسلامية:

ان تاريخ الفلسفة مبني جملة وتفصيلا على المركزية الاوربية في اضيق صورها، انه

تاريخ للفلسفة في اوربا من العصر الهليني الى العصر الحديث يُصَبَّ على انه التاريخ العام

للفلسفة متجاهلا ليس فقط الفلسفة في الاسلام التي احتلت لمدة اربعة قرون مكانا بارزا في الثقافة

العربية الاسلامية التي كانت ثقافة العالم في عصرها، بل ومتجاهلا كذلك الفلسفة التي ازدهرت

قبل الاسلام في البلدان التي ستصبح عربية اسلامية كمصر وسورية والعراق (مدرسة الاسكندرية

والمدارس السريانية...الخ)، ولم يكن مؤرخوا الفلسفة في اوربا- سواء في القرنين الماضيين او

القرن الحالي- يصدر عن فلسفة واحدة في التفكير او يستندون الى منهج واحد، لكن تنوع

¹ Pradana Boy, Prophetic social sciences: toward an Islamic-based transformative social sciences, **Indonesian Journal of Islam and Muslim Societies**, Volume 1, Number 1, June 2011 p104

رؤاهم الفلسفية ومناهجهم واختلافها لم يكن ابدا خارج الاطار الذي يتحركون داخله وال=ي كانوا جميعا يعملون على تقويته وتعزيزه في اطار المركزية الاوربية، وهكذا ظهر المنهج التاريخي والهدف منه هو بناء الوحدة والاستمرارية في تاريخ الفكر الاوروبي عامة، والمنهج الفيلولوجي الذي نشط اصحابه في مجال تحقيق النصوص ونقدها والكشف عما كان مغمورا بها، والمنهج الفردي او الذاتي الذي يرفض اصحابه في آن واحد الشمولية التي يقرها المنهج التاريخي والنظرة التجزيئية التي يكرسها المنهج الفيلولوجي ويدعون الى التعامل مع كل فيلسوف على حدة، بوصفه مفكرا خلاقا ومبدعا ، وليس تعبيراً عن وسط اجتماعي ولا عن لحظة تاريخية، فالفلاسفة الغربيون لم يكونوا يفكرون الا في اطار تاريخ الفلسفة الاوروبي النزعة امثال: افلاطون، وديكارت، وباسكال، وكانط...الخ¹.

ويرى الجابري ان هذه المناهج الثلاثة التي تقاسمت مؤرخي الفلسفة في اوربا طوال القرن الماضي والعقود الاولى من هذا القرن هي ذاتها المناهج التي تقاسمت المستشرقين، فكان منهم صاحب النظرة الشمولية الذي يعتمد المنهج التاريخي، وكان منهم صاحب النظرة التجزيئية المتحمس للمنهج الفيلولوجي، وكان منهم صاحب النظرة الذاتية الذي يتعاطف مع الفيلسوف وتجربته الفلسفية ، ولكنهم ظلوا في جميع الاحوال مرتبطين بالاطار ذاته الذي كانوا يعملون داخله هم وزملاؤهم مؤرخوا الفلسفة يفكرون بوحى من معطياته، من حاجاته وانجازاته، وبالتالي يربطون كل شيء به، وهكذا فالمستشرق صاحب المنهج التاريخي يفكر شمولياً في الفلسفة الاسلامية، لا بوصفها جزءاً من كيان ثقافي عام هو الثقافة العربية الاسلامية، بل بوصفها امتداداً محرفاً او مشوها لـ" الفلسفة اليونانية"، اما المستشرق المغرم بالمنهج الفيلولوجي فهو على الرغم من اختلافه مع زميله" الشمولي النظرة" داخل الاطار الاوروبي فهو يتفق معه خارجه، لأنه عندما يتجه الى الفلسفة الاسلامية بنظرته التجزيئية لا يعمل على رد اجزائها الى اصول تقع داخلها، او على الاقل مقروءة بتوجيه من همومها الخاصة، بل هو يجتهد كل الاجتهاد الى رد تلك الاجزاء الى اصول يونانية، أي اوربية الشيء الذي يعني المساهمة ولو بطريقة غير مباشرة في العملية نفسها " عملية النهر الخالد" بتعميق مجراه وصيانة ضفافه، نهر الفكر الاوروبي الذي نبع اول مرة في بلاد اليونان وظل يشق طريقه غرباً الى اوربا الحديثة، واما المستشرق

¹ محمد عابد الجابري، الرؤية الاستشراقية في الفلسفة الاسلامية طبيعتها ومكوناتها الايدولوجية والمنهجية في: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الاسلامية ج1، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص318-319

صاحب المنهج الذاتي فإنه على الرغم من اعلان تمرده على التاريخ المبني على فكرة التقدم، وادعاء تعاطفه مع الاشخاص وتجاربههم حتى ولو كانوا يقعون خارج دائرة الثقافة الاوروبية كالحلاج مثلا الذي حاول ماسينيون تقمص تجربته الصوفية فانه يظل مع ذلك موجها من ذات الاطار مشدودا اليه غير قادر ولا راغب ابا في الخروج منه او القطيعة معه¹.

المطلب الثاني: منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الاسلامي:

ان موضوع منهجية الاستشراق في التاريخ الاسلامي موضوع معقد للغاية بسبب تعقد ظاهرة الاستشراق في حد ذاتها، ونظرا للتغيرات المختلفة التي ولا سيما التي حدثت ابان القرنين التاسع عشر والعشرين حيث بلغت هذه الظاهرة اعلى مراحل تطورها، وكذلك تنوعت اساليب المعالجة وطرقها التي طبقها الدارسون المستشرقون على الدراسات الاسلامية من حيث الزمان والمكان².

فاذا تفحصنا المؤلفات التاريخية التي كتبها المستشرقون عن الاسلام والتاريخ الاسلامي، وجدنا انها تعكس الشمولية التي تتسم بها اهتماماتهم، وما تتسم به نظرتهم الى التاريخ الاسلامي من تغير مستمر، ولذلك نجد ان المنهجية التي طبقوها على التاريخ الاسلامي تتميز بنوع معين من الاتساق من ناحية كما تتميز بالتنوع الشديد من ناحية اخرى، ويبرز الاتساق في جلاء تام على المستوى الفني، بالنظر الى تشابه طرق البحث ووسائله في الغرب بالنسبة للملامح الرئيسية العامة، وكذلك على المستوى الذي يتعلق بالموضوعات، نظرا لما يتسم به التاريخ الاسلامي من صفة التكامل نتيجة اتصال المستشرقين بعضهم ببعض وتعاونهم في العمل على الرغم من اختلاف جنسياتهم، ومن ناحية اخرى نجد الاختلافات تنشأ عن اختلاف الفترات والجوانب التاريخية التي شددت اهتمام مختلف المستشرقين لانه من الواضح استحالة معالجة المناطق الجغرافية المختلفة التي يشغلها العالم الاسلامي، او حتى معالجة المناطق نفسها عبر فترات

¹ نفس المرجع، ص 320

² محمد بن عبود، منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الاسلامي في مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الاسلامية ج1، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص 335-

زمنية مختلفة، وثمة اختلافات اختلافات كذلك نشأت عن اختلاف طرق المعالجة والخلفيات الفلسفية التي تميز المستشرق الفرد او مجموعة المستشرقين¹.

ان تصنيف المنهجية الغربية في القرنين التاسع عشر والعشرين في التاريخ الاسلامي امر عسير ومهمة شاقة قد لا يمكن تحقيقها على نحو معين لقبوله عالميا بسبب ما يتميز به كل مستشرق من خواص عديدة وتباين المميزات التي تكون المجموعة نفسها من المستشرقين يعتقان المبادئ نفسها السياسية نجد احدهما يفضل ان يكون مدخله الى الاسلام والتاريخ الاسلامي مدخلا عاما فينسج نسيجا نظريا كاملا من عديد من الجوانب المعقدة، بينما نجد الاخر يعالج امورا بعينها في اطار الاسلام بأن يتخصص فيها بالذات، فاذا اخذنا مثلا ثلاثة من المستشرقين، وجدنا الاول والثاني قد يتفقان على تفسير الفترة الاموية في تاريخ العرب على نحو يختلف كلية عن المستشرق الثالث، بينما نجد الاول والثالث قد يتفقان على التفسير العام مثلا للعصر العباسي على نحو قد لا يقبله المستشرق الثاني، وفي هذا المثال نجد ان المستشرق الثاني يتفق على تفسير الاول للعصر الاموي بينما نجد الثاني والثالث يختلفان في كلا الموضوعين².

والمستشرقون الذين تضعهم في تفسير واحد من ناحية العقيدة الدينية، قد يقدمون تفسيرات تختلف عن المستشرقين الذين ينتمون الى اتجاهات مختلفة عن المستشرقين الذين ينتمون الى اتجاهات ايديولوجية مناقضة، اختلافا يفوق الاختلاف مع بني جلدتهم من اتباع الدين نفسه، ولكي نسوق مثلا حيا، فان التفسير السوسيولوجي لسيرة النبي - السيرة في مؤلف وات" محمد في مكة" و ط محمد في المدينة" تتفق من هذه الناحية مع التفسير المادي الذي ساقه ماكسيم رودينسون الماركسي في كتابه" محمد " اتفاقا يفوق ذلك الاتفاق بينه وبين تفسيرات سواه من المستشرقين المسيحيين الذين ركزوا على عوامل اخرى مثل سيطرة يوم القيامة على النبيء -ولا سيما كازانوف- وسيطرة فكرة الاله الواحد او سيطرة مشكلته المرضية على نحو ما فعل دانكان بلاك ماكدونالد، ومن ناحية اخرى نجد ان طريقة معالجة ماكدونالد المرضية امر يقبله رودينسون بينما تجد من ينتمي الى دينه نفسه " و.م. وات" يرفض الفكرة نفسها، ومن الناحية السياسية برغم هذا نجد الاول يساريا بينما الاوليين غير يساريين.

¹ نفس المرجع، ص 336

² نفس المرجع، ص 348.

ان طبيعة الدراسات الاسلامية التاريخية تتضمن تداخل عدة علوم متنوعة يعتمد بعضها على بعض، ويستمد بعضها من بعض، فطرق البحث والتحليل التاريخي التي يستخدمها جميع المستشرقين طرق علمية الى درجة معينة.

ويحاول المستشرقون الغربيون بوجه عام ان يروا الصلة بين شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام وبين الاسلام على شكل علاقة مباشرة بين السبب والنتيجة، اما طرق المعالجة العلمانية اللادينية وتنوع العناصر التي قابلها النبيء فانها تبعث على البحث عن تلك التأثيرات في مصادر متنوعة، وعن طريق الوان متباينة من العلوم.

ومن ناحية التأثيرات على انتشار الاسلام نجد ان من بين المميزات الشائعة للمستشرقين الغربيين انهم يميلون لدراسة الاسلام باعتباره افرزا لحضارات ليست اسلامية، وبعضهم يجرّد الاسلام من أية سمات ابداعية او اصيلة ويجعل من هذه الصفات حكرا على حضارات قديمة مثل الاغريقية والرومانية والصينية، وعلى عكس الاتجاه نجد المستشرق جورج سارتون من جامعة هارفارد الذي انحى باللائمة على من يقلل من شأن مزايا العرب.

وعلى وجه العموم، ورغم ذلك، نجد ان دراسات الاسلام والتاريخ الاسلامي في الغرب تبدأ في كثير من الاحيان بالافتراض التقليدي ان الاسلام يتكون من الوان مختلفة من التأثيرات الاجنبية التي لو دقت فسوف تفسر لنا ذلك السر الغامض الذي ينسبه الغربيون الى الاسلام، ويظهر هذا الاتجاه بدرجة متفاوتة في ثنايا مؤلفات اغلب المستشرقين، بغض النظر عن فروع تخصصهم، ومن ثم جاءت الاراء التي تقول بأن الفقه مستمد من القانون الروماني، وان الاسلام باعتباره دينا عربيا ما هو الا لون جديد يجمع بين اليهودية والمسيحية، وان الحضارة الاسلامية في اوج تطورها هي شكل من اشكال الحضارة الهلينية، فاذا قارنا بين جولد زيهر وهورجرونجي وكيف ان كلا منهما كان يسعى لتدقيق مختلف التأثيرات التاريخية على الاسلام فان ذلك سوف يلقي الضوء على هذه الاختلافات، ولقد بحث جولد زيهر عن العلاقة بين الاسلام وسائر التيارات وخلص الى: ان الاسلام قد تأثر بالفرس والبوذيين، واهتم بيكروهورجرونجي وغيرهم كثير، بتبيان التأثيرات المسيحية على الاسلام، وامتدت رقعة البحث من شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام الى التأثيرات على الصوفية والافلاطونية الجديدة والفكر الهليني، ودون ان نستشهد بأقوال معينة، لا نجد هذا المنحى ظاهرا الا في عناوين الكتب فقط وعلى سبيل المثال كتاب: لويس ماسينيون "

الدعامات السبع في الاسلام والمسيحية، وكتاب دانكان بلاك ماكدونالد" الموقف الجديد بين الاسلام والمسيحية" او كتاب سي اتش بيكر" المسيحية والاسلام" وقد التزم ماسينيون هذا النهج في التفكير في دراسته التي استغرقت عمره كله عن الحلاج، كما نجد ان ميچويل اسن بلاسيوس يوجه دراسته عن " التأثيرات المسيحية على المفكرين الاندلسيين".

وثمة موضوع شائق اخر في الاستشراق الغربي وهو اسباب وآثار التوسع الاول للاسلام، فقلد كان المستشرقون يرجعون اسباب ذلك التوسع المبكر للاسلام الى ذلك الجانب الحركي الديناميكي للاسلام كدين جديد وبسيط وكذلك الى روح الاعتداء التي كانت سمة من البدو الاعراب، والانحلال الاجتماعي الذي كانت تعاني منه المجتمعات التي قبلت الاسلام وكفاءة التنظيم للخلافة الاسلامية والانفجار الديمغرافي في شبه الجزيرة العربية، وتفوق الاسلحة التي كان الاعراب يستخدمونها والصفات النادرة التي اتسم بها القادة المسلمون، وما كان يسود الجيوش الاسلامية من حالة نفسية، او العوامل التاريخية التي استمرت تعمل منذ وقت طويل مثل عواقب الصراع بين الامبراطوريات الساسانية والبيزنطية او عدم الاستقرار الداخلي لمملكة القوط في اسبانيا، وكانت تطرح هذه الاسئلة بالنسبة لاي العوامل التي كانت اكثر اهمية في حسم المحصلة النهائية للتوسع الاسلامي، وعلى الرغم من ذلك، فهب ان بعض ظروف اخرى من غير الاسلام كانت السبب في ذلك، فلماذا لم تحدث هذه الظاهرة قبل مجيء الاسلام؟ والى أي حد اذن تكمن اهمية الاسلام في تحديد هذه الظاهرة السريعة المفاجئة والتي لا يبدو لها تفسير؟ اكان من الممكن ان تحدث تلك الظاهرة دون الاسلام؟ ويمكننا ان نصف تطور هذا الموضوع في الاستشراق الغربي في الوقت ذاته بأنه لاهوتي واجتماعي وسياسي وديمغرافي وتقني وتكنولوجي واقتصادي واستراتيجي وعسكري ونفسي وفي اخر الامر تاريخي¹.

ان المستشرقين في كثير من الاحيان يحكمون على الاسلام والتاريخ الاسلامي معتمدين على قيمهم ومقاييسهم الثقافية الخاصة، بدلا من اعتمادهم على المصادر التاريخية، وبوسع المرء ان ينتقد الانتاج الادبي لهذه الحركة معتمدا على المقاييس والطرائق التي يزعمون تمثيلها والتي ينتمون اليها، ولقد امكن تطور البعد الموضوعي للاستشراق لانهم كانوا يكتبون لجمهور غربي دون ان يخضعوا في ذلك للنقد وامكنهم دون وازع او محاسب او مقوم ان يؤلفوا النظريات العلمية

¹ نفس المرجع، ص 353-354

التي لا اساس لها من الصحة على الاطلاق، وهناك امثلة كثيرة على النظريات التاريخية التي تقوم على بنية هرمية، وسلسلة من المستشرقين يرددون ويطورون النظريات نفسها القائمة على ما كتبه المستشرقون من قبل¹.

في مجال التاريخ الاسلامي نجد كتاب كارل بروكلمان " تاريخ الشعوب الاسلامية" يشكل عملا رائدا باعتباره محاولة للنظر للتاريخ الاسلامي ككل بغض النظر الى التاريخ الاسلامي ككل بغض النظر عما تتمخض عنه تلك العوامل حتما من فروق شاسعة في الزمان والمكان، ومن الامثلة الجيدة في معالجة تاريخ الاسلام من اصوله حتى صدر عصر السلاجقة (1055-1200) كتاب صدر حديثا وهو " العظمة التي كانت تسمى الاسلام" من تأليف وليم مونتجمري وات، فهو يعكس طرقا اخرى للمعالجة الشاملة² مثل الطريقة التي عالج بها روبرت مانتران فترة بني امية في كتابه " التوسع الاسلامي"، وتمثل مؤلفات س اتش بيكر اكثر تقدما زمنيا عن طريقة المعالجة الشاملة للاسلام وقد وصف ذلك المدخل وارد ينبرغ على النحو التالي: " لقد كان بيكر في دراسته ينبعث من رغبته في رؤية بعض المجالات كمثال نوعي ليناابيع الحضارة العظيمة"، فبيكر ينظر الى الاسلام كاستمرار للمسيحية والهينية ويصف واردنبرغ هذا التصور للاسلام فيما يلي:

"انه الدوران السلبي في عالم ايجابي مؤسس في نور كامل" ومن ثم نجد ان بيكر ينظر الى الاسلام نظرة شاملة، ومهما يكن من امر فاننا نجد ان بعض المستشرقين الاخرين تختلف عن نظرة بيكر اليه على الرغم من انهم قد نظروا اليه النظرة الشاملة².

ونجد مؤلفات السير هاميلتون جيب تتسم بالشمولية في المعالجة اساسا وهو اتجاه نجده واضحا في كتابه الاسلام الى اين؟، اذ يهتم بالاسلام اهتماما عظيما بالاسلام في اواخر القرن العشرين يركز على القوى المتينة التي تجمع العالم الاسلامي بغض النظر عن تلك القوى التي تميل الى الاسهام في تفنينه، ويمضي جيب في قوله الى ابعد من ذلك حين يعتبر العالم

¹ نفس المرجع، ص 364

* المقاربة الشاملة في التاريخ هي مقاربة يستخدمها المؤرخ الشهير ارنولد تونبي اذ يعتبر تاريخ العالم كلا واحدا ذا تفريعات من حضارات وثقافات ، ويقابله المدخل المتخصص الذي يقوم على التحليل العميق لمجالات معينة كما فعل بنتراند راسل.

² نفس المرجع، ص 368.

الاسلامي واروبا شطرين للعالم الغربي، ونجد تفصيلاته التي ساقها لبسط هذا التصور دليلا على طريقته في المعالجة¹.

المطلب الثالث: مناهج المستشرقين في دراسة القرآن الكريم والسنة النبوية:

عزّف العلماء المسلمون القرآن الكريم بأنه " كلام الله المعجز، المنزل على خاتم الانبياء والمرسلين، بواسطة جبريل عليه السلام المكتوب في المصاحف، المنقول الينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس"² ، وقد عني العلماء المسلمون بدراسة القرآن الكريم من حيث تدوينه، واسباب النزول، والمكي والمدني، والناسخ ، والمنسوخ، والاعجاز البلاغي، و الاعجاز العلمي، والمحكم، والمتشابه، والتفسير وغير ذلك من العلوم، وهو كتاب هداية وعلم ودستور واخلاق، لذلك حرص المستشرقون على ع دراسته والتشكيك في مصدره الالهي، وفي المكي، والمدني، والناسخ والمنسوخ ، وغير ذلك من الجوانب المتعلقة في دراسة القرآن الكريم³.

لقد اهتم المستشرقون بدراسة علوم القرآن والتفسير اهتماما بالغا على اعتبار كونها علوما خادمة للقرآن ومعينة على فهم وإدراك مقاصده واغراضه، ولا شك ان القرآنيات تشكل المجال الخصب الذي تواردت عليه اقلام كثير من المستشرقين سواء بالدراسة والبحث او بالتحليل والنقد، ولقد اضحى الاستشراق المعاصر اقدر على تفهم واستيعاب بعض قضايا ومسائل علوم القرآن وايحاءاتها عكس ما كان سائدا قبل مطلع القرن العشرين⁴.

¹ المكان نفسه

² امير عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن، نقلا عن مازن المطبقاني، الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الاسلامي، ص127.

³ مازن بن صلاح مطبقاني، الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الاسلامي، الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، 1995، ص 127.

⁴ حسن عزوزي، اليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الاسلامية، المغرب: سلسلة تصحيح صورة الاسلام، 2007، ص

حاول المستشرقون ان يثبتوا ان القرآن صورة ملفقة من اليهودية والمسيحية، وان محمدا هو مؤلفه¹، وقد نفى المستشرق الالمانى نولدكه في كتابه " تاريخ القرآن " ان تكون فواتح السور من القرآن، مدعيًا انها رموز لمجموعات الصحف التي كانت عند المسلمين الاولين قبل ان يوجد المصحف العثماني، فمثلا حرف الميم كان رمزا لمصحف المغيرة، والهاء ابي هريرة، والصاد لصف سعد بن ابي وقاص، والنون لمصحف عثمان، فهي بالنسبة له اشارات لملكية الصحف، وقد تركت في مواضعها سهوا، ثم الحقها طول الزمن بالقرآن فصارت قرآنا².

ويرى المستشرقان بتريسيا كرون ومايكل كوك ان النص القرآني عرف تغيرا خلال المئة سنة التي اعقبت موت الرسول، ويتحدثان عن قطعة نقود تعود الى زمن الخليفة الاموي عبد الملك 685م يعتقدان انها تحمل جملة قرآنية، ويذكران بكتابات قبة الصخرة التي بناها عبد الملك سنة 691م، والتي تبدو آيات قرآنية لكنها جمل تتطابق في رأي مع حروف النص القرآني³.

ويؤكد المستشرقان انهما فهما من اشتغال فان برشام وقروهمان حول كتابات قبة الصخرة انها كتابات مبكرة تعكس وجود نص اصلي مبكر يختلف عن المصحف العثماني في بعض حروفه، ويوافقان المستشرق وانسبيرو في اعتباره القرآن مفتقرا الى بناء واضح، اضافة الى كونه غامض احيانا، ومفتقرا الى التناسق بين اللفظ والمعنى، ويوافقانه ايضا في اعتقاده مركبا من مادة متفرقة، ان المصحف العثماني نص يتصف احيانا باعادته لعبارات وجمل كاملة بصيغ مختلفة، وهو ما يجعل وانسبيرو يرى ان المصحف الرسمي وضع في زمن قصير وبنوع من التسارع ادى به الى القول بأنه نتاج لجمع مادة غير متجانسة اعتمدت روايات مختلفة⁴.

ويذهب المستشرقان الى ان اول رواية خارجية حول القرآن ترجع الى اواسط القرن 08 م في حوار بين عربي وكاهن " بات هال"، ويضيفان انه ليس بإمكاننا ان نحدد مدى الاختلاف بين

¹ احمد محمد جاد، فلسفة المشروع الحضاري بين الاحياء الاسلامي والتحديث الغربي، تحرير عبد الناصر العساسي في ملخصات كتب اصدارات مؤلفات المعهد العالي للفكر الاسلامي ج1، القاهرة- الزمالك : مركز الدراسات المعرفية، 2011، ص 636.

² التهامي نقرة ، المستشرقون والقرآن، في: مناهج المستشرقين ، مرجع سابق، ص23.

³ امنة الجبلاوي، الاسلام المبكر الاستشراق الانجلوسكسوني الجديد (باتريسيا كرون ومايكل كوك انموذجا)، بغداد : منشورات الجمل، 2008، ص 151

⁴ نفس المرجع، ص 152

القرآن المبكر العفوي والقرآن الحالي، ثم يشير إلى أنه وقع تحديد النص القرآني في حكم الحجاج 705م، وأنه قد توفر في تلك الفترة مناخ سمح بوضع القرآن ونسبته إلى محمد¹.

ويشير الأستاذ عصام عيدو أن واقع الدراسات القرآنية في الغرب يبرز جدلاً تاريخياً مختلفاً تماماً حول النص القرآني وصدقته وتأويله. يمكن تقسيم الدرس الغربي للقرآن إلى أربعة مراحل تاريخية، ابتدأت الأولى منها في ألمانيا على يد المستشرق اليهودي أبراهام غايغر في دراسته «ماذا أخذ محمد عن اليهودية»، ومن ثم ثيودور نولدكه وتلامذته في كتابهم المشترك «تاريخ القرآن» بأجزائه الثلاثة. استمرت هذه المدرسة - والتي عرفت في ما بعد بالمدرسة الألمانية الفيلولوجية التاريخية - قرابة مئة سنة بين الفترة الواقعة بين 1833 إلى 1933. أهم إنجازات هذه المدرسة هو التقسيم الرباعي للقرآن: ثلاث فترات مكية وفترة مدنية، والتركيز على تحليل القرآن نزولياً ونقده من الجهة الفيلولوجية².

باضطهاد اليهود في أوروبا ثلاثينات القرن المنصرم، خرج علماءهم من الأكاديميات الأوروبية واضمحلّ تدريجاً منهج النقد التاريخي الفيلولوجي المتبع لديهم، وبدأت منذ ذلك الوقت نزعة مسيحية - المرحلة الثانية - تنتمي إلى منهج تقليدي يُحيد من خلاله البحث التاريخي الفيلولوجي عن النص القرآني، واستبدلته بمنهج تأويلي مشى عليه اللاهوت المسيحي في بحثه عن حياة السيد المسيح. وهذا يعني الانتقال من التركيز على النص القرآني من الجهة النقدية التاريخية الفيلولوجية إلى التركيز على شخصية النبي محمد ودراسة تطوراته النفسية والسياسية. ويعد هذا النمط المسيحي التأويلي المتمحور حول شخصية النبي محمد أحد أهم المناهج التي صبغت الفترة الواقعة بين أربعينات القرن الماضي وستيناته. ومن أهم الدراسات التي ظهرت في تلك الفترة كتابات مونتغمري وات الذي اعتمد المنهج السوسولوجي في دراسته الإسلام والسيره والقرآن، والتي أدت به إلى اعتبار القرآن كتاباً من تأليف النبي محمد³.

¹ نفس المرجع، ص 153

² عصام عيدو، سباق المخطوطات القرآنية.. الجدل الغربي والتباسات التلقي، جريدة بيروت نيوز الالكترونية، يوليو

2015 تاريخ الزيارة 2019/11/07 متوفر على الرابط : <http://www.beirutme.com/?p=13268>

³ المرجع نفسه.

في بداية سبعينات القرن الماضي، شهدت الدراسات القرآنية في الغرب صدمة أكاديمية - المرحلة الثالثة - من خلال كتابات جون وانسبرو «الدراسات القرآنية» والكتاب المشترك لباتريشا كرون ومايكل كوك المعنون بـ «الهجرية»، والتي أسست لما عرف في ما بعد بالمنهج التنقيحي، والذي يقوم على أن القرآن نصٌ يعود تاريخ تأليفه إلى نهايات القرن الهجري الثاني عندما أصبح المسلمون إمبراطورية. وأن الرواية الإسلامية عن موثوقية القرآن رواية أرثوذكسية مزيفة. وأن الحقيقة التاريخية تكمن في المصادر الهامشية والمصادر غير العربية، كارثية هذه المرحلة وصفتها الباحثة الألمانية أنجليكا نوبفرت بقولها: «عندما يفقد الموروث موضوعيته تتلاشى الحقيقة التاريخية لمكانتي مكة والمدينة وكذلك الدور التاريخي للنبي محمد... ومما لا ريب فيه أن هذه النظرة ليست غير معقولة فحسب، بل مخالفة للمنطق فقد أثبتت وفي شكل ملموس مخطوطات يدوية اكتشفت أخيراً ظهور القرآن في القرن السابع»¹.

ويرى الباحث الأمريكي في الدراسات القرآنية فريد ماكرو دونر ان الدراسات القرآنية اليوم كحقل بحث أكاديمي تبدو في حالة فوضى وهي - المرحلة الرابعة التي يصفها عصام عيدو-، معترفا انهم لا يعرفون بعض الاشياء الاساسية حول القرآن، وهذه الاشياء تتضمن اسئلة: كيف نشأ القرآن؟ من اين جاء؟ ومتى ظهر اولاً؟ من كان الجمهور الذي تلقاه اولاً؟ بأي لغة كان كُتب؟ أي شكل اتخذ اولاً؟ من كان الجمهور الذي تلقاه اولاً؟ كيف انتقل من جيل الى آخر، خاصة في السنوات الاول؟ متى، كيف، ومن نظمه وصنّفه؟ فهذه الاسئلة تغطسنا في عوالم اللايقين القاتمة ويمكن ان تقدح جدلاً حاداً².

ويضيف دونر في نهاية مقالته ان حل المشاكل الكثيرة التي تواجههم في فهم اصول وطبيعة نص القرآن هو تحد اكبر بكثير من أي فرد وحيد، ويدعو الى تكثيف العمل الجماعي بين الباحثين الذين عليهم ان يوجدوا الشروط لحل اكثر المشاكل الحاحا حول القرآن، ولاعداد الطبعة النقدية للقرآن وجب توفر ارضية مهياً لذلك³.

¹ المرجع نفسه.

² فريدماكرو دونر، القرآن في احدث البحوث الاكاديمية، في: القرآن في محيطه التاريخي، اعداد جبرئيل سعيد رينولدز، (ترجمة: سعد الله السعدي)، بيروت: منشورات الجمل، 2012، ص59.

³ نفس المرجع، ص84.

المبحث الثالث: المدارس الكلاسيكية للاستشراق:

بعد ان تعرفنا على مناهج المستشرقين في دراسة الاسلام، نحاول في هذا المبحث التطرق الى اهم المدارس الاوروبية الاستشراقية:

اختلف الباحثون في تصنيف مدارس الاستشراق، فمنهم من راعى التصنيف الموضوعي وذكر المستشرقين، بحسب تخصصاتهم العلمية، ومنهم من اخص بالدراسات القرآنية، ومنهم من اخص بدراسة السنة النبوية والسيرة المتعلقة بالنبىء محمد، ومنهم من اخص بتاريخ العرب والاسلام، ولا يخفى ان هذا التقسيم لا يخلو من صعوبة، اذ من الصعب ان يكون هذا التصنيف دقيقا.

ولهذا اتجه بعض الباحثين الى تصنيف المدارس الاستشراقية بحسب انتماءات افرادها وموقعها الجغرافي، فهناك المدرسة الفرنسية، والمدرسة الانجليزية، والمدرسة الالمانية، والمدرسة الايطالية، والمدرسة الاسبانية، والمدرسة الروسية، والمدرسة الروسية.

وقد قسم الباحث في هذه الدراسة مدارس الاستشراق بحسب انتماءاتها الثقافي والحضاري، باعتبار ان الاطار الثقافي والحضاري للمستشرقين اسهم في بلورة وتشابه هذه الافكار، وعليه فيمكن تقسيم المدارس الاستشراقية في هذا المبحث الى:

1/ المدارس اللاتينية: وتضم المدارس الفرنسية والايطالية والاسبانية

2/ المدارس الانجلوساكسونية: وتضم المدارس الانجليزية والالمانية والامريكية هذه الاخيرة ستكون محور الدراسة

3/ المدرسة السلافية: وتضم المدرسة الروسية

غير انه يمكن القول انه هناك صعوبة كبيرة في تصنيف المدارس الاستشراقية كون هناك اختلاف وتشابه حتى داخل المدرسة الواحدة، لكن تأثير العامل الحضاري والثقافي هو السمة المميزة لهذه المدارس.

المطلب الاول: المدارس الاستشراقية اللاتينية

تتوزع المدرسة اللاتينية على ثلاث اتجاهات تعتبر من المدارس العريقة في الاستشراق الكلاسيكي وهذه المدارس هي:

أ/ المدرسة الفرنسية وأهم روادها:

تعد المدرسة الاستشراقية في فرنسا من ابرز المدارس الاستشراقية، واغناها فكرا واخصبها انتاجا، ويعود سبب ذلك الى العلاقة الوثيقة التي تربط فرنسا بالعالم العربي والاسلامي قديما وحديثا، وكانت فرنسا موجودة في معظم علاقات العرب باوروبا في حالات السلم والحرب، فالعرب وصلوا الى حدود فرنسا واخافوها، وكانت فرنسا على علاقة وثيقة بدولة الخلافة العباسية في ايام شارلمان والرشيد، وشاركت في الحروب الصليبية وتطلعت الى احتلال اجزاء من الوطن العربي ، وغزا نابليون مصر، واقام معها سياسية واقتصادية معها، واحتلت فرنسا المغرب العربي وسوريا ولبنان، وهذا التاريخ السياسي المتواصل، جعل فرنسا من اوائل الدول الاوروبية التي عنيت بالدراسات العربية والاسلامية للاستفادة منها وترجمة آثارها وانشاء كراس علمية لتدريسها منذ القرن الثاني، واوفدت طلابها لمدارس الاندلس لدراسة الفلسفة والحكمة والطب فيها، ومنذ وقت طويل انشأت كراس في المعاهد والجامعات الفرنسية لدراسات اللغات الشرقية، ومنها اللغات الشرقية، ويوجد في مكتبة باريس الوطنية اكثر من سبعة آلاف مخطوط عربي، ونوادير من الآثار الاسلامية من نقود وأختام وخرائط، وأسهم المسيحيون اللبنانيون في نقل بعض المخطوطات العربية الى فرنسا¹.

في حين أن الدراسات العربية في فرنسا، أو معرفة اللغة العربية ، تعود الى العصور الوسطى بسبب وجود الترجمات ، إلا أن الاستشراق كنظام علمي لم يتحقق حتى القرن السابع عشر في جهد تدريجي تحت إشراف الدولة الملكية، منذ بداية القرن السابع عشر ، أدت الرغبة في بناء مجموعة ضخمة من المطبوعات الدينية المسيحية إلى اكتشاف النصوص السريانية والعربية. في ظل الافتقار إلى المتخصصين الفرنسيين، ناشدت السلطات الدينية والعلمانية الموارد في روما للقيام بهذا العمل لتحرير

¹ احمد فاروق النبهان، الاستشراق : تعريفه، مدارسه، اثاره، المغرب: المنظمة الاسلامية للعلوم والثقافة اسيسكو، 2012،

النصوص الشرقية وأصبحت الكلية الملكية ، الكلية الفرنسية الحالية ، أول مكان للتدريس في عهد لويس الثالث عشر و لويس الرابع عشر¹.

وصدرت في فرنسا مجلات اهتمت بالتراث العربي والاسلامي والتعريف به، واستطاع الادب العربي ان يؤثر في الادب الفرنسي، وانتشرت بعض الكتب الأدبية العربية في فرنسا، كما تأثر بعض المفكرين الفرنسيين بما اطلعوا عليه من تراث العرب وفلسفتهم من امثال: ابن رشد، وابن خلدون، والنزعات الصوفية، واستعملوا كثيرا من المصطلحات الدينية التي كانت في التراث العربي الاسلامي، ومن ابرز المستشرقين الفرنسيين الرئيسيين الذين اهتموا بالحضارة العربية الاسلامية²:

1-بوسنل(1508-1581) الذي تعلم اللغات الشرقية، وقام بتكوين الطلائع الاولى لجيل المستشرقين، ودرس اللغة العربية في فيينا، وكتب عن قواعد اللغة العربية وعن التوافق بين القرآن والانجيل ، وعن عادات وشرعية المسلمين.

2-البارون دي ساسي(1758-1838) وكان مكلفا بالمخطوطات الشرقية في مكتبة باريس الوطنية، وكتب عن قدماء العرب وعن اليمن وعن ديانة الدروزو واهتم بكتب القزويني ولخص بعض الكتب العربية، وكتب عن تاريخ مصر وعرب الحجاز، وكان من مؤسسي الجمعية الاسيوية ورئيسا لها ، وقضى حياته في خدمة الاستشراق بالتأليف والترجمة والتحقيق والنشر وكان من ابرز المستشرقين في عصره.

3-كاترمير(1782-1852) وكان من تلاميذ البارون دي ساسي ورئيسا لتحرير المجلة الاسيوية و يتميز بكثرة انتاجه العلمي وكثرة مصنفاة عن الاسلام، وثقافته، وحضارته، واهتم بمصنفات الميداني، وترجم كتاب" السلوك لمعرفة دول الملوك" ونشر كتبا قيمة منها بعض مختارات من مقدمة ابن خلدون، وصنف كتابا عن اللغة العربية وآدابها.

3-البارون دي سلان(1801-1878) وكان من تلاميذ دي ساسي، واهتم بدراسات المغرب ونشر ديوان امرئ القيس، وترجم لبعض المشهورين في الاسلام، وصنف عن البربر والاسر الاسلامية التي ملكت في

¹ LAURENS Henry, *L'orientalisme français : un parcours historique*, dans *Penser l'Orient*, de Youssef Courbage et Manfred Kropp, ouvrage collectif, p. 103-128

² المرجع نفسه، ص 23

شمال افريقيا، ونشر منتخبات من تاريخ مصر وكتب في المجلة الاسيوية عددا من البحوث عن المجاز في بعض مفردات الشعر العربي، وترجم كتبا هامة عن شمال افريقيا والمغرب، والمغرب والسودان وموريتانيا.

4- جاك شربونو Jacques Auguste Cherbonneau (1813-1882) وكان من تلاميذ دي ساسي كذلك واهتم بادب العرب في السودان، وتاريخ بعض الاسر الحاكمة في بلاد المغرب وكتب عن تاريخ العباسيين، ورحلة العبري الى شمال افريقيا، وتاريخ اسرة بني حفص، وتاريخ الادب العربي في السودان، وكان استاذا للغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية.

وكتب ادmond Fagnan (1846-1931) عن فقه سيدي خليل في الفقه المالكي وقام بترتيبه، وترجم كتاب (المعجب في تلخيص اخبار المغرب) لعبد الواحد المراكشي، وكتب عن الزواج في الاسلام، وعن مفهوم الجهاد في الفقه المالكي، واهتم هيرت كليمان Huart Clément (1854م-1927) بالتراث العربي الاسلامي، وكتب عن الفنون الاسلامية والاداب والدروايش في الصوفية، واهتم ببعض النصوص التراثية، وترجم بعضها ونشر البعض الاخر و كان عضوا في العديد من الجامعات العربية والجمعيات العلمية.

وهناك العشرات من المستشرقين الفرنسيين الذين كونوا المدرسة الفرنسية، وقدرتها على البحث والمثابرة، من ابرزهم: شارل بيلا، مكسيم رودنسون، وليكونت، ومكيل انرو، وجاك بيرك، وبوسكه الذي اهتم بدراسة الفقه الاسلامي ولاوست وبلاشير، وماسينيون وبيروفنسال، ولا يمكن اغفال المكانة الخاصة للمستشرق لويس ماسينيون المتوفى عام 1962م، في مدرسة الاستشراق الفرنسية، نظرا لصلاته القوية بالعالم العربي، ومواقفه الموضوعية والمنصفة في الغالب من قضايا العالم الاسلامي ودفاعه عن حق العربي في ارضهم واستقلالهم.

واعد لويس ماسينيون Louis Massignon رسالته للدكتوراه عن آلام الحلاج في التصوف الاسلامي، واكد فيها أصالة الفكر الصوفي وعمقه، كما اتاحت له اتصالاته مع المؤسسات الاسلامية العلمية ومعرفته المباشرة، قدرة مباشرة على فهم الكثير مما كان يجهله غيره من المستشرقين، فلقد اتصل بالازهر واستمع الى دروس علماء الازه، وتابع منهجهم في التدريس واللقاء، وارثى الزي الازهري، ودرّس الفلسفة في الجامعة المصرية (جامعة القاهرة حاليا)، ورحل الى بلاد كثيرة، القاهرة وبغداد وحلب

والاستانة وبيروت، والجزائر وفاس والرباط، وتولى رئاسة تحرير مجلة (العالم الاسلامي) ثم مجلة (الدراسات الاسلامية) التي حلت مكانها.

وكوّن ماسينيون مدرسة استشراقية متميزة وله تلاميذه الذين تأثروا بمنهجه وطريقته، وأخذوا عنه موضوعيته، الا في بعض المسائل، وتشبعوا بأخلاقه، وترك ماسينيون ما لا يقل عن 650 الف اثرا ما بين تحقيق وتصنيف وترجمة وتأليف ومقال وتقرير ومحاضرة.

ب/المدرسة الايطالية وأهم روادها:

تعتبر ايطاليا ذات صلة كبيرة بالشرق منذ القدم، ويرجع بعض الباحثين هذه الصلة الى فترة ما قبل الميلاد، ونظرا لقرب ايطاليا جغرافيا من بعض البلاد العربية وافريقيا، وعندما فتح العرب صقلية توطدت هذه الصلة بين ايطاليا والعالم الاسلامي ثقافيا، وخاصة في عهد الملط روجار الاول وحفيده فريدريك الثاني، حيث كان بلاطهما محجا للعلماء والمتقنين من كل البلاد الشرقية، وكان لوجود الفاتيكان في ايطاليا اثر كبير في توطيد الصلة بينها وبين البلاد الشرقية، نظرا لما يوليه الفاتيكان من اهمية كبيرة جدا في التبشير بالدين المسيحي، ومحاولة تنصير الشرقيين في كل مكان، هذا ولم يظهر الاهتمام الرسمي لايطاليا بالدراسات الشرقية الا منذ القرن الحادي عشر، عندما بدأت الجامعات الايطالية في الاهتمام بالدراسات العربية والاسلامية، وابتدأت هذه الدراسات في جامعة نابولي سنة 1076.، ثم تبعتها بقية الجامعات الاخرى. وتتجلى ابرز سمات الاستشراق الايطالي في الاتي¹:

1-بدأ الاستشراق الايطالي رحلته بهدف ديني، ويتجلى هذا الهدف في ان معظم مؤسساته قد نشأت بجهود رهبان، ونذكر من هؤلاء البابا غريغوريوس الثالث عشر الذي انشأ الكلية المارونية في روما سنة 1584م، التي اهتمت بتدريس اللغات الشرقية في فلورنسا، واسس بعده الكاردينال بروميو مدرسة اللغات الشرقية وهكذا، ثم تطورت اهدافه الى استعمارية، وذلك عندما ادى دوره في احتلال ليبيا والحبشة والصومال، ومررت به في رحلته اهداف علمية تمثلت في زهاب الكثير من الايطاليين الى مراكز الحضارة الاسلامية طلبا للعلم والمعرفة.

2-كان للفاتيكان/ الوصي على الديانة المسيحية/ اثر كبير في ظهور الاستشراق الايطالي وتطوره.

¹ محمد فتح الله الزيايدي، الاستشراق اهدافه ووسائله، دراسة تطبيقية حول منهج بن خلدون في الدراسات الغربية، (دم)، دار قتيبة للنشر، 1998، ص 82

- 3- نظرا لغلبة الدافع الديني عليه فقد تركزت دراساته، وابحاثه على الاسلام والمسلمين وخاصة العرب منهم، الى جانب الاهتمام باللغة العربية وتأليف الكتب فيها وفي بعض لهجاتها.
- 4- نظرا لغلبة الدافع الديني فقد تركزت دراساته وابحاثه على الاسلام والمسلمين خاصة العرب منهم، الى جانب الاهتمام باللغة العربية وتأليف الكتب فيها وفي بعض لهجاتها.
- 4- كانت فترة الحكم العربي لصقلية تمثل اغراء كبيرا للمستشرقين الايطاليين في التخصص في الجوانب الاسلامية والعربية والتركيز عليها، ونظرة على مؤلفات كايثاني وسانتيلانا ونلليو وميكل انجلو جويدي، وغيرهم تعطي دلالة واضحة على ذلك.
- 5- تمكن بعض اعضائه من الرحيل الى المشرق والعيش فيه والتدريس في جامعاته وخاصة مصر، وقد تتلمذ عدد من قادة الفكر العربي عليهم على سبيل المثال طه حسين الذي درس على يد المستشرق نلليو.
- 6- تمكن بعض المستشرقين الايطاليين من نيل شرف عضوية اكثر من مجمع علمي في وقت واحد، ومن هؤلاء كارلو نلليو، وفرانشيسكو غبريالي، وانياتسو جويدي وغيرهم.
- 7- ساهم بجهد متواضع في نشر التراث الاسلامي والاهتمام به حفظا وفهرسة وتحقيقا.
- 8- تميز الاستشراق الايطالي عن غيره بوجود الكثير من المستشرقات اللاتي اسهمن بجهد وافر في مجال الدراسات الشرقية، ومن هؤلاء ماريا نلليو، واولجابنتو، وانجيلا كوداتزي، وبانتا وغيرهن كثير.
- 9- من مميزاته ايضا وجود ما يسمى بالوراثة العلمية، ففي مجال الاهتمام بالدراسات الشرقية نجد الابناء يسيرون على خطى آباءهم ويكملون ما بدأوه ويجمعون ما عملوه، وكمثال على ذلك جويدي وابنه ميكل انجلو وغبريالي وابنه فرنشيسكو ونلليو وابنته ماريا.
- 10- لا يكاد يوجد له اثر واضح في غير الدائرة العربية، أي انه لم يهتم بأجزاء الشرق الاخرى وخاصة الشرق الاقصى.
- 11- اهتم اخيرا بانشاء كراسي الدراسات والمعاهد الشرقية المتخصصة والمجلات والمعارض التي تهتم الشرق، وكذلك اسس مجموعة من المراكز الثقافية في مجموعة من الدول العربية.

تعتبر اسبانيا اقوى دول اوروبا صلة بالشرق، لقربها الجغرافي منه اولاً، ولاحتضانها اروع واعظم حضارة اسسها العرب خارج ديارهم دامت قرابة خمسة قرون كانت من القوة بحيث تركت آثارها ماثلة في الحياة الاسبانية ابتداءً بالاشكال الهندسية المعمارية، ومروراً بالعادات والتقاليد، وانتهاءً بالمكتبات العربية التي تمتلئ بنتاج العقول العربية الاسلامية في مختلف العلوم، التي كانت ولا تزال الاساس المرجعي الذي انطلق منه الغرب في بناء حضارتهم، من كل ذلك نجد الاهتمام الاسباني بالشرق امراً طبيعياً يحتمه الواقع التاريخي الذي مرت به اسبانيا، والذي خلف وراءه مادة علمية كبيرة كانت الدافع الاول الذي حرك الاسبان للاهتمام بالعلوم الشرقية والتخصص فيها، وهذا الاهتمام قديم قدم الحضارة العربية في الاندلس، فهو قد بدأ منذ ان احس الغرب-وفي مقدمتهم الاسبان- بالحاجة للعلوم العربية و تطور بعد ذلك الى ان وصل ذروته في القرن الثاني عشر ميلادي، في الفترة التي عرفت بعصر الاستعراب الاوروبي، والتي تعلق فيها الاسبان باللغة العربية وفتتوا بتذوق الاداب والفنون العربية تاركين كل ما يمت الى اللاتينية و آدابها بصلة، ثم اخذ هذا الاهتمام يضعف ويقوى حسب الظروف والاحوال، تحركه دوافع كثيرة شأنه شأن بقية الاستشراق الاوروبي عموماً، وتكمن اهم ميزات الاستشراق الاسباني¹:

1-الدافع العلمي هو المحرك الاول للاستشراق الاسباني، فالرغبة في تعلم اللغة العربية من اجل دراسة وترجمة الكتب العربية كانت السبب الرئيس في اقبال الاسبان على حقل الاستشراق، والى جانب ذلك يبرز الدافع الديني المتمثل في المستشرقين الرهبان الذين شكلوا تياراً مهماً في ميدان الاستشراق الاسباني.

2-يكاد الاستشراق الاسباني ان يكون مشابهاً للاستشراق الالمانى في التركيز على التراث العلمي، والاهتمام به حفظاً وفهرسة وتحقيقاً ونشراً، ولعله امتاز عنه بامتلاك جزء كبير من التراث في المكتبات الاسبانية.

3- على الرغم من ان القرن العشرين شهد انخفاضاً واضحاً في العمل الاستشراقي من حيث المستوى الكمي، الا اننا نجد شذوذاً عن ذلك في الاستشراق الاسباني، يمثلته عدد من المستشرقين الاسبان وفي طليعتهم العالم الكبير اسين بلاسيوس الذي خلف ما يقرب من مائتين وخمسين كتاباً بعضها في عدة

¹ المرجع نفسه، ص 92

مجلدات، وكذلك غونزالث بلانسيا، الذي خلف ما يقرب عن ثلاثمائة وعشرين كتابا وبحثا، وهو عدد يذكرنا بما تميز به الالمان في مراحل الاستشراق الاولى من تفرغ للبحث والانتاج العلمي.

4- له نشاط ملحوظ في ترجمة الكتب العربية ونشرها، وهو الامر الذي كان له الى جانب الاستفادة العلمية الاوروبية اثر في تعريف الانسانية بالفكر العربي الاسلامي، ومن اشهر المترجمين اميلو غرسباغومث.

5- شهد الاستشراق الاسباني نشاطا كبيرا في القرن التاسع عشر وما بعده وكان ذلك بسبب الاقبال الكبير للباحثين الاسبان على ميدان الدراسات الشرقية الذي جلبهم اليه وفترة المخطوطات العربية التي ضمتها المكتبات الاسبانية.

6- الفلسفة والتصوف والادب والتاريخ ابرز الميادين التي ركز عليها المستشرقون الاسبان وانتجوا فيها مؤلفات كثيرة ومن ابرز البارزين في هذه الميادين بلاسيوس وريموندو، والاب داريو.

7- كان للقساوسة والرهبان اثر واضح وفي تنشيط الاستشراق الاسباني، وذلك بانخراطهم الشخصي في هذا الميدان، او بدفعهم الباحثين الآخرين اليه، ومن اشهر هؤلاء يوحنا الاشقوبي، وبدرو القلعاوي، وريموندو مارتيني، وكانيس.

8- فهرسة المخطوطات العربية احد المجالات التي اهتم بها المستشرقون الاسبان، وكان لهم فيها دور واضح، ومن الاسماء اللامعة في الفهرسة: غينغوس وسلفادور غوميث والاركون.

9- يشترك مع الاستشراق الايطالي في وجود الكثير من المستشرقات وخاصة في العصر الحث الذي شهد انضمام الكثير منهن الى حقل الاستشراق، ومن ابرزهن رفائلا ماركيث، وماريا فاتكيث وخواكينا ايبانيث وغيرهن كثير.

10- له مساهمة فعالة في النشاط الصحفي الاستشراقي، وذلك من خلال مجموعة هائلة من المجالات الاستشرافية والتي تصدر في اسبانيا وأهمها مجلة الاندلس ومجلة افريقيا، ومجلة المنارة، ومجلة منتجات من الدراسات العربية والعبرية... الخ.

11- يعتبر المعهد الاسباني العربي للثقافة الذي يديره المستشرق اسين بلاسيوس واحدا من اهم مكانين نشط فيهما الاستشراق الاسباني، كما تعتبر مكتبة الاسكوريال اهم المكتبات التي انطلق منها، وذلك لما تحويه من نفائس التراث العربي والاسلامي.

12- ليس الاستشراق الاسباني مساهمة واضحة في الامور السياسية والاستعمارية كما هو الحال لدى غيرهم من مستشركي البلدان الاوروبية الاخرى.

وقد تأسس الاستشراق الاسباني في القرن 19م، وقد كانت اسبانيا تمثل الاخر الشرقي داخل اوروبا، ولم تكن المنطقة تتناسب مع القرن 19م الاوروبي، بسبب هويتها الشرقية، وقد لاحظ الزائرون الفرنسيون والبريطانيون ان الارث الاسلامي يمثل الهوية الاسبانية، وقد اعترف ادوارد سعيد ان الحالة الاسبانية تشكل استثناء لان العلاقة مع الشرق تقوم على التعايش وليس المواجهة¹.

علاوة على ذلك ، عندما تأسست الدراسات الشرقية في فرنسا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، تم تضمين إسبانيا فيها بدأت الدراسات مع غزو نابليون مصر عام 1798 ، وكذلك استشراق ايبيريا مع الغزو النابليوني عام 1807، اسبانيا كانت بالنسبة للعلماء الفرنسيين جزء من الظاهرة الاستشراقية².

المطلب الثاني: المدارس الاستشراقية الانجلوساكسونية

تعتبر المدرسة الانجلوساكسونية من اعظم المدارس انتاجا وغزارة في دراسة الاخر ولا سيما الشرق، ولهذا يمكن تقسيم هذه المدرسة الى ثلاث : المدرسة البريطانية والمدرسة الالمانية على ان يتم التطرق الى المدرسة الامريكية في الفصل التطبيقي.

1/ المدرسة البريطانية وأهم روادها:

يرى بعض الباحثين بداية الاستشراق الانجليزي الى مرحلة ما قبل الحروب الصليبية حيث توجه نفر من الانجليز الى الاندلس للدراسة في جامعاتها ومدارسها ومن هؤلاء ادوارد باث Adelard of Bath (1080_1135)، الذي قام برحلات واسعة في الاندلس وسوريا ودرس خلالها اللغة العربية والعلوم الاسلامية³.

تتميز المدرسة الاستشراقية البريطانية بالعمق والدقة، وهي اكثر المدارس صلة بالشرق، وخاصة بالشرقين الاوسط والاقصى، وكانت صلات بريطانيا بالشرق قوية عن طريق الاتصالات الثقافية

¹ Beatriz Marín Aguilera, **ORIENTALISING SPAIN: THE 'OTHER' FROM WITHIN** ، SPAIN; EDITADO POR ARKEOGAZTE-K EDITATUA. 2016, P84.

² ibid

³ Bernard Lewis, **British contribution to Arabic studies**, London. 1941, p9

والسياسية والعسكرية والاقتصادية، وكانت المدرسة البريطانية وثيقة الصلة بمنطقة الخليج والعراق وفلسطين ومصر، بالإضافة الى صلاتها الوثيقة بالهند، والاسلام في المنطقة الهندية له تراث عريق، ولا يمكن اغفال اهمية تلك البلاد الهندية في اغناء الفكر الاسلامي، ومن الطبيعي ان تتأثر المدرسة الانجليزية باهتمامات المناطق الجغرافية التي تسيطر عليها، وان توجه اهتمامها لفهم اسلام كل منطقة ومكوناته وفكره وتراثه وقضاياها، ولئن كانت المدرسة الفرنسية تجد في افريقيا الشمالية ساحة رحبة لاهتمامها وتدرس الحضارة الاسلامية من خلال تاريخ هذه المنطقة، فان المدرسة الانجليزية تبحث عن الحضارة الاسلامية في المنطقة الاسلامية من اسيا في الهند والصين والعراق وفلسطين، ولان الغرب اكتشف مصالحه الحيوية في الشرق، انشئت الكراسي العلمية للدراسات الشرقية، تكونت نواة المدارس الاستشراقية، وكانت جامعة اكسفورد من اوائل الجامعات الانجليزية التي انشأت قسما للدراسات الشرقية، ثم الدراسات العربية والاسلامية عام 1636م، وأشرف عليه كبير الاساقفة "لود" وعرف بكرسي "لود"، وفي عام 1633 استحدث السير توماس ادامز اول كرسي للدراسات العربية في جامعة كامبردج، وانشأت جامعة لندن كرسي اللغة العربية، ثم انشأت كرسي للدراسات الاسلامية اشرف عليه بكنجهام. ثم اخذت الجامعات الانجليزية الاخرى تنشئ اقساماً للدراسات الشرقية ومعظم الجامعات الانجليزية اليوم تدرس اللغات والدراسات الشرقية، ثم اخذت هذه الجامعات تنشئ مدارس وكليات تابعة لها، في افريقيا، والبلاد العربية والاسلامية وفي الهند وباكستان¹.

واهتمت مكتبة المتحف البريطاني في لندن بالتراث الشرقي، وضمت اليها مكتبات بعض القناصل الذين عملوا في القاهرة وبغداد ومسقط ودمشق، وجمعوا كثيرا من المقتنيات الشرقية من مخطوطات ووثائق ومصاحف ومعاجم واوراق البردي ومسجلات رسمية، وهناك فهارس للمخطوطات العربية في المتحف البريطاني وضعها بعض الباحثين.، ومن ابرز المستشرقين الانجليز²:

1- هاملتون جيب Hamilton Gibb (1895-1917): ولد بالاسكندرية واتجه للدراسات الادبية، واهتم بتاريخ الثقافة العربية في جامعتي لندن واكسفورد، وكتب عن الاتجاهات الحديثة في الاسلام، وعن التفكير الديني في الاسلام، وعن الديانة المحمدية في الاسلام، وعن الديانة المحمدية، وعن الحضارة الاسلامية وعن الفتوحات العربية في اسيا الوسطى، وعن الحملات الصليبية، وعن النظرية الاسلامية عند ابن خلدون، وعن نظرية الماوردي في الخلافة.

¹ النبهان، مرجع سابق، ص 27-28

² المرجع نفسه، ص 29

وتبرز في كتابات هاملتون روح التعصب وتمثل شخصية المستشرق الذي يوجه اداته في البحث لتحقيق اهداف مسبقة، وكان يحرص على انتقاص اثر العرب في بناء حضارتهم، والتقليل من دورهم، والاشادة بأثر الترجمة عن اليونان في نهضة العرب العلمية.

2- آرثر جون آربري John Arberry Arthur (1868-1945): اتجه منذ دراساته الاولى الى اللغات اللاتينية واليونانية والفارسية، وتأثر بأستاذه نيكسون الذي اخذ عنه الاهتمام بالاستشراق، وتعلم منه العربية، وقضى فترة من حياته بالقاهرة، واشرف على قسم الدراسات القديمة بالجامعة المصرية، ونشر كتاب "المواقف والمخاطبات" للنفري في التصوف، واعد فهارس للمخطوطات العربية في جامعة كامبردج، وعين استاذاً بكرسي اللغة العربية في مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية، واعتبر ذلك شرفاً له، واهتم آربري بالدراسات الفارسية وترجم بعض التراث الفارسي، واهم اعماله العلمية ترجمته للقرآن، وهي ترجمة اقرب ما تكون الى التفسير، لانه لم يلتزم بضوابط الترجمة، وانما اراد اعطاء المعاني القرآنية وتوضيحها بأسلوب مشرق.

3-رينولد نيكلسون Alleyne Nicholson Reynold (1868-1945) يُعدُّ نيكسون من ابرز المستشرقين في المدرسة الانجليزية الذين اهتموا بالتصوف الاسلامي، وكان استاذاً بجامعة كمبريدج، وانصرف الى دراسة التصوف، وكتب مقالات عديدة عن الصوفية في الاسلام، واهتم بالتصوف الاسلامي، وسيرتي ابن الفارض، وابن عربي، ونشر ديوان جلال الدين الرومي (المتنوي) وديوان (ترجمان الاشواق) لابن عربي.

وهناك مستشرقون اخرون من ابرزهم السير توماس ارنولد Arnold Walker Thomas المتوفى سنة 1930م، وكان استاذاً بمدرسة اللغات الشرقية بلندن، وكان من المعجبين بالاسلام، ومرجليوث David Samuel Margoliouth المتوفى سنة 1940م، وكان استاذاً بجامعة اكسفورد ورئيساً لتحرير مجلة الجمعية الملكية الاسيوية، وكان عضواً في المجمع اللغوي بدمشق، واهتم بالمخطوطات العربية في المتحف البريطاني، وله آثار علمية واسعة وترجمات وتحقيقات علمية منشورة في المجالات العلمية عن الاسلام والتصوف والخلافة الاسلامية والشعر الجاهلي، و جون فيليببي John Bridger Phillby المتوفى سنة 1960م، وكان مهتماً بالجزيرة العربية ودراسة مناطقها وفكرها والحركة الوهابية، واشهر اسلامه، والفرد وجيوم المتوفى سنة 1962م، تخرج من اكسفورد، وكان عضواً في المجمعين العلميين العراقي والسوري، ومن آثاره (تراث الاسلام)، واهتم بدراسة الحديث والسيرة النبوية.

ويؤكد اصف حسين الصفة الاستعمارية للاستشراق الانجليزي بقوله " لقد ساعد الاستشراق الامبريالية في جعل الاحتلال امرا مشروعاً في نظرهم حيث شارك بعض المستشرقين اشتراكاً مباشراً في الادارات الاستعمارية بتقديم تفسيرات لكيفية تنفيذ فهم المواطنين للاسلام"¹ وقد اسهم الاستشراق في خدمة الاستعمار من خلال المناهج العلمية التي كان يقدمها على الشعوب المستعمرة.

ب/ المدرسة الالمانية وأهم روادها:

تعود جذور الاستشراق الالمانى الى مرحلة الحروب الصليبية الثانية 1147م، فلا يمكن فصله عن بيئته الاوروبية وطبيعة فكر العصور الوسطى، فقد شارك الالمان وتأثروا بالمصطلحات التي انتشرت في ذلك العصر، ومنها مثلاً قيام جوديفري فون فادربو (Waterbo G. Von) _ وهو سكرتير الاباطرة الالمان في القرن 12م- بتقديم دراسة وصفية عن النبيء محمد، في كتابه تاريخ العالم، وكذلك كتب فولفرام فون اشنباخ 1170-1220 Wolfram von Eschenbach الاديب الالمانى قصيدة بعنوان " فيلهلم" حاول ان يقدم فيها وصفا لمعركة بين المسلمين والفرنجة ويضفي عليها طابع الفروسية في كلا الطرفين وهي صورة تناقض الواقع حيث يقدم فتاة جميلة مسلمة تصبح مسيحية باسم جيبورغ تنادي بالتسامح.²

كانت الحروب الصليبية هي المحرك الالهم في علاقات الغرب المسيحي بالعالم العربي والاسلامى، ومن الطبيعي ان ينصرف اهتمام الالمان الى دراسة اللغات الشرقية بعد ان بدأت هذه الدراسات تحظى باهتمام العلماء في فرنسا وانجلترا، وكانت علاقات المانيا مع الدولة العثمانية قوية بسبب الروابط والمصالح السياسية والاقتصادية، وكان المستشرقون الاوائل في المدرسة الفرنسية هم رواد المدارس الاستشراقية في اوروبا كلها، ولما شعرت المانيا باهمية الدراسات الشرقية انشأت في جامعاتها معاهد اللغات الشرقية، ويوجد في برلين متحف للفن الاسلامى، وأنشأ فلايشر الجمعية الشرقية الالمانية التي تبنت نشر التراث العربي والاسلامى ونشر ذخائره وتوثيق صلة المانيا بالعالم العربي والاسلامى، ونشرت هذه الجمعية عددا من امهات الكتب العربية، واسس " هارتمان" الجمعية الشرقية الالمانية للدراسات الاسلامية، التي اصدرت مجلة " عالم الاسلام" كما اصدر المستشرقون عددا من المجلات عن الشرق

¹ Asaf hussain, "the ideology of Orientalism" in Orientalism , islam, and islamists, ed AHussain et al Vermont, Vermont, USA: 1984 PP 5-23.

² جرنوت ر، الدراسات العربية والاسلامية في جامعة توينجن، من كتاب الاستشراق الالمانى. الدراسات العربية والاسلامية بجامعة تويخين، تر: رضوان السيد، بيروت : دار صادر، (دت) ، ص 10. 39_43

وتراث الشرق و ومن ابرزها" مجلة الاسلام" التي صدرت عن معهد اللغات الشرقية بجامعة هامبورغ، وتهتم هذه المجلة التي انشأها المستشرق" كارل بيكر" بالتعريف بالتراث العربي والاسلامي والعناية به¹.

خلال النصف التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ، كانت الجامعات الألمانية في طليعة المنح الدراسية في الدراسات الشرقية. بالاعتماد على مسح شامل لآلاف المنشورات الألمانية حول الشرق، كانت دراسات الشرق الأوسط جزءاً من المناصب الجامعية التي تم تعريفها في البداية على أنها morgenliindische / orientalische Sprachen (شرقي) ، بما في ذلك "المشرق" بأكمله ، أي آسيا وأفريقيا ، ويطبق معظم اللغات من منطقة تمتد من الشرق الأوسط إلى الهند.²

وتتميز المدرسة الالمانية بالجدية والعمق والدقة، ومن الصعب تجاهل دورها في مجال البحث والدراسة، وبالرغم من انها بدأت في وقت متأخر فان المستشرقين الالمان اكادوا اصالة هذه المدرسة وقوتها وقدرتها على التصدي لقضايا فكرية هامة ومن ابرز علماء هذه المدرسة³.

1-كارل بروكلمان Carl Brockelmann (1868-1956م): يعد بروكلمان من اشهر المستشرقين الالمان بسبب كتابه الشهير" تاريخ الادب العربي" وتتلمذ على المستشرق" نيلدكه"، واخذ عنه اهتمامه بالدراسات العربية، وبدأ عمله العلمي بدراسة عن العلاقة بين كتاب " الكامل" لابن اثير وكتاب " اخبار الرسل" للطبري، وعين استاذا في عدد من الجامعات الالمانية، وعضوا في عدد من المجامع العلمية، ومنها مجمع دمشق، واشتهر بروكلمان بنشاطه العلمي وعمقه وصبره ودقته ، وله آثار علمية كثيرة، في التاريخ والسيرة والتراجم واللغات الشرقية القديمة، وفي علم الاصوات الاشورية، وفي القواعد النحوية و الصرفية للغات السامية، وله مشاركات كبيرة في دائرة المعارف الاسلاميه وكان يتقن احدى عشرة لغة من اللغات القديمة، ويعد كتابه تاريخ الادب العربي من ابرز الكتب اهمية وفائدة، واشرفت الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية على ترجمة هذا الكتاب الى العربية عام 1962م.

2/ جوزيف شاخت Joseph Schacht (1902-1969): تخرج شاخت من الجامعات الالمانية، وعين استاذا للدراسات الشرقية فيها وانتدب لتدريس فقه اللغة في الجامعة المصرية، ثم انتقل الى انجلترا، وعمل في الاذاعة البريطانية ضد بلاده، وحصل على الدكتوراه مرة ثانية من اكسفورد، وحاضر فيها، ثم عين

¹ النبهان ، مرجع سابق، ص 30

² Ursula wokoek, **German Orientalism; the study of middle east and islam 1800 to 1945**, , Simultaneously published in the USA and Canada by Routledge , 2009 p 1_2

³ النبهان ، المرجع نفسه، ص 30

استادا في جامعة ليدين في هولندا، وانتخب عضوا في عدد من المجامع العلمية ومنها المجمع اللغوي بدمشق، واهتم بدراسة الفقه الاسلامي، ونشر عدة كتب فقهية، منها كتاب " الحيل والمخارج" للخصاف، وكتاب الحيل في الفقه" للقزويني، وكتاب " اختلاف الفقهاء" للطبري، وكتب ابحاثا في علم الكلام عند الكلام عند علماء الاسلام، واهم آثاره " بداية الفقه الاسلامي" وهو كتاب ركز فيه على دراسة المذهب الشافعي من خلال كتاب " الرسالة" للامام الشافعي، وكتب عن تاريخ الفقه الاسلامي وآلّف كتابا سماه " المدخل للفقه الاسلامي" باللغة الانجليزية، واهتم بدراسة الشريعة والقانون في مصر، واهتم بدراسة المخطوطات العربية الموجودة في استنبول والقاهرة وفاس وتونس، وكان دقيقا في كتاباته الفقهية، واسع الاطلاع على مراجعه العلمية وكتاباته في تاريخ الفقه الاسلامي قيمة ومفيد، وتدل على عمق معرفته واطلاعه.

ومن المستشرقين الالمان تيودور نولدكه Theodor Nöldeke المتوفى سنة 1930م الذي اشتهر بأسلوبه العلمي وسعة المعرفة، وكان يعد شيخ المستشرقين، نظرا لمكانته العلمية، وكتب في تاريخ النص القرآني، كما كتب في التراث العربي وفي الشعر الجاهلي، واشتهر من المستشرقين الالمان كذلك كل من المستشرق " زاخاو" المنوفى سنة 1930م والمستشرق " فللهوزن" والمستشرق " مارتن هارتمان" المتوفى سنة 1918م، والمستشرق " اوجست فيشر" المتوفى سنة 1949م، تتميز المدرسة الالمانية بالدقة بالجدية والصرامة والدقة وعمق البحث وسعة المعرفة، وساهم المستشرقون الالمان بجهد كبير في خدمة التراث العربي الاسلامي، وآثارهم العلمية واضحة الدلالة على تميز المدرسة الاستشراقية بالتزام المنهجية العلمية¹.

¹ المرجع نفسه، ص 32

المطلب الثالث: المدرسة الإستشراقية السلافية الشرقية

تعتبر المدرسة السلافية ممثلة في المدرسة الروسية من اشهر المدارس الاستشراقية ولا تقل اهمية عن المدارس الغربية.

- المدرسة الروسية وأهم روادها:

على الرغم من ان روسيا تعتبر شرقية الملامح اجتماعيا وثقافيا وحضاريا وخاصة القسم الاسيوي منها، الا ان معظم الباحثين يعتبرونها خلاف ذلك، أي ان لها مستشرقين لا يختلفون كثيرا عن مستشقي البلاد الاخرى، خاصة اذا اعتبرنا الجانب الالاحادي في روسيا يمثل خطورة على الاسلام اكثر من تلك الخطورة التي يمثلها الاستشراق المسيحي الغربي ، وعلى اساس ذلك فالاستشراق الروسي يمثل ملامح خاصة جديرة بأن تضعه في احد المدارس الرئيسية في هذا الميدان¹.

وترجع صلة الروس بباقي دول الشرق، وبالاخص الدول الاسلامية منها، الى القرن الثاني عشر، وذلك حين وصف حجاج بيت المقدس رحلاتهم الى تلك الاماكن، ومن اشهرهم رحلة الاب دانييل (1106-1108) وقد كتبها بالروسية ثم ترجمت الى الفرنسية، ثم توطدت تلك العلاقات باكتساح المغول جزءا من روسيا وبفائهم هناك فترة تقرب من 240 عام، وكانت تلك الفترة كفيلة بصيغ تلك المناطق بالصبغة الشرقية، ولم يظهر الاهتمام العلمي بالشرق الا في العقود الاولى من القرن التاسع عشر الذي شهد بداية الدراسات العربية المنتظمة، ونشوء المدارس العلمية المتخصصة، وازداد هذا الاهتمام بالشرق- خاصة الجزء الغربي منه- اثر ازدهار العلاقات بين الاتحاد السوفياتي وبعض الدول العربية التي ما زالت قائمة الى الان².

وتتمثل بعض ملامح الاستشراق الروسي في الاتي:

1-ترجع اهتماماته بالدراسات الشرقية الى فترة قديمة، ولكنها لم تبدأ رسميا الا في العقود الاولى للقرن التاسع عشر

2-بدأ الاستشراق الروسي في الاهتمام باللغات الشرقية قبل الثورة البلشفية، وكان للاستشراق الالمانى دور واضح في تكوينه

¹ الزيايدي، مرجع سابق، 87-88

² المكان نفسه

3- اهتم كثيرا باللغات دون غيرها من العلوم الاخرى، وخص بالدراسة لغات اسبوية لم يهتم بها الاستشراق الاوروبي كثيرا، وذلك مثل التركية والصينية والمغولية والارمينية والكردية والفارسية وغيرها.

4- ركز اهتمامه ايضا على الادب العربي نثرا وشعرا ، ونتج عن ذلك مؤلفات كثيرة بالروسية تناولت اعمال الادباء العرب والمحدثين، نذكر منهم مائة واربعة وعشرين كتابا في ثلاثين لغة من لغات الاتحاد السوفيتي، ومن اعلام المدرسة الادبية كرتشوفسكي وكريمسكي.

5- كان للوجود الاسلامي في بعض مناطق الاتحاد السوفيتي اثر واضح كشف الى اليوم في مد الاستشراق فيها بمادة سخية للبحث والتحليل، وخاصة ما خلفه من مخطوطات كثيرة بالعربية والروسية لا زالت تكتشف الى اليوم، وفي هذا المقام يجب ان نذكر اعلام المسلمين في تلك المناطق كالخوازمي والبروني وابن سينا والفارابي.

6- نظرا لكثرة المخطوطات الاسلامية في روسيا فقد اهتم المستشرقون الروس بفهرستها ووصف كل الاثار القديمة، ومن ابرز المفهرسين ايفانوف وروما سيفيكتش.

7- ظهرت فيها المطابع الشرقية مبكرا ونتج عن ذلك طبع الكثير من نفايس الكتب في مختلف المجالات، ومن اشهرها مطبعة قازان وبترسبورغ.

8- للاستشراق الروسي نشاط واضح في اصدار المجلات الشرقية والمتخصصة، ولا زالت مجموعة تصدر منها الى الان، ونذكر من المجلات الاستشراقية الروسية مجلة الرسائل وعلم الاسلام، والاداب العالمية والحواليات الشرقية.

9- تتلمذ كثير من اعلامه في فرنسا وخاصة على يد مستشرقها الكبير دي ساسي.

10 - ليس له اهتمام واضح بالدراسات الاسلامية اذا ما قورن بغيره من الاستشراق الاوروبي.

11- للاستشراق الروسي مساهمات واضحة في دراسة اللهجات نتج عنها دراسات متعددة في لهجات مختلفة.

12- زاد اهتمامه بالعالم العربي، ووسع من اهتمامه بالدراسات الاسلامية اخيرا، وذلك اثر نشوء العلاقات الوثيقة بين الاتحاد السوفيتي وبعض الاقطار العربي.

13- في علاقاته بالعالم الاسلامي لا تختلف دوافعه واهدافه مع الاستشراق الأوروبي، خاصة في دراساته المعاصرة عن العالم الاسلامي.

اذن هذه هي اشهر المدارس الاستشراقية الكلاسيكية التي قدمت انتاجا غزيرا في دراسة الادب العربي والدين الاسلامي وعادات وتقاليد الشرق، وينبغي التذكير ان هناك مدارس اخرى كذلك معروفة بإسهاماتها الوفيرة كالمدرسة الهولندية والمدرسة اليوغسلافية والمدرسة البلجيكية... الخ.

خلاصة واستنتاجات الفصل الاول:

من خلال ما عرض في الفصل الاول حول الاستشراق فاننا نخلص الى النتائج التالية:

1- لا يوجد اتفاق شامل ومحدد حول مفهوم الاستشراق وهذا بالنظر الى رؤية كل باحث وزاويته العلمية التي ينظر منها، فهناك من يركز على ان الاستشراق هو دراسة لغات الشرق وعاداته وتقاليده، وهناك من يركز على الدين الاسلامي او الحضارة الاسلامية بشكل عام. وهذا الاختلاف مرده ايضا الى صعوبة تحديد الشرق جغرافيا.

2- انبثق عن مفهوم الاستشراق مفاهيم مشابهة كانت من صميم النقاش العميق الذي اثير منذ ان نشر ادوارد سعيد كتابه " الاستشراق " عام 1978م، وهذه المفاهيم جات لتفسر الاستشراق اكثر واعتبرت جزءا منه كمفهوم الاستعراب، الاستتراك والاستمصار... الخ، او مفاهيم مقابلة ترفض الاستشراق وتحاول ان تقدم قراءة معكوسة له كما فعل المفكر حسن حنفي الذي اتى بمفهوم الاستعراب كمشروع مواجه للاستشراق الغربي.

3- كان الاستشراق الكلاسيكي يعتمد على المناهج الفيلولوجية أي اللغوية وكان الادياب والمؤرخون هم من يطلق عليه لقب المستشرقين وانحسرت مواضيعهم في دراسة القرآن الكريم والسنة والنبوية والتاريخ الاسلامي وفسروها تفسيريا لغويا تاريخيا.

4- ادت الثورة في مناهج العلوم الانسانية والاجتماعية الى اقتحام الباحثين في علم الاجتماع و علم السياسة والعلاقات الدولية والانثروبولوجيا ميدان الاستشراق واصبح هؤلاء الباحثون يطلق عليهم بالمستشرقين الجدد.

5- ان معيار الفصل بين الاستشراق الكلاسيكي والجديد/ المتجدد صعب بالنظر الى تشابه الاهداف والغايات للمستشرقين على مر الازمان الا ان الثورة في مجال المناهج والفكر هي التي تصنع هذا الفصل الرفيع.

6- لا يمكن النظر الى المستشرقين دائما بصورة سلبية فما يحسب لهم انهم طبقوا المناهج العلمية في دراسة التراث الاسلامي واستفاد منهم الكثير من المفكرين المسلمين، بل ووقف بعضهم موقفا مشرفا من القران والسنة النبوية والنبية محمد.

الفصل الثاني:

الاستشراق الامريكي (البدايات،

المسار، الخصائص)

مقدمة الفصل:

يحتل الشرق الاوسط او المنطقة العربية مكانة هامة في الفكر الاستراتيجي الغربي بصفة عامة والامريكي بصفة خاصة، لذلك سبقت الحملات الاستعمارية في القرون الماضية دراسات وافية عن شعوب المنطقة تاريخيا وانثروبولوجيا، وشكل الاسلام كذلك مادة دسمة لهذه الدراسات كونه يدخل كمكون اساسي في هويات هذه الشعوب وثقافتها، ولا تزال الامم الغربية تقوم بالمزيد من الدراسات لعدة دوافع منها ما هو علمي ومنها ما هو استعماري ايدلوجي امبريالي.

ولا يمثل الاستشراق الأمريكي الاستثناء في ذلك، فهو قد بدأ في التطور والبروز بقوة غداة نهاية الحرب العالمية الثانية لما اعلنت الولايات المتحدة الامريكية نفسها كقوة عالمية رفقة الاتحاد السوفياتي، واستمرت بعد نهاية الحرب الباردة وصولا الى هجمات 11 سبتمبر التي اعادت بعث الاستشراق الأمريكي الجديد/ المتجدد، وعرفت معه اسهال شديد في عملية البحث والتقيب عن اسباب هذا الحادث وكيف يمكن التعامل مع حركات الاسلام السياسي الناشئة بقوة والتي لديها قواعد جماهيرية عريضة في الشرق الاوسط.

هذا الفصل سيعالج من خلال ثلاث مطالب تاريخ ظهور الدراسات الاستشراقية في الولايات المتحدة الامريكية ودوافع ظهورها واخيرا اهم الخصائص العلمية التي تميز الاستشراق الأمريكي عن غيره من المدارس الكلاسيكية الاخرى.

المبحث الاول: الدراسات الاستشراقية في الولايات المتحدة الامريكية: الخلفية التاريخية

قبل الغوص في تاريخ بداية الدراسات الشرق اوسطية في الولايات المتحدة الامريكية، يجدر الوقوف عند مصطلح الشرق الاوسط ودلالاته السياسية والاستراتيجية وبداية ظهوره في الفكر الاستراتيجي الأمريكي:

أ/ دور الفكر الانجلو امريكي في نحت مصطلح الشرق الاوسط :

منذ مطلع القرن العشرين اصبح علماء الشرق في الغرب يجدون في مفهوم الشرق دلالة غامضة، فظهر مصطلح جديد هو الشرق الاوسط، وظهرت مصطلحات اخرى كالشرق الادنى والشرق الاقصى وشرق قناة السويس، وارتبط ظهور الشرق الاوسط بضابط البحرية الامريكية الماريشال الفرد ماهان (1849-1914م)، وذلك سنة 1902 م، في اطار نظرية ماهان حول تأثير القوة البحرية في التاريخ، كتب ماهان مقالته في مجلة National Review البريطانية تحت عنوان "الخليج الفارسي والعلاقات الدولية" وكانت الفكرة الاساسية في اطروحته هي ان بريطانيا اذا ارادت السيطرة على الهند يجب ان تسيطر على الطريق المؤدي اليه، ويتعلق الامر بالخليج الفارسي، وكان يلفت نظر بريطانيا الى اهمية الخليج العربي محذرا من وصول روسيا اليه، وبالتالي قطع طريق الامبراطورية اليه، وحين صك ماهان هذا المصطلح كان يستحضر ما كتبه عن شرق آسيا ابان الحرب اليابانية الصينية، وفرض بريطانيا والولايات المتحدة على الصين سياسة الباب المفتوح، من هنا ارتبط الشرق الاوسط في ذهن ماهان بالشرق الاقصى، في الوقت الذي كان مفهوم الشرق الادنى لا يتجاوز تركة الدولة العثمانية في البلقان¹.

ان تبني هذا المصطلح، وبالتالي النظرية البحرية التي انتجته في الولايات المتحدة في ما بعد ، سيمكن من السيطرة على هاواي وكوبا وبورتو ريكو والفلبين والسيطرة على الكاريبي وبالتالي على امريكا الوسطى، مصطلح الشرق الاوسط لم يكن يدل على منطقة بعينها فقط بل منطقة تتقاسم شعوبها اللغة والدين والثقافة، بل صاغته توجهات سياسية وهو متغير لا ثابتا، وما جعل من شأن استيعابه ان يحقق مكاسب للقوى الاستعمارية في أماكن اخرى من العالم، كما ان تاريخ استعمالاته المعقدة يشي بذلك، حيث ان كل القوى الكبرى التي تعاملت مع المنطقة المذكورة، وتحديدا بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة، كل

¹ عبد الفتاح نعم ، اثر المعرفة المعاصرة في التطبيق الاستراتيجي للعالم: الاستشراق والفكر الاستراتيجي ودراسات المناطق، مجلة المستقبل العربي، مجلة المستقبل العربي العدد 453: تشرين الثاني/نوفمبر 2016، ص 71.

واحدة منها أطلقت تسميات تتناسب مع رؤيتها للمنطقة، وبالتالي عجت القواميس بتحديدات من قبيل: الليفانت او شرق المتوسط، وشرق قناة السويس الذي كانت تطلقه بريطانيا على الخليج او الشرق الاوسط الذي استخدمه الى اليوم¹.

وكان من دواعي نحت المصطلح ايضا رغبة ماهان في شد انتباه بريطانيا تجاه الخطر الالمانى في المنطقة، فقد كان هناك مشروع المانى يستهدف انشاء خط السكك الحديدية يربط بين برلين ببغداد، وقد استخدم ايضا للدلالة على المنطقة التي يقع مركزها في الخليج العربي، والتي لا تنطبق عليها عبارة الشرق الادنى او الشرق الاقصى، فالأول تركز حول الدولة العثمانية و الثاني حول الصين، في حين يقع الشرق الاوسط فيما بينهما، وبحسب جورج لينستوسكي فهذه المنطقة تمتد من مصر غربا الى الافغان شرقا، اما معهد الشرق الاوسط في واشنطن فيعتبرها واقعة بين المغرب وندونيسيا، ويذهب المعهد البريطاني للعلاقات الدولية الى ان الشرق الاوسط يضم كلا من ايران وتركيا وشبه الجزيرة العربية ومنطقة الهلال الخصيب وقبرص².

كان يقف وراء صك المصطلح واستعماله على الاقل رغبة بريطانية جامحة في الاستعاضة من الشرق الادنى الذي اطلقته فرنسا منذ نهاية القرن التاسع، وذلك للتطابق مع وجهات النظر الاستراتيجية البريطانية في المنطقة، فكان ذلك ضروريا في فترة ما بعد سايكس بيكو التي قسمت سوريا والعراق بين فرنسا وانكلترا، ووضعت فلسطين تحت نظام دولي خاص بها منح بريطانيا اساسا حق الانتداب فيها عمليا، والسيطرة بالتالي على الطرق البرية والبحرية للدفاع عن الهند في الخطط البريطانية، وفي عام 1911 سيقوم اللورد كيرزون حاكم الهند انذاك باستخدام العبارة للإشارة الى مناطق تركيا والخليج والخليج العربي وايران في آسيا بوصفها تمثل الطريق الى الهند، وبعد ذلك سيقترح سايكس مارك على مجلس الوزراء البريطاني انشاء المكتب الاسلامي في المنطقة لجمع المعلومات عنها، وتم الاتفاق على انشاء مكتب في القاهرة سمي بالمكتب العربي، وهو مكتب يقوم بجمع المعلومات الاستخباراتية عن المنطقة وتم الحاقه بالاستخبارات البريطانية في السودان، وذلك عام 1916-1918م³.

¹ المكان نفسه

² نعوم، المرجع نفسه، ص 72

³ المكان نفسه

وفي الحقبة الممتدة ما بين الحربين، ارتبط مصطلح الشرق الاوسط بالجانب العسكري في الامبراطورية البريطانية في المنطقة العربية، فأطلق على القواعد العسكرية البريطانية لما بين النهرين اسم قيادة الشرق الاوسط، واستقر اثناء الحرب العالمية الثانية ليشمل القيادات البرية والجوية تحت مسمى "قواعد الشرق الاوسط" وقد أثر المصطلح في العلاقة بالسياسات التي كانت تقف وراءه، فأصبح في الامكان الحديث عن نظام اقليمي شرق اوسطي، على الرغم من الاشكاليات الجغرافية والسياسية التي طرحها استعمال المصطلح في الادبيات العربية نفسها، لهذا هياً مصطلح الشرق الاوسط الارض لتبرير سياسات بريطانية و امريكية في المنطقة، وفي مقام ثان ساعد على ظهور نظام اقليمي فرعي في شكل منطقة قابلة للدراسة والاستغلال بجميع ابعاده العلمي والاقتصادي والمال، كظهور مؤسسة بنك الشرق الاوسط البريطاني مثلاً¹.

أ/1: من الشرق الاوسط الى الشرق الاوسط الجديد

استمر استخدام معرفياً وسياسياً وجيوستراتيجياً بالصورة نفسها الى ما بعد حرب الخليج الثانية، حين ظهر مصطلح جديد يدعى "الشرق الاوسط الجديد" الذي روج له حينذاك شمعون بيريز في كتابه "الشرق الاوسط الجديد" مشدداً على ضرورة بناء سوق شرق اوسطية اقتصادية على اسس ليبرالية لاطلاق مرحلة جديدة للسلام العربي- الاسرائيلي ومحاولة لدمج اسرائيل في المنطقة من خلال اتفاقيات سلام وتعاون اقتصادي وقضية الشرق الاوسط الجديد باتت تُقهم من خلال مجموعات الدول المؤلفة من الساحة العراقية- الايرانية والساحة اللبنانية- السورية والساحة الفلسطينية- الاسرائيلية، وتتداخل معها ثلاث قضايا حساسة تتمثل بالانتشار النووي والتمذهب وتحدي الاصلاح السياسي، فهذه الامور مجتمعة تحدد معالم الشرق الاوسط الجديد وفق رؤية الولايات المتحدة واسرائيل².

أ/2: من الشرق الاوسط الجديد الى الشرق الاوسط الكبير

ساهمت الولايات المتحدة باستراتيجياتها في ظهور هذا المصطلح، وذلك عام 1995 في التقرير السنوي الاستراتيجي الصادر عن مركز الدراسات الاستراتيجية القومية التابع لوزارة الدفاع الامريكية، حيث خصص فصلاً منفرداً للشرق الاوسط الكبير من المغرب حتى الحدود الصينية ليشمل المغرب العربي، واعاد بوش الابن استخدامه عام 2008 في قمة مجموعة الثماني، وهذه المرحلة ذهب البعض الى حد

¹ المكان نفسه

² نعوم، المرجع نفسه، ص 73

عدها قرنا امريكا جديدا، بحيث اصبح لمصطلح الشرق الاوسط الكبير حضور غير معزول عن اختبارات القوة التي جرت في افغانستان والعراق، وهناك الكثير من المحللين والمتابعين من يعدون غزو افغانستان ثم العراق، ثم الدخول على خط الانتفاضات الشعبية سنة 2011م، كلها محطات ترسم معالم الشرق الاوسط الكبير وفق الصيغة الامريكية تمخض عن برنامج ايزنستات الاقتصادي الموجه الى شمال افريقيا سنة 1999م، والذي كان يهدف الى تحويل المنطقة الى سوق مفتوحة تبرر الولايات المتحدة وجودها داخلها بمشروعها لنشر الديمقراطية في الوطن العربي، لتنتهي تسمية المنطقة سنة 2004 بالشرق الاوسط وشمال افريقيا التي يشار اليها اختصارا بـ ¹MENA.

أ/3: مشروع الشرق الاوسط حسب اطروحة برنارد لويس.

عند الحديث عن مشروع الشرق الاوسط الكبير لا بد من الاشارة الى مشروع المؤرخ والمستشرق الشهير برنارد لويس الذي طرح فكرته حول تقسيم المنطقة بما يخدم المصالح والاستراتيجية الامريكية وبما يحقق امن اسرائيل، فمشروع برنارد لويس لتقسيم الدول العربية والإسلامية، والذي اعتمده الولايات المتحدة لسياستها المستقبلية:

في عام 1980م والحرب العراقية الإيرانية مستعرة صرح مستشار الأمن القومي الأمريكي "بريجنسكي" بقوله: "إن المعضلة التي ستعاني منها الولايات المتحدة من الآن (1980م) هي كيف يمكن تنشيط حرب خليجية ثانية تقوم على هامش الخليجية الأولى التي حدثت بين العراق وإيران تستطيع أمريكا من خلالها تصحيح حدود "سايكس-بيكو"².

عقب إطلاق هذا التصريح وبتكليف من وزارة الدفاع الأمريكية "البنجاجون" بدأ المؤرخ "برنارد لويس" بوضع مشروعه الشهير الخاص بتفكيك الوحدة الدستورية لمجموعة الدول العربية والإسلامية جميعاً كلا على حدة، ومنها العراق وسوريا ولبنان ومصر والسودان وإيران وتركيا وأفغانستان وباكستان والسعودية ودول الخليج ودول الشمال الإفريقي.. إلخ، وتفتيت كل منها إلى مجموعة من الكانتونات والدويلات العرقية والدينية والمذهبية والطائفية، وقد أرفق بمشروعه المفصل مجموعة من الخرائط المرسومة تحت إشرافه تشمل جميع الدول العربية والإسلامية المرشحة للتفتيت بوحى من مضمون تصريح "بريجنسكي" مستشار الأمن القومي في عهد الرئيس "جيمي كارتر- الرئيس الأسبق لأمريكا، تستطيع الولايات المتحدة

¹ نعوم، المرجع نفسه، ص 74

² عادل الجوجري، برنارد لويس سيف الشرق الاوسط ومهندس سايكس بيكو 2 (دم) مكتبة جرير، 2015، ص 06

من خلالها تصحيح حدود سايكس بيكو بحيث يكون هذا التصحيح متسقا مع الصالح الصهيوني الأمريكي، في عام 1983م وافق الكونجرس الأمريكي بالإجماع في جلسة سرية على مشروع الدكتور "برنارد لويس"، وبذلك تمّ تقنين هذا المشروع واعتماده وإدراجه في ملفات السياسة الأمريكية الإستراتيجية لسنوات مقبلة¹.

ومن المفيد توضيح حقيقة هامة هي ان مشروع برنارد لويس للمنطقة يتقاطع مع مشروعات عديدة وومائلة ربما استلهمت النموذج او السياق العام من لويس، وربما هناك تقارب فكري بين، المنظرين الكبار، وما تنتجه مراكز بحثية ذات طبيعة استخباراتية وعسكرية، لكن المهم هو ان فكرة تقسيم الوطن العربي تحتل فكرة اساسية في البيت الابيض و البنتاغون ومراكز صنع القرار الاميركي، وقد تبنى صناع القرار هؤلاء مشروع لويس وحولوه الى مشروع عمل واجراءات باسم "الشرق الاوسط الكبير".



الشكل رقم 1: خريطة الشرق الاوسط حسب برنارد لويس

المصدر: <https://al-omah.com>

أ/4: مشروع الشرق الاوسط حسب اطروحة رالف بترز

في دراسة مثيرة حملت عنوان " حدود الدم... نحو نظرة افضل للشرق الأوسط " Blood " How a better Middle East would look " عدد صفحاتها اقرب الى حجم المقال ، لكنها مع ذلك دراسة استراتيجية بامتياز ، نشرت في مجلة القوات المسلحة الاميركية .الكاتب رالف بترز Ralph Peters من مواليد عام 1952 .عمل ضابطا بالجيش الأمريكي حتى وصل لمنصب نائب رئيس

¹ المكان نفسه

هيئة الاركان للاستخبارات العسكرية الامريكية في وزارة الدفاع .وبعد تقاعده احترف الكتابة في المجلة العسكرية الأمريكية المتخصصة " أرمذ فورسز جورنال " وغيرها من الصحف الامريكية وتحوز كتاباته ومقالاته علي اهتمام واسع في الشارع الامريكي والعالمي. وهو يدعو دائما إلي إعادة تقسيم خريطة الشرق الأوسط بما يتفق مع المصالح الغربية للدرجة التي يدعو فيها البعض بلقب " البوق السياسي للرئيس الامريكي بوش الأب¹

الدراسة تتحدث عن تقسيم ايران والعراق والسعودية والإمارات وافغانستان وباكستان وتصل الى ان اعادة التشكيل ،تنتهي الى تأسيس دولة عربية شيعية كبرى ودولة لبنان الكبرى ودولة كردية ،والى تحويل ايران الى "قسم" من جغرافيتها الراهنة مع جعلها دولة فارسية ..الخ .وفى ذلك فالدراسة هي واحدة من اخطر الدراسات التي تحدد توجهات او اتجاهات استراتيجية شديدة الوضوح في اظهار جوهر الخطة الامريكية لتقسيم الدول العربية والاسلامية².

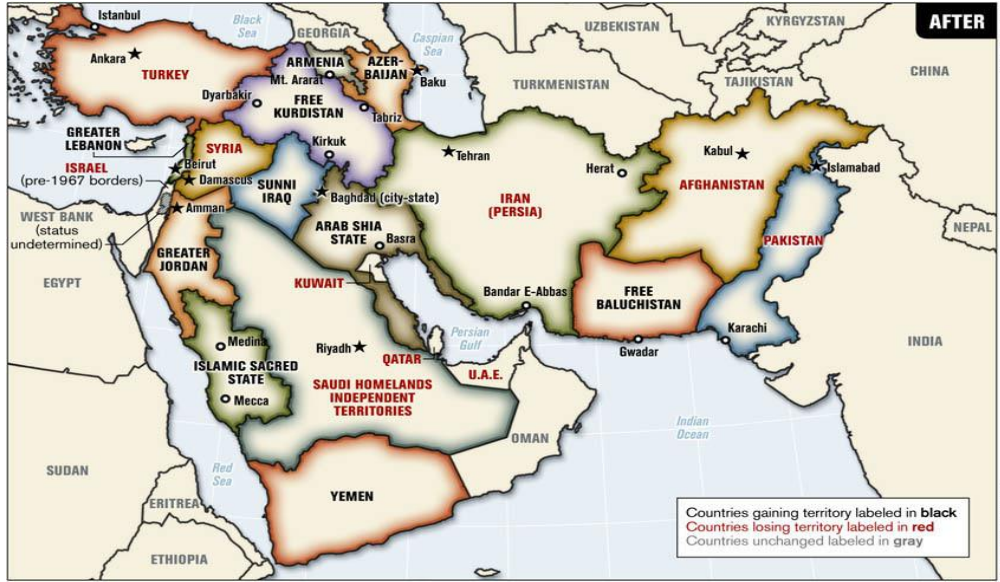
والدراسة تحدد تقسيم ايران لمصلحة ازربيجان وتقسيم افغانستان الحالية لضم جزء منها الى ايران (الفارسية) وتقسيم باكستان لصالح افغانستان جديدة وبهدف انشاء دولة بلوشستان وتقسيم السعودية لاجراء تغييرات بتوسيع الاردن واليمن وازضافة الاجزاء الساحلية إلي الدولة العربية الشيعية ، وتقسيم العراق لصالح دولة شيعية واخرى كردية وثلاثة سنية ... الخ هي اساس الانطلاق فى المنطقة العربية .وعن تشكيل دولة فينيقيا الكبرى بدلا من لبنان الحالية وعن اعادة تشكيل دولة الامارات العربية المتحدة ليذهب جزء منها الى دولة الشيعة الكبرى مع بقاء دبی "ملعبا للاغنياء وملذاتهم " ، والكاتب لا يستثنى نمم التقسيم والتغيير والتبديل للمكون السكانى والجغرافى إلا الكويت وعمان من كل الدول العربية والاسلامية فى الجزء الممتد من باكستان حتى لبنان³، والخريطة التالية توضح هذا التقسيم بالتفصيل:

¹ طلعت رميح، خطط تقنيت المنطقة : هل ستأخذ طريقها الى التنفيذ؟ العراق: مركز الكاشف للمتابعة والدراسات

الاستراتيجية، مارس 2011، ص 2

² المكان نفسه

³ رميح، المرجع نفسه، ص3



شكل رقم 2: خريطة الشرق الاوسط التي يقترحها رالف بيترز

المصدر: <https://guliistan.wordpress.com>

المطلب الاول: البدايات الاولى: بواكير الدراسات الشرق اوسطية في امريكا

ان تاريخ الدراسات المتخصصة بالشرق الاوسط، في الولايات المتحدة هو جزء لا يتجزأ من تاريخ الجامعات الامريكية نفسها، حتى وان عاد به بعض الباحثين الى نشاط المنصرين، فالواقع ان هؤلاء تحركوا من خلال المؤسسات التعليمية¹، فقد كان هناك عدد من مؤسسات التعليم تتمتع بنفوذ ثقافي معتبر، وهكذا بدأت دراسات الشرق الادنى من خلال مصالح المنصرين البروتستانت التي تضمنت انشاء الكلية السورية البروتستانتية التي تحولت الى الجامعة الامريكية في بيروت AUB وجامعة اخرى بالاسم نفسه في القاهرة، وكلية روبرت Robert باسطنبول، وسميت لاحقا جامعة البوسفور² Bosphorus.

لكن خيرى منصور يرى ان الاهتمام الامريكى بالمنطقة يذهب الى ابعد من ذلك بكثير، فهو يرى ان اول ما عنيت به اميركا من اللغات السامية اللغة العبرية، لتفهم التوراة تمهيدا لدراسة المسيحية، ولم تتل اللغة العربية من اميركا اهتماما الا مؤخرا، حين ادرك الاميريكيون ان للعربية صلة بالعبرية وانها اشد صلة باللغة السامية الاصلية، فكأنما هي مفتاح اللغات السامية بأسرها، وقد استطاعت في القرون

¹ هشام القروي، مراكز البحوث الامريكية ودراسات الشرق الاوسط بعد 11 سبتمبر، بيروت: مركز نماء للبحوث

والدراسات، 2013، ص 10.

² Zachary Lockman, *Contending Visions of the Middle East The History and Politics of Orientalism*, British: Cambridge press, p 114-115.

الوسطى ان تكون لغة المدنية العالمية كما يقول فيليب حتي¹، وقد كان اول اتصال للامريكيين بالعرب من خلال اتصال قادتهم الذين غزوا اريتريا في عصر الخديوي اسماعيل، ثم توقفت عرى هذا الاتصال بفضل فريق من رجال التعليم مثل دانيال بليس مؤسس الجامعة الاميريكية في بيروت وزميله تشارلز واطسن مؤسس الجامعة الاميريكية في القاهرة، وساعدهم في ذلك رجال الدين مثل د. فنديك الذي اشترك مع الشيخ اليازجي وبطرس البستاني في ترجمة التوراة الى اللغة العربية².

لكن هناك من يرى ان اول تاريخ امريكي حول الاسلام بدأ عام 1830 بعنوان "حياة محمد"، وقد خطه رجل دين امريكي اسمه جورج بوش (G.Bush)، وقد ردد هؤلاء الكتاب الامريكان افكار نظرائهم الاوروبيين حول العرب، حياتهم ودينهم عاكسين انماطاً فكرية وذوقية كانت شائعة في اوروبا على جمهور القراء الامريكيين³، وفي دراستها الرائدة لاهتمام الكاتب والشاعر الامريكي هيرمان ملفل تمكنت الكاتبة دوروثي فنكلشتاين من ان تقدم صورة دقيقة المعالم عن التواريخ والمؤلفات المتصلة بالعرب وحضارتهم التي كانت متاحة في عدد من المكتبات الاميريكية اثناء مرحلة حياة ملفل (1819-1891)، فاضافة الى توفر نسخ من الف ليلة وليلة كانت هناك ثمة ترجمات للقرآن الكريم، كما القارئ الامريكي المثقف قد توفر على مؤلفات مهمة بقدر تعلق الامر بالعرب وحضارتهم مثل المعجم التاريخي لبابل Bayel وتاريخ الجزائر لمورغان Morgan وتاريخ العرب لاوكلي، فضلا على تاريخ الحملات الصليبية لتشارلس مل Mill والتاريخ الكوني لمؤلف مجهول⁴.

وقد كانت هناك دراسات عامة وشاملة تناولت الماضي العربي والاسلامي ضمن سياق كوني، منها كتاب غيبون "انحطاط وسقوط الامبراطورية الرومانية" الذي تناول الفصل الخامس منه شخصية الرسول محمد(ص)، واحوال العرب قبل ظهور الاسلام، ومن ناحية اخرى كانت كتابات كبار المستشرقين الاوروبيين ترد الى امريكا تباعا حال طباعتها، حيث وجدت كتب دي ساسي De Sacy، وهامر برغستال

¹ خيرى منصور ، الاستشراق والوعي السالب، ط2، بيروت : مكتبة مدبولي، 2005، ص96

² المكان نفسه

³ محمد الدعوي، الاستشراق الاستجابية الثقافية الغربية للتاريخ العربي الاسلامي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،

2006، ص 126

⁴ المرجع نفسه، ص 127

Hammer Purgstall طريقها الى ايدي القارئ الامريكى في وقت مبكر من القرن التاسع عشر¹. وقد ظهرت عدة كتابات ومؤلفات عرفت الجمهور الامريكى بالشرق من خلال التجربة المباشرة.

ويرى المطبقاني ان الامريكيين حين ادركوا تخلف دراساتهم اللغوية، وانهم هذه الدراسات لن يفهموا العالم الخارجي ابداء، اقرروا مرسوم التعليم الدفاعي الوطني National Defense Education Act، للمساعدة في تأسيس الدراسات الاقليمية، فمن المؤكد انشاء الاقسام الخاصة بما يعرف بالدراسات الشرقية وقع ضمن النشاط العادي لهذه المؤسسات العلمية والتعليمية، لذلك فان أي نقاش عميق حول الشرق الاوسط من شأنه ان يوجه المرء بحكم الواقع للإشارة الى ذلك التاريخ، ولئن تنوعت التسميات، فان الموضوع لا يزال هو نفسه، سواء قلت "الشرق الاوسط" او "الشرق الادنى" او "الدراسات الشرقية" فالجميع يعلم انه تخصص مرتبط بمنطقة معينة، على الرغم من صعوبة تحديدها جغرافيا، او جيوبولتيكيا او باستخدام أي معيار اخر، ايًا كان الامر، فان الجامعات الامريكية تبدو دائما فخورة باظهار اقدميتها واسبقيتها في مجال هذه الدراسات، ويمكن لبعض الامثلة ان تلقي مزيدا من النور على هذا الموضوع².

تعود بدايات دراسة الشرق الاوسط في جامعة برنستون الى عام 1899م، عندما نظم هوارد كروسبي باتلر اول بعثة الى سوريا والاناضول، ولكن قسم اللغات الشرقية وادابها سمي فيما بعد الدراسات الشرقية ولد عام في عام 1927م، وترأسه هارولد بندر، وفي عام 1944 خلف فليب حتيبندر كرئيس لهذا القسم، وخدم في هذا المنصب حتى سنة 1954، واعيد تنظيم برنامج دراسات الشرق الادنى كبرنامج مستقل متشابه التخصصات مع التأكيد على العلوم الاجتماعية، التي تديرها لجنة مكونة من اعضاء اقسام الاقتصاد، والتاريخ والسياسة، فضلا عن قسم اللغات الشرقية وادابها، كان الهدف من البرنامج تلبية الحاجة الى اساتذة باحثين في علم الاجتماع والسياسة مختصين بالشرق الادنى من خلال توفير فرص دراسة اللغة والبحث في مجال العلوم الاجتماعية، فتاريخ قسم الشرق الاوسط والدراسات الاسلامية في جامعة نيويورك يدعي لنفسه تاريخا طويلا ومميزا، قد يكون بدأ مع تأسيس الجامعة في عام 1831م ، هكذا يبلغنا انه يجري تدريس العربية، والسريانية، والفارسية، والعبرية، والاثيوبية، كلغات شرقية منذ عام 1837، غير ان قسم لغات واداب الشرق الادنى (NELL)، انشئ في عام 1966³.

¹ المرجع نفسه، ص 128

² هشام العروي ، مرجع سابق، ص 11-15

³ المكان نفسه

وتزعم جامعة بيركلي بكاليفورنيا ان برنامجها الخاص بدراسات الشرق الاوسط يبلغ اكثر من مائة سنة" كان من شأن انشاء مركز دراسات الشرق الاوسط وتمويله اتحاديا باعتباره مركز موارد وطنية في عام 1965، يطور بشكل كبير اهمية دراسة المنطقة، وفي عام 1979 اعيد تنظيم المركز كوحدة مستقلة متعددة الاختصاصات ومتشابكة مع الاقسام الاخرى، اخير في عام 1989، اعترف مجلس امناء جامعة كاليفورنيا بمركز دراسات الشرق الاوسط كوحدة ابحاث منظمة وادرجه ضمن عمادة الدراسات الدولية والاقليمية التي تم انشاؤها انذاك"، وقد بدأ التدريس في مركز دراسات الشرق الادنى في جامعة كاليفورنيا، لوس انجلس في عام 1957م مع اربعة اكاديميين فقط،" انطلاقا من نواة مكونة من اربعة اساتذة" يقول موقع الجامعة الالكتروني" نمت الهيئة الاكاديمية المنخرطة في تدريس الشرق الاوسط والدراسات الاسلامية في جامعة كاليفورنيا لتشمل اكثر من ستين فردا، من اقسام العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية وغيرها من المجالات المهنية"¹.

وتفخر جامعة تكساس اوستن بتاريخ طويل من الاهتمام الاكاديمي بالشرق الاوسط، حيث انشئ مركزها لدراسات الشرق الاوسط في عام 1960، وهو يقوم بتقديم حوالي 300 درسا في اللغات الشرق اوسطية والدراسات الاقليمية، وتعلن جامعة شيكاغو ان مركزها الخاص بدراسة الشرق الاوسط، الذي يهتم بالمنطقة الممتدة من المغرب الى كازاخستان، كان انشئ في عام 1965 ، ونقول في تقديمه: " ان مركز دراسات الشرق الاوسط قد حظي بدعم اقسام العلوم الانسانية والاجتماعية في جامعة شيكاغو ومنح من وزارة التعليم الامريكية ومؤسسة ميلون لاكثر من ثلاثين عاما"، اما مركز دراسات الشرق الاوسط في جامعة هارفارد، فقد وقع تأسيسه في عام 1954، وفي تقديمه تعلن الجامعة انه" كان اول مركز من نوعه في الولايات المتحدة" على الرغم من انها لا توضح فيم يتمثل ذلك الانفراد بالمقارنة مع المراكز الاخرى، وتضيف" كان اهتمام المركز في الاصل يتركز على بحث كل الجوانب الكلاسيكية منها والحديثة في المنطقة، ولكن كما يتضح من نشاطه اليوم، فقد تنامت اهتماماته لتشمل المجتمعات والثقافات الاسلامية عبر العالم، ان سنة 1954 هي ايضا سنة تأسيس معهد الشرق الاوسط في جامعة كولومبيا، التي تعلن تقديمها له انه" ساعد في التوصل الى وضع نهج متعدد التخصصات على المستوى الوطني لدراسة الشرق الاوسط بداية من ظهور الاسلام حتى الوقت الحاضر، مع تركيز خاص على القرنين التاسع عشر والعشرين، من خلال تعزيز المقاربات المشتركة ومتعددة التخصصات للدراسات الاقليمية ، يركز المعهد على الدول العربية، وارمينيا وايران واسرائيل وتركيا واسيا الوسطى، والجاليات الاسلامية عبر العالم ،

¹ المكان نفسه

هناك ايضا الجمعية الشرقية الامريكية التي تعلن ان تاريخ تأسيسها يعود الى العام 1842م، الامر الذي يجعل هذه المؤسسة اعرق جمعية امريكية مكرسة للحضارات الشرقية"، وهناك العديد من الجامعات والمركز والاقسام التي اهتمت بدرسات الشرق الاوسط مثل جامعة ييل التي بدأت منذ القرن الثامن عشر¹.

المطلب الثاني: نهاية الحرب العالمية الثانية و بروز دراسات المناطق:

منذ بداية القرن العشرين حتى الحرب العالمية الثانية نادرا ما تجاوزت الدراسات والبحوث ذات التوجه الدولي في الكليات والجامعات الامريكية التاريخ والادب والاوروبي والكلاسيكيات والدين المقارن الى سنة 1940م، وانتجت الجامعات الامريكية ما لايزيد عن 60 دكتوراه في العالم غير الغربي المعاصر معظمهم تناولوا العصور القديمة².

مثلت نهاية الحرب العالمية الثانية نقطة انطلاق لانفتاح العلوم على بعضها البعض فيما عرف بالدراسات بين الحقول interdisciplinary، حيث فرضت ظروف الحرب على مختلف التخصصات ان تعمل في فريق واحد، فقد مثلت مكاتب الخدمات الاستيراتيجية والعسكرية مدارس للخريجين من مختلف التخصصات كالتاريخ والانثروبولوجيا وعلم النفس والاقتصاد وعلم الاجتماع، واصبح كل واحد من هؤلاء يدرس الظاهرة من منطلق قاعدته المعرفية وخلفيته الاكاديمية، مما ادى الى اخصاب متبادل لمختلف الحقول، وانتقال للاقترايات المتطورة من علم النفس والانثروبولوجيا الى علم السياسة³.

من ناحية اخرى تطورت الدراسات عبر الحقول، وتزايدت تفاعلاتها من خلال ما عرف بدراسات المناطق Area Studies، فمع ظهور العديد من المشكلات برزت اهمية التركيز على مناطق معينة نظرا للتعدد الثقافي والتاريخي في هذه الدول⁴.

ويعتبر حقل دراسات المناطق منتج معرفي اصيل للجامعات الامريكية، وقد عرفت اوج تطورها ابتداء من نهاية الحرب العالمية الثاني، فتأسست اول رابطة لدراسة المناطق سنة 1943، وهي رابطة

¹ المكان نفسه

² Szanton David L, **The Politics of Knowledge: Area Studies and the Disciplines**, California; Published in association with University of California Press 2002, p 06.

³ نصر محمد عارف، ابستمولوجيا السياسة المقارنة (النموذج المعرفي، النظرية، التطبيق)، القاهرة: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2002، ص249.

⁴ المكان نفسه

الدراسات الآسيوية، وفي سنة 1946، وتلا ذلك تأسيس جامعة هارفارد لمركز الأبحاث الروسية، وفي سنة 1950 تم تأسيس مركز الدراسات الصينية في جامعة كولومبيا، وفي فترة ما بين 1966/1953 كانت دراسات المناطق كانت دراسات المناطق قد انتشرت في 34 جامعة أمريكية¹.

وقد دمج دراسات المناطق كحقل معرفي في الباب السادس من قانون التعليم الأمريكي، وهو الباب الذي ينص من جهة على أهداف ودراسات المناطق كحقل معرفي في الجامعة الأمريكية وهي الأهداف التي تتمحور حول تشجيع المعرفة بمناطق العالم، وتشجيع دراسة اللغات الأجنبية وتدريب الأمريكيين على اكتساب الخبرة والفهم الدوليين لسد الاحتياجات الملحة للامن القومي، ومن جهة أخرى ينص هذا الباب على اليات تحويل الاكاديمية المتضمنة في حقل دراسات المناطق، وتعرّف دراسات المناطق من قانون التعليم العالي الأمريكي بأنها "حقل اكايمي تتداخل فيه التخصصات، ويهتم بنتائج علمي يمكن الاستفادة منه في عملية انتاج السياسات اتجاه المناطق"².

وقبل الحرب العالمية الثانية لم تكن اغلب الجامعات الأمريكية تهتم بدراسة منطقة معينة بذاتها كما هو الشأن بالنسبة للعديد من المستشرقين الذين الذين لم يهتموا ايضا بدراسة التطورات المعاصرة في الشرق الاوسط³، ويعزى الاهتمام بالمناطق ودراساتها في الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية الى سياق التطورات الاكاديمية التي صاحبت احداث بيرل هاربر سنة 1941، وهو ما جعل علماء الفيزياء المهتمين بتطوير القنبلة الذرية وعلماء العلاقات الدولية هم الاكاديميين الذين تأثروا بتلك الاحداث دون غيرهم، دون اغفال العداوة لليابان والاتحاد السوفياتي جعلت المختصين بالادب الياباني، والادب الروسي متخصصين بدراسة مناطق العدو، وينطبق الامر نفسه بالنسبة للباحثين في شؤون شمال افريقيا والشرق الاوسط الذين اصبحوا خبراء بتدبير مناطق العدو⁴.

هكذا انطلقت دراسة المناطق في الولايات المتحدة في كنف الحرب العالمية الثانية، وتطورت في ظل الحرب الباردة، وبالضبط حينما بدأت الولايات المتحدة تتصرف كقوة عالمية لها ارتباطات مصلحة

¹ حوسين بلخيرات، تراجع دراسات المناطق في الجامعات الأمريكية واثرها على السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الاوسط، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية، العدد 10 جوان 2018، ص 381.

² المكان نفسه.

³ Simon Bromley, **Rethinking Middle East politics**, 1st University of Texas, Press ed 1994 p 70.

⁴ عبد الفتاح نعم، "مساهمة الاستشراق الأمريكي في صعود دراسات المناطق"، مجلة تبين، الدوحة، العدد 3/9، 2014. ص24.

في كل انحاء العالم، فصورت دراسة المناطق نفسها كأسلوب جديد ينتظم ضمنه البحث العلمي، وكان الباحثون في هذا الاطار يرون انه بدل ان يقوم الفصل التام بين الباحثين في اطار علومهم، يجب عليهم ان يقوموا بوضع مقاربات تجمع حقولهم فيما سيتعلق بدراسة منطقة معينة، والقيام بانتاج معرفة مفيدة متصلة بالسياسة، وجرى التركيز على ان هذا الحق الجديد يقوم على العلوم الاجتماعية، بدل الاستشراق التقليدي الذي يعتبر المجتمعات والثقافات بنى ساكنة، كان لمجلس بحوث العلوم الاجتماعية دور كبير في ارساء هذه الدراسات، اذ سمحت لجنة بحوث مناطق العالم سنة 1946، بهدف تحديد المناطق الاجنبية الاكثر اهمية بالنسبة الى الولايات المتحدة ومن اجل دراستها اكاديميا في الجامعات الامريكية على اساس العلوم الاجتماعية، وستتطور هذه اللجنة لتشمل باقي العلوم الانسانية بعد ان تحصل على تمويل من مؤسسة فورد، وكان هاملتون جب من بين اعضائها، وبعد ذلك ستندفع الجامعات الامريكية الى تشجيع هذه الدراسات وتوسيع مراكز الدراسات الشرق الاوسطية في كل من جامعتي كولومبيا وبرينستون وهارفارد التي قامت بتزويد طاقمها الاكاديمي بباحثين من خلفيات عربية كالمؤرخ اللبناني فيليب حتي الذي اسس برنامج الدراسات الشرق الاوسطية في برينستون، واستمر في هذه الجامعة حتى تقاعده سنة 1954، وقد تولى الباحث دراسة موضوعات ذات صلة بالعالم العربي، بدعم من اللجنة العربية الاسلامية للمجلس الاميركي للدراسات الاجتماعية كما اشتهر بدراسة عن تاريخ العرب¹.

في الفترة الممتدة بين خمسينيات القرن المنصرم وستينياته، صعدت دراسة الشرق الاوسط بفعل اهتمام نخبة من المدرسين والطلبة بضرورة الحفاظ على سلطة الولايات المتحدة في المنطقة، وكذلك بفضل كثرة البرامج والمؤسسات الحاصلة على الدعم من مؤسسات وقفية، ثم الحكومات الفيدرالية في ما بعد، وفي نهاية الستينيات سيعرف المجال تزايدا مهولا في درجات الدكتوراه الممنوحة في مجال الشرق الاوسطية بباقي فروعها المهمة مجسدة في العلوم السياسية والانتروبولوجيا، وقد شاب هذه الدراسات في الولايات المتحدة بعض العيوب، واهمها افتقارها المستمر الى وجود رابطة تجمع شتاتها، لكن جرى في سنة 1946، افتتاح معهد الشرق الاوسط في واشنطن ليشرع في اصدار مجلته الفصلية المعنونة ب"مجلة الشرق الاوسط"، وكان اهتمامها يراهن على السياسة المعاصرة والعلاقات الدولية، خصوصا في ظل تزايد الاهتمام الاميركي بالمنطقة، لكن لم تعد الى البحث الاكاديمي من دراسة المناطق، ويشار الى ان الرابطة الاميركية لدراسة المناطق كانت قد انشئت في الخمسينيات ثم توقفت في الستينيات ليتم بعدها تأسيس رابطة دراسات الشرق الاوسط MESA سنة 1966 بتمويل من مؤسسة فورد، عقدت تلك الرابطة

¹ المكان نفسه، ص 25.

مؤتمرها الافتتاحي سنة 1967 للشروع في اصدار المجلة البحثية الفصلية الخاصة والمسماة المجلة الدولية لدراسات الشرق الاوسط، وسرعان ما ستتوسع هذه الرابطة لتضم اكبر منظمة في مجال دراسة المناطق في فرعها الشرق الاوسط¹.

ويعزى الفضل الاكبر في تطور هذه الدراسات الى الاحداث التي عرفتھا المنطقة، اضافة الى الاهتمامات الفكرية، اذ اهتم الدارسون الاميريكيون في هذه الفترة بدراسة التوراة والسامية، ولم يكن هناك باحثون على صلة بالشرق الاوسط سوى جيمس هنري بريستد المتخصص بالدراسات المصرية، وهو الذي كان قبل ذلك سنة 1919 قد قام بتأسيس معهد شيكاغو، لقد تطعمت المدرسة الاميريكية في الدراسات المنطقية بهجرة رواد الاستشراق الاوروبي الى اميركا امثال البريطاني جب وفون غرونباوم من النمسا وفرانز روزنتال من المانيا في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، على ان الدراسات دخلت طور المهنية بعد تأسيس رابطة الشرق الاوسط، كما سبقت الاشارة الى ذلك².

اجتازت هذه التجربة اربع مراحل تأثرت فيها بنظريات حقل العلوم السياسية وباهتمامات السياسة الاميريكية واهدافها الاستراتيجية التي اتجهت في الاساس الى احتواء المد السوفياتي، وضمان تدفق النفط وامن اسرائيل والمحافظة على الانظمة الموالية لها، وقد اثرت هذه الاستراتيجية في دراسة المناطق في اميركا هذه المراحل³:

المرحلة الاولى: امتدت من بداية الخمسينيات حتى نهاية الستينيات، واهتمت بموضوعات تتعلق بالحدثة والديمقراطية والليبرالية، في سعي نحو فهم طبيعة مجتمعات دول العالم الثالث والعوامل المؤثرة في العملية السياسية، من اجل اقناع الدول المستقلة حديثا بتبني نظرية الحدثة كبديل من الماركسية، وقد غلبت هذه المرحلة التفسيرات الثقافية عرض التحليلات، وهو ما يوضح تأثر دراسة المناطق بالارث الاستشراقي، وان كانت ترى في العسكريتاريا فرصة للتتوير السياسي.

المرحلة الثانية: بدأت من السبعينيات واستمرت حتى اوائل الثمانينيات، وكانت تعني بموضوع المشاركة السياسية، وتأثرت فيها الدراسات بالاحداث التي عرفتھا المنطقة كالثورة الايرانية واغتيال السادات الذي كان عمدا الى طرد الخبراء السوفيات، والاحتلال الاسرائيلي للبنان، وهو ما جعل الاهتمام ينصب على

¹ المكان نفسه

² المكان نفسه

³ المرجع السابق، ص26

محاولة فهم الاسلام السياسي، ومحاضرة تفسيره سياسيا ونفسيا وثقافيا واجتماعيا واقتصاديا، وقد غلبت على هذه المرحلة التحليلات الصحافية في اطار ما سمته اندرسون "مراقبة الملالي"

المرحلة الثالثة: ابتدأت من الثمانينيات حتى التسعينيات، وتميزت بالعودة الى دراسة الدولة وعلاقتها بالمجتمع المدني، وكيفية صنع السياسة العامة ودور الدولة كمنظم لعملية التحول الاقتصادي و السياسي والاجتماعي في المجتمع، ومن بين هذه الدراسات الاعمال التي قام كل من جياكولوتشياني بشأن "القبيلة والدولة في البحرين" وايليا زريق بشأن "الاعتبارات النظرية للدراسة اجتماعية الدول العربية" وجبرائيل بن دور بشأن "الدولة في تبني سياسة الانفتاح الاقتصادي"، الا ان جل هذه الدراسات المقارنة بين النظم الاقتصادية والسياسية في المنطقة.

المرحلة الرابعة: ابتدأت من التسعينيات، وعادت دراسة المناطق فيها الى تناول موضوعات تتعلق بالمجتمع المدني والديمقراطية والليبرالية، وحاولت بعث الامل في احراز الديمقراطية وايجاد توازن بين سلطة الدولة والقوى الاجتماعية، وشملت هذه الدراسات الانتاجات التي قدمها ريتشارد نورتن عن المجتمع المدني المدني في الشرق الاوسط في مجلدين، وريكس براينن وبهجت قرني وبول نوبل بخصوص عملية التحرر السياسي والتحول الديمقراطي في العالم العربي، وقد فشلت هذه الدراسات في فهم طبيعة السلطة والمجتمع في هذه الدول، نظرا الى غموض المفاهيم والمصطلحات المستعملة في الدراسة، والتي تجسدت في عدم تحديد ماهية الديمقراطية والمشاركة السياسية والعلاقة بينهما في المجتمعات الشرق الاوسطية.

لعل السمة المميزة لدراسة المناطق كما تبلورت في الولايات المتحدة هي اعتمادها الشديد على البحث المؤسسي لا على الجهود الفردية كما هي الحال بالنسبة الى العالم العربي، فالبحث المؤسسي المدعوم رسميا والمرتبب بسياسة الدولة العامة، وتحديدًا بالسياسة الخارجية، جعل عدد من مؤسسات البحث المناطقية تصل الى حوالي 4015 بحسب الاحصاءات المقدمة من طرف مؤسسة بروكينغ، وتكمن اهميتها في التقارير والابحاث التي تمد بها صانعي السياسة، فاستراتيجية التدخل في الشرق الاوسط، كالحرب على افغانستان والعراق، كانت موجودة على رفوف هذه المؤسسات في الولايات المتحدة الامريكية التي تعنى بدراسة المناطق: مؤسسة بروكينغ، مؤسسة هيرتاج، المؤسسة الاميركية للسياسات العامة التي اسست سنة 1942، مؤسسة هوفر للدراسات الحربية المؤسسة سنة 1919، معهد كاتو الذي اسس سنة 1977، ومؤسسة كارنيغي، مركز نيكسون للدراسات الاستراتيجية والدولية الذي اسس سنة 1962، معهد هودسن الذي اسس سنة 1961، ومعهد الدراسات السياسية الذي اسس سنة 1963،

يضاف الى ذلك معهد السياسة المستقبلية، ومعهد السياسة العالمية، ومركز التحاليل الدفاعية، ومؤسسة راند، ومؤسسات اخرى¹.

منذ التسعينات بدأت هذه الدراسات تزداد باطراد في كبريات المعاهد، والمراكز، وفي هذا الصدد تشير انا بيتريدج، رئيسة جمعية الشرق الوسط في شمال اميركا : الى ان نسبة الدراسات بشأن منطقة الشرق الاوسط زادت الباحثين المتخصصين بالاديان حوالي 8% بعد سنة 1992، وعلى الرغم من ذلك لم تسلم هذه الجهود من النقد على اساس استمرار الماضي الاستشراقي في انتاج هذه المؤسسات، ولا سيما من طرف الباحثين العرب والنقاد، فهؤلاء يعيبون على جميع اولئك الباحثين الارتباط الوثيق بسياسة الامن القومي الاميركي، امثال كناداف سافران الخبير في الجيش الاسرائيلي والاستاذ في هارفرد، وليونارد بيندر، الاستاذ في جامعة شيكاغو وعضو وكالة الاستخبارات المركزية CIA، علاوة على كل من كارلتون كون وهالبرن اللذين ارتبطا بوكالة CIA، وارتبطا في الوقت نفسه برابطة دراسة الشرق الاوسط وبالجامعات الاميريكية المهتمة بدراسة المناطق على المستوى السياسي، بالدرجة الاولى، هذه الوقائع كانت من بين انتقادات اخرى وجهت الى هذا الحقل برمته من جذوره الاستشراقية الى مظاهرة الاكاديمية الراهنة².

هكذا بات جليا ان دراسات المناطق ولدت في الولايات المتحدة كامتداد للتحويلات التي عرفتھا الدوائر الثلاث: دائرة حقل الاستشراق المأزوم، دائرة تحولات الفكر الاستراتيجي والاستراتيجيات الاميريكية، دائرة الحياة الاكاديمية للعلوم الاجتماعية، فالالتقاء بين نواتج تلك الدوائر هو ما ولد حقلًا اكاڊيميا بيينا ملتزمًا بسياسات الدولة التي ولدت في كنفها اتجاه منطقة معينة بذاتها، لكن توسعا في نطاق عمل الحقل المناطقي سيحدث ليشمل دراسات افريقية واسيوية واوروبية، وحتى اميريكية، في بلدان اخرى، كما ستتسع دائرة الاهتمام بدراسات المناطق لتضم باحثين من بلدان اخرى³.

¹ المرجع السابق ، ص 27.

² المكان نفسه

³ المكان نفسه

المطلب الثالث: الدراسات الشرق الاوسطية بعد هجمات 11 سبتمبر 2001

شكلت احداث 11 سبتمبر 2011م في الولايات المتحدة نقطة تحول فاصلة ليس فقط في تاريخ السياسة الخارجية الامريكية، وانما في تاريخ العلاقات الدولية المعاصرة ايضا، الى درجة دفعت المؤرخ الامريكي بول كينيدي الى القول ان "القرن الحادي والعشرين بدأ مع تلك الاحداث، الاحداث التي اعادت التفكير في الاسس التي ارتكزت عليها العلاقات الدولية منذ معاهدة واستقاليا 1948م¹.

و في أعقاب تلك الهجمات على الولايات المتحدة ، بدأ صانعو السياسة الأمريكيون في شن ما أطلقوا عليه "الحرب على الإرهاب" ضد ممثل غير حكومي يدعى القاعدة ، وأنصارها والحركات التابعة لها في جميع أنحاء العالم. منذ ذلك الحين ، بدأ عدد متزايد من المثقفين والأكاديميين الغربيين ينظرون إلى الأيديولوجيات التي تلهم هؤلاء الفاعلين من غير الدول في محاولتهم لفهم ما حدث بالفعل ، ولماذا حدث ، وكيفية التعامل معه ،ومع ذلك ، ظهرت ظاهرة جديدة أخرى في وقت واحد وتطورت خلال العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. إنه شعور بالخوف وعدم الراحة والخوف والكراهية إلى حد ما حول كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين. في حين أنه من الصحيح أن الحركات المتطرفة العنيفة التي تتصرف نيابة عن رؤيتها الغربية والمشوهة للدين الإسلامي هي أحد مصادر بعض التخوف من الإسلام والمسلمين ، فإن المشكلة تتفاقم بسبب بعض التصورات الأيديولوجية للإسلام والعالم الإسلامي. . تنشأ هذه الإنشاءات من بعض الدوائر اليمينية المحدودة داخل المجتمعات الغربية ، التي تنتمي بشكل رئيسي إلى مدرسة الفكر المحافظين الجدد.²

الاستشراق الجديد في القرن الحادي والعشرين هو مجموعة من المعارف والأخبار والتحليلات وتعليقات الشؤون الجارية ، تم إنشاؤها ونشرها من قبل ائتلاف فضفاض من المثقفين والنقاد وصناع الرأي ، وبدرجة أقل الشخصيات السياسية في الحياة العامة الغربية التي تتمتع علاقة خاصة وعاطفية مع إسرائيل والقضية الصهيونية. وبهذا المعنى ، فإن لها دوافع أيديولوجية³.

¹ احمد باي، السياسة الامريكية بعد احداث 11 سبتمبر 2001 وقضية التحول الديمقراطي في العالم العربي، " مجلة

دراسات استراتيجية"، مركز البصيرة للدراسات الاستراتيجية، الجزائر، العدد 11، جوان 2010، ص51.

² Salim Kerboua, From Orientalism to neo-Orientalism: Early and contemporary constructions of Islam and the Muslim world, *Intellectual Discourse*, University Malaysia. (2016), p23

³ Idem

ويوثق Wajahat وآخرون. ومجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية تمويل ونشر الدعاية المعادية للإسلام من قبل المؤسسات المرموقة والغنية ، ومراكز الفكر ، بالإضافة إلى الخبراء والسياسيين المفترضين في المشهد العام الأمريكي.. ويؤكدون على البعد الداخلي للحملات المعادية للمسلمين. ومع ذلك ، تجدر الإشارة إلى أن الفاعلين العاملين داخل الفضاء العام الأمريكي يساهمون أيضاً في الإنشاءات الخاصة للعالم الإسلامي ككل، كما يقوم مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (CAIR) بتحليل دور بعض نشطاء المحافظين الجدد والنقاد والسياسيين مثل دانيال بايس ونيوت جينجريتش وروبرت سبنسر وديفيد هورويتز في إنشاء تمثيلات سلبية للإسلام والعالم الإسلامي والمسلمين في الولايات المتحدة. من المهم الإشارة إلى أن هذه التمثيلات يتم إنتاجها من خلال خطاب خصوصيته الرئيسية هي أنه يربط بين الإسلام والأنشطة المرتبطة بالإرهاب والمسلمين والإرهابيين والحرب على الإرهاب والصراع الإسرائيلي الفلسطيني. علاوة على ذلك ، فإن هذا الخطاب الاستشراقي الجديد يقترن بدفاع قوي لسياسة إسرائيل تجاه الفلسطينيين¹.

ولقد اختلف التوجه العام للسياسة الخارجية الأمريكية بعيد أحداث 11 سبتمبر عن الانماط السابقة للسياسة الخارجية حيث اخذت شكل " التدخلية الشاملة"، مجسدة بذلك مبدأ التفوق الأمريكي كما صاغه المحافظون الجدد، وسيتم هذا النمط من التدخل الشامل الهادف الى تغيير اسس العلاقات الدولية على نحو جذري دون الاكتراث بالقيم الانسانية، وبالسيادة الوطنية للدولة، ويعلي من قيمة الحرب على ما يسمى الارهاب الدولي، دون ان يكون أي اتفاق او توافق او تراض على هذا المفهوم، ولا اليات احتوائه والتحكم فيه وفي مخاطره، وبرز ما في السياسة التدخلية الشاملة الأمريكية هي انها تركز على عملية هندسة اجتماعية وسياسية وثقافية للمجتمعات العربية والاسلامية الامر الذي يستدعي اعادة تركيب العقلية الجماعية لهذه الدول والمجتمعات حتى لا تمثل خطرا او تهديدا للأمن الأمريكي والغربي بصفة خاصة، وعلى هذا الاساس ايضا تبنت الولايات المتحدة مشروع ديمقراطية العالم العربي انطلاقا من اعتبار البيئة العربية الاسلامية ، السياسية، الاقتصادية والاجتماعية توفر الظروف الملائمة لتنامي الظاهرة الارهابية وانتشارها².

¹ Ibid, p 22

² باي، مرجع سبق ذكره، ص 52.

وفي هذا السياق يرى الكاتب المتخصص في دراسات الشرق الاوسط، ان احداث 11 سبتمبر اوضحت ان الاعمال الارهابية التي يمارسها مجاهدوا التيار السلفي من العالم الاسلامي، قد اصبحت التهديد التي تمثله كشف عن ان أزمات الشرق الاوسط لم تعد حبيسة الحدود الجغرافية للمنطقة، بل انها اصبحت قادرة على ان تصل بتبعاتها الى المواطنين الامريكيين في اراضيهم محدثة اضرارا كارثية، ويرى بولاث ان الكثير من دول المنطقة تواجه تحديات كبرى من شعوب ساخطة الى معارضة اسلامية مسلحة وقلقل اجتماعية، فضلا عن الازمات الاقتصادية ، ورغم خطورة محاولة التنبؤ باندلاع الثورات، الا ان كثيرا من دول المنطقة تظهر بها امارات القلاقل الداخلية التي يمكن ان تؤدي الى تغييرات مفاجئة وجذرية من نوعية الانقلابات والثورات والحروب الاهلية وضعف الدولة¹، واذا اخذنا في الاعتبار الاهمية العظمى التي يشكلها الشرق الوسط بالنسبة للاقتصاد العالمي، فان عدم استقرار المنطقة بسبب ضعف انظمتها يشكل حاليا ازمة ذات بعد عالمي¹.

أما بخصوص التفسيرات المقدمة لاحداث الحادي عشر من سبتمبر فقد تضاربت الاراء حول حقيقة الاحداث ومن يقف ورائها ومن المستفيد؟، هل تنفيذ اسلامي؟ ام صناعة امريكية خالصة؟ تريد الاستفادة منها عبر ما يسمى النظام العالمي الجديد، فقبل هذه الاحداث حاولت اطروحة صدام الحضارات لصموئيل هنتغتون صياغة رؤية جديدة مستقبلية جديدة للسياسات العالمية²، وان الصراع سيكون متمحورا بين الحضارات خاصة بين الحضارة المسيحية ممثلة بامريكا والغرب والحضارة الاسلامية ممثلة بالتيارات الجهادية والحضارة الكونفوشسية ممثلة بالصين.

ساهمت احداث 11 من سبتمبر من تعزيز نظرة الصدام الحضاري وان الاسلام هو العدو الاول لامريكا، وبرزت الى الواجهة مراكز البحث والافكار التي اولت اهتماما متزايدا لدراسة الظاهرة الاسلامية،

¹ بالفعل فقد صدقت هذه التنبؤات بعد عامين فقط من كتابة هذه الاسطر عندما اندلعت شرارة الاحتجاجات في كل من تونس ومصر وليبيا وسوريا مطلع سنة 2011 فيما عرف بموجات الربيع العربي او الثورات العربية ثم الجزائر وليبنان والعراق سنة 2019 فيما اطلق عليه موجات الربيع الثانية، ورغم توفر الظروف البنوية لهذه الاحتجاجات الا ان اندلاعها بتلك القوة وبهذه الوتيرة فاجأ المختصين الغربيين بدراسة الشرق الاوسط والمنطقة العربية وهو ما ادى الى طرح مقاربات جديدة لتفسير ما حدث وما نتج عنها نتعرف عليها في الفصل القادم.

¹ كنيث بولاك، الولايات المتحدة واستراتيجيات متكاملة في الشرق الاوسط رؤية امريكية " مجلة السياسة الدولية" القاهرة، العدد 175 يناير 2009، ص 30-31.

² يوسف جحيش، اشكالية القطيعة الاستمولوجية للإسلام السياسي بعد احداث 11 سبتمبر 2001 في العالم العربي - " المجلة الجزائرية للسياسة العامة" الجزائر، العدد 01، سبتمبر 2011، ص 136.

وتتبع أهمية هذه المراكز من تأثيرها الشديد في اليات اتخاذ القرار في الولايات المتحدة ومن النماذج في هذا السياق المعهد اليهودي المعروف لانحيازه الايدلوجي ضد كل الحركات الاسلامية، الى جانب معهد واشنطن لسياسات الشرق الادني والذي توسع فيه نفوذ اللوبي الاسرائيلي ومنتدى الشرق الاوسط الذي تأسس عام 1990، بالاضافة لمعهد بحوث وسائل الاعلام في الشرق الاوسط، ومهمته شرح سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الاوسط دون ان ننسى تأثير اللوبي الاسرائيلي والمتمثل في لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية (الايبيك) وهي زعيمة جماعات الضغط والتي تقوم بتشكيل الرأي العام والتأثير على سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الاوسط بعد حرب 1967 بين العرب واسرائيل¹.

وتعود ازمة دراسات الشرق الاوسط الى نهاية الحرب الباردة حيث تساءل البعض عما اذا كان الوقت قد حان للتخلي عن دراسات المناطق، التي بنيت على اساس ان هناك مناطق محددة من العالم و مقابل تطوير طرق جديدة لانتاج وتنظيم المعرفة تساعد على اضاء معنى على ديناميكية العولمة، وهذا ما ادى الى مؤسستي فورد وميلون الى تقليل تمويلها للبحث والتدريب المتمركز على مناطق 1993، وتدشين مشروع عولمة مشترك بدلا منه، وبعد سنة طلب رئيس مجلس بحوث العلوم الاجتماعية، تفكيك كثير من اللجان الاقليمية والتي ظلت لعدة عقود تشرف على انفاق المنح على ابحاث الدكتوراه وما بعدها وسعت الى وضع برامج بحثية في حقولها بدلا من ذلك انشأ المجلس برنامجا جديدا لمنح الرسائل العلمية يستطيع طلبة الدراسات العليا الذين يخططون لباحث عن أي جزء من العالم ان يقدموا طلبات بشأنها، بما يعني ان المتخصصين في الشرق الاوسط سينافسون على تمويل محدد للغاية مع اخرين متخصصين في شرق اسيا او افريقيا او حتى اوربا الشرقية، واختيار المشروعات الفائزة لن يقوم به المتخصصون في حقل دراسات منطقة واحدة وانما باحثون من نطاق الحقول، ودشن المجلس وفقا لخطوط مماثلة لجان ومشروعات جديدة تشجع البحث في تيمات عريضة ذات مضمون عالمي، مثلا: الهجرة الدولية، الجنسية sexuality و غني عن البيان ان هذه التحركات اثارت جدلا معتبرا داخل المجلس وعبر حقول ودراسات المناطق².

جاءت هجمات 11 سبتمبر 2001 لتوقظ الاحساس بأهمية الشرق الاوسط استراتيجيا وامنيا لكن الاهتمام الاكاديمي لم يكن بمنث ما يريده صناع القرار في امريكا، ويمكننا الحصول على صورة اكثر دقة

¹ المرجع نفسه، ص 137.

² زكاري لوكمان، مرجع سابق، ص 375.

من اعداد ونسب الطلاب الامريكيين المؤوية الذين يدرسون في بلدان اجنبية في الفترة التالية للحادي عشر من سبتمبر 2011م، استنادا الى البيانات التي يوفرها معهد التربية معهد التربية الدولية في الواقع، اذا صدقنا ما يقوله التقرير عن التبادل التعليمي الدول، الذي يغطي الفترة (جانفي 2000 - اكتوبر 2009) من المناطق التي اجتذبت الطلاب الامريكيين، فان الشرق الاوسط على ما يبدو هو الاقل تفضيلا بالمقارنة مع اوربا وآسيا او حتى افريقيا¹.

لم تكثف احداث 11 سبتمبر 2001م، فقط بتغيير النظرة في الشرق الاوسط في الولايات المتحدة وانما التصورات التي تهم تدريس المواد المتعلقة بهذة المنطقة، وكذلك كل ما يتعلق بالاسلام، ويتجلى ذلك على سبيل المثال من خلال دليل المدرس الذي انتجته جامعة كولومبيا للاستخدام من قبل الاساتذة، التوعية التربوية حول الحساسية الاسلامية، وهي وثيقة من 35 صفحة مقسمة الى وحدات كل منها تحتوي درسين او ثلاثة دروس مركزة على الاسلام وامريكا².

ورغم هذا الاهتمام المتزايد للمنطقة منذ احداث سبتمبر الا ان هناك عدم تناسب بين احتياجات امريكا والموارد البشرية المتاحة وهذا ما لاحظه رتشارد اكن، حيث كتب يقول: ان الولايات المتحدة تحتاج خبراء في الشرق الاوسط واوربا الشرقية واوربا الوسطى وجنوب شرق اسيا، كما تأكد مؤخرا تعيين المئات من الموظفين الاجانب في تلك المناطق من قبل وزيرة الخارجية كوندوليزا رايس، ولكن الاشخاص الذين تم تدريبهم في الجامعات او الكليات الامريكية لكي يصبحوا خبراء بهذه الثقافات يمثلون عددا قليلا.

وفقا لإحصائيات صادرة عن المركز القومي لإحصائيات التعليم منحت جامعات الولايات المتحدة في سنة 2003م ما مجموعه 75 من شهادة الدكتوراه في اللغة الفرنسية، و 09 فقط في اللغة الصينية، 06 في اللغة الروسية، و 04 في لغات جنوب شرق اسيا، ولم تمنح اية شهادة دكتوراه في اللغة العربية او في لغات اوربا الشرقية او اللغات الافريقية، إن عدد الطلبة الامريكيين الذين استفادوا من برامج التبادل مع البلدان الاسلامية كان ضئيلا، على النقيض من الطلاب الامريكيين الاثني وعشرين الف الذين يدرسون في ايطاليا كل عام و أن من يدرسون في مصر لا يتجاوز عددهم 573 وفي تركيا 200 وفي الاردن 65 لا اكثر" تنطبق هذه الملاحظات التي اباها اكن ايضا على الطلاب القادمين من

¹ هشام القروي، مرجع سابق، ص 131

² القروي، مرجع سابق، ص 139.

الشرق الاوسط للدراسة في الولايات المتحدة الامريكية، وعلى الرغم ان الارقام ليست قابلة للمقارنة فقد حدث انخفاض كبير في عدد الوافدين في اعقاب الحادي عشر من سبتمبر 2001 وهي قضية لا يمكن البت في اسبابها دون تحقيق¹.

وفي هذا الصدد يقول الباحث الامريكي الإيراني الأصل حميد دباشي انه مع انهيار الاتحاد السوفياتي وصعود الوهم الامبراطوري الاحادي القطب فقدت الاقسام المتخصصة بوضع دراسات الشرق الاوسط او الشرق الادنى في الجامعات الامريكية والاوروبية اسباب وجودها آنذاك، وانحسرت هذه الاقسام الى شكل مستقل، او توجهت نحو تعليم لغات امنية (او كما تسمى عن جدارة اللغات الهدف) أي العربية والفارسية والاردو على وجه الخصوص) في اوساط الاستخبارات، واضحت اقساماً نشطة للدراسات ما بعد الكولونيالية².

وحسب دباشي فان ازمة دراسات الشرق الاوسط تتجلى في ظهور كتاب مرتبطين بالاستخبارات الامريكية مثل مارتن كريمير Martin Kramer في كتابه ابراج العاج على الرمال: فشل دراسات الشرق الاوسط في امريكا "Ivory Towers on Sand: The Failure of Middle Eastern Studies in America" والصادر عام 2001 يعيب مارتين ، على اعضاء هيئة التدريس في اقسام دراسات الشرق الاوسط اخفاقهم في استشفاف او تفسير احداث مثل الحادي عشر من ايلول/ سبتمبر وهذا ما يحمل دلالة تنبئ عن التوقعات الدقيقة التي تعول عليها الاوساط الاستخبارية الامريكية والاسرائيلية في هذه الاقسام والتي عليها العمل في خدمتهم على اكمل وجه ان ان يعمد الى تفكيكها لانتفاء الحاجة اليها، ويأتي في المنحى ذاته النقد الذي صعدته ستانلي كورترز ضد الباحثين في حقل دراسات الشرق الاوسط على اساءة استخدامهم واستهتارهم بالفصل الخامس من قانون التعليم الجامعي، مع ما اثاره دانييل بايبس Daniel Pipes في موقعه الالكتروني campus watch ولاحقاً ديفيد هورويتز في اخر ما نشره الاساتذة: الاكاديميون المائة وواحد الاكثر خطورة في امريكا" تتجح ضروب الخدمات التي يقدمها مارتين كريمير، دانييل بايبس وديفيد هورويتز، وما يقدمه ستانلي مورترز ودينيس دي سوزا وزملاؤهم اللامعون في معهد هوفر الى مشاريع الامن القومي الامريكي كما يفهمها هؤلاء ويعرفونها، في تعويض اخفاقات قسم دراسات الشرق الاوسط التي ينتقدون فشلها في ان تحذو حذوهم وتدعم جورج بوش

¹ المكان نفسه، ص 140

² حميد دباشي، ما بعد الاستشراق: المعرفة والسلطة في زمن الارهاب، ترجمة: باسل عبد الله وطفة. ايطاليا ، منشورات المتوسط ، 2015 ص 272

الابن في حربه الصليبية الجديدة في افغانستان والعراق وربما ابعد من ذلك¹. وفي جانب اخر حدد الباحث البريطاني الشهير فريد هاليداي Fred Halliday ثلاثة مواضيع عريضة ، حول اللغة والدين والتاريخ على التوالي ، والتي تتغلغل في الكثير من الكتابة العلمية الغربية على الشرق الأوسط² ، والتي من دونها لا يمكن فهم الشرق الاوسط.

المبحث الثاني: اسباب وعوامل انبعاث الاستشراق الأمريكي الجديد

تعود ازمة الاستشراق الكلاسيكي الى اسباب عدة منها ما يتصل بطبيعة الموضوع (الشرق) الذي لم يعد بعيدا عن الدارسين الاوربيين بعد الحرب العالمية الثانية، وهم اذبن بانوا في غير حاجة الى علمهم الكلاسيكي لفهمه، ولم يعد ايضا خاضعا للاستعمار الاوروبي عسكريا على الاقل، علاوة على ذلك لاجود لشرق جغرافي فعلي، اذ انه ارتبط بالوعي الاورو امريكي فقط ، وحتى الاسلام الذي يربطه الغربيون بالشرق ليس سوى واحدا من الاديان الشرقية كالمسيحية التي يتبناها الغرب نفسه، كما ان مدنا ارتبطت بكاملها بالشرق هي في واقع الامر اوروبية من الناحية الجغرافية الحقة، كالقسطنطينية مثلا، ولجملة اسباب اخرى، يذهب كثير من دراسي الاستشراق الى ان الاستشراق قد انتهى، وذلك بالانعطاف نحو الدراسات الميدانية، على الرغم من استمرار جوهره في التكوينات العلمية الجديدة، فتزايد المصالح الامريكية في المنطقة، وتولي مستشرق مثل هاملتون جب في الخمسينيات ادارة معهد هارفارد لدراسة الشرق الاوسط، هما جعلتا الانكفاء يحصل في الحقل لنوع من الدراسات الاكثر تخصصا في معاهد دراسات الشرق الاوسط التي انتشرت في الحياة الاكاديمية الامريكية³.

ان الاستشراق الجديد او المجدد الذي ظهرت معالمه ببروز منتصف القرن العشرين قد تضافرت على خلقه عوامل كثيرة اهمها⁴:

(1) انهيار الامبراطوريات الاستعمارية، فقد اظهرت نقائص الهيمنة الغربية، كما كشف عن قوة الخصوصيات الحضارية القومية، وعن حقها في التحرير، والنمو الذاتي.

¹، المرجع نفسه، ص 173

² Fred Halliday, 'Orientalism' and its Critics, *British Journal of Middle Eastern Studies*, Vol. 20, No. 2 (1993) p151

³ نعوم ، مرجع سابق، ص 12-13

⁴ بن سالم حميش، العرب والاسلام في مريا الاستشراق ، القاهرة: دار الشروق ، 2011، ص 109.

(2) زعزعت الحربين العالميتين من ثقة الحضارة الاوربية في ذاتها، ومن ايمانها بتقدم غير محدود وبثت في الانسان غير الغربي الاحساس بنسبية قيمه، وتاريخية مواقعه الحضارية.

(3) نمو حركات التحرر الوطني في البلدان المحتلة، ادى الى اضطراب في موضوع ومنهاج معرفة الغرب بالشرق، فالناس الذين كانوا بالامس موضوع دراسة، اصبحوا اليوم يملكون قدرا من الاستقلال والحرية.

(4) صعود الولايات المتحدة الامريكية بوصفها دولة عظمى الى الصدارة العالمية والتغير الاجتماعي السريع المصحوب بعدم الاستقرار السياسي في الشرق الاوسط، وكان ذلك يدفع السياسيين الامريكيين الى طلب المزيد من المعرفة، والتي يتم استثمارها في توطيد دعائم القوة الامبريالية الصاعدة، وكان الاستشراق الحديث يمثل الفرع الاكثر تقدما للخدمات في هذا المجال.

وكما كان تطور الاستشراق الاكاديمي في القرن التاسع عشر مرتبطا بتوسع القوى الاوربية في احتلال الاراضي الاسلامية، كان تطور دراسات الشرق الاوسط والاستشراق الجديد عموما بوصفها حقلا اكاميا مرتبطا بشدة بظهور الولايات المتحدة الامريكية بوصفها قوة عالمية عظمى، وتورطها بشكل اعظم في الهيمنة على الشرق الاوسط.

وفي العام 1961 زارت لجنة بريطانية كلفت بمسح دراسة المناطق في الولايات المتحدة الامريكية وعادت لتوصي بان تقلد بريطانيا النظام الأمريكي، باقامة مؤسسات جديدة يديرها مؤرخون وعلماء في العلوم الاجتماعية يستطيعون تجاوز كليات الدراسات الشرقية.

(5) تطور العلوم الانسانية، من علم الاجتماع، وعلم النفس، وديمغرافيا، واقتصاد ولسانيات... الخ، وهذا التطور بدوره الغى هيمنة المناهج الاستشراقية التقليدية المستوحاة من التاريخ النصي والفيلولوجيا، وفتح اعين الباحثين على اشكالات وقضايا تمت الى الثقافة والمجتمع بمعنييهما التاريخي الكلي.

(6) توافر العديد من اعضاء هيئة التدريس، وطلبة الدراسات العليا في الشرق الاوسط، الذين يأتون من خلفية او اصل شرق اوسطي، وذلك بعد التعديلات التي اجريت على قانون الهجرة في عام 1965م والذي غير تركيبة الهيئات الطلابية فعليا في كل حرم جامعي في الولايات المتحدة، ثم اصبح العديد من اولئك مديري برامج، ورؤساء اقسام في مراكز تعليم مهمة، وكان بعضهم متأثر

بالنزعات القومية، التي شاعت في تلك الفترة، والتي تبنت الى جوار الحركات اليسارية نقد الامبريالية والاحتلال، واعتنت بتنمية الشعور بالخصوصية القومية، وهو الامر الذي انعكس بدوره على بعض اطروحات المنتمين للاستشراق الجديد من ذوي الاصول العربية، او الشرقية عموماً، وان كانت مهمة كثير من هؤلاء لم تتجاوز تأكيد الصور والنماذج الغربية عن العرب والمسلمين، خاصة ان كثيراً من هؤلاء الباحثين العرب ينتمون الى الاقليات الدينية في العالم العربي، اما مسيحيين او يهوداً، ومن هؤلاء فليب حتى، والبرت حوراني، وجورج مقدسي، وعزيز سريال عطية، وغيرهم بل هناك العديد من الباحثين ينتمون الى فرق البهائية والقاديانية والبابية والدروز.

(7) ادى ارتفاع المستوى العام للتمكن من اللغات، واستخدام مداخل نظرية ومنهجية حديثة الى اتاحة المجال امام الباحثين الى الحقل الاستشراقي لاستفادة افضل من المصادر مقارنة بالماضي، فقد تزايدت الكتابات- مثلاً- عن تاريخ الولايات العربية للدولة العثمانية، فالطلبة والباحثون الذين يعرفون كلا اللغتين العربية والتركية قاموا بعمل دراسات استنادا الى الارشيفات العثمانية الهائلة، وسجلات المحاكم الشرعية، وغيرها من المصادر الاخرى، لانتاج صور غير مسبوقة في عمقها وتعقيدها للحياة الاجتماعية، والسياسية، والثقافية في تلك المناطق.

(8) تطور حركات الحقوق المدنية، واليسار الجديد في الولايات المتحدة الامريكية، والتي شجعت وتبنت التعاطف مع النضالات المناهضة للامبريالية الغربية في افريقيا واسيا، ومن ضمن ذلك نضالات الشعب الفيتنامي الذي كان يتعرض لهجوم عسكري في تلك الفترة (1956-1975)؛ وهو ما فتح عالماً جديداً من التعاطف السياسي مع البلاد المحتلة.

وخرجت كتابات متعددة تجاوباً مع هذه الظروف تشجب بشدة مضامين الاحتلال في الحقل الاستشراق، فكتب انور عبد المالك بحثه المشهور ، بعنوان " الاستشراق في ازمة"، في سنة 1963 بالانجليزية، وبحثه الاخر بعنوان: " هل مات الاستشراق" 1974، وكذلك عبد الله العروي، نشر بحثاً اخر بعنوان " الايدولوجية العربية المعاصرة" في سنة 1967، ثم جاء ادوارد سعيد لينشر كتابه الشهير " الاستشراق" باللغة الانجليزية سنة 1978، ويحدث بذلك اصداً واسعة، فقد ترجم

الى 15 لغة تقريبا، وانتشر حول العالم، وكتب حوله كثير من النقد والتأييد، بحيث امسى علامة فارقة في تاريخ الفكر الاستشراقي المعاصر¹.

وكذلك تطورت الحركة النسوية، وقد اشكت الباحثات النسويات من ان معظم البحوث العلمية تجاهلت المرأة بوصفها مشاركة فاعلة في تشكيل العالم الاجتماعي، واصررن على ان النوع (الجندر) يجب ان يحظى بنفس الثقل مثل الطبقة، والعرق؛ كمقولة تحليلية في الانسانيات والعلوم الاجتماعية، وقد شهدت سبعينيات القرن العشرين ازدهار البحوث النسوية، وتساعد التقريب البحثي في تاريخ النساء وحياتهن في الشرق الاوسط، وادى ازدهار هذا الحقل الى اقامة رابطة لدراسات نساء الشرق الاوسط وذلك في منتصف الثمانينات².

منذ بداية القرن التاسع عشر وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية في 1945م كان لفرنسا وبريطانيا قصب السبق في السيطرة على الشرق والاستشراق، وبعد الحرب انتقلت الدفة تدريجيا الى الولايات المتحدة واصبح مسؤولوا الولايات المتحدة، وكذلك الاكاديميون المرتبطون بقضايا السياسة الخارجية يعتبرون منطقة الشرق الاوسط، وشمال افريقيا ذات اهمية استراتيجية عظيمة، غير ان تورط الولايات المتحدة بعمق متزايد في المنطقة، مع تدشين الحرب الباردة (1945- 1990)؛ ضاعف قلقهم ازاء قلة الامريكيين الذين يعرفون كثيرا عن الشرق الاوسط وتاريخه وثقافته وشعوبه ولغته وفي هذه الاثناء وتلبية للاحتياجات السياسية بالاساس بدأت تطرح فكرة" دراسات المناطق" ومفادها انه بدلا من اقتصار الباحثين على الحدود الضيقة لعولمهم، كل من منظوره الخاص؛ يتم ادماج كل المهتمين بمنطقة معينة من العالم، ايا كان تخصصهم العلمي، في وحدة علمية واحدة³.

وكان الحقل الاستشراقي يميل الى اعتبار الحضارات التي يدرسها ساكنة، وغير قادرة على التغيير، بينما افترض ان تأسيس "دراسات المناطق" ينقل بؤرة البحث الى ديناميكيات التغيير السياسي والاجتماعي والاقتصادي في العالم المعاصر بما يفضي الى خبرة متعددة، ومفيدة في صناعة السياسة كان هذا التحول في دراسات المناطق يمثل الانتقال الواسع من الاستشراق الديني

¹ الوهبي، مرجع سابق، ص 50

² المرجع نفسه، ص 51

³ المرجع نفسه 52

الايديولوجي - استشراق القرنين الثامن عشر والتاسع عشر - الى الاستشراق السياسي القومي، وتسابقت الجامعات الامريكية في السنوات الاولى بعد الحرب العالمية الثانية الى تطوير دراسات المناطق، وتقدم المانحون من الافراد والمؤسسات بسخ الاموال لدعم هذه البرامج، وفي اواخر الخمسينات من القرن العشرين بدأت الحكومة الفيدرالية في تمويل دراسات المناطق، فقد اقر الكونغرس في عام 1958م قانون التعليم الدفاعي القومي، الذي قدم للمرة الاولى تمويلا حكوميا واسع النطاق للكليات والجامعات، وقد افرد الباب الرابع من القانون تمويلا لمراكز دراسات المناطق، وقد الحقن الهائل للتمويل في نهاية الستينيات من القرن العشرين الى زيادة ضخمة في عدد درجات الدكتوراه الممنوحة في مجال دراسات الشرق الاوسط¹.

وفي اثناء الحرب العالمية ظهر مصطلح " مستودع الافكار " وكان يشير الى حجرة او بيئة آمنة يستطيع علماء الدفاع والمخططون العسكريون ان يلتقوا فيها ليناقشوا الاستراتيجيات المتعلقة بالسياسة الخارجية، لاحقا ، تطور هذا المصطلح، واصبح يشير الى مركز البحوث والدراسات والتي تهدف الى تركيز الجهود البحثية وتكثيفها ودعم صناعات القرار، وتطوير الحياة المعرفية في الوسط العام، وقد بدأت بالتكاثر منذ سبعينيات القرن العشرين، وكانت هذه المراكز احد مواقع انتاج الخطاب الاستشراقي الجديد، وتمارس ادوارها بأساليب عدة، منها كتابة التقارير الاستراتيجية، ومنها تقديم الاستشارات لمراكز صناعة القرار السياسي، ومنها تكثيف الظهور الاعلامي لمنسوبيها، للتعليق على الاحداث، وقد كان وما زال الخطاب الاعلامي في البرامج والافلام والمسلسلات، وسائر المواد المكتوبة في الصحف من التقارير والحوارات والمراجعات، احد اهم مواقع انتاج الخطاب الاستشراقي الجديد، الى جوار الابحاث الاكاديمية ، ومراكز البحث².

شهدت السبعينيات من القرن العشرين صعود الايديولوجيات والحركات الاسلامية، ولم يستطع الباحثون الاستشراقيون الذين يتبنون نظرية التحديث بوصفها نموذج تفسير للظاهرة الاسلامية ان يتنبؤوا بهذا الصعود لما يسمى ب" الصحوة الاسلامية"، حتى نقاد نظرية التحديث المتأثرون بالماركسية والذين لوحوا بالاقتصاد السياسي بوصفه اداة بديلة للتحليل فشلوا في التنبؤ

¹ المرجع نفسه، ص 53

² المرجع نفسه، ص 54

ايضا"، كان صعود الصحوة يجري عكس اتجاه الرؤية الغائية للتطور التاريخي، والذي تشترك فيها نظرية التحديث الليبرالي والماركسية الكلاسيكية وغيرهما، بينما كان الصعود الاسلامي يمثل ادلة تأكيد بالنسبة للمستشرقين التقليديين امثال: برنارد لويس واتباعه على صواب نظرتهن.

لقد اصبحت اشكالية صعود الحركة الاسلامية قضية مركزية في دراسات الشرق الاوسط في الربع الاخير من القرن العشرين ، وحتى الان، فصعود القوميات، والنضال من اجل الاستقلال السياس، والعودة الجماعية للاسلام ارغم المراقبين الغربيين للشرق الاوسط على اعتباره ذات فاعلة في للتاريخ، ومحط اهتمام في العلوم الانسانية والاجتماعية، ويقدر انه بحلول منتصف ثمانينيات القرن العشرين بدأ يصدر سنويا حوالي 200 كتاب بالانجليزية حول موضوعات تتعلق ب"بالاصولية الاسلامية"

نتيجة للتفاعلات التاريخية في الغرب الاوربي ثم الامريكي، والمعطيات السياسية والمستجدات على صعيد العلوم الطبيعية والانسانية، اخذ المفهوم التقليدي للاستشراق بالتراجع، وترتكز الممارسات العلمية المتجمعة تحت اسم الاستشراق - كما يعبر مكسيم رودينسون- في المرحلة الكلاسيكية على المعرفة المعقدة باللغات الكلاسيكية لاسيا كالعربية، والتركية، والفارسية، وغيرها كما تركز على فك رموز المصادر الاولية، ومن ثم فقد لزم قبل كل شيء تصنيف المخطوطات، وطبع النصوص وترجمتها والتعليق عليه، ورسم الاطر التاريخية، وتأسيس علم التاريخ الوقائعي، ولذلك فالمستشرقون الكلاسيكيون فقهاء لغة بالاساس.

وتزامنا مع هذا التراجع الطارئ على الحقل الذي وصفه انور عبد الملك بانه "ازمة"، اخذ البعض يطرح مفاهيم جديدة للاستشراق، بل تخلى اكثر المستشرقين عن هذه التسمية مفضلين القاب اخرى من قبيل: مستعرب، او مختص بالاسلاميات، او غير ذلك؛ لكون مصطلح الاستشراق بات متخما ببعيد ايولوجي غير مرغوب فيه، واصبح بفعل عدة عوامل يمثل المرادف الذهني للصورة البغيضة عن الاحتلال، وعدم الموضوعية، والعدائية، وغير ذلك، او لكون المصطلح فقد دلالاته بتحول حقل الاستشراق الى تخصصات علمية محددة، في موضوعها، واشكالياتها الخاصة، كعلم الاجتماع، وعلم الاقتصاد السياسي، وعلم اللسانيات، وعلم الاناسة وعلم الاناسة (الانثروبولوجيا)، وعلم الاعراق (الاثولوجيا)، ومختلف فروع التاريخ العام، ليصبح الحقل الاستشراقي الجديد بعمومه جناحا من العلوم الاجتماعية والانسانية كما يقول جاك بيرك وهو احد المستشرقين الجدد.

وبعبارة اخرى فان الاستشراق اصبح نتيجة، او هدفا لمجموعة مناهج علمية مختلفة، حتى مؤتمرات المستشرقين التي تتعقد كل ثلاث سنوات اخذت تميل لعقد مؤتمرات ضيقة أكثر تخصصاً بشؤون العالم العربي والاسلامي، والهندي والصيني، على هذا المستوى المنهجي.

اما على مستوى موضوعة الشرق، فهناك رأي بات منتشر في اوساط الاستشراق الجديد ينطلق من نفي التعاطي مع الشرق بوصفه كتلة مصمتة واحدة - كما هو تصور الاستشراقي الكلاسيكي - وانما هو شعوب، وثقافات، وبلدان مختلفة ذات عدد كبير ومتنوع، وبعضها يمتلك خصائص مشتركة، او عابرة، وبناء على ذلك فان التسمية التقليدية " المستشرق " مهددة بالزوال.

ويقول الباحث عبد الله الوهبي انه لم يجد في المصادر المتاحة الى صياغة مفهوم الاستشراق الجديد بعبارة مقتضبة سوى ما ذكره الاستاذ الدكتور محمد خليفة حسن، عرضاً في سياق حديثه عن التطورات في الحقل الاستشراقي، يقول: " الاستشراق الجديد ... علم انساني اجتماعي، يطبق مناهج العلوم الانسانية، والاجتماعية في دراسة الشعوب والثقافات ". ويرى الوهبي ان الشرح الاخر الاكثر ثراء، وهو للدكتور اوليفيه موروس، حيث يعرف الاستشراق الجديد بانه:

"مذهب ثقافوي جديد يقوم على تجديد واعادة تأهيل الاطروحات الاستشراقية الكلاسيكية، ومتطلبات الدفاع عن قيم الحداثة والديمقراطية، " في سياق يتميز بأدلجة متنامية للعلاقات بين الشرق الاوسط والدول الغربية، تعمل على تشجيع العودة الى قراءة ماهوية للمجال الاسلامي".

ويقصد بالمذهب الثقافوي؛ " مذهب انتروبولوجي، يعنبر ان افعال ودوافع الفاعلين يتم تفسيرها حصراً عبر قيم المجتمع الذي ينتمون اليه"، ويرى مووس، ان اعباء الاستشراق الجديد ليست في الغالب من عمل مختصين اكاديميين، وانما يشارك في صياغة خطابه الصحفيون، والكتاب، والباحثون، والخبراء، والمدونون، والناشطون في الحقول الفكرية، والاعلامية وحقول الدراسات الامنية.

ويرى مووس ان الاستشراق الجديد هو تيار فكري حديث بزغ نجمه بعد انطامس معالم الاستشراق القديم بشكل كبير في اعقاب الحرب الباردة، وهو يسعى الى اعادة انتاج الاطروحة الاستشراقية القديمة

او الكلاسيكية، وهو يرى ان ان هناك عوامل كثيرة ساهمت في تبلور مفهوم الاستشراق الجديد، بيد انه يمكن ارجاعها الى ثلاثة عوامل رئيسية¹:

الاول: التراث الذي خلفه عدد من افتراضات الاستشراق التقليدي

الثاني: استمرار لمكتسبات علم تأريخ لا يزال ينظر الى المجال الاسلامي بعين النقص

الثالث: مناخ فكري جديد لمرحلة ما بعد ما بعد الحرب الباردة يتميز باللجوء الى ماهويات ثقافية لاجل تفسير الاحداث التي تمس بشكل خاص المجتمعات العربية والاسلامية مع بداية سنوات التسعينات".

ويرى الوهبي ان هذين المنظورين متقاربين، فيمكن القول ان بدايات الاستشراق الجديد كانت اواسط القرن العشرين، وهي مرحلة ارتفع فيها صوت الحياد، والنسبية، والموضوعية، الى حد ما، وواجهت فيها المضامين والمناهج الاستشراقية الكلاسيكية هجوما كبيرا، ثم انه مع سقوط الاتحاد السوفياتي ونهاية الحرب الباردة، والتي حضرت لاستقبال اطروحة صراع او صدام الحضارت، واعادت تصنيف اعداء الحضارة الغربية، ليقف الاسلام على رأس القائمة ومع تصاعد وتيرة العداء والعنف ضد الغرب والولايات المتحدة، ولعوامل اخرى؛ اصبحت الاجواء مهيأة لبلورة صيغة متشددة للاطروحة الاستشراقية الجديدة، والتي عاودت استلهاج التراث الاستشراقي التقليدي القديم بعد فشل المناهج الجديدة في التنبؤ بصعود الصحوة، وبروز الحركة الاسلامية، وتعطش الفاعل السياسي الغربي لاسيما الأمريكي لايجاد غطاء اكايمي واعلامي يوفر له المشروعية الثقافية بخصوص تدخلاته المستمرة في الشرق الاوسط، ويقدم له المشورة للمساعدة في استمرارية الهيمنة والسيطرة اللازمة على المصالح الغربية في المنطقة، وعلى اية حال، فالمفهوم العام للاستشراق الجديد يشير الى مجمل الانتاج العلمي الغربي، الذي يعتمد مناهج وطرائق العلوم الانسانية والاجتماعية و الاجتماعية الحديثة في دراسة شؤون الاسلام والمسلمين، وفيما يلي الجدول التالي يوضح اصناف الاستشراق حسب مصادره واطاره المعرفي وخصائص كل صنف:

¹ اوليفيه مووس ، تيار الاستشراق الجديد والاسلام، تر: عومرية سلطاني، مصر: مكتبة الاسكندرية ، 2010، ص 05

جدول (1): يوضح اصناف الاستشراق ومضامينه

الاستشراق الجديد	الاستشراق الامريكي	الاستشراق الكلاسيكي	
ابتداءاً من 2001	ما بعد الحرب الباردة الى غاية 1990	القرن 18 و 19 م	الاطار الزمني
الحرب على الارهاب وصدام الحضارات	الحرب الباردة	استعماري/ امبريالي	الاطار المعرفي (البراديغم)
المحافظون الجدد والدوائر الاسرائيلية في امريكا واوروبا	الولايات المتحدة الامريكية) العلماء الاجتماعيون، والاعلاميون)	فرنسا وبريطانيا (الفلاسفة والفنانين)	المصدر
الاسلام، العالم الاسلامي، المسلمون في المجتمعات الغربية	العرب والمسلمين	الشرق وشعوبه	الموضوع المدروس
التحديات على اسرائيل والغرب	الوم : قوة عظمى الشرق: عنيف، رجعي	مجهول، نظرة دونية، تخلف	الخصائص
حماية اسرائيل ومصالحها	مصالح الوم الاستراتيجية والاقتصادية، امن اسرائيل	الهيمنة/ الاستعمار	الاجنحة

source: Salim Kerboua, From Orientalism to neo-Orientalism: Early and contemporary constructions of Islam and the Muslim world, Intellectual Discourse, (2016).

المبحث الثالث: الخصائص العلمية للاستشراق الأمريكي الجديد.

يرى دراسو الاستشراق الامريكي ان امريكا قد ورثت من اوروبا كامل ادبياتها وما رافقها من افكار ومفاهيم وتصورات حيال الشرق العربي الاسلامي، تراثه وانسانه وثقافته، تلك الادبيات التي تراكمت منذ القرون الوسطى وعبر التنافس والصراعات العسكرية حتى وقت اكتشاف امريكا وما تلاه من هجرة اوروبية واسعة للاستقرار على اراضي القارة الجديدة¹، ولئن كان الاستشراق الامريكي تأثر بالاستشراق البريطاني خاصة الا انه تفرد بميزات وخصائص تعكس تفرد الولايات المتحدة الامريكية كدولة ذات صدى امبراطوري عالمي.

1/الاهتمام بالحركات الإسلامية "الأصولية"

يرى بعض الدارسين للاستشراق أو الدراسات العربية الإسلامية أن الاتجاه إلى الاهتمام الواسع بالحركات الإسلامية ازداد زيادة كبيرة بعد الثورة الإيرانية ، ولكن واقع الأمر يدل على أن الاهتمام بالحركات الإسلامية وبالعالم الإسلامي لم يتوقف منذ أصبح الاستشراق فرعاً معرفياً مستقلاً حتى تنوعت

¹ الدعي، مرجع سابق، ص 125

اختصاصات الباحثين في الشأن العربي الإسلامي في العصر الحاضر. ولعل مما يميز الدراسات العربية الإسلامية في العصر الحاضر زيادة التخصصات المهمة بالعالم الإسلامي وتعمق بعض الباحثين في قضايا محددة¹.

ومنذ التدخل السوفياتي في أفغانستان سنة 1979 والثورة الإيرانية في نفس العام التي شهدت وصول الإسلاميين إلى الحكم، وقبلها توقيع اتفاقية كامب ديفيد 1978م، تشهد الحركات الإسلامية نوعاً من الاستقلال الذاتي، فهي لم تعد ترى نفسها في مقابل الغرب بل حركة مستقلة وذاتية ستظهر فروع مختلفة منها، وهناك من يرى بعض الباحثين أن هذه الاستقلالية تتمثل في الاستقلالية المالية فالحركات الجهادية في أفغانستان مثلاً كانت تستخدم تجارة السلاح والافيون، واستقلالها الفكري المتمثل في صوغ مصطلحات خاصة بها كالخلافة والشريعة والامة².

ويمكن رصد اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بالحركات الإسلامية بالحديث عن بعض المؤتمرات والندوات حول الحركات الإسلامية "الأصولية" وعرض بعض الكتابات البارزة في هذا المجال ويعد مؤتمر "الأصولية والسياسة العامة وصياغة العالم الجديد حول مشروع الأصولية 14-16 مارس 1993 واحد من المؤتمرات التي جعلت الأصولية في الأديان المختلفة مجالاً للبحث، بل إن المشروع تقوم به جامعة شيكاغو -قسم اللاهوت - وتموله الأكاديمية الأمريكية للعلوم والآداب، وهو مشروع من المقرر أن يستغرق خمس سنوات هدفه "محاولة فهم الأطر التاريخية والمعاصرة للحركات الأصولية والطبيعة الاجتماعية والسيكولوجية والدينية للأصولية، والنتائج التي تترتب على وصول هذه الحركات الأصولية إلى السلطة وتأثيرها على الحكم والحياة السياسية والاقتصادية والتشريعية وعلى التعبير الثقافي والتنظيمات المدنية، ويهدف المشروع إلى إعداد بنوك لتخزين المعلومات عن الأصولية والحركات الأصولية والتي يمكن استعمالها -ضمن أشياء أخرى- بواسطة صنّاع القرار السياسي الذين يبحثون عن الوسائل المناسبة للتصدي للظاهرة الأصولية³.

كان من أبرز الموضوعات التي طرحت في هذا المؤتمر الإسلام والديموقراطية ومدى تقبل الإسلام للآراء المخالفة أو التعددية ومسألة حقوق الإنسان. وقد تحدث في المؤتمر كبير خبراء الشرق الأوسط

¹ مازن المطبقاني، بحوث في الاستشراق الأمريكي المعاصر، المدينة المنورة (دد)، 1999، ص 67

² Hakim El Karoui, *La fabrique de l'islamisme*, paris: Institut Montaigne, 2018, p 65

³ المطبقاني، المرجع نفسه، ص 68

غراهام فولر حيث انتقد التيار الذي يقول إن الإسلام لا يؤيد الديمقراطية وإنه يؤلف عقبة أمام إقامتها ، مؤكداً أن الإسلام أكثر الديانات تحملاً للأديان الأخرى. ولكن كان للباحث الأمريكي المتخصص في الحركات الإسلامية غراهام فولر رأي في المؤتمر أن تفرض الولايات المتحدة الديمقراطية في العالم العربي وتبدأ بالعراق ، ولكن أمريكا في رأيه لن تقوم بهذا العمل لأنها ترى أن الديمقراطية في الشرق الأوسط ليست في صالحها وقد عرضت في الندوة بعض الآراء الإيجابية التي حاولت أن تلفت الانتباه إلى مكانة الحركات الإسلامية وقدرتها ونجاحها في القيام بدور بديل لمؤسسات الدولة في توفير الحاجات الأساسية للمواطنين ، وأن هذا مؤشر إلى وجود ما وصفه ألن ريتشاد -أستاذ الاقتصاد بجامعة كاليفورنيا بسانت كروز - بالمجتمع الحضاري¹.

وبالرغم من كثرة المؤتمرات والندوات التي تقام في الغرب فإن من أبرز الملاحظات استمرار هذه النشاطات بالاعتماد على الخبرات المحلية إما للفنعة بقدراتها وخبراتها أو للهاجس المالي حيث إن دعوة المختصين من خارج الولايات المتحدة يكفهم الكثير. كما أن بعض الأسماء حققت شهرة معينة أو جاذبية طاغية، فتجدهم يُدعون إلى معظم المؤتمرات التي تتناول قضايا العالم الإسلامي وبخاصة مسألة اليقظة الإسلامية أو الحركات الإسلامية².

وقد اتفق أكثر من باحث أمريكي أو مقالة نشرت في دورية أمريكية أنه يجب عدم جمع الحركات الإسلامية في مجموعة واحدة ، أو كما تقول ميللر بأن " حركات الإسلام المسلح متنوعة تماماً كتتنوع العرب أنفسهم وتتنوع الدول التي يوجدون فيها. وهذا التنوع في رأيهم يتطلب سلوكاً مختلفاً تجاه كل نوع من الحركات الإسلامية. ولكن الحقيقة أن مسألة التنوع هذه إنما هي لإضفاء نوع من الموضوعية على دراساتهم وإنهم لا ينظرون إلى هذه الحركات بمنظار واحد³.

2/استقطاب الطاقات البشرية لخدمة الامن القومي عبر الاستشراق:

ما يميز المستشرقون الأمريكيون انهم متعددي الاصول والجنسيات، فقد استقدمت الجامعات الأمريكية المستشرقين الانجليز لدعم الدراسات العربية والاسلامي، وكان من ابرز هؤلاء هاملتون جب الذي استقدمته جامعة هارفارد ليؤسس قسم دراسات الشرق الاوسط، وغوستاف فون جرونباوم المستشرق

¹ المرجع نفسه، ص 69

² المرجع نفسه، ص 70

³ المكان نفسه

النمساوي الذي استقدمته جامعة كاليفورنيا، والمستشرق البريطاني الشهير برنارد لويس الذي استقدمته جامعة برنستون preston في بداية الثمانينيات.

واستعان الكونجرس الأمريكي بخبرات المستشرقين الذين عملوا في العالم الاسلامي، لتقديم ثمره خبراتهم له في جلسات خاصة، وقد نشرت محاضر جلساتهم في كتاب بلغت صفحاته 442 صفحة، لم يكن الباحثون الغربيون هم الوحيدون الذين استقدمتهم الجامعات والمؤسسات البحثية الامريكية فقد كان هناك حتى الباحثين العرب والاسيويين للاستعانة بهم ليس في تدريس اللغة العربية فقط وانما في مختلف المجالات ومن ابرز هؤلاء¹:

-فيليب حتي: مؤرخ التاريخ والحضارة الاسلامية من اصل لبناني، ومؤسس قسم دراسات الشرق الادنى بجامعة برنستون، وقد جاء بتأثير من الرئيس ويلسون وصديقه بايارد دودج رئيس الجامعة الامريكية في بيروت، ويبرز ايضا اسم المفكرين: جورج حوراني، شارل عيسوي، وجورج مقدسي، وفوزي مئري نجار، وفضل الرحمان الذي كان رئيسا لقسم الدراسات الاسلامية، وعبد الله حمودي المغربي، وحسن مدرسي الايراني، وقد تفاوتت آراؤهم منهم المنصف والمجاهر بالعداء.

ولازالت امريكا تعتبر قبلة للباحثين من مختلف دول العالم ولازلت تركز على الباحثين من اصول شرق اوسطية وتجدهم بكثرة في الجامعات والمعاهد ومراكز البحث الامريكية ونخص في الجيل الحالي، المستشرق من اصل ايراني حميد دباشي، والفلسطيني وائل حلاق، والايراني شادي حميد والايراني الاخر اصف بيات، والبريطاني مايكل كوك وغيرهم كثير...تخصصوا في دراسة الظاهرة الاسلامية في الشرق الاوسط وعديد القضايا ذات الصلة بالأمن القومي الامريكي.

3/الاهتمام بأحوال الشرق الاوسط من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتاريخية:

تمتاز المدرسة الاستشراقية الامريكية بخصائص تختلف غالبا عن نظيرتها الاوروبية، فهي لم تقف جهودها على اظهار الحركة الادبية العربية سابقا، او حاليا، ذلك ان معظم الدراسات الامريكية في الشرق الاوسط تناولته من الجوانب الاقتصادية والسياسية والاقتصادية والتاريخية، وافتقرت بشدة الى

¹ الاستشراق الأمريكي طبيعته وخلفياته، وجدة: مركز البحوث والدراسات الاجتماعية 2008 .

دراسة معمقة ورصينة للادب العربي وفقه اللغة، ويعود سبب هذا الاهتمام الأمريكي بأحوال الشرق الاوسط خدمة اهداف السياسة الامريكية التي سعت الى الحلول محل النفوذ البريطاني والفرنسي¹.

كما وضعت نصب عينيها تخريج فريق من الخبراء تستعين بهم الشركات المتعددة الجنسيات للاستيلاء على الموارد الطبيعية التي تزخر بها المنطقة، ومن هنا فان دراسة الادب واللغة وفقه اللغة لا تفيد من النواحي السياسية والاستراتيجية والاقتصادية، وقد اصدر معهد الشرق الاوسط عام 1958 دراسة عن الاوضاع الحاضرة للدراسات العربية في الولايات المتحدة الامريكية، جاء فيها " ان المعرفة باللغات الاجنبية لم تعد مجالا مقصورا على الباحثين في العلوم الانسانية، بل اصبحت اداة عمل المهندس والاقتصادي، والعالم الاجتماعي، وكثير من المتخصصين الاخرين، وتؤيد هذه الدراسة اهمية اللغة العربية بالنسبة الى المديرين التنفيذيين لشركات النفط والفنيين التقنيين وافراد القوات العسكرية"².

وقد اجرت المعاهد والجامعات الامريكية عددا كبيرا جدا من الابحاث المتعلقة بالشرق الاوسط كالقومية والمسألة الطائفية في لبنان وسوريا والبحرين، ومشكلة الاستبداد في كل من العراق وانظمة الخليج العربي وايران، ودراسة الارهاب وجذوره والظاهرة الجهادية والتطرف خاصة بعد هجمات 11 سبتمبر 2001، وقضايا الديمقراطية والانتخابات بعد ثورات الربيع العربي 2011م... الخ، ما يميز الاستشراق الأمريكي في هذه النقطة انه سريع ومواكب لكل الاحداث والقضايا الساخنة التي تحدث في منطقة الشرق الاوسط وهذا ما سيجعل من هذه الدراسات تفتقر الى الجدية العلمية والصرامة المنهجية ويغلب عليها الطابع الايدلوجي والاستخباراتي كون هذه الدراسات موجهة لخدمة اهداف السياسة الخارجية الامريكية.

4/ الاستفادة من مناهج العلوم الاجتماعية

اشتهر المستشرقون الكلاسيكيون باستعمالهم للمناهج اللغوية والتاريخية في دراسة الادب والنصوص العربية والاسلامية كالقرآن الكريم والسنة النبوية والادب والشعر العربي، وقد قدموا اسهامات واعمال اعتبرت مرجع اساسي لكثير من الباحثين خاصة وانهم صنفوا وترجموا العديد من الكتب والمجلدات التي تعنى بالحضارة العربية الاسلامية، ورغم ذلك تلقى هؤلاء المستشرقين النقد لعدم اعتمادهم على المناهج العلمية الكافية في دراساتهم مما افقدها طابع العلمية والرطانة المنهجية ووقعت في فخ التحيز المعرفي والمركزية الاوروبية.

¹ ساسي سالم الحاج، مرجع سابق، ص 157.

² المكان نفسه

وفي في النصف الثاني من القرن العشرين وبعد التحولات الفكرية والفلسفية والتي انعكست على المناهج العلمية في العلوم الانسانية والاجتماعية، ادت الى اقتحام نوع جديد من الباحثين الحقل الاستشراقي، واصبح المستشرقون الجدد من تخصصات علمية مختلفة كما يؤكد ذلك المستشرق السويسري جاك وارد نبرغ وهي علم الاقتصاد والانثروبولوجيا والعلوم السياسية، ودخول احيانا المختصون في الادب والفنون والذين اشتغلوا على نحو متزايد بدراسة المجتمعات والثقافات الاسلامية، وعرف هؤلاء العلماء المنخرطين في البحث في دراسات الشرق الاوسط، بانتمائهم في المقام الاول لعلومهم أي كمؤرخين وباحثين اجتماعيين وانثروبولوجيين وعلماء سياسة وهكذا، ورؤا انهم بصفتهم هذه اقدر ممن عرّفوا انهم كمستشرقين على الاضطلاع بدراسة الاراضي التي يغلب عليها المسلمون في الماضي والحاضر، وباستعمال نفس المناهج والمداخل بدرجة او بأخرى التي يستعملها زملائهم الذين يدرسون اجزاء اخرى من العالم، مع الانتباه الواجب للاختلافات المحلية الخاصة وهكذا اتخذ التمرد على الاستشراق الى حد كبير شكل تأكيد تفوق المداخل والمناهج القائمة على العلوم على نموذج الحضارة والمناهج الفيلولوجية التي اصبحت تعتبر بشكل متزايد العلامات المميزة للاستشراق الكلاسيكي" حيث يرى المستشرق مكسيم رودنسون انه مما اصبح يعاب على الاستشراق هو اهماله لمناهج العلوم الانسانية ولكنه يقر في نفس الوقت صعوبة ان يوافق المستشرقون الجدد بين معرفتها وبين اتقان اللغة الذي لا يقل ضرورة للمنهجية الفيلولوجية، ومع هذا الوضع الجديد بدا الخلاف جليا بين الجانبين الاستشراق الكلاسيكي الذي يمثله اصحاب المناهج الفيلولوجية ونموذج الحضارة، والاستشراق الجديد الذي يمثله المتدربون على المناهج الاجتماعية الحديثة، واصبح كل فريق مرتاب من الاخر ويزدري مالا يمتلكه ويحط من قيمته واهميته، ووصف لويس هذه الحالة كونها تكشف موقف عدم التفهم المرتاب¹.

ولكن هذا لا يعني بانغلاق كل فريق على نفسه بل هناك كما يرى رودنسون ان بعض وليس جميع المستشرقين التقليديين قد بدأ يعيد النظر في تكوينه المنهجي ويقر بضرورة الاهتمام بالمناهج الدراسية والمقاربات الجديدة، لكن تأسيس بحثه يرتكز على الفيلولوجيا ونموذج الحضارة، وأما محاولة اعتماد العلوم الاجتماعية والتأكيد على حاضر الشرق فهو فرع تابع ومساعد، وليس الاصل في اجزاء الابحاث، كما هو مؤكد ومعتمد عند المستشرقون الجدد، هذا ويلاحظ لويس ان بعض الباحثين في مجال العلوم الاجتماعية يبذلون جهودا حقيقية لتعلم اللغة العربية أي لغة اخرى من لغات الشرق الاوسط،

¹ ابراهيم بن عمار، خصائص الاستشراق الأمريكي، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد التاسع، العدد 1، مارس 2018،

ويستخدمون الوثائق الأدبية والتاريخية، ولكن عددهم لا يزال حتى الآن ضعيفاً جداً¹، لم يعد المستشرق يحاول إتقان لغة الشرق الباطنية. هو يبدأ بدلاً من ذلك كعالم اجتماعي و "يطبق" علمه على الشرق أو في أي مكان آخر. هذه هي المساهمة الأميركية بشكل خاص في تاريخ الاستشراق².

إن الإسهام الحقيقي للمدرسة الأمريكية في تاريخ الاستشراق يتجلى في تحول الاستشراق من فرع من فقه لغوي إلى معرفة تجريبية حقة ومفيدة، ومن إدراك غائم للشرق إلى تخصص في العلوم الاجتماعية، وقد حدث هذا التحول حين وجدت الولايات المتحدة نفسها في الموقع الذي تركته بريطانيا وفرنسا الذي اختلناه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية³.

5/تقسيم العالم الى مناطق:

تقوم في الولايات المتحدة حالياً الآلاف من الكليات والجامعات بالتدريس بانتظام للتاريخ والأدب والشؤون المعاصرة والعلاقات الدولية لأفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية والشرق والوسط والاتحاد السوفيتي السابق (روسيا حالياً)، وتقدم دورات في مناهج العلوم الاجتماعية والإنسانية والأفكار والقراءات لجميع مناطق العالم، وفي الوقت نفسه تستضيف هذه الكليات والجامعات أكثر من مائتي ألف من الطلاب الأجانب كل عام، وكذلك عشرات الآلاف من العلماء الزائرين من الخارج ويدرس الطلاب من عائلات المهاجرين في هذه الكليات وعشرات الآلاف من الطلاب الأمريكيين سنوياً وتجرى أبحاثاً في الخارج وتكثر ورش العمل والمؤتمرات الدولية، وبرامج النشر والمجلات وقد سهلت وسائل الإعلام الإلكترونية الجديدة دراسات المناطق الموجهة دولياً، وتعد الدورات والبحوث الآن مكونات مركزية للتعليم العالي في الولايات المتحدة والعديد من الجامعات لديها برامج أو خطط لتسهيلها⁴.

يمكن أن يكون تركيز دراسات المناطق ضيقاً للغاية بحيث تظهر بلداناً أو أماكن معينة تبدو عامة ومحصنة بالمقارنة مع أي أماكن أو شعوب أخرى من ناحية أخرى، لا يحتاج المرء إلى التحرك بعيداً جداً في طريق ما بعد البنيوية للاعتراف بأن التحديد الحالي لخمس مناطق (في بعض الأحيان

¹ المكان نفسه

² Hossein Khosrowjah, *A Brief History of Area Studies and International studies*, *Arabs studies quarterly* ASQ 33.3/33.4 Produced and distributed by Pluto Journals, p135

³ نصر محمد عارف، نظريات التنمية السياسية المعاصرة: دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الحضاري الإسلامي، القاهرة: دار القارئ العربي (د.ت)، ص 290.

⁴ David L. Szanton, *Idem*

ست) مناطق عالمية وإنشاء مراكز دراسات المناطق في الجامعات الأمريكية كان بناءً متشابكاً بشكل وثيق مع إسقاط القوة الأمريكية خلال الحرب الباردة، تعكس دراسات المناطق على هذا النحو منظوراً إمبريالياً معيناً أكثر من كونها أداة تحليلية مفيدة¹.

تظهر المناطق على أنها تجمعات تعسفية تفتقر إلى الاتساق المفاهيمي الواضح. تمتد أمريكا اللاتينية من الدائرة القطبية الجنوبية إلى المناطق الاستوائية. على الرغم من أن اللغة الإسبانية هي اللغة السائدة والكاثوليكية هي الدين السائد ، إلا أن هناك جيوباً كبيرة تسود فيها اللغات الأوروبية والأصلية الأخرى ، كما يفعل أتباع الديانات الأخرى، ومع ذلك فإن هذه المجموعة أكثر اتساقاً وتماسكاً بكثير من تلك التي تحدد جنوب شرق آسيا ، والتي يبدو أن دولها الأعضاء لديها احتلال ياباني فقط خلال الحرب العالمية الثانية. تتعكس الطبيعة الغامضة للمجالات الإقليمية في حقيقة أن المخطط البديل للتصنيف الإقليمي يتم تقديمه باستمرار ، على سبيل المثال ، يدعي بشكل استفزازي أن التقارب الواسع بين الكتل "الحضارية" يستوعب البلدان الفردية ويحدد مسارات التغيير الاجتماعي والصراع الدولي. بشكل أكثر ضرراً ، يقسم لويس العالم بأواني الطهي ، ويميز مناطق الشوكة والأصابع والفرم².

يقترح بيساو وكولنر نموذجاً جديداً لدراسات المناطق المقارنة ، والتي تناولت بشكل صريح "شروط التجنيد" التي تتعامل بها دراسات المنطقة مع نظام العلوم السياسية وتوسع مخزونها المنهجي . ، تتضمن هذه الدراسات الدعامة الأساسية التقليدية لدراسات المناطق ، ما يطلق عليه Bunce "التعميمات المحدودة" داخل منطقة واحدة³.

6/ارتباط الاستشراق الأمريكي بفكرة الاستثناء الأمريكي:

تزامن صعود الاستشراق الأمريكي و بروز الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عالمية متفوقة في جميع المجالات، وقد لعبت المعرفة الاستشراقية دوراً كبيراً في التسويق لهذا الاستثناء، خاصة بعد نهاية الحرب الباردة وإعلان النظام العالمي الجديد وشيوع المقولات الفلسفية التي تركز هيمنة الرجل الأبيض وتفوقه ورسالته الحضارية نحو الشعوب الأخرى، مثلما ذهب إليه المفكر الأمريكي فرانسيس فوكوياما في كتابه "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" داعياً العالم أجمع بالانخراط داخل المنظومة الليبرالية والا مآله

¹ Ariel I. Ahram **The theory and method of comparative area studies**, USA; Published by: sage, Department of Political Science, University of Oklahoma, 2011, p 70

² Ibid, p 71.

³ Ibid, p81 .

الفشل، فحسب فوكوياما واخرين فان الانتصار الامريكى يشكل ما يسمى بالاستثنائية الامريكية Expionalisme Amercan. والتي سعت من خلالها الى تبرير الحرب على الارهاب وشرعنة تدخلاتها العسكرية في كل من العراق وافغانستان.

من المؤكد أن الاستشراق الأمريكي هو عدسة يمكن من خلالها فهم معنى أفعال خطاب جورج دبليو بوش وإدارته "الحرب على الإرهاب" جورج بوش تناول موضوع الإسلام في خطابه أمام الجلسة المشتركة للكونجرس والشعب الأمريكي¹:

"أريد أيضاً أن أتحدث الليلة مباشرة مع المسلمين في جميع أنحاء العالم. نحن احترم إيمانك. يمارسها ملايين الأمريكيين بحرية ملايين أخرى في البلدان التي تعتبرها أمريكا أصدقاء. تعاليمه جيدة وسلمية ، والذين يرتكبون الشر باسم الله يجدفون"

"بسم الله الرحمن الرحيم. الإرهابيون خونة لإيمانهم ، يحاولون ، في الواقع ، أن يفعلوا اختطاف الإسلام نفسه. إن عدو أمريكا ليس من أصدقائنا المسلمين. أنه ليس الكثير من أصدقائنا العرب". ثم ردد عدة خطب بعد ذلك بدعوى أن الإسلام سلمي و جيد. بعد بضع سنوات ، خلال مؤتمر صحفي في أبريل 2004 حول مستقبل العراق .

نستنتج أن تحليل الخطاب الذي يستكشف كلا من الاستشراق والاستثناء إن إعادة التفكير بشكل حاسم في الهوية والسياسة الأمريكية يمكن أن يولد أجندات رئيسية للبحث: أولاً ، يمكننا فهم الاستمرارية والتحمل بشكل أفضل من الهيمنة الأمريكية. وثانياً ، يمكننا تحليل الآثار المترتبة على التحديات الأوروبية للهيمنة الأمريكية. بالنسبة للنقطة الأولى ، حاول أن يظهر ذلك ، في حين أن تحليل الاستشراق مفيد في تحديد وتحليل مغالطات حضارة هنتنغتون².

إن جوهر مقولة "الاستثناء الأمريكي" يعبر عن نظرية التفوق الحضاري وأن أمريكا تختلف عن أي بلد آخر، و"قدرها أن تكون عظيمة" و"تقود العالم". على سبيل المثال تعتبر الولايات المتحدة منذ فترة

¹ Meghana V. Nayak and Christopher Malone, American Orientalism and American Exceptionalism: A Critical Rethinking of US Hegemony, Pace University, International Studies Review (2009) p 258

² Ibid, p 271

طويلة أمريكا اللاتينية حديققتها الخلفية. من جهة أخرى، حاولت أمريكا تصدير "الديمقراطية" إلى بعض البلدان، من خلال موقف المحاظون الجدد ، وطرح من قبل بيل كريستول وسعى ببساطة إلى جلب فوائد الديمقراطية لبقية العالم من خلال ما يطلق عليه الهيمنة الخيرة Benevolent Hegemony¹. مما أدى إلى إحداث انقسام اجتماعي وعرقي. إذا أثبت التاريخ أن مقولة الاستثناء الأمريكي ليست مجرد وهم فحسب، بل تمثل اعتقاداً مضرًا.

7/ استشراق متعدد الواجه والوسائل:

كان لنهاية الحرب العالمية الثانية تأثير كبير في ظهور دراسات المناطق في الجامعات الأميركية ولاسيما دراسات الشرق الاوسط، وفي نفس الوقت بدأت مراكز البحث الأميركية في الظهور وجعلت من منطقة الشرق الاوسط ميدانا لدراساتها ومواضيعها البحثية، ولم يقتصر هذا الاهتمام على الجامعات ومراكز البحث وانما انخرطت جل المؤسسات الاعلامية والسينمائية في الاهتمام بمنطقة الشرق الاوسط، وربما هذا ما يميز الاستشراق الأميركي انه خرج من طابع الفردانية التي تميز بها الاستشراق الاوروبي الكلاسيكي الى الاستشراق الاكاديمي و المؤسساتاتي وحتى الاعلامي.

وكان تمويل هذه الدراسات والتي بدأت بتطويرها الجامعات الكبرى بأمريكا من قبل المانحين الافراد والمؤسسات، خاصة في وقت كانت الحكومة الفيدرالية لا تدخل في تمويل التعليم العالي او دعم البحث الجامعي والعلوم الاجتماعية، ومن بين المؤسسات روكفلر لصناعة البترول، مؤسسة كارنيجي قطب صناعة الصلب، ومؤسسة فورد التي دخلت ميدان التمويل متأخرة في اواخر الخمسينيات، وفي عام 1958 م اقر الكونغرس قانون التعليم الدفاعي القومي الذي قدم للمرة الاولى تمويلا حكوميا واسعا النطاق للكليات والجامعات، ومعه اندفعت الجامعات لتحصل على تمويل المؤسسات المانحة والحكومة معا، فأسست او وسعت مراكز دراسات الشرق الاوسط وجندت هيئة تدريس وطلبة، وبحلول عام 1951 كان هناك بالفعل خمسة من هذه المراكز في جامعة كولومبيا وكلية ديروبيسي، وجامعة متشجان وجامعة برنستون، ومدرسة الدراسات الدولية المتقدمة في جامعة جون هوبكنز، وفي عام 1955م اقامت جامعة هارفارد مركزها الخاص لدراسة الشرق الاوسط ، والتحققت جامعة كاليفورنيا بالقائمة بعد ثلاث سنوات،

¹ Ibid, p270

واتى في اعقابها في الستينيات عدد من الجامعات، تشمل جامعة بنسلفانيا وجامعة ولاية نيويورك وجامعة انديانا وجامعة شيكاغو ويوتا وواشنطن¹.

هذا بالاضافة الى مركز البحث المذكورة سابقا وهي لا تنتمي للجامعة جعلت من مناطق العالم والشرق والاطلس محور دراسات في جميع المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، واصبحت تلعب دورا كبيرا في اثارة النقاش والجدل حول قضايا ساخنة تهم امريكا ومصالحها في المنطقة وتساهم في رسم استراتيجية امريكا خارجيا خاصة تجاه المنطقة العربية في فترة ما بعد احداث 11 سبتمبر 2001².

وهكذا يلاحظ ان الاستشراق الأمريكي سخر كل الوسائل المعرفية لدراسة الشرق الاوسط وبقية دول العالم، واستفاد من سياسة الانفتاح التي قامت بها الولايات المتحدة الامريكية باستقطاب الباحثين من مختلف التخصصات والقارات، واستفاد كذلك من هجمات 11 سبتمبر التي جعلت من المنطقة خزان حقيقي لا ينضب من المواضيع البحثية المثيرة والتي ادخلت معها حتى وسائل الاعلام بكل فروعها وواجهها في اقتحام ومعالجة القضايا الاساسية في الشرق الاوسط.

¹ بن عمار، مرجع سابق، ص 355

² المكان نفسه

خلاصة الفصل الثاني:

في نهاية هذا الفصل توصلنا الى جملة من الاستنتاجات يمكن تلخيصها في ما يأتي:

1) ان مفهوم الشرق الاوسط هو مفهوم سياسي واستراتيجي وغير واضح من الناحية العلمية والعملية، ولكنه شكل مع مطلع القرن العشرين اهمية كبرى في سياسات الدول الكبرى وزادت اهمية منذ الاحتلال الاسرائيلي للأراضي الفلسطينية ، ويلاحظ على هذا المصطلح كذلك انه مصطلح فضفاض وقابل للتمدد والانكماش حسب المصالح والاهداف الامبريالية وهذا ما يفسر ظهور مصطلح الشرق الاوسط الكبير والشرق الاوسط الجديد... الخ. فالمسميات مختلفة لكن الهدف واحد.

2) كان لظهور دراسات المناطق بعيد الحرب العالمية الثانية في الجامعات الامريكية اهمية كبرى في تطور دراسات الشرق الاوسط، وحقل العلاقات الدولية ومن ثم شكلت نهاية الحرب الباردة و هجمات 11 سبتمبر علامات فارقة بتركيز الاهتمام على قضايا الديمقراطية والاسلام السياسي والحركات الجهادية من قبل المستشرقين الجدد في الولايات المتحدة الامريكية وزاد تأثير هؤلاء المستشرقين في العلاقات الدولية .

3) ساهمت عدة عوامل في اعادة بعث الاستشراق الأمريكي بشكل جديد ابستمولوجيا ومعرفيا ومتجدد من ناحية الاغراض والاهداف.

4) يتميز الاستشراق الأمريكي الجديد بخصائص علمية منفردة تعكس خصوصية الولايات المتحدة الامريكية كقوة احادية متفوقة في جميع المجالات السياسية والعسكرية والايولوجية والثقافية في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين على المسرح الدولي، ولكن هذا لا يعني عدم خلو هذا الاستشراق من القصور المنهجي و العلمي.

5) هناك علاقة وطيدة بين القوة الامريكية الصلبة والمعرفة الاستشراقية وهو ما تجلى في احتلال بلدين من الشرق افغانستان والعراق لنشر القيم الديمقراطية والامريكية بصفة عامة مما انجر .

6) ارتباط الاستشراق الأمريكي الجديد بمفهوم الهيمنة الامريكية على ميدان العلاقات الدولية للحفاظ على مصالحها وخدمة لاهدافها كقوة امبريالية عظمى.

الفصل الثالث:

المقاربات التفسيرية والنماذج الفكرية
للاستشراق الامريكي الجديد حول
حركات الاسلام السياسي

مقدمة الفصل

مثلت حركات الاسلام السياسي في منطقة الشرق الاوسط منذ ظهورها في منتصف القرن العشرين وما بعده مادة خام للباحثين والمفكرين الامريكيين ، دارسين اسباب ظهورها وخلفياتها الفكرية ودوافع وجودها ومآلاتها وتأثيراتها سياسيا ومجتمعيا ودوليا، وتصدر في الولايات المتحدة الامريكية الاف التقارير والدراسات البحثية سواء من قبل مراكز البحث الامريكية التي تشكل نوعا ووجها من الاستشراق الجديد التي تخصص جزء كبير منها في دراسة الشرق الاوسط وكل ما يتصل به من تفاعلات وتأثيرات ولاسيما بعد احداث 11 سبتمبر 2001 ضد برجى التجارة بنيويورك.

الى جانب هذا لم تقتصر هذه الجهود والابحاث المتعلقة بظاهرة الاسلام السياسي بمراكز البحث وانما كان للنخب الاكاديمية الامريكية البارزة دور كبير في تقديم مقاربات تفسيرية ونماذج فكرية لفهم الظاهرة الاسلامية في الشرق الاوسط سواء بشقها السياسي او الجهادي كما فعلت مراكز الابحاث، ليجد الباحث نفسه امام تنوع وخليط من النتائج والآراء تصل حتى التصادم والاختلاف فيما بينها رغم انها تتبع من بيئة واحدة لكن الاختلاف في الخريطة المعرفية والادراكات التي تميز كل مستشرق امريكي عن غيره هي التي تفسر هذه النتائج المختلفة.

وللإعلام في امريكا دور كبير في صناعة الرأي العام بشقيه المرئي والمكتوب انبرى هو الاخر في معالجة الظاهرة الاسلامية من عدة منظورات وتحليلات من زوايا مختلفة، وكانت السينما هي الاخرى اداة فعالة لرسم صورة نمطية للمسلم والعربي في الشرق الاوسط من خلال عدة افلام ووثائقيات انتجت بقوة خاصة بعد هجمات سبتمبر 2001، فيما اطلق عليه بالاستشراق الاعلامي.

في هذا الفصل سنتناول المقاربات التفسيرية والنماذج الفكرية التي قدمها الاستشراق الامريكي الجديد من خلال تفرعاته الثلاث من خلال ثلاثة مباحث المبحث الاول، الاستشراق المؤسساتي المتمثل في مراكز الابحاث الغربية واخترنا ثلاث مراكز شهيرة جدا ولاهمية افكارها وقوة تأثيرها على صانع القرار الامريكي وهي مؤسسة راند، ومعهد واشنطن لسياسات الشرق الادنى، ومعهد كارنيجي، اما المبحث الثاني فهو مخصص للاستشراق الاكاديمي اخترنا فيه المستشرق الامريكي البارز برنارد لويس واطروحاته حول الاسلام السياسي والاصولي، بالاضافة الى اطروحة المستشرق الامريكي الاخر مايكل كوك حول الظاهرة الاسلامية في الشرق الاوسط، اما المستشرق الامريكي الاخر من اصل ايراني هو اصف بيات.

ويأتي اختيار المستشرق برنارد لويس بسبب علاقته المميزه مع دوائر صناع القرار الامريكي وتأثر افكاره في توجهاتهم، ولاسيما بعد هجمات 11 سبتمبر وصعود تيار المحافظين الجدد، في حين جاء اختيار المستشرق كاكيل كونه متخصص اكاديمي بقضايا الشرق الاوسط والاسلام ولديه مؤلفات عديدة عن ذلك، أما المستشرق الآخر الامريكي من اصل ايراني هو اصف بيات بسبب ما احدثته اطروحته من تأثير على تحولات حركات الاسلام السياسي على المستوى الفكري والممارساتي، وأدركت الحركات الاسلامية ولا سيما بعد ما حدث لها بعد ثورات العربي التماهي مع ما جاء في اطروحة بيات.

اما المبحث الثالث فقد خصصه الباحث للحديث عن الاستشراق الاعلامي من خلال تحليل اهم البرامج التلفزيونية والصحف التي اهتمت بالظاهرة الاسلامية بالاضافة الى اقتحام السينما فيما يطلق عليه الاستشراق السينمائي.

وللمعرفة الاستشراقية دور كبير في صياغة التوجهات السياسية للولايات المتحدة الامريكية ويظهر هذا من خلال دور المستشرقين الجدد في صنع السياسة الخارجية الامريكية والتأثير في مخرجاتها، والعلاقة العضوية الوظيفية لهؤلاء المستشرقين في المؤسسات السياسية الامريكية ، وتأثير العقل الاستشراقي على التوجهات السياسية للرؤساء الامريكيين منذ هجمات 11 سبتمبر 2001.

المبحث الاول: الاستشراق المؤسساتي - النماذج التفسيرية لمراكز الابحاث الامريكية لظاهرة الاسلام السياسي .

تولي مراكز الابحاث الغربية بشكل عام والامريكية خاصة اهتماما بالغا بموضوع الظاهرة الاسلامية منذ ان اخذت تفرض نفسها على الساحة السياسية في العالم العربي والاسلامي منذ سقوط الخلافة العثمانية 1923، وحلت محلها سلطات وممالك تستند الى شرعياتها التقليدية والدستورية اكثر من استنادها الى السلطة الشرعية، فبالنسبة لحركة الاحياء الاسلامي من الوجهة السلفية فقد كان من الواضح ان العالم العربي والاسلامي لم يلبث ان اجتاحتته حالة من الذعر والخطر دعته الى التمسك والاستجابة لنداء الداعين الى الجامعة الاسلامية، وذلك على اثر اشتداد حملات التبشير بين ربوعه وعلى اثرها توالت محاولات الدول الاستعمارية القضاء على الشخصية العربية الاسلامية.

ومن اهم الاشكالات البحثية ما يمكن الاصطلاح على تسميته الظاهرة الاسلامية مع تعدد

الاسماء التي اطلقت عليها مثل " التيارات الاسلامية" او " الاسلام السياسي" او " الصحوة الاسلامية" او " اليقظة الاسلامية" " الاسلام المسلح" " الاصولية" هذا الاخير الذي رغم حداثة اصبح اكثر شيوعا على ما تركه هذا المصطلح من خلال هالة سلبية وأثر في صناعة هذه الصورة الذي يجعل من الاصولية الاسلامية عاملا من عوامل عدم الاستقرار في الدولة وقرينة التطرف، وشيوع مترادفات كثيرة مثل الخطر الاخضر مقابل الخطر الاحمر الذي كان ممثلا في الشيوعية.

اثار انهيار الشيوعية في 1989 والانتصار على العراق في 1991 موجة من التصريحات الانتصارية من قبل النقاد والمحللين الغربيين الذين اعتقدوا ان كل "البدائل النظامية القابلة للتطبيق للليبرالية الغربية" قد استنفدت وفقدت مصداقيتها. ثم حاول البعض رسم سياسة خارجية تتناسب مع "النظام العالمي الجديد". كان أحد المواضيع الثابتة لهذا "التفكير الجديد" أن شعوب البلدان النامية يجب أن تعترف الآن بأن الديمقراطية الليبرالية هي الشكل الوحيد المعقول للحكم في العالم الحديث.

والمنتبع لجذور المسار التاريخي للتيار الاسلامي، لا بد ان يتعرف على منظري واقطاب الفكر الاسلامي بحيث كانت اول نواة لهذا التيار والتي وضعت حجر الاساس لبناء ما يسمى "بالاسلام السياسي" هي جماعة الام والتي تشعبت فيما بعد وتفرعت اصبحت جماعات لا جماعة واحدة ومن ابرز الشخصيات التي لعبت دورا بارزا في تكوين هذا التيار "حسن البنا" مؤسس حركة الاخوان المسلمين المصرية سنة 1928 ذات التوجه العالمي، الذي طالب بتطبيق الشريعة الاسلامية في الحكم، وعبد القادر

عودة من خلال التنظير بين الشريعة والتشريعات الوضعية، في حين لعب " سيد قطب" دورين متميزين، الاول تقليدي من خلال الاستمرار في الاعمال التي يقوم بها عبد القادر عودة، والثاني ثوريا من خلال الدعوة الى الجهاد، والذي يتفق فيه مع" ابو الاعلى المودودي" بتطبيق الشريعة الاسلامية كنظام للحكم وشعار الحاكمية لله، والتركيز على فكرة الخلافة.

مع تأسيس حركة الاخوان المسلمين سنة 1928 ،تأثر وانتشرت افكارها في العالم العربي والاسلامي، ومن ثم بدأ التأسيس لحركات اسلامية تتخذ من حركة الاخوان الام مرجعا لها، فكانت اغلبها تتخذ من التغيير التدريجي للمجتمع هدفا للوصول الى سدة الحكم ومن ثمة استاذية العالم، ومع التصديق الذي مورس عليها من طرف النظام المصري والزج باغلب كوادرها في السجن واغتيال البعض الاخر ومنهم المؤسس حسن البنا الذي اغتيل سنة 1948، انضم الى الحركة قياديون اخرون اعطوا للحركة بعدا ثوريا لأليات التغيير الذي يجب أن تتخذ من اجل تحقيق اهدافها، ومن أبرز هؤلاء المفكر سيد قطب صاحب كتاب" معالم في الطريق"، الذي وصف المرحلة التي تعيشها الامة اشبه بحالة الجاهلية قبل مجيء الاسلام.

هذه الرؤية والاتجاه الجديد في الحركة اخاف السلطات المصرية فقامت بسجن سيد قطب واعدامه سنة 1966، وسجن عدد كبير من اعضاء التنظيم ممن تأثروا بافكار سيد قطب، وكان منهم عبد الرحمان فرج صاحب كتاب" الفريضة الغائبة" الذي تحول الى اكبر تنظيم جهادي في مصر وكان من بين اعضاء هذا التنظيم ايمن الظواهري مؤسس تنظيم القاعدة التي قامت بتفجيرات نيويورك سنة 2001، وفي نفس الوقت هاجر عدد كبير من قياديي الاخوان المسلمون نحو بلدان الخليج كالسعودية والكويت وقطر وبقية البلدان العربية الاخرى .

انقسمت الحركات الاسلامية وتوجهاتها في العالم العربي والاسلامي فمنهم من ايد العمل السياسي وقبول المشاركة السياسية في بلدانها، ومنها من رفضت ذلك وانخرطت في اعمال عدائية ضد حكوماتها وانظمتها التي لا تستند في حكمها الى الشريعة الاسلامية -حسب زعمها- هذا ما جعل الغرب يتوجس من هذه الحركات ويعتبرها عدوة للقيم والمثل الغربية المتمثلة في الديمقراطية وحقوق الانسان... الخ، وقد كانت تجربة الثورة الايرانية 1979 التي ارسى دعائم نظام اوتوقراطي مغلق تدعم هذا التفسير ايضا وتقوي دعائمه، ومثلت تفجيرات اوكلاهوما 1995 بالولايات المتحدة واحداث السلام بنيروبي 1997 من

طرف القاعدة، ثم جاءت أحداث برجي التجارة العالمي 2001 لتضع الغرب في مواجهة مباشرة مع العالم الاسلامي.

كانت أحداث 11 سبتمبر 2001 الحدث الرهيب الذي جعل الولايات المتحدة الامريكية تضع استراتيجية شاملة لمواجهة الحركات الاسلامية في الشرق الاوسط فهي حسبها ان كل الشرور التي تُرعب امريكا تأتي عبر هذه المنطقة، وعبر الحركات الجهادية بالتحديد، هذا ما حدا بمراكز الابحاث الامريكية كأحد اوجه الاستشراق المؤسساتي الجديد الى تقديم مقاربات تفسيرية لمحاولة فهم الظاهرة الاسلامية.

حاولت هذه المراكز اعطاء مقاربات تفسيرية لفهم ظاهرة الاسلام السياسي في الشرق الاوسط بعد هجمات سبتمبر 2001 في سياق تحاول فيه الولايات المتحدة الامريكية الحفاظ على مصالحها من خلال الحرب على الارهاب والتطرف العنيف، وتصدير الديمقراطية للدول التي تعاني من استبداد سياسي كحالة العراق او استبداد ديني كحالة طالبان في افغانستان، ومنه حاولت هذه المراكز البحثية _ التي اختزناها قيد الدراسة _ ايجاد تفسيرات عبر مقولات وافتراسات ودعمتها بحجج واقعية وعلمية وعملية _ حسب زعمها _ لتفكيك ظاهرة الاسلام السياسي والاصولي وعلاقته بالديمقراطية والولايات المتحدة الامريكية او علاقة الاسلام بالسياسة من جهة وعلاقة الاسلام بالغرب من جهة اخرى.

المطلب الاول: معهد كارنيجي للشرق الاوسط Middle East Center Carnegie

تأسس مركز كارنيجي للشرق الأوسط في العام 2006، ومقره في بيروت، لبنان. يضم "مركز كارنيجي للشرق الأوسط"، الذي أسسته مؤسسة "كارنيجي للسلام الدولي خبراء بارزين في الشؤون الإقليمية لتوفير تحليلات معمقة حول القضايا السياسية، والاجتماعية-الاقتصادية، والأمنية التي تواجه منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. يهدف المركز إلى تحقيق فهم معمق للمنطقة، من خلال توفير دراسات حول التحديات التي تواجه الدول والمواطنين، والتطرق إلى الاتجاهات طويلة الأمد. ومع تزايد القيود المفروضة على حرية التعبير، يُعتبر المركز منصة تتيح للأفراد التعبير عن آرائهم حول المنطقة والبحث عن حلول لمختلف المشاكل¹،

ويحظى المعهد بأهمية كبيرة فقد صنّفت دراسة شاملة أُجريت على 6305 مراكز أبحاث في العالم مركز كارنيجي للشرق الاوسط "الاول من بين 273 مركز أبحاث في الشرق الاوسط وشمال إفريقيا للعام 2009"، كما صنّف المركز أيضاً "من بين خمسة أفضل مراكز أبحاث جديدة في العالم"، وقد ثمنت هذه

¹ المصدر موقع المركز على الانترنت: <https://carnegie-mec.org/about>

الدراسة أداء الشبكة العالمية لمؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، فاحتل مركز كارنيغي في موسكو المرتبة الأولى من بين 517 مركز أبحاث في أوروبا الشرقية والوسطى، كما احتلت مؤسسة كارنيغي في واشنطن، المرتبة الثانية من بين 1183 مركز أبحاث في الولايات المتحدة¹.

وقد انخرط المعهد منذ تأسيسه في دراسته لحركات الاسلام السياسي في الشرق الاوسط مستندا الى افتراضات ومقولات مدعومة بحجج عملية وواقعية وهذا بعد تقديمها لمسح لادبيات هذه الحركات فكريا وتنظيميا.

اولا: الافتراضات والحجج

أ/ الافتراض :

لا يوجد تعارض بين الحركات الاسلامية المعتدلة مع الديمقراطية و وهي على عكس الراديكالية العنيفة- التي تسعى الى اقناع المسلمين وغير المسلمين الى العودة الى منبع الاسلام² - وان اندماجها الكلي في العملية السياسية والعملية الديمقراطية سيتم بنجاح ان هي كشفت بوضوح عن موطن الغموض والالتباس في الفكر والممارسة، وبما يتوافق وقيم الديمقراطية الليبرالية³.

1- الحجج :

أ/ للحركات والاحزاب الاسلامية قوة مجتمعية وتنظيم هائلين ما يؤهلها لتكون المنافس الحقيقي للسلطة الحاكمة والاحزاب العلمانية: تتأسس هذه المقدمة على ضوء الملاحظة التي سجلها معهد كارنيغي حول واقع الحركات الاسلامية، فقد صنعت الحركات الاسلامية الراديكالية منها والمعتدلة لنفسها على مدار العقد الماضي العقد الماضي موقفا كأحد الفاعلين السياسيين في الشرق الاوسط، وهذه نتيجة حتمية للجهد الذي بذلته، فقد تمكنت من صياغة برامج تحظى بقبول شعبي اضافة الى خلق منظمات ذات اساس اجتماعي حقيقي ووضع استراتيجيات سياسية متسقة⁴.

¹ مركز كارنيغي للشرق الاوسط يحتل المرتبة الاولى بين مراكز ابحاث المنطقة 2010 متوفر في الرابط : _

<https://carnegieendowment.org/publications/?fa=24846>

² Dounia Bouzar, **Désamorcer l'islam radical**, Paris: Éditions de l'Atelier/Éditions Ouvrières, 2014, p22

³ .ابراهيم بن عمار، الاستشراق المعاصر ودوره في صنع السياسة الخارجية الامريكية تجاه منطقة الشرق الاوسط، اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية، جامعة وهران، 2019، ص169.

⁴ المرجع نفسه، ص 170.

وبناء على حقائق الواقع فإن معهد كارنيجي يرى ان الحركات الاسلامية اضافة الى الحكومات ستحدد الوضع السياسي في المستقبل القريب، لان هذه الحركات اصبحت تمثل معظم الدول العربية قوى المعارضة الوحيدة الممكنة امام النظم السلطوية الحاكمة¹، وبذلك تكون قد تجاوزت الاحزاب العلمانية التي كثيرا ما يعول عليها الغرب كاحد الفواعل التي يجب ان تنافس في المنطقة، وتفوقت عليها، وفي ضوء الضعف الذي اصبغ عليه المنافس العلماني في الواقع، اصبحت فيه الاحزاب الاسلامية القوة الضاربة التي لايجب ان يستهان بها وان يتم التفكير في اقصائها او تهميشها في العملية السياسية الديمقراطية التي يتوجب ان تتم في المنطقة وفي اقصى سرعة، لان استقرار المنطقة مرهون وتطورها مرهون بالتحرك لتفعيل عملية الاصلاح السياسي ودمقرطة المنطقة².

ب/ الحركات والاحزاب الاسلامية ليست واحدة منها الراديكالية ومنها المعتدلة: تعتبر هذه المنطقة من بين ما تتأسس مركز " كارنيجي " حول الحركات الاسلامية فتوصيف الحركات الاسلامية ما بعد 11 سبتمبر بالخطيرة، هو توصيف دقيق فيما يتعلق بالراديكاليين، وهو غير دقيق فيما يتعلق بالجماعات التي نددت بالعنف او تجنبته، حيث تعرف بالحركات الاسلامية المعتدلة، بأنها تلك الجماعات التي تخلت عن العنف او نبذته رسميا وتسعى لتحقيق اهدافها من خلال نشاطات سياسية سلمية³.

واثر تتبع معهد كارنيجي لتاريخ الحركات الاسلامية، يرى انه وعبر مسارها، تحولت الحركات الاسلامية من اهدافها القديمة المتمثلة في وجوب تأسيس دولة اسلامية والتطبيق الفوري للشريعة منذ نهاية السبعينات، في سياسة قمع لانظمة السلطوية لها ، الى اهداف اكثر اعتدالا ولرؤية اكثر براغماتية للسياسة، وانقسمت الحركات الاسلامية على نفسها، اتجهت الاقلية الى الارهاب والعنف ونبذت الاغلبية

¹ عمرو حمزاوي ، نيثان براون وآخرون، " الحركات الاسلامية والعملية الديمقراطية في العالم العربي، استكشاف المناطق الرمادية، 2006 على موقع كارنيجي: <https://carnegieendowment.org/files/greyzone> وانظر كذلك مقال " الاسلاميون في السياسة:ديناميكيات المشاركة" مارينا اوتاي وعمرو حمزاوي، 2008 المنشور على موقع المعهد: <https://carnegieendowment.org/files/greyzone>

² مارينا اوتوي وعمرو حمزاوي " الاحزاب العلمانية في العالم العربي: الصراع على جبهتين " 2007، على موقع المعهد: <https://carnegieendowment.org/files/greyzone>

³ بلال التليدي، الاسلاميون ومراكز البحث الامريكية، بيروت: مركز نماء، 2014، ص 271_272

العنف وركزت على خلق شبكات على المستوى القاعدي لتنظيم الدعم الشعبي، وقد وجدت الديمقراطية وحقوق الانسان طريقها الى خطاب الحركات الاسلامية المعتدلة، وبالاهم الى استراتيجياتها السياسية¹.

ويقدم معهد كارنيجي امثلة عن تلك الحركات المعتدلة والتي منها جماعة الاخوان المسلمين اضافة الى حركات جديدة اصبحت تدخل ضمن صنف المعتدلين، منها الجماعة الاسلامية وجماعة الجهاد في مصر، فقد اعترفت الحركات الجهادية الرئيسية في مصر بأن العنف فشل في احداث تغيير سياسي، وبأنه في الواقع كان ضارا ، ما دفع بهذه الحركات الجهادية الرئيسية في مصر بأن العنف فشل في احداث تغيير سياسي، وبأنه في الواقع كان ضارا، مما دفع بهذه الحركات الى تغيير مسارها بشكل لافت، وبرز نهج مراجعة جهادي ينبذ العنف ويعيد تحديد المواقف تجاه الدولة والمجتمع والسياسة، فالمفاهيم الاسلامية نفسها التي استخدمت لتبرير العنف اعيد تعريفها لاقرار النشاط الاجتماعي والسياسي اللاعنيف والحث عليه، ورغم الشتات الذي احدثته المراجعات داخل جماعة الجهاد، الا ان نهج المراجعات دفع المجموعتين الى التخلي عن العنف، وتحول الطيف الاسلامي في مصر نحو الاعتدال².

إن تبني معهد كارنيجي في وصفه للحركات الاسلامية بالمعتدلة والتي قدمت امثلة عنها حزب العدالة والتنمية بالمغرب والنهضة تونس، هو في الاساس احتكاما الى ما تقوله خطابات هذه الاحزاب، وقبل كل شيء ما فعلت حتى الان - 2012 - وليس عن طريق ما يخشى البعض انها تفعل ، وهو ما تؤكد المؤشرات التالية: 1 / لا تروج هذه الاحزاب للعنف، 2/ تعترف بشرعية التنظيمات التي تدافع عن وجهات نظر مختلفة، 3/ قبلت جميع هذه الاحزاب حقوق المرأة، فانها لم تفعل اكثر مما فعلت الاحزاب العلمانية لتعزيز وضع المرأة في المناصب السياسية، 4/ لم يصر حزب العدالة والتنمية ولا حزب النهضة على اعلان الشريعة مصدر التشريع، 5/ ليس من هذه الاحزاب من ينادي بتطبيق الحدود، وهي العقوبات المنصوصة في الشريعة الاسلامية، والتي تشمل بتر الاطراف ورجم الزانيات المحصنات، ولم يدع منها منها لفرض الزي الاسلامي على النساء، مع انها تنتظر اليه بعين العطف³.

¹ عمرو حمزاوي ، نيثان براون واخرون، " الحركات الاسلامية والعملية الديمقراطية في العالم العربي، استكشاف المناطق الرمادية، مرجع سابق

² عمرو حمزاوي، سارة غريبوسكي " نبذ العنف وتبني الاعتدال: نهج المراجعة وتبني الاعتدال في الجماعة الاسلامية وجماعة الجهاد في مصر " 2010 ، في: <https://carnegieendowment.org/files/greyzone>

³ مارينا اوتاوي ومروان المعشر " الاحزاب الاسلامية في السلطة: عمل لما يكتمل " 2012، المنشور على الرابط <http://carnegie-mec.org/2012/05/23/ar-pub-48228>

ج/ الاسلاميون المعتدلون مفتاح التحول الديمقراطي في العالم العربي: وبناء على الحجة السابقة فان الحركات الاسلامية المعتدلة وليس الراديكالية، هي التي سيكون لها اعظم الاثر على التطور السياسي المستقبلي في الشرق الاوسط، فمن جهة لأنها اقرب الى الديمقراطية واكثرها انسجاما مع قيمها ومبادئها، بحكم المراجعات التي احدثتها، ومن جهة اخرى، تبنى هذه المقدمة على فكرة مفادها ان هناك ثلاث مجموعات من اللاعبين السياسيين الذين يحددون امكانية التغيير الديمقراطي في الشرق الاوسط: الانظمة القائمة، الاحزاب الليبرالية او اليسارية والاحزاب والحركات الاسلامية¹.

اما الاحزاب العلمانية التي ينظر اليها الغرب كشريك محتمل، فانها بالغة الضعف، وتجد صعوبة في صياغة توجهاتها السياسية، كما ان هذه الاحزاب تميل الى المبادئ المجردة، في الوقت نفسه فقدت الاحزاب اليسارية مصداقيتها وسمعتها بسبب فشل الاشتراكية العربية، فقد خسرت قدرتها التقليدية في المطالبة بالعدالة الاجتماعية لصالح المنظمات الاسلامية، فضلا عن ذلك فان معظم الاحزاب العلمانية لم تقم باستثمارات رئيسية في مجال التنظيم، في حين استطاعت الاحزاب الاسلامية ان تصبح قوة لا يستهان بها²، واذا كانت الاحزاب العلمانية الحلقة الاضعف، والاحزاب الاسلامية هي صاحبة القوة المجتمعية والتنظيم الجيد، فان الاخيرة سيكون لها الدور البارز في التطور السياسي وانجاح التطور التاريخي في المنطقة، غير ان طرح كارنيجي، يؤكد التزام كل حركة او حزب اسلامي بالديمقراطية يتقرر بنهاية المطاف بناء على توازن القوى بين الاصلاحيين والمتشددين في القيادة، والضغوط التي تمارسها القواعد الشعبية، وبدوره فان توازن القوى يتأثر بالاوضاع السياسية في البلد، وقبل اي شيء بما اذا كان مسموحا للاحزاب والحركات الاسلامية بالمشاركة في الحياة السياسية التعددية في صورة مستدامة³.

د/ ضعف الاحزاب العلمانية سبق العملية الديمقراطية: رغم ان الاحزاب العلمانية هي الحلقة الاضعف بين العناصر الثلاثة، على اعتبار انها تعاني ازمة حقيقية، وهي نتيجة لمحاصرتها بين الانظمة السياسية التي لاتسمح لها بممارسة النشاط السياسي الحر والمشروع (كغيرها من المنظمات الاخرى والتي من بينها الاسلامية)، الا في حيز ضيق جدا من جهة اخرى، باتت هذه الاحزاب العلمانية تكافح اليوم ليكون لها دور وتأثير، بل انها تتنازل في بعض الحالات من اجل الاستمرار والبقاء، وان قوة وتنظيم الحركات

¹ التليدي، مرجع سابق، ص 274

² مارينا اوتاوي "دعم الديمقراطية في الشرق الاوسط: استعادة المصداقية" 2008، المنشور على الرابط:

http://carnegieendowment.org/files/pb_60_ottaway_arabic_final.pdf

³ بن عمار، مرجع سابق، ص 173

الاسلامية المعتدلة هو الذي يؤهلها لتنافس الاحزاب الحاكمة على السلطة في العملية الديمقراطية ، كما اكدته المقدمة السابقة، فان استمرار ضعف الاحزاب العلمانية، ما قد يؤدي الى تهميشها من اللعبة، سيكون احد العوائق في طريق نجاح التحول الديمقراطي في العالم العربي والاسلامي، وعليه فان تعزيز الاحزاب العلمانية ضروري من اجل تحقيق التحول الديمقراطي في الوطن العربي، غير ان استنتاج كارنجي هذا كما تؤكد مخرجاته، لا يستند الى التخوف من الاسلاميين، ولا الى اليأس من الانظمة الحاكمة، ولا بسبب الاعجاب بتمسك السياسيين العلمانيين بالديمقراطية يعود السبب الفعلي الحقيقي، انه في ظل غياب احزاب علمانية صالحة للمنافسة، فان ميدان المنافسة سيكون مقتصرًا على الاحزاب الحاكمة من جهة ومن جهة اخرى، ان وجود وسيط سياسي يشكل امرا حاسما لتحقيق نمو ديمقراطي، لكنه حاليا اما مفقود واما محصور ضمن نطاق محدود في معظم الدول العربية، قد تستطيع الاحزاب العلمانية تغيير هذا الوضع، لكن عليها للتمكن من لعب هذا الدور ان تبدأ بتغيير نفسها اولاً¹.

هـ/ مشاركة الاسلاميين في العملية السياسية تدفعهم الى الاعتدال واحداث تحولات نوعية تقربهم من الديمقراطية: تبني هذه المقدمة حكمها في ضوء البحث في مسار مشاركة الحركات الاسلامية في العملية السياسية في سبع بلدان عربية، والنتيجة هي ان المشاركة قد تؤدي في بعض الحالات الى اعتدالهم ، فيما لا تؤدي في حالات اخرى الى ذلك، علاوة على ذلك يمكن للحركات في البلد نفسه التنقل بين مواقف الاعتدال والاكثر تشدداً².

إن رؤية معهد كارنجي تؤكد على ان الاعتدال امر يمكن حصوله، اذا توفرت الشروط الموضوعية لذلك واساسها هو ان تعمل الحركات والاحزاب الاسلامية في اوضاع طبيعية، وكلمة طبيعي تعني ان الاحزاب الاسلامية او الحركات الاسلامية لن يتم معاقبتها فور حصولها على نتائج جيدة، وانه سيسمح لها بالمشاركة في الانتخابات مستقبلاً³.

اما فيما يخص الحركات الاسلامية المسلحة مثل حزب الله وحماس الفلسطينية الملتزمتين باللاعنف في العملية السياسية الداخلية، ورغم الاقرار بأن الميليشيات هي ضد العدو الخارجي، فان وجودها يؤثر في توازن القوى في البلاد، ويضمن هذا بدوره انه لن تكون هناك عملية سياسية طبيعية

¹ مارينا اوتوي وعمرو حمزاوي " الاحزاب العلمانية في العالم العربي: الصراع على جبهتين"، مرجع سابق

² التليدي، مرجع سابق، ص 277

³ بن عمار، مرجع سابق، ص 174.

ويعيق اي عملية اعتدال، السؤال حسب معهد كارنيجي هو ما اذا كان اشتراك هذه الحركات المستمر في العملية السياسية سيشجعها على التخلي على اجندتها المسلحة بشكل تدريجي، لكن في هذا السياق لا تبدو تجربتنا حماس وحزب الله واعدتان كثيرا ، لكنهما تظهر ان استبعاد هؤلاء الاسلاميين المسلحين من العملية السياسية لا يمثل خيارا واقعا ايضا ، نظرا الى التأييد الهائل الذي يتمتعون به على المستوى الشعبي، ويبدو ام الحل الوسط الوحيد هو ان تطور البلدان المعنية اطرا دستورية قوية قادرة على ضمان ان لا يحصل اي لاعب او اي مجموعة لاعبين سياسيين على كافية للهيمنة على النظام¹.

و/ مخاطر عدم ادماج الاسلاميين اكبر من مخاطر ادماجهم: تؤكد هذه المقدمة انه وفي وقت اصبحت مشاركة الاسلاميين امر حتمي فرضه واقع القوة المجتمعية لهؤلاء باعتبارهم منافس حقيقي على الساحة السياسية، وان رغبة نبذهم العنف بشكل كلي غير متوقع، فان الخيار هنا ليس بين السماح لهم في المشاركة في الحياة السياسية بشكل محفوف بالمخاطر الى حد ما، وبين اخفائهم من المشهد السياسي ، السماح لهم بالمشاركة على الرغم من وجود مناطق رمادية، مع احتمال ظهور عملية اعتدال، وبين استبعادهم من العملية السياسية والقانونية، بما يضمن تنامي تأثير المتشددين داخل تلك الحركات واستمرار المناطق الرمادية².

ز/ الافتراض القائل بان فوز الاسلاميين بالانتخابات سيجهض الديمقراطية ويقود الى تأسيس دولة اسلامية لا اساس له: تنطلق هذه المقدمة من مراجعة صحة الافتراض القائل باحتمالية ان تلغي الاحزاب الاسلامية، ببساطة الانتخابات في المستقبل لادامة مكانتها وانشاء دولة دينية، امه افتراض ناجم عن الخوف وليس احتمال واقعي وهو من بين الحجج التي تسوقها: ان نتائج الانتخابات توضح ان الاسلاميين ابعد ما يكونوا على تحقيق انتصار كاسح، وهم يكافحون في الوقت الراهن (2008) للحفاظ على مكاسب متواضعة التي حققوها سابقا، وقدمت الورقة استثناء الجزائر عام 1991، وحماس الفلسطينية 2006 التي نجحت في ظروف استثنائية معينة، ولم تكن لتحصل في الظروف العادية³، وان الاحزاب الاسلامية في تونس والمغرب ومصر التي فازت بالاغلبية البرلمانية ما بعد الربيع العربي،

¹ مارينا اوتاي وعمرو حمزاوي، " الاسلاميون في السياسة:ديناميكيات المشاركة" ، مرجع سابق

² المرجع نفسه

³ المرجع نفسه

تفترض انها ستواجه الناخبين مرة اخرى، وانها تحتاج الى دعم الناخبين الذين اصبحوا في ضوء الاحداث التي وقعت عام 2011 اكثر وعيا من الناحية السياسية واكثر استعدادا للعمل¹.

د/ محدودية تجربة الحركات والاحزاب الاسلامية في العملية الديمقراطية: يعيق الفهم الجيد ويسبب قلق الغرب نحو، تتأسس هذه المقدمة لفكرتها من خلال تتبع مسار مشاركة الحركات الاسلامية المعتدلة في السياسة، وتقر مبدئيا بالسجل المحدود لهذه المشاركة، غير انه تؤد ان ثمة بعض الادلة التي تشير الى انهم احترمو القواعد، التي تحكم مشاركتهم في العملية السياسية، وحتى في الحالات التي اعتمدت فيها النظم الحاكمة قواعد صارمة وغير منصفة، كما في مصر والجزائر، تعد الحركات الاسلامية سواء في البرلمانات القومية او المجالس المحلية، وحتى تلك التي غير معترف بها كأحزاب كما في مصر والكويت، من اللابعين السياسيين المنضبطين، الذين يستخدمون كافة الوسائل المتاحة للتأثير بصورة سلمية على مخرجات العملية السياسية الرسمية².

ورغم هذا فان سجل الحركات الاسلامية رغم محدوديته ونظافته في العملية الديمقراطية لا يزال غير قاطع، من حيث ان الامثلة قليلة كما انها حديثة العهد لدرجة لاتسمح باستخلاص الكثير من العبر، ويؤكد كارنيجي انه ليس في هذا اتهام كوجه الى الحركات الاسلامية، بل هو مجرد وصف واقعي لمعضلة وشكوك اولية على كافة المنظمات السياسية حديثة العهد التي عليها مواجهتها³.

ط/ المناطق الرمادية (رغم المراجعات الجوهرية للحركات الاسلامية): تعيق الفهم الجيد وتسبب قلق الغرب اتجاه الحركات الاسلامية وعدم الاطمئنان لاشراكها في العملية الديمقراطية: ورغم ما اكدته المقدمات السابقة، من ان الحركات الاسلامية المعتدلة، والتي نبذت العنف، تصلح لانجاح التحول الديمقراطي في الوطن العربي، فان هذه المقدمة تنطلق من موقف التشكيك في مقدرة هذه الحركات المعتدلة على الوفاء بالتزاماتها تجاه الديمقراطية، وذلك انها في الوقت الذي نبذت فيه العنف، والذي كارنيجي، مؤشر يقود الى وصفها بالاعتدال ومن ثم صلاحيتها في المشاركة في العملية السياسية، فانها تؤكد من جهة اخرى انه لاتزال هناك مظاهر للتوتر بين الاهداف القديمة بتأسيس الدولة الاسلامية

¹ مارينا اوتاوي ومروان المعشر " الاحزاب الاسلامية في السلطة: عمل لما يكتمل"، مرجع سابق

² بن عمار، مرجع سابق، ص 176

³ عمرو حمزاوي، مارينا اوتاوا واخرون " التساؤلات التي ينبغي على الحركات الاسلامية الاجابة عنها: حركة الاخوان

المسلمين في مصر نموذجا" على موقع المعهد: https://carnegieendowment.org/files/islamists_egypt.pdf

وتطبيق الشريعة دون تقديم حلول وسط، وبين الاهداف الجديدة في ان تصبح من المؤثرين الفاعلين في نظام تعددي ديمقراطي، وقد نتج عن تلك التوترات قدر كبير من الغموض الذي يكتنف عدد من الموضوعات- المناطق الرمادية¹-

ان المناطق الرمادية تعد هامة، فبناء على كيفية فك ذلك الغموض، سيصبح الاسلاميون المعتدلون، من مؤيدي الديمقراطية الليبرالية او من مناصري الحكم الديني الثيوقراطي، وقد حددت كارنيجي المناطق الرمادية في فكر الحركات الاسلامية والتي لم تحسم بعد في التالي:

- الشريعة الاسلامية: ان تطبيقها يعتبر من اهم المناطق الرمادية في فكر الحركات الاسلامية: وهو مصدر قلق كبير بالنسبة لغير المسلمين، ولعل قضية من له حق التشريع ، وفي ظل اي سلطة، هي من امثلة ذلك القلق والتفسير الدقيق لمعنى تطبيق الشريعة، لا يكون سن القوانين مهمة مجالس النواب المنتخبة بحرية التي تستمد سلطتها من الناخبين، ولكن من الفقهاء الذين يفسرون اوامر الله، وهو ما يبغضه غير المسلمين، تقع كل هذه المواضيع في منطقة رمادية معينة.

- استخدام العنف: تفيد رؤية كارنيجي الزعم القائم الذي يقدمه النظام الحاكم والمعرضة العلمانية العلمانية في العالم العربي بأن الاسلاميين الذين يلتزمون في خطابهم بنبذ العنف يريدون الاستقادة نت اي الية ديمقراطية للوصول للسلطة، ولكنهم على استعداد للجوء للعنف اذا لم تحقق الديمقراطية ما يريدون، حسب كارنيجي هذا الزعم باطل ذلك انه ومن خلال المراجعة التي قدمها المركز لتجارب عملية لممارسات حركات واحزاب سياسية في الوطن العربي، اتضح ان هناك العديد منها خسرت ولم تلجأ للعنف، ولكن الغموض يظهر في مسؤولية استخدام العنف ضد اسرائيل من قبل هذه الحركات والاحزاب الاسلامية والتي تعتبره عملا مشروعاً وليس ارهابياً، وجماعة الاخوان المسلمين احد تلك الجماعات الاسلامية التي ترى هذا هذا الرأي، وحسب كارنيجي فانه طالما واصلت الحركات الاسلامية المعتدلة عمل استثناءات فيما يتعلق باستخدام العنف، او على اسوأ الاحوال الاحتفاظ بأجنحة مسلحة، كحال حماس في فلسطين وحزب الله في لبنان، فان مدى اخلاص التزامها بالوسائل السياسية سيظل موضع تساؤل².

- الهوية السياسية والدينية المزدوجة: لا يمكن لحزب ان يسمى نفسه اسلامياً الا اذا جعل من الشريعة اساساً للتشريع، وفي نفس الوقت لا يمكن لحزب ان يسمى نفسه ديمقراطياً من دون قبول منطق التعددية

¹ بن عمار، المرجع نفسه

² بن عمار، مرجع نفسه، ص 178

والاعتراف بحكم الاغلبية بوصفها قاعدة ملزمة، هذا التوتر بين لا يجد حلا بشكل الرؤيتين الاسلامية والديمقراطية لا يجد حلا بشكل كامل من جانب اي حزب او حركة اسلامية بعينها، والحصيلة ان الفكر السياسي للاسلاميين المشاركين في العملية الديمقراطية يتضمن عددا من المناطق الرمادية الغامضة، حيث يستمر الصراع الايدولوجي والسياسي داخل الاحزاب والحركات الاسلامية، بين المتشددين الذين يحاولون باستمرار توسيع المساحة المخصصة للشرعية في النظامين القانوني والقضائي، وبين المعتدلين الذين يفضلون تفسيراً اكثر ليبرالية لما تعنيه الدولة القائمة على الشرعية، ليس من المهم ان تكون للحركات الدينية والحزب المنبثق عنها هويتان منفصلتان فحسب، بل وايضا ان يكون لكل منهما استقلال ذاتي كامل وليس شكلي، وفي ضوء ذلك فانه من غير المرجح ان تتجح الحركات الاسلامية في القضاء على الشكوك فيما يتعلق بمدى تسامحها طالما انها تتبنى اجندة سياسية ودينية في آن واحد¹.

- التعددية السياسية: هناك قضيتان تثيران التساؤلات بشأن التزام الاسلاميين -والحركات الاسلامية التي ترفض العنف - بالتعددية، الاولى: الحالات الدائمة من جانب الاسلاميين، حتى الاكثر ليبرالية بينهم والى المرجعية الاسلامية و وترددتهم الظاهر في تبني قيم التسامح تجاه جميع الاراء، وعند مناقشة ارائهم السياسية، يرى الاسلاميون انهم يشاركون الليبراليين نفس قيمهم بشأن كل شيء، ويثير ذلك تساؤلات هامة، هل تستلزم الحركات الاسلامية بالقرارات التي يتم التوصل اليها ديمقراطيا، اذا لم تكن تلائم المرجعية الصحيحة والدفاع عن مشروعية اراء تختلف عن ارائهم، هل هم على استعداد لقبول انه في حين يعد الاسلام احد - او حتى افضلها- فهو ليس الحل الوحيد، ستكتسب هذه الاسئلة اهمية كبرى اذا ما شارك الاسلاميون في الحكم او حصلوا على قوة للتأثير في صناعة السياسة العامة².

- الحقوق المدنية والسياسية: ان الحركات الاسلامية التي تسعى للوصول الى السلطة من خلال العملية السياسية تعد من اشد مناصري الحقوق المدنية والسياسية، مع التأكيد على حرية التعبير والدين، والحق في تكوين جمعيات، وذلك كله داخل اطار المرجعية الاسلامية، ومما تزداد الشكوك بشأنه في التزام الاسلاميين الحقيقي باحترام الحقوق المدنية والسياسية، هو ما يتعلق بحقوق المرأة وحقوق الاقليات الدينية على وجه الخصوص، فالمشكلة هو ميل الاسلاميين الى تقليل حقوق الافراد لصالح المجتمع.

¹ المكان نفسه

² المكان نفسه

-المرأة: حقوق المرأة يعتبر من ابرز التحديات للحركات الاسلامية اذ انه يتم النظر اليها في اطار المرجعية الاسلامية، وعليه فعلى هذه الحركات والتي منها جماعة الاخوان المسلمين معالجة حقوق المواطنة بصورة اكثر وضوحا فيما يتعلق بحقوق المرأة، هناك بكل تأكيد امكانية للتعامل مع تلك التساؤلات وغيرها بطريقة ترضي في ذلك الوقت كلا من المبادئ الغربية والاطار الاسلامي، وتقدم اوراق كارنجي مثالا وهو اعلان حزب العدالة والتنمية المغربي بان قانون الاوضاع الشخصية الجديد في المغرب المدونة عام 2007 واي امتدح في الغرب على نطاق واسع، يتوافق مع المرجعية الاسلامية، وترى هذه الورقة ان مثال النظرة الايجابية لحزب العدالة والتنمية اعتماده للمدونة بمثابة تذكير بان القبول الغربي بوجود الاحزاب الاسلامية كأطراف في الحياة السياسية الرسمية لا يتطلب منها سوى الموافقة على اكثر التفسيرات عمومية لحقوق المرأة ومساوتها بالرجل¹.

- الاقليات الدينية: لن تحل قضية الاقليات الدينية الا اذا قبلت الحركات الاسلامية مبدأ المواطنة العالمي دون تمييز على اساس العقيدة او اي سبب آخر، عندنا مشكلة الاقباط المسيحيين في مصر، هل يوفي الاخوان بحقوقهم القائمة على مبدأ المواطنة الشاملة، هل سيضمن الاخوان حقوق ديمقراطية متساوية للجميع دون استثناء، وطالما ان الحركات الاسلامية تحتفظ بهويتها السياسية الزوجية، فان قبول المساواة التامة لكافة المجموعات يعد امرا مستحيلا².

هذا على المستوى الداخلي، واما على المستوى الخارجي فيظهر الهاجس الاكبر في مجال العلاقات الدولية والاقليمية، من وجهة نظر كارنجي حين مناقشة ما اذا كانت الحركات الاسلامية حال وصولها الى سدة الحكم عبر صناديق الاقتراع ستعترف بما ابرمته الحكومات التي سبقتها- ومثال ذلك حالة الاخوان في مصر- من معاهدات واتفاقيات دولية، اذ ان توجه اخواني نحو رفض الالتزامات الدولية للدولة المصرية بافتراض تشكيلهم وتأثيرهم في حكومة منتخبة ديمقراطيا - وهو حلم بعيد المنال في مصر عام 2007- سوف يساهم الى حد كبير في نزع الشرعية الشرعية عن الاخوان دوليا، هذا ويرى كارنجي ايضا من القضايا الاقل خطورة ولكنها تبقى مهمة، هي موقف جماعة الاخوان من القضايا الاقتصادية، فالاخوان تبنوا نظرية اقتصاد السوق بمبادئ اسلامية، وبذلك يكونوا قد حافظوا على مساحة واسعة من

¹ عمرو حمزاوي واخرون " التساؤلات التي ينبغي على الحركات الاسلامية الاجابة عليها" مرجع سابق

² عمرو حمزاوي واخرون " الحركات الاسلامية والعملية الديمقراطية في العالم العربي، استكشاف المناطق الرمادية" مرجع

الغموض فيما يتعلق ببرامج الخصخصة التي ترعاها الحكومة المصرية، بل هم صاغوا خطايا شعوبيا واضحا ينتقد بعنف بيع القطاع العام والتخلي عن الملكية العامة للدولة¹.

ي/ لا يوجد ضمانات بان الوقت سيؤدي الى القضاء على المناطق الرمادية، ومنه فلا اطمئنان الى مشاركة الاسلاميين في العملية السياسية: انه وفي الوقت الذي تتأكد فيه المسافة التي قطعتها الحركات والاحزاب الاسلامية نحو الاعتدال، بنبذها العنف، من جهة والمراجعات الفكرية المتكررة، من جهة اخرى، الا ان كارنيجي لا يخفي قلقه المستمر - والذي ارقه على طول مساره البحثي- من بقاء المناطق الرمادية والغموض في كثير من القضايا، والتي لم تتمكن من اجلاءها حتى اكثر الحركات والاحزاب اعتدالا.

والنتيجة هي انه حسب ما يؤكدها معهد كارنيجي، لا توجد ضمانات بأن الوقت سيؤدي تلقائيا الى القضاء على المناطق الرمادية وان الحركات الاسلامية التي لا تلجأ الى العنف ستواصل التطور في الاتجاه الليبرالي، بل تبقى النتيجة غير مؤكدة².

المطلب الثاني: معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى * The Washington Institute for Near East Policy

في عام 1985، قامت مجموعة صغيرة من الأميركيين الملتزمين بتعزيز المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط بتأسيس معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، وقد اختار مؤسسه مصطلح "الشرق الأدنى" بدلاً من "الشرق الأوسط" الأكثر شعبية لأنهم أرادوا أن يعكس اسم المعهد التسمية الجغرافية لوزارة الخارجية الأمريكية نفسها، لقد أدرك المؤسسون أن المصالح الأمريكية في المنطقة تتبع من حفنة من الأفكار الأساسية: الأمن والسلام والازدهار والديمقراطية والاستقرار. ولكنهم أدركوا أيضاً أن هذه المصالح يمكن أن تتقدم على أفضل نحو من خلال سياسات متجذرة في البحث والنقاش والبحث. والأهم من ذلك كله، تصور المؤسسون مؤسسة من شأنها أن ترفض المفاهيم الرومانسية لما يريد المراقبون الخارجيون أن يكون عليه الشرق الأوسط، وبدلاً من ذلك يتبنون تقييمات غير مهتمة لما هي المنطقة في الواقع.

¹ عمرو حمزاوي "التساؤلات التي ينبغي على الحركات الاسلامية الاجابة عنها" مرجع سابق

² بن عمار، مرجع سابق، ص 180

* HISTORY & MISSION، على موقع المعهد :

<https://www.washingtoninstitute.org/about/mission-and-history>

يضم المعهد كبار الباحثين الخبراء في مجموعة واسعة من القضايا السياسية والعسكرية والأمنية والاقتصادية التي تغطي كل ركن من أركان الشرق الأوسط. إنهم يتحدثون لغات المنطقة، وعاشوا وعملوا هناك، وغالباً ما ينحدرون من المنطقة نفسها يعملون في كل ذراع من أجهزة الحكومة التي تلعب دوراً في صنع السياسات في الشرق الأوسط - بما في ذلك مجلس الأمن القومي، ووزارة الخارجية، والبنطاغون، ومجتمع الاستخبارات، يقدم معهد واشنطن التحليل من خلال الكلمة المكتوبة والكلمة المنطوقة والاتصال الشخصي. ومن المسلم به على نطاق واسع أن منشورات المعهد - من موجزات السياسات إلى الدراسات الكاملة - "يجب قراءتها" للمسؤولين والدبلوماسيين والصحفيين في واشنطن وحول العالم. وهي توفر "تحليلاً فورياً" للأحداث التي وقعت في الفضل، فضلاً عن تقييمات مدروسة وطويلة المدى.

ركّزت أجنحة أبحاث المنظمة على العلاقات العربية الإسرائيلية، والقضايا السياسية والأمنية، والسياسة الأمريكية الشاملة في الشرق الأوسط. في التسعينيات، وبسبب سقوط الاتحاد السوفيتي، وحرب الخليج الأولى، والتغيرات الاستراتيجية الإقليمية، نما اتساع نطاق أبحاث المعهد، ليشمل تركيزاً خاصاً على تركيا وصعود السياسة الإسلامية باعتبارها المهيمنة على فهم الاتجاهات السياسية عبر الشرق الأوسط "الموسع" في مرحلة ما بعد الاتحاد السوفيتي.

وفي أعقاب الهجمات الإرهابية التي وقعت في 11 أيلول/سبتمبر 2001، أضاف المعهد مجالات بحثية لمساعدة الحكومة الأميركية في فهم ومكافحة التطرف الإسلامي والإرهاب وانتشار أسلحة الدمار الشامل - ولا سيما الأسلحة النووية. وبعد عشر سنوات، أدى اندلاع ما يسمى بالربيع العربي واشتعال الصراع بين السنة والشيعة في جميع أنحاء المنطقة إلى اندلاع سلسلة من الأحداث التي قوضت استقرار المنطقة وهددت بمحو حدودها السياسية التي استمرت قرناً من الزمان. ومرة أخرى، ردّ المعهد على ذلك بتقديم تحليل حول مواضيع جديدة مثل السلفية وتجنيد الإرهابيين عبر الإنترنت، و الظهور مجدداً لروسيا كتأثير إقليمي.

أولاً: مخرجات معهد واشنطن الافتراضات والحجج:

من الواضح ان هناك خلافا جوهريا بين معهد واشنطن ومعهد كارنيجي في التعاطي مع الاسلاميين، يظهر في التوجهات، ويبرز بشكل اكبر في المقولات المتناقضة، وفي الحجج التي تستعمل لدعم كل مقولة على حدة، لكن مع تسجيل درجة كبيرة من الحدة في الاختلاف بين الاطروحتين، فإن المنطلقات

التي تركز عليها كل اطروحة لا تبتعد كثيرا عن اختها¹. فما افتراضات معهد واشنطن والحجج الداعمة لها؟

1: الافتراض :

الحركات الاسلامية ليست واحدة وليست متعددة، وهي تتعارض مع الديمقراطية، واقصاءها هو السبيل الوحيد لتعزيز الديمقراطية وضمان مصالح الولايات المتحدة وحلفاءها في العالم العربي والاسلامي².

2: الحجج :

1/ الاسلام والديمقراطية متعارضان: تنطلق هذه المقدمة من فكرة مفادها ان الاسلام لا يتوافق مع قيم الديمقراطية، اذ ان الاسلام والديمقراطية متعارضان، فالاسلاميون هم الذين يسعون الى بناء دولة تعتمد تفسيراً معيناً للشريعة الاسلامية بدلا من القوانين والاحكام الوضعية، وان بعض الاسلاميين يعتبرون الحصول على السلطة خطة لتحقيق هدفين، اعادة إنشاء الخلافة، ثم معاكسة الاتجاهات العصرية للتحضر لتأسيس امة بارزة في الشؤون الدولية، ويستشهد هنا باحد المفاهيم التي قدمها الاخوان المسلمين للديمقراطية على موقعهم الالكتروني³.

2/ الحركات الاسلامية هي اكبر تحدي يواجه الولايات المتحدة: تتبنى هذه المقدمة على المقدمة السابقة، فبحكم ان الاسلام والديمقراطية لا يتوافقان فن الحركات الاسلامية لن تتوافق في سياستها مع الولايات المتحدة في المنطقة العربية والاسلامية، وبذلك سيكون التحدي والتضارب في المصالح بين الطرفين، هذا اضافة الى مقدمة اساسية اخرى هي ان الاسلام هو منبع الارهاب، فالمشكلة ليست في الارهاب كما تؤكد

¹ التليدي، مرجع سابق، ص 244

² المكان نفسه

³ روبرت مالي، روبرت ساتلوف " سياسة الولايات المتحدة اتجاه الاسلاميين: الاحتواء مقابل الاقصاء" الرابط

<http://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/u.s.-policy-toward-islamists-engagement-versus-isolation>

بعض اوراق المعهد، بل في الايدلوجية التي ينبع منها وهي ما سماها معهد واشنطن " الراديكالية الاسلامية"¹.

3/عدم القدرة على رد زحف الاسلاميين سيعيق تعزيز الديمقراطية: اذا كانت الحركات الاسلامية هي اكبر تحدي للولايات المتحدة، على اعتبار انها غير متوافقة مع قيم الديمقراطية، اضافة الى العنف الذي يجد تأصيلا له، في الاسلام، وكان تعزيز الديمقراطية احد الاولويات للولايات المتحدة الامريكية في المنطقة، فان عدم القدرة على زحف الاسلاميين سيعيق اي سياسة ناجحة تتخذ لنشر وتعزيز الديمقراطية.

4/ تحديد الحلفاء وتشكيل الائتلافات لانجاح العملية الديمقراطية يتوقف على اقضاء الاسلاميين تتطلق هذه المقدمة من فكرة ان ديمقراطية المنطقة اصبحت امرا ضروريا وانجاح العملية الديمقراطية، مرهون باقضاء الاسلاميين من التحالفات والائتلافات التي يجب على الولايات المتحدة تكوينها ودعمها².

ويؤكد المعهد بانه على امريكا ان تستثمر مع كل الحلفاء الحاليين والآخرين المستقبليين ، ويقترح ان يشمل هذا العمل على ثلاثة عناصر:

ا/ تحديد الخلفاء من غير الاسلاميين اي اعداء الاسلاميين وبناء شبكة من الاهداف المشتركة بينهم، اضافة الى دعمهم بالرؤية والمال.

ب/ تعزيز التحالف مع حلفاءها المحليين المعادين للاسلاميين، وتمكينهم من الوسائل المهمة لمحاربة الاسلاميين (حرب المعلومات).

ج/ تنشئة حلفاء مستقبليين بان تستغل امريكا الوقت والجهد والمال لتنمية حلفاء جدد مسقبليين، وان تستثمر بهذا الخصوص المعركة الرئيسية التي يستغلها الاسلاميون وهي التربية والتعليم³.

5/ عدم استخدام العنف من قبل الحركات الاسلامية المعتدلة هو تكتيك فرضته ظروف معينة، وليس استراتيجية، في ضوء الجهد المبذول من اجل التمييز بين الحركات الاسلامية المعتدلة وغير المعتدلة

¹ روبرت ساتلوف، " دروس من خط الجبهة في المعركة من اجل القلوب والعقول وامان لي في المغرب " 2004، منشورة على موقع معهد واشنطن: <http://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/lessons-from-the-front-line-in-the-battle-for-hearts-and-minds-my-two-years>

² بن عمار، مرجع سابق، ص 182

³ روبرت ساتلوف، مرجع سابق

اعتمادا على مؤشر التحلي بالعنف كما تبني ذلك كارنيجي، يقدم معهد واشنطن رؤية خاصة في الموضوع، حيث يؤكد ان نبذ العنف من قبل الحركات الاسلامية لا يجب ان يعتمد لوحده كمؤشر اساسي لتمييز الحركات المعتدلة عن المتطرفة، وبناءا عليه يتم السماح لهذه الحركات والاحزاب بالمشاركة في العملية الديمقراطية وذلك¹:

اولا : ان الاسلاميين ينظرون الى العنف كتكتيك وليس كاستراتيجية، وان الاستراتيجية الاسلامية لم تتغير، وان هذه الحركات تخلت عن العنف حينما تبين لها ان هذا الخيار لا يخدم اهدافها، وان الخيارات البديلة تخدمها اكثر، وانه في جميع الاحوال، ومهما اختلفت التكتيكات، فان النتيجة واحدة، وهي عداء الاسلاميين.

ثانيا: ان الحركات الاسلامية لم تعلق اعمال العنف الا بعدما تعرضت للضغط من قبل النظام السياسي او احست ان البدائل الاخرى ضمن السياق السياسي الذي تشتغل فيه قد تؤدي الى اهدافها بصورة افضل.

ثالثا: ان نبذ العنف ليس هو الشرط الوحيد للاشتراك في العملية الديمقراطية، فطالما منعت بعض الاحزاب في التجربة الغربية من الدخول الى العملية السياسية بحجة نشر الكراهية والعنصرية، وخطابات الاسلاميين لا تقل كراهية وعنصرية من الاحزاب العنصرية التي منعت في اوروبا، وان التزام بعضها اليوم بالمشاركة السلمية في الحياة السياسية لا يمثل اي شيء سوى الذرائعية والتكتيك².

6/ الاسلاميين المعتدلين هو المفتاح لحصول الاعتدال الاسلاميين الراديكاليين: هي مجرد فكرة نظرية بحتة تعوزها دلائل الواقع وتجاريه: وبناءا على المقدمة السابقة، التي تؤكد على ان تجنب العنف ما هو الا تكتيك، فان فكرة كون الاسلاميين المعتدلين هم المفتاح لحصول الاعتدال الاسلاميين الراديكاليين تعوزها دلائل الواقع وتجاريه - والتي جادل بها بشأنها كارنيجي - ذلك ان الامثلة الوحيدة للاسلاميين معتدلين وهم في السلطة، قد حدث في بلدان يوجد بها هرم اعلى السلطة (الملك في الاردن والجيش في تركيا)، والذي بإمكانه ان يتدخل ويفرض قواعد الحياة السياسية، ومدام ان العنف هو استراتيجية كلاهما - كون

¹ بن عمار، مرجع سابق، ص 183

² روبرت ماني، روبرت ساتلوف، مرجع سابق

المعتدلة تتجنبه كتكتيك فقط- فانه لا يمكن لأي منظمة اسلامية ان تكون حارسة بوابة البيت الابيض او وزارة الخارجية¹.

وبناء على هذه القناعة يؤكد مركز واشنطن ان معايير القبول للمشاركة في السياسة الانتخابية، ينبغي ان يكون اعلى بكثير من مجرد ايقاف العنف، فعلى الحركات الاسلامية اضافة شطب الاشارات الى استخدام العنف من قاموسها، ان تسحب ايضا جميع كره الاجانب، والعناصر التأميرية، والعنصرية المختلفة، وعناصر معاداة السامية، وان تبين عبر ممارستها ان اهدافها قد تغيرت².

7/ الرأي القائل ان مشاركة الاسلاميين في العملية السياسية تدفعهم نحو الاعتدال حجة ضعيفة: ينتقد واشنطن رؤى العديد من المراكز البحثية - كارنجي مثلا- والتي تؤسس الى فكرة مفادها بان تجربة الاسلاميين في العديد من الدول مثل تركيا والمغرب بان مشاركتهم في العملية السياسية تدفعهم نحو الاعتدال، ويرد المعهد عن هذا الرأي ويعتبر ان التجارب القليلة التي تقدم كحجة في هذا المجال لا تصلح للاحتجاج، ودليله على ذلك ان الاسلاميين الذين عاشوا هذه التحولات، انما عاشوها في بلدان لها مؤسسات متينة، وتتمتع باجهزة امنية قوية، ولها ضمانات تؤمن ارتداد هذه الاحزاب على الديمقراطية مثل وجود الجيش في تركيا والملك في المغرب³. هذا ويقدم واشنطن في احد اوراقه مثال حركة حماس في فلسطين، وبعد فوزها في الانتخابات التشريعية عام 2006 فانها لم ولن تغير من استراتيجيتها العنيفة، فاستراتيجيتها الاساسية ازالة اسرائيل من الوجود⁴.

8/ تبني ديمقراطية تمييزية تتسع للجميع باستثناء الاسلاميين هو الذي سيحمي المصالح الامريكية: بحكم ان الولايات المتحدة الامريكية مصالح في العامل العربي والاسلامي، وان هذه المنطقة تعيش حالة تغير سياسي، اطيح فيها بالانظمة السابقة ليشكل على اثرها انظمة وحكومات جديدة، فان للاسلاميين حظ

¹ تيم روبر و اخرون " اعادة كتابة القصة: استراتيجية مندمجة لمكافحة الارهاب " 2009. على الرابط :

<http://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/rewriting-the-narrative-an-integrated-strategy-for-counterradicalization>

² رويل مارك شارجن " معضلة الديمقراطية في الشرق الاوسط: هل الاسلاميون هم الحل " 2005، منشور على الرابط:

<http://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/the-democracy-dilemma-in-the-middle-east-are-islamists-the-answer>

³ روبرت ساتلوف و اخرون " انتصار حماس واثره على السياسة والاقتصاد والاستراتيجية " ، 2006، على الرابط:

<https://www.washingtoninstitute.org/uploads/Documents/pubs/PolicyFocus53.pdf>

⁴ بن عمار، مرجع سابق، ص 184

في الوصول للسلطة ، وهو الذي سيشكل تهديدا للمصالح الامريكية، فامريكا تراهن على مصالحها في النظام السياسي العربي الجديد الذي لا تشتمل حكومته على الاسلاميين، فرؤية واشنطن تقوم على انه من الضروري ان تكون الادارة الامريكية شريكا في التحول الذي يحدث في بلدان الربيع العربي والتي منها تونس، ولا سيما اذا كانت تزيد حظوظ حركات الاصلاح غير الاسلاموية في التجذر في البلدان العربية الاخرى، اذ تقترح في هذا السياق ان تدعم ادراج جميع الشركاء السياسيين العلمانيين في الحوار التونسي والانتخابات، لترسيخ فكرة دولة علمانية، يحكمها قانون وضعي، وبمجتمع مدني حرو وان تبنى ديمقراطية تمييزية تتسع للجميع باستثناء الاسلاميين، لان ذلك هو الذي سيحمي المصالح الامريكية¹.

9/ **تخدم المصالح الامريكية على افضل وجه من خلال دعم الانتقال الديمقراطي المشروط:** تقوم هذه المقدمة على فكرة اساسية مفاده، ان المصالح الامريكية في المنطقة العربية تتأتى من خلال الدعم للانتقال الديمقراطي وفق شروط تملئها امريكا على القيادة الجديدة في المنطقة، فدعم الانتقال الى حكومة مصرية كنموذج ناجح متوقف على ان تقوم الاخيرة بما يلي:

- أ- تعبر فعليا من خلال تصرفاتها على ارض الواقع عن التزاماتها بالحرية العالمية
- ب- تعكس من خلال المبادئ والممارسات الديمقراطية (بما في ذلك تنظيم انتخابات رئاسية وبرلمانية حرة وعادلة) التطلعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المشروعة لشعبها، وتعمل على الاستجابة اليها بجميع الطرق الممكنة.
- ت- تحترم سيادة القانون
- ث- تلتزم بالوفاء بتعهداتها الدولية
- ج- تؤكد على شراكتها الثنائية مع الولايات المتحدة لتعزيز السلام والامن في منطقة الشرق الاوسط وافريقيا والبحر المتوسط.

هذه المبادئ هي التي يجب ان تعتمد عليها الولايات المتحدة كقاعدة لسياستها في تعاملها مع هذا الوضع غير المستقر في مصر، فهي تعكس مصالح امريكا الرئيسية في هذه العلاقة الثنائية، وتعتمد على

¹ روبرت ساتلوف، " كيف تستطيع واشنطن مساعدة تونس وثورات اخرى " 2011، منشور على الرابط:

<https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/how-washington-can-help-tunisia-and-other-arab-revolutions>

مبدأ الاشتراط الايجابي، ن خلال ربط الدعم الاقتصادي والعسكري بجدول زمني للإصلاح السياسي وانتقال القيادة، ويعكس هذا النهج أفضل طريقة لاستخدام الاصول الامريكية للتأثير على صناعات القرار ممن ستؤول اليهم السلطة في القاهرة وتسهيل مرحلة انتقالية ناجحة وأمنة¹.

فالفكرة الاساسية حسب طرح واشنطن هي ان عملية الانتقال الديمقراطي الناجحة او الفاشلة يحددها مدى الالتزام في القيادة العربية الجديدة التي ستتولى الحكم بالشروط التي تحددها الولايات المتحدة في اطار ما يخدم مصالحها، فالوفاء بهذه الشروط يحقق رضا امريكا والتزامها بالمساعدات السخية التي تعد بها، وعدم الوفاء بهذه الشروط يترتب سخط الولايات المتحدة والتي ستعيق اي تحول يخل بالشروط المنهجية التي عرضتها امريكا².

10/ تدخل الولايات المتحدة في المسار الديمقراطي ضروري ان كان فيه احتمال لتضرر المصالح الامريكية وحلفائها : المصالح الامريكية لها الاولوية حين التعاطي مع عملية الانتقال الديمقراطي في العالم العربي، فاي احتمال لسيناريو سئ يمس المصالح الامريكية وحلفائها في المنطقة، يقتضي التدخل الخارجي من قبلها لتجنبه فتغير الحكومات في المنطقة جراء الثورات ودخول مرحلة الانتقال الديمقراطية وخاصة في مصر، سيقود الى احتمالية تضرر مصالح الولايات، اذا ما اعلنت حكومة اسلامية يمكنها ان تهدد تلك المصالح، يرى واشنطن مثلا انه من المحتمل ان تتخذ الثورة المصرية او التونسية منعطفا مناهضا للديمقراطية سواء نحو سياسات اكثر تطرفا او مناهضة للليبرالية او معادية للغرب او نحو استبدادية جديدة، وهو احتمال وارد وبشكل مروع، في حال فازت الجماعات الاسلامية بالاجلبية، وعلى هذا الاساس فمن الاجدى على الولايات المتحدة ان تستعد للتدخل للتأثير على مسار العملية الديمقراطية، وذلك باستعمالها بطرح عرض التجارة الحرة، ومن جهة اخرى السعي الى تنبيه الشارع العربي الى تبعات تصويته لاي جماعة معادية لامريكا والغرب خاصة الجماعات الاسلامية والتي منها الإخوان المسلمين³.

¹ روبرت ساتلوف، " مصالح الولايات المتحدة الامريكية في مصر : اعلان مقترح للسياسة الامريكية" 2011 ، المنشور على الرابط : <http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/u.s.-interests-in-egypt-a-proposed-statement-of-u.s.-policy>

² بن عمار ، مرجع سابق، 186

³ روبرت ساتلوف، " كيف تستطيع واشنطن مساعدة تونس وثورات اخرى " 2011، منشور على الرابط:

<https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/how-washington-can-help-tunisia-and-other-arab-revolutions>

11/ قبول الاسلاميين باللعب ضمن العملية الديمقراطية ودخول الانتخابات هو تكتيك ضمن مسعى استراتيجي ينتهي بتأسيس دولة اسلامية: تؤكد هذه المقدمة على فكرة اساسية مفادها ان المسعى النهائي للاسلاميين هو تأسيس دولة اسلامية، وهذا ما يزيد القلق العميق تجاه الحركات والاحزاب الاسلامية التي اصبحت قاب قوسين او ادنى من الوصول الى السلطة ما بعد ثورات الربيع العربي ومن امتثلها جماعة الاخوان في مصر¹.

يؤكد معهد واشنطن ان جماعة الاخوان هي بالخطورة بما كان يعتقد البعض، فهي ليست منظمة رفاهية اجتماعية اهدافها انسانية بصفة اساسية، بل على النقيض من ذلك، ان جماعة الاخوان هي منظمة سياسية الى حد كبير تسعى الى اعادة تنظيم المجتمع المصري والمجتمع الاسلامي الاوسع نطاقا بطريقة اسلامية، ومن الناحية التكتيكية هي منظمة سوف تستغل اي فرص سانحة تقدم اليها، فهي قد تخلت عن اهدافها الاكثر طموحا والاساليب العنيفة لتحقيقها وذلك نتيجة الزام النظام على ذلك، وليس بمحض اختيارها، ولو حققت جماعة الاخوان قوة سياسية من المؤكد انها ستستخدمها لتحويل مصر الى مكان مختلف تماما والقياس الافضل هو تركيا في ظل حكم اردوغان، حيث تتحول تدريجيا الدولة العلمانية الى دولة اسلامية².

ويقارن معهد واشنطن بين نموذج الحكم لابن لادن الذي يسعى الاخوان لتشكيله، ان بن لادن ومنذ عقد مضى، عرض نموذجا لحكم اسلامي منقشف ومتعشش للدماء رفضته جموع المسلمين ليس لهدفه الايدلوجي الرامي الى انشاء دولة اسلامية، وانما لاساليبه غير الانسانية، لاسيما فيما يتعلق بغير المسلمين الابرياء الذين كانوا اما هدفا او اهدافا او ضحاياي عرضيين لوحشية بن لادن، ولاشك ان نموذج الحكم الاسلامي لجماعة الاخوان يختلف عن نموذج بن لادن، ويتساءل المعهد : هل هو اختلاف في الوسائل او الغايات ام في كليهما؟ وقبل ان ينتشر حسب ما يؤكد واشنطن هذا النموذج الى مناطق عبر الشرق الاوسط، فيما تراه العديد من شعوب الشرق الاوسط بانه موافقة من واشنطن ولا اقل من ذلك،

¹ روبرت ساتلوف، " مصالح الولايات المتحدة الامريكية في مصر : اعلان مقترح للسياسة الامريكية" 2011 ، المنشور على الرابط : <http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/u.s.-interests-in-egypt-a-proposed-statement-of-u.s.-policy>

¹ بن عمار، مرجع سابق، ص 187.

² المكان نفسه

ينبغي على ادارة اوباما ان تضع سلسلة من تامعضلات السياسية لرئيس مصر الجديد وزملائه من اجل استيضاح الاجابات على ذلك السؤال الرئيسي¹.

12/ دحض الحجج القائلة بأن وصول الاسلاميين الى السلطة ستدفعهم الى الاعتدال، والقول عكس ذلك: جاءت هذه المقدمة للرد على العديد من الآراء التي قدم بعضها معهد كارنيجي، التي تحاول تجميل صعود الاسلاميين بالتأكيد ان استحقاقات الحكم ستدفعهم نحو الاعتدال، ورؤية واشنطن تركز الى القول بأن التجربة والواقع عكس هذا الطرح ، ان الحكومات الاسلامية في ايران والسودان قد بدت متصلة لمبادئها ضد الضغط الدولي الحاشد ، وليس من المرجح ان تواجه مصر هذا النوع من الضغط الدولي في اي وقت قريب².

ويرد معهد واشنطن على راي اخرين يحتجون بالقول انه ما دامت الولايات قد بنت علاقات امنية وثيقة مع اكثر الدول محافظة مثل السعودية وقطر فبالتأكيد ان مصر بقيادة الاخوان المسلمين بقيادة الاخوان المسلمين يمكن ان تكون ودودة ايضا، لكن مصر تختلف تماما حسب ما يرى المعهد، لان التصور الاسلامي فيها يجد لزاما عليه ان يحارب من اجل ان ينجو من قبضة حديدية لمستبد فاسد مدعوم من قبل الولايات المتحدة، كما ان معاداة امريكا- الى جانب معاداة الغرب واسرائيل- مترسخة بعمق في وجدان الجماعات الاسلامية المصرية³.

يؤكد معهد واشنطن ان المشاركة الاسلامية في الانتخابات لن تدفعهم الى الاعتدال بل سيلتزمون العنف، كما انها ستقود الى تهديد صارخ لمصالح الولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة، ومما يؤشر على ذلك الواقع العملي وليس الخطابات:

اولا: تعهد قادة الاخوان المسلمين بعرض معاهدة السلام التي وقعتها مصر مع اسرائيل عام 1979 الى استفتاء شعبي، ثانيا: تُظهر مصر تحت حكم الاخوان اكثر ميلا نحو التطرف العنيف بدل التصدي له ، فقد دعت الاخوان الجماعة الاسلامية للانضمام الى ائتلافها، وهذه الجماعة هي تنظيم مصنف من قبل الولايات المتحدة كمنظمة اراهابية، ثالثا: ستصبح مصر في ظل قيادة اسلامية غير مرحبة بالاقليات الدينية والعلمانيين المصريين، ويسعى البرلمانيون الاسلاميون المنتخبون حديثا الى جعل الشريعة هي

¹ المكان نفسه

² المكان نفسه

³ المكان نفسه

المصدر الحصري للتشريعات وليس فقط الرئيسي لها، وقد تعهدوا بمقاضة من ينتقدون الشريعة الإسلامية¹.

المطلب الثالث: مؤسسة راند البحثية*: RAND Corporation - Research and Development

مؤسسة راند (RAND) وهي اختصار (Development and Research)، هي مؤسسة مستقلة غير ربحية، أسست في الأساس لتقديم خدمات البحث والتحليل للجيش الأمريكي، وبعد ذلك توسعت في مجالات البحث والتحليل وأصبحت تتعامل مع حكومات وشركات وهيئات أخرى، اشتمت مؤسسة "راند" اسمها من "البحوث والتنمية Research and Development"، وقد تأسست في عام 1948 عندما استقلت مجموعة صغيرة العدد من الخبراء عن شركة دوغلاس لصناعة الطائرات وأدرجت هذه المجموعة بإلهام من دروس الحرب العالمية الثانية أن استمرار السلام العالمي أمر غير مضمون، وأن علي من يدعمون السلام أن يعملوا دون كلل أو ملل لتعزيز هذا المسعى، وقد عرفت المنظمة نفسها علي الموقع الخاص بها علي الإنترنت بوصفها " منظمة بحثية لا تهدف للربح" تقدم التحليلات الموضوعية والحلول الفاعلة التي تعالج التحديات التي تواجه كلا من القطاعين العام والخاص".

والمؤسسة منذ إنشائها تؤكد علي الحاجة للتعاون بين الكيانات الصناعية، والأجهزة الحكومية، والجامعات سعياً إلي الوصول إلي الحد الأقصى من التنسيق بين أهل العلم و المعرفة لمعالجة أي مشكلة من كافة جوانبها، وفي النهاية تقدم "راند" ما تعتبره تحليلاً موضوعياً ودقيقاً لمدي واسع ومتنوع من القضايا، وفي الوقت ذاته يتساءل كثيرون من المراقبين من خارج المؤسسة عن علاقتها بالبنجابون و وزارة الدفاع الأمريكية، ولعل هذا التفكير مبعثه أن "راند" ركزت الجزء الأكبر من مواردها في البداية علي البحوث الخاصة بالدفاع والأمن القومي. والحق إن باحثي "راند" أصحاب الفضل في وضع الأسس التي قام عليها برنامج الفضاء الأمريكي .

مؤسسة "راند" هي منظمة بحثية لا تهدف للربح . وفي عام 2004 ذكرت المؤسسة أن صافي أصولها بلغ 387 دولار أمريكي وحققت دخل بلغ 227 مليون دولاراً أمريكياً. ويتشكل مجلس أوصياء

¹ المكان نفسه

*بطاقة تعريفية لمؤسسة راند من الموقع الرسمي للمؤسسة علي النت:

<https://www.rand.org/ar/about/leadership.html>

مؤسسة "راند" من عدد كبير من الشخصيات المرموقة مثل "بول أونيل" وزير الخزانة الأمريكية سابقاً، و"هارولد براون" أحد مستشاري مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية، وتنقسم "راند" إلي عدة أقسام بحثية تغطي مجالاً واسعاً من المجالات: من الصحة والتعليم إلي الأمن القومي إلي الدفاع وغير ذلك من المجالات التي تحظى باهتمام دولي. إلي جانب إدارتها لقسم خاص بالنشر، وخدمة قاعدة البيانات التي تتيحها للاستخدام العام للباحثين ، تدير المؤسسة مركز السياسة العامة لمنطقة الشرق الأوسط "CMEPP" الذي يركز علي "التطوير السياسي والاجتماعي والاقتصادي والتقني" في الشرق الأوسط بهدف جعل المجتمع أكثر أمناً ووعياً ورفاهية". وقد حدد "المركز" أربعة أهداف رئيسية يسعى إلي تحقيقها وهي: دعم الإصلاح السياسي والاجتماعي، تعزيز التفاهم المتبادل بين شعوب الشرق الأوسط و الولايات المتحدة الأمريكية ، تشجيع الحل السلمي للصراع في المنطقة ، وضع برامج لمساعدة الشباب في الشرق الأوسط. ومدير المركز هو "دافيد آرون" الذي كان يشغل منصب نائب مستشار الأمن القومي للرئيس جيمي كارتر والذي سبق أن عمل كمبعوث من قبل البيت الأبيض إلي أجزاء متعددة في العالم. كما يعمل كل من: "بول بريمر" القائد السابق لقوات التحالف المؤقتة في العراق ، و"راي مابوس" السفير الأمريكي في المملكة العربية السعودية كعضوين في المجلس الاستشاري ، وتشارك مؤسسة راند الحكومة القطرية مشروعاً لتطوير مناهج التعليم القطري من خلال توفير خبراء ومختصين في هذا المجال. وقد حددت مؤسسة راند عدداً من الدراسات الهامة منها ما بدأ العمل فيه بالفعل ومنها ما سيبدأ في المستقبل القريب وأبرز هذه الدراسات بعنوان "المساعدة علي إقامة دولة فلسطينية ناجحة". والدراسة تعمل علي الإجابة علي التساؤل الآتي: "ما هي الشروط الواجب توفرها لقيام دولة فلسطينية دائمة؟". وقد قدم "المركز" توصياته في هذا الصدد من خلال ما نشر في تقريرين عن هذه الدراسة هما: "بناء دولة فلسطينية ناجحة" و"القوس: هيكل رسمي للدولة الفلسطينية"، حيث عالجت التوصيات مسألة خلق هيكل ناجح وقابل للتطبيق عملياً للدولة الفلسطينية. وأفاد البحث أن احتمال بقاء الدولة الفلسطينية يزيد قوة إذا توفر لها قدر كبير من سلامة الأراضي، والحدود المفتوحة، والأمن الكافي، سواء بداخلها أو لجيرانها.

وتضمنت دراسات أخرى للمركز "دعم جماعات المسلمين المعتدلة"، وهي دراسة تهدف إلي تقديم العون للزعماء المسلمين المعتدلين في "حرب الأفكار" التي يخوضونها ضد المتطرفين ودعم دراسات الشرق الأوسط والدراسات الإسلامية في أمريكا"، والتي تهدف إلي فحص الوضع الحالي للبرامج الأكاديمية والتركيز علي الشرق الأوسط و الإسلام وتقديم المقترحات لكل من الحكومات والمؤسسات

التعليمية، فيما يتعلق بتحسين هذه البرامج. والعمل جار أيضاً في دراسة أخرى بعنوان "المرحلة الانتقالية نحو الديمقراطية في الشرق الأوسط" والتي تتصدي لفحص جوانب التحرك، والتحديات التي تواجه الإصلاح في بلدان الشرق الأوسط ذات الأهمية القصوى للولايات الأمريكية المتحدة مثل مصر و المملكة العربية السعودية. وهناك دراسة أخرى بعنوان "عدة النجاة للضحايا من الأطفال في حرب أفغانستان و العراق" وتتناول ابتكار مواد تربوية تعليمية للأطفال الذين عانوا من الحروب في بلدانهم.

- أصدرت مؤسسة راند عام 2004 تقريراً بعنوان الإسلام المدني
- وفي عام 2007 أصدرت تقريراً آخر بعنوان بناء شبكات إسلامية معتدلة
- كما تولت مؤسسة راند إصلاح عدد من المؤسسات العربية منها نظام التعليم في دولة قطر

مخرجات مؤسسة راند : الافتراضات والحجج

في تناولنا لمخرجات مؤسسة راند وجب التركيز على دراستين هامتين كنموذج، إذ تعدان من أشهر وابرز الابحاث التي تناولت موضوع الاسلام السياسي والديمقراطية بعد هجمات 11 سبتمبر، وهذا بابرار الحجج والمقولات التي تجادل بها هذه الدراسات، فاما الدراسة الاولى، كتاب المتخصصة في المؤسسة "شيريل بينارد" تحت عنوان "الاسلام الديمقراطي المدني الشركاء والموارد والاستراتيجيات" عام 2004 وأما الدراسة الثانية عبارة عن كتاب قدمه مجموعة من الباحثين المستشرقين المتخصصين في المؤسسة. منهم "شيريل بينارد و" انجيل راباسا" وآخرون تحت عنوان "بناء شبكات المسلم المعتدل" عام 2007.

اولاً: كتاب الاسلام الديمقراطي المدني الشركاء والموارد والاستراتيجيات: Civil Democratic Islam Partners, Resources, and Strategies

1/ الافتراض :

يوجد في العالم الاسلامي اتجاهات متوائمة مع السلام العالمي وقيم الديمقراطية والحدثة، ومن الحكمة تشجيعها ودعمها، كما يوجد في المقابل اتجاهات معادية لهذه القيم، ومن الضروري اضعافها وتهميشها،

وذلك من اجل تجنب صراع حضارات و يكون العالم الاسلامي هو من سيورط الغرب وخاصة امريكا فيه¹.

2/ الحجج :

أ- العالم الاسلامي متورط في صراع قيم داخلي وخارجي ولهذا الصراع تداعيات على العالم اجمع، وعلى الغرب ان يفهم ان هذا الصراع من اجل التأثير على نتائجه، في البداية تنطلق الدراسة من مقولة اساسية مفادها ان الاسلام المعاصر ومن اجل ان يحدد قيمه وهويته وموقفه من العالم اصبح متورطا في صراعات داخلية وخارجية، حيث تتصارع مجموعة من الرؤى داخله من اجل السبق في الهيمنة السياسية والروحية، وتؤكد الدراسة ان لهذا الصراع تكاليف باهظة وتداعيات اقتصادية واجتماعية وسياسية وامنية تمس العالم اجمع².

ان نتيجة هذا الصراع الداخلي حسب ما ترى الدراسة، اذا كانت لصالح الاسلام غير المعتدل و اي الاصولي سيقود الى صراع حضارات، يكون العالم الاسلامي هو من اشعل فتيله، لان الاسلام دين ملهم بما له من نفوذ سياسي واجتماعي ضخم، وهو يلهم اتباعه مجموعة من الايدلوجيات والانشطة السياسية التي تهدد الاستقرار العالمي³.

ولتجنب صراع الحضارات فان الغرب يبذل جهود متنامية لفهم هذا الصراع الداخلي الاسلامي، وسبيل التعايش معه والتأثير في نتائجه يكون بما يساهم ويتضمن عالما اسلاميا من شكل خاص طبقا لما ترغب الولايات المتحدة ان تراه، ان الولايات المتحدة والعالم الصناعي برمته، يفضلون جميعا عالما اسلاميا متناغما مع النظام العالمي، ديمقراطي وقابل للنمو الاقتصادي ومستقر سياسيا، وتقدمي من الناحية الاجتماعية ويتبع قواعد السلوك الدولي وقوانينه، وبالمثل يريدون تجنب صراع الحضارات بكل اشكاله⁴.

¹ بن عمار، المرجع نفسه، ص 190

² شيريل بينارد، الاسلام المدني الديمقراطي الموارد الشركاء الاستراتيجيات، تر: ابراهيم عوض، القاهرة: مركز نماء

للبحوث والدراسات، 2013، ص 13

³ المرجع نفسه، ص 23

⁴ المرجع نفسه، ص 13

ب- يعيش العالم الإسلامي حالياً حالة من الازمة: تؤكد الدراسة ان العالم الاسلامي يعيش حالياً حالة من الازمة، وترجع اسبابها الى مكونات رئيسيان: الفشل في تحقيق النمو، والانفصال عن التيار العالمي المهيمن، لقد اصطبغ العالم الاسلامي منذ فترة طويلة بالتخلف، والعجز النسبي، وجرب حلولاً مختلفة مثل الوطنية القطرية، والقومية العربية، والاشتراكية العربية، والثورة الاسلامية و لكن من دون نجاح يذكر، مما وأد حالة من الاحباط والغضب، في نفس الوقت ابتعد العالم الاسلامي عن الثقافة العالمية المعاصرة، فقد اصبح ابعدها ما يكون عن قيم الحداثة والديمقراطية وحقوق الانسان فهو يؤكد على مرجعيته الدينية الاسلامية والتي لا تتوافق في الاصل مع القيم التي تتبني عليها الثقافة العالمية¹.

ت- الاختلاف في الرؤى في التعامل مع الازمة التي يعيشها العالم الاسلامي: انتج اتجاهات تتصارع فيما بينها، منها ما هو متوافق ومتوائم مع قيم الحداثة والديمقراطية وحقوق الانسان، ومنها ما هو معادي لها: ترى الدراسة انه وفي ظل الازمة التي يعيشها العالم الاسلامي يتفق المسلمون بأنه من الضروري ان يتم ايجاد الحلول للخروج من هذا الوضع، لكنهم يختلفون فيما اعتماده كحل فعال ومجدي، كما يختلفون على الصور النهائية التي يجب ان يكون عليها المجتمع الاسلامي، وتحدد الدراسة اربعة اتجاهات في هذا المضمار:

الاتجاه الاول: والذي يمثله الاصوليون: وتعزفهم الدراسة بانهم اولئك الذين يرفضون قيم الديمقراطية والثقافية الغربية المعاصرة، ويريدون دولة سلطوية، متمزجة تطبق رؤيتهم للشريعة والاخلاق الاسلامية وهم على استعداد لاستخدام التقنيات الحديثة من اجل بلوغ هذا الهدف.

وتضيف ان الاصوليون نسخة عدوانية توسعية لاسلام لايتورع عن العنف، اذ غايتهم اكتساب القوة السياسية ثم الفرض الصارم للاسلام- طبقاً لتفسيرهم- بالقوة، وذلك على اوسع نطاق عالمي ممكن، ان مرجعيتهم ليست الدولة القومية القطرية او الجماعة العرقية، بل الامة الاسلامية².

ولكن الاصوليون حسب الدراسة ليست صورة واحدة، اذ يمكن التمييز بين تياران من الاصوليين، الاول راسخ عقدياً، ويميل الى مدّ جذوره في المؤسسات الدينية، وسوف نشير الى هذا التيار بـ " الاصوليين النصوصيين" وتضم هذه الطائفة معظم الراديكاليين، الايرانيين من جانبها الشيعي، في حين

¹ بن عمار، مرجع سابق، 192

² المكان نفسه

يضم جانبه السني تجل واحد، الا وهو الوهابية السعودية، وتعد جماعة " كابلان" النشطة في تركيا وبين اترك الشتات مثلا اخر، اما التيار الثاني، فهو " الاصوليون المتطرفون" وهم اقل اهتماما بالدلالة الحرفية لنصوص الاسلام، اذ يبيحون لانفسهم في هذا المضمار حريات كبيرة سواء عمدا او جهلا منهم بصحيح الاسلام، وليس لهؤلاء الاصوليين خلفيات علمية مؤسسية، بل يميلون الى الاعتماد على الذات والانتقائية في معرفتهم للاسلام، ويضم هذا التيار تنظيم القاعدة، وحركة طالبان الافغانية، وحزب التحرير وعدد كبير من حركات التطرف المنتشرة في العالم، والتي منها حماس والجهاد الاسلامي في فلسطين، كما تحددهم الدراسة في موضع اخر.

لتصل الدراسة بعد هذا التحليل الى تأكيد نتيجة مفادها ان الاصولية بوجه عام لا تتوافق مع قيم المجتمعات المدنية، والتصور الغربي لمجتمع الحضارة والنظام السياسي العلماني¹.

الاتجاه الثاني: والذي يمثله التقليديون، وتعرفهم الدراسة بأنهم اولئك الذين يريدون مجتمعا محافظا ويشككون في الحداثة والابداع والتطور، وتقسّمهم الدراسة هم ايضا الى جماعتين اثنتين هما التقليديون المحافظون، والتقليديون الاصلاحيون، وتؤكد بأن الفرق بينهما خطير وكبير.

" يؤمن التقليديون المحافظون بالتطبيق الحرفي للشريعة والتراث، وباضطلاع الدولة وسلطاتها السياسية بتشجيع هذا التطبيق او على الاقل تسييره، ومع هذا فان هذه الفئة لا تحبذ اللجوء الى العنف او الارهاب و اما التقليديون الاصلاحيون فيروا بوجوب تقديم الاسلام لتنازلات في قضية التطبيق الحرفي لتعاليمه، ليظل خطابه فعالا وجذابا على مر العصور².

الاتجاه الثالث: والذي يمثله الحداثيون، حسب ما تقدمهم الدراسة فان هذا الاتجاه يرغب في ان يصبح العالم الاسلامي جزءا من الحداثة العالمية، وان يتم تحديث الاسلام وتقويته ليواكب العصر.

سعى الحداثيون " لاحداث تغييرات جوهرية في الفهم والتطبيق الحاليين للاسلام، كما يؤمنون بتاريخية الاسلام، وهو ما يعني ان الاسلام الذي تُعبّد به ايام النبي محمد- صلى الله عليه وسلم- قد عكس حقائق ابدية، وملابسات تاريخية كانت ذلك العصر ولم تعد صالحة الان، ويرون ان الممارسات جزء لا ينفصل عن السياق التاريخي دائم التغيير، ان ما يقدره الحداثيون في الاسلام ويعجبون به يختلف تماما عما يقدره

¹ شريل بينارد، مرجع سابق، ص 27-28

² المرجع نفسه، ص 29

الاصوليون والتقليديون، كما انه اكثر تجريدية، فالقيم الجوهرية مثل صدارة الضمير الفردي، وقيام المجتمعات على المسؤولية الاجتماعية، والمساواة والحرية هي قيم تتوافق بسهولة مع المعايير الديمقراطية الحديثة¹.

الاتجاه الرابع: والذي يمثله العلمانيون: ووتعرفهم الدراسة بانهم اولئك الذين يريدون ان يقبل العالم الاسلامي انفصال الدين عن الدولة و كما هو الحال في الديمقراطيات الصناعية الغربية، وعلى قصر الدين على المجال الخاص.

فالعلمانيون يؤكدون ان الدين امر شخصي يجب فصله عن السياسة وان التحدي الاكبر يكمن في منع تعدي اي منهما على الاخر، فالدولة يجب ان تتدخل في الممارسات الدينية لرعاياها، بشرط ان تتوافق تلك تلممارسات مع القانون الوضعي ومنظومة حقوق الانسان ، وتمثل الكمالية التركية- التي اتمت الدين لحساب - النموذج العلماني في الاسلام.

وترى الدراسة ان هناك صنفان من العلمانيين " العلمانيون المعتدلون الذين يريدون من الدولة ضمان حرية ممارسة الشعائر الدينية، وحصر الدين في المجال الخاص بوصفه امرا شخصيا، بشرط عدم انتهاك للمعايير الوضعية لحقوق الانسان والقانون المدني، والعلمانيون المتطرفون بما في ذلك الشيوعيون اللائكيون فانهم يعادون الدين كلية².

د- الاتجاهات داخل العالم الاسلامي الاكثر موائمة لقيم الحداثة والديمقراطية يجب انتقاؤها بدقة للترويج للاسلام الديمقراطي، ترى الدراسة انه ولاجل تشجيع التغير الايجابي في العالم الاسلامي نحو الديمقراطية والحداثة والتوافق مع النظام العالمي المعاصر، يجب ان تختار الولايات المتحدة والغرب، بعناية شديدة، العناصر والاتجاهات والقوى الاسلامية التي ينوون دعمها وتقويتها، ويجري تقييم الاهداف والمنظومات القيمة الخاصة بالحلفاء المحتملين، ودراسة ارجح العواقب التي قد يسفر عنها دعمهم³، ومن بين الاتجاهات الاربعة سألقة الذكر تؤكد الدراسة ان هنالك اتجاه واحد فقط يتواءم مع رؤية الغرب للديمقراطية، انه الاتجاه الحداثي اما بقية الاتجاهات فاما انها غير متوافقة مع قيم الغرب او معادية لامريكا⁴؟

¹ المرجع نفسه، ص 30

² المرجع نفسه، ص 32

³ المرجع نفسه، ص 15-16

⁴ بن عمار، مرجع سابق، ص 195

الاتجاه العلماني حسب ما ترى الدراسة، فان هؤلاء هم حلفاء الغرب الطبيعيين في العالم الاسلامي، على اعتبار ان الديمقراطيات الغربية تركز على الفصل بين الدولة والدين، ونظرتهم هم ايضا تركز الى ذلك، لكن ما تلاحظه الدراسة هو ان مشاعر الكثير منهم معادية وسلبية تجاه الغرب لاسباب متنوعة فالايديولوجيات اليسارية، وخطاب العداء لامريكا، والقوميات العدوانية، والهياكل الاستبدادية، تعد ابرز التجليات العلمية في البلدان الاسلامية حاليا.

الاتجاه الاصولي: بكل وضوح ودون ومواربة تؤكد الدراسة ان الاصوليون المتطرفون " يعادون الحداثة وقيم الغرب عموما، والولايات المتحدة بشكل خاص، ولا تتوافق اهدافهم العامة مع اهدافنا، فهم يعارضوننا ونحن نعارضهم، اما الاصوليون النصوبيون ، فلا تزال العداوة مؤجلة وكامنة، كما ان التحالفات المؤقتة مستمرة في حالات معينة املتها الاعتبارات المختلفة ومن الامثلة : السعودية وايران¹.

الاتجاه التقليدي: تؤكد الدراسة ان الاسلام التقليدي ينطوي على عناصر تدعم قيم الديمقراطية والمساواة والمشاركة، ومن الممكن انتقاء هذه العناصر واستخدامها في تبرير الاصلاح، ولهذا كله فمن المغربي اختيار التقليديين كطليعة لمشروعنا لترويج وتعزيز الاسلام الديمقراطي، لكنه على الرغم من الاغراء الذي يمكن ان يقدمه التقليديون الا انهم في المقابل يطرحون اشكالات شديدة الخطورة، حيث تحددها الدراسة في النقاط التالية:

1- يصعب علينا التمييز بين التقليديين والاصوليين سواء من حيث القيم التي يعتنقها الطرفان والتي تتقارب غالبا الى درجة لا يمكن التمييز بينها².

2- رغم ما يوفره التقليديون من فرصة لالتماس روح الديمقراطية في الاسلام، فانه عادة ما تنطوي كتاباتهم على مواقف وحجج فلسفية تخالف القيم التي بنى عليها المجتمع المدني المعاصر بشكل جذري، وتكمن المشكلة الرئيسية في تناقض الاسس الفلسفية للطرفين، فالديمقراطية الحديثة تركز على قيم الاستتارة، اما الاتجاه التقليدي فيعادي تلك القيم، ويراه مصدر الشرور والاثام ومنبعا للفساد الاخلاقي، كذلك تمثل منظومة الاتجاه التقليدي نقبضا للمتطلبات الاساسية للعقلية الديمقراطية الحديثة وهي التفكير النقدي، والحلول الابتكارية

¹ شيريل بينارد، مرجع سابق، ص 56

² المرجع نفسه، ص 61

للمشكلات والحرية الفردية والعلمانية، وإذا أمكن التغاضي عن هذه الاختلافات لبعض الوقت، فإنها لن تدوم وعاجلاً أم آجلاً سوف تتكشف مكامن التعارض¹.

3- في الوقت الذي يرفض فيه المجتمع الديمقراطي المدني المعاصر تطبيق الشريعة فإن الرؤية التقليدية تقتضيها

وبناء على ما تم تقديمه فإن الدراسة تخلص إلى أن الحداثة لن تتسجم مع القضايا المحورية التي يركز عليها التقليديون، أضف إلى ذلك تؤكد الدراسة، أن الاتجاه التقليدي مرتبط بالتخلف والرجعية ارتباط السبب بالنتيجة، فهو يمثل حاضنة لتفريغ المشكلات الاجتماعية والسياسية من كل نوع، أن التيار التقليدي سلطوي هرمي مرتبط بالسلطة وغير ديمقراطي، ولا يطمئن لحضور المرأة في الحياة العامة بل يعرقل ذلك، فضلاً عن نفوره من التعليم العلماني الحديث².

الاتجاه الحداثي: تؤكد الدراسة أن الرؤية الحداثية متوافقة مع رؤيتنا، ومن بين كل الاطيفاف، فإن هذه الفئة شديدة الاتساق مع قيم وروح المجتمع الديمقراطي الحديث، أن النزعة الحداثية لا التقليدية هي التي تتسق مع الغرب، وسبب ذلك، أن هذا الاتجاه يشتمل بالضرورة تجاوز الاعتقاد الديني الأصلي، أو يعمل على تعديله، أو تجاهل بعض عناصره على نحو انتقائي، ورغم أن الحداثيون هم الشريك الأساسي الذي يجب أن تعول عليه الولايات المتحدة والغرب للترويج للإسلام الديمقراطي، فإن واقع حال هذا الاتجاه لا يبعث على التفاؤل، فهؤلاء يعملون تحت ضغط عدد من المعوقات منها الاقتصادية المتعلقة بالتمويل والسياسية المتعلقة بالمضايقات والتهميش والتي تضعف من فعاليتهم³.

والى جانب هذه الاتجاهات الرئيسية يوجد الصوفية والتي هي من بين الفئات التي حددتها الدراسة لتدخل ضمن الشركاء المحتملين، وإن كانت لا تدخلها تحت أي الفئات المذكورة، إلا أنها سلكتها مع الحداثيين، ويمثل التصوف من وجهة نظر هذه الدراسة- التفسير الفكري المنفتح للإسلام، وينبغي دعم التفسير الصوفي في المدارس والمقررات التعليمية والمعايير الاجتماعية والأخلاقية والحياة الثقافية، دعماً فعالاً في البلاد التي يوجد بها تقليد صوفي، مثل أفغانستان والعراق، ومن خلال الشعر والموسيقى والفلسفة، الذين

¹ المرجع نفسه، ص 67

² المرجع نفسه، ص 68-69

³ المرجع نفسه، ص 77

ينفرد بهم التصوف، وحسب ما تؤكد الدراسة فإن للتقليد والممارسة الصوفية القدرة على القيام بدور الجسر الذي ينقل هذه المجتمعات خارج نطاق التأثيرات الدينية¹.

ثانياً: كتاب شبكات مسلم معتدل²: Building Moderate Muslim Networks

في صدر هذا الكتاب يؤكدون أنهم يتناولون إحدى القضايا المركزية في عصرنا، وهي حرب الأفكار داخل المجتمعات الإسلامية، وهي دراسة وثيقة الصلة بالمصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة وحلفائها، ولها علاقة مباشرة بما تراه مؤسسة سميث ريتشارد من أن الولايات المتحدة ما زالت تواجه التحدي الخاص بتعزيز النظام العالمي وتعضيد مصالح الولايات المتحدة وقيمها في الخارج، ولا شك أن لهذه الدراسة أهميتها بالنسبة لجماعة الأمن القومي ولأفراد الجمهور العام المهتمين داخل الولايات المتحدة وخارجها³.

1/ الافتراض:

في العالم الإسلامي حالياً اتجاهات فكرية مختلفة تتصارع فيما بينها، منها الراديكالية الرفض لقيم الحداثة والديمقراطية، ومنها المعتدلة المتقبلة لهذه القيم، وللولايات المتحدة دور مهم بحكم تجربتها في الحرب الباردة- يجب أن تلعبه لتطوير وإنشاء شبكات اعتدال إسلامي أكثر توافقاً مع قيم الحداثة والديمقراطية الغربية⁴.

2/ الحجج:

أ/ هناك صراع أفكار داخل العالم الإسلامي ونتيجته ستحدد مستقبل العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب: تنطلق هذه الدراسة من مقدمة أساسية مفادها أن الصراع الدائر الآن عبر مساحة كبيرة من العالم الإسلامي هو في الأساس حرب أفكار، وهو صراع بين اتجاهات عدة، يعد الاتجاه الأصولي أحد هذه الاتجاهات الأبرز، ويقوم هذا الاتجاه على التعصب والعنف ويشكل التهديد الإرهابي الجهادي، وهو يشكل

¹ الرجوع نفسه، ص 90

² شيريل بينارد وآخرون، بناء شبكات اعتدال إسلامي، تر: إبراهيم عوض، القاهرة: مركز نماء، 2016

³ بن عمار، مرجع سابق ص 197

⁴ بن عمار، مرجع سابق، ص 198.

خطرا على الغرب ونتيجة هذا الصراع - حرب الافكار داخليا- هي التي ستحدد ما اذا كان سيستمر تهديد هذا الاتجاه ام لا.

ب/ الاسلام الاصولي اكثر قوة ونفوذًا مقارنة بالمسلمين المعتدلين الليبراليين الذين يتميزون بالضعف ومهمشين: ترجع الدراسة اسباب قوة الاسلاميين الاصوليين والضعف لدى المسلمين المعتدلين الليبراليين الى التالي:

الاسلاميين الاصوليين ورغم كونهم اقلية الا انهم يمتازون بنفوذ كبير، و«كك راجع الى ما طوروه من شبكات تغطي العالم الاسلامي وخارجه، اما المسلمين المعتدلين الليبراليين ورغم كونهم اغلبية و الا انهم لم يتمكنوا من امتلاك الشبكات والمؤسسات الاسلامية المعتدلة باعتبارها وسيلة يمكن ان تقوي صوتهم¹.

وما زاد نفوذ الاصوليين ايضا، كما تؤكد الدراسة هو ان مرحلة 11 سبتمبر ادت الى اكتساب التفسيرات المتطرفة والمنغلقة للاسلام ارضا لها داخل المجتمعات الاسلامية، وترجع اسباب ذلك الى العوامل النبوية، باعتبار انها تلعب دورا كبيرا في ذلك، والتي منها انتشار الهياكل السياسية ذاتية البنية الشمولية وضمور المؤسسات المدنية المجتمعية في جزء كبير من العالم الاسلامي الى ان يكون المسجد احد السبل المهمة للتعبير عن السخط الشعبي على الازواضع السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة.

ومن اسباب ضعف المعتدلين حسب ما ترى الدراسة اضافة الى انعدام شبكات خاصة بهم، هو ان الاصوليين والحكومات الشمولية ايضا قد نجحت بدرجات متفاوتة في ترويب وتهميش واسكات المسلمين المعتدلين الذين يشتركون في تبني الابعاد الاساسية للثقافة الديمقراطية، وذلك باستعمال العنف في حالات كثيرة وكذا التهديد بالعنف لارهاب الخصوم، وعليه فان تفوق الاصوليين على الليبراليين والمعتدلين، حسب ما ترى الدراسة، يرجع في الاساس الى توفر ميزتين هامتين: الاولى هي المال، اما الميزة الثانية فهي التنظيم².

ج/ للولايات المتحدة القدرة على انشاء شبكات اعتدال اسلامي: تؤكد الدراسة على فكرة اساسية مفادها انه اذا كان تيار المسلمين المعتدلين هو الذي سيعتمد عليه لتحقيق نموذج الاسلام الديمقراطي في العالم الاسلامي، وكان هؤلاء من حيث المال والتنظيم اكثر محدودية، و«اقل قدرة على توفيرها بالاعتماد على الذات، فسيكون من الاولى والضروري ان تكون هناك جهة خارجية تتكفل بذلك.

¹ شيريل بينارد وآخرون، مرجع سابق، ص 11

² شيريل بينارد، نفس المرجع، ص 15-16

وبما ان الولايات المتحدة ذات خبرة في هذا المجال، اكتسبتها من تجربتها في الحرب الباردة وما استحدثته من استراتيجيات كان الاثر الاكبر في تكوين مجموعة قوية تتمتع بالمصداقية من معتقي القيم البديلة ضد الفكر الشيوعي، والمنشقين المؤثرين والنظرء الذين امكن الاعتماد عليهم اثناء الحرب الباردة، فانه سيكون سيكون لها دورا حاسما تستطيع ان تلعبه في تمهيد الارضية امام المسلمين المعتدلين، وكما تؤكد الدراسة فان المطلوب في هذه المرحلة هو استخلاص الدروس من تجربة الولايات المتحدة في الحرب الباردة وتحديد مدى ملائمتها لظروف العالم الاسلامي الان ورسم خريطة طريق لانشاء شبكات اسلامية معتدلة ليبرالية، وهو ما تقترحه هذه الدراسة¹.

د/ ان سبيل التغيير في الشرق الاوسط سيتم بنجاح حينما تجعل حكومة الولايات المتحدة الامريكية انشاء شبكات الاعتدال الاسلامي هدفا صريحا في برامج محددة: بعد ثناء الدراسة على جدول اعمال الحرية للرئيس بوش الابن باعتباره استراتيجية رائعة رسمتها الولايات المتحدة في الحرب العالمية ضد الارهاب، تنتقد في الوقت نفسه غياب الاجماع على الكيفية التي من خلالها تحديد الشركاء في حرب الافكار، ودعمهم، كما لاحظت غياب الرغبة الصريحة في المساعدة على انشاء شبكات اعتدال اسلامية ، وعليه فان القضية من جهة نظر هذه الدراسة ، تحتاج جدية اكبر، اذ انه من الضروري ان يُجعل من انشاء هذه الشبكات هدفا صريحا لبرنامج حكومة الولايات المتحدة.

تري الدراسة ان انشاء هذه الشبكات يمكن ان ينطلق من ثلاث مستويات:

الاول: دعم الشبكات، الثاني: تحديد الشبكات الكامنة والوقوف معها في بدايتها واثناء نموها، والثالث: المساهمة في الظروف الاساسية للتعددية والتسامح لملائمة تلك المؤسسات، لكنه رغم عدد البرامج الحكومية الامريكية الفعالة على المستويين الاولين، فان معظم الجهود الامريكية حتى الان تقع في نطاق المستوى الثالث.

فالخطوة الاولى بالنسبة للولايات المتحدة وحلفاءها حسب ما تراه الدراسة هي اتخاذ قرار بناء شبكات اعتدال وخلق صلة صريحة بين هذا الهدف و وبين استراتيجياتها وبرامجها الاجمالية، ويتطلب التنفيذ الفعال خلق بنية مؤسساتية (بيروقراطيات جديدة) داخل الحكومة توجه هذا الجهد وتدعمه وتلاحظ وتراقب باستمرار².

¹ بينارد شريل، مرجع سابق، ص 12

² المرجع نفسه، ص 32

هـ/ تصنيف المسلمين الى معتدلين واصوليين يتوقف على تبيان موقف الافراد والجماعات الاسلامية من العديد من القضايا: ترى الدراسة ان المسلمين حول العالم يختلفون بشكل جذري لا في آرائهم الدينية فحسب بل ايضا في السياسي والاجتماعي، بما في ذلك تصوراتهم المتعلقة بالحكومة، وكذلك في آرائهم حول اولوية تطبيق الشريعة في مقابل تطبيق المصادر التشريعية الاخرى، وآرائهم حول حقوق الانسان وبخاصة حول حقوق النساء والاقليات الدينية، وما اذا كانا يعتقدون ويسوغون ويجيزون العنف المستخدم في تنفيذ مطالبهم السياسية او الدينية، وقد ذكرنا هذه الامور بوصفها قضايا بارزة يسمح موقف الافراد والجماعات منها بتصنيف ادق لها من اقترابها من الديمقراطية التعددية¹.

وبناء على ذلك، تقسم الدراسة الاتجاهات الاسلامية المعاصرة الى معتدلة واخرى متطرفة اصولية وتعرف الدراسة المعتدلين بانهم " اولئك الذين يؤمنون بالابعاد السياسية للثقافة الديمقراطية وفق التقاليد الغربية، وتشمل دعم الديمقراطية وحقوق الانسان المعترف بها دوليا ' بما في ذلك المساواة بين الجنسين وحرية العبادة، واحترام التنوع وقبول المصادر غير الطائفية للقانون ورفض الارهاب او اي شكل اخر للعنف غير المشروع، فدعم هؤلاء للديمقراطية يعني ضمنا معارضة مفاهيم الدولة الاسلامية وبخاصة تلك التي تتضمن ممارسة السلطة السياسية من جانب نخبة من رجال الدين².

هذا وتؤكد الدراسة انه لا يكفي ان تعلن جماعة انها ديموقراطية، بمعنى اثار الانتخابات بوصفها وسيلة لتشكيل الحكومة كما هو الحال مع جماعة الاخوان المسلمين الحالية، فالاعتدال يتحدد من خلال توضيح اي جماعة لرؤيتها للعالم بشكل دقيق وتفصيلي³.

و/ الشركاء المحتملون لمحاربة التطرف الاسلامي هم العلمانيون والمسلمون الليبراليون والمعتدلون التقليديون بما فيهم الصوفية، بحسب ما ترى الدراسة، انه وبوجه عام هناك ثلاث قطاعات عريضة داخل نطاق الاتجاهات الايدلوجية بالعالم الاسلامي، حيث يمكن للولايات المتحدة والغرب والعتور على شركاء (شركاء محتملون) في الجهد المبذول لمحاربة التطرف الاسلامي، تتمثل في العلمانيين والمسلمين الليبراليين والمعتدلين التقليديين بما فيهم الصوفية.

¹ المرجع نفسه ، ص 144

² المرجع نفسه، ص 145

³ المرجع نفسه، ص 148

العلمانيون: تؤكد الدراسة انه من المهم، حينما يتم تعزيز البدائل العلمانية للاتجاه الاسلامي، تمييز الاطياف عن بعضها البعض، اذ تنقسم العلمانية في العالم الاسلامي الى ثلاث انواع: العلمانية الليبرالية والعلمانية "المناهضة للكهنوت"، والعلمانية الاستبدادية.

فأما العلمانية الاستبدادية فهي تشمل البعثيين والناصريين والشيوعيين الجدد، وغيرهم من اتباع المذاهب الاستبدادية الاخرى، ورغم ان هذه الفئة معادية للاسلام نظريا، الا انها تستغله لتحقيق مكاسب سياسية، ومن الجلي ان هذه الفئة لا تصلح كشريك للولايات المتحدة والديمقراطيات الغربية¹.

المسلمون الليبراليون: ان ايدولوجية هؤلاء خلافا للعلمانيين لها اساس ديني، يشبه ما عند الديمقراطيين المسيحيين الاوروبيين، وينقسم المسلمون الليبراليون الى خلفيات دينية متنوعة، فقد يكونوا حدائين يحاولون خلق انسجام بين قيم الاسلام الجوهرية والعالم الحديث او منتمين لخلفية تقليدية، ويجمع بين المسلمين الليبراليين الاعتقاد بأن القيم الاسلامية متسقة مع الديمقراطية والتعددية وحقوق الانسان والحريات الفردية، ويعادي المسلمون الليبراليون مفهوم "الدولة الاسلامية" وهناك ملمح ثابت في فكر الحدائين الليبراليين من المسلمين، هو ان الشريعة نتاج الظروف التاريخية للعصر الذي ظهرت فيه، وأن بعض عناصرها كالعقوبات البدنية مثلا، لم تعد تصلح لعصرنا، ومن ثم لا بد من تحديثها.

التقليديون المعتدلون والصوفية: هذا الصنف حسبما تؤكد الدراسة هو الاكبر حجما بين المسلمين، وهم غالبا وليس دائما، مسلمون محافظون يعتقدون ما ورثوا من اعتقادات وتقاليد عبر القرون، وهذه التقاليد معادية للاصولية، وتشمل هذه التقاليد تبجيل الاولياء والصلاة عند قبورهم، وكثير من الممارسات التي يحرمها الوهابيون، ان التقليديين يفسرون النصوص الدينية استنادا الى تعاليم المذاهب الفقهية، ولا يحاولون تفسير القرءان والاحاديث مباشرة دون وسيط، كما يصنع السلفيون او الحدائون.

ومن المهم حسب ما تؤكد الدراسة انه على الولايات المتحدة خلال استكشافها امكانية الشراكة بينها وبين التقليديين والصوفية ان تضع في اعتبارها التنوع الواسع لهذا القطاع، لان من هؤلاء هناك المسالم والثوري ومنها المنضبط وغير ذلك².

ز- رغم حوافز تدفع لاشراك الاسلاميين في العملية الديمقراطية: الا انه وفي المقابل، هناك ما يكبح ويقوة ويعيق ذلك بعد تحديد الدراسة للشركاء المحتملين تطرح سؤالا مهما حول مستقبل الاسلاميين في العملية

¹ المرجع نفسه، ص 113-114

² المرجع نفسه، ص 116

الديمقراطية، وهل ينبغي اشراكهم ام لا؟ وقبل ان تخوض الدراسة في الجدل حول هذا السؤال تُعرف كما عرفت المسلمين المعتدلين اولا مصطلح "الاسلاميين" وترى بأنهم اولئك الذين يرفضون فصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية، ذلك بأن الاسلاميين يسعون الى انشاء شكل من اشكال الدولة الاسلامية ا وعلى الاقل الاعتراف بالشريعة كأساس للقوانين.

وترى الدراسة انه في الوقت الذي تتوفر فيه من الحجج ما يدعم فكرة اشراك الاسلاميين في العملية الديمقراطية، هناك في المقابل حجج قوية تدعم فكرة عدم اشراكهم.

فأما الحجج التي تتأسس لمقولة اشراكهم فهي ثلاثة، الاولى : ان الاسلاميين يمثلون البديل الوحيد صاحب الجماهير الواسعة للانظمة التسلطية في العالم الاسلامي وبخاصة في العالم العربي والثاني: ان الجماعات الاسلامية كالاخوان المسلمين اخرى ان ينحجوا في اقناع الارهابيين المحتملين بنبذ العنف.

واما الحجج التي تدعم فكرة عدم اشراكهم فهي ثلاثة ايضا الاولى : اننا لا نعرف هل كلام الاسلاميين المنحاز للديمقراطية وخطابهم الاكثر اعتدالا الى حد ما ما هو لون من التحول الاستراتيجي او التكتيكي ام انهم لم يعدوا فعلا اسلاميين، بمعنى انهم قبلوا الفصل بين الدين والدولة، ام انهم ببساطة يخفون احد اهدافهم وهو انشاء الدولة الاسلامية ويبرزون خطة ادعى الى التعاطف واثارة للخلاف، ذلك انه دون حدوث تغير جذري وواضح في رؤيتهم، ما الذي يضمن لنا انهم متى يصلوا الى الحكم فلن يرتدوا في خطة اوغل في الراديكالية؟ وامامنا نموذجا يدعوا الى الحذر، والحجة الثانية: هي ان الاسلاميين حتى لو كانوا اكثر تأثيرا على المدى القريب في اثناء الجهاديين المحتملين عن ارتكاب اعمال ارهابية فان الاعتراف الرسمي بهم سوف يقوي مصداقيتهم ويمكنهم من نشر افكارهم على نحو اشد تأثيرا بين افراد الامة، اما على المدى البعيد فان التكلفة الاجتماعية لانتشار السلفية بين الجماهير سوف تكون مرتفعة، و الحجة الثالثة: انه حتى ولو سلمنا بأن الجماعات الليبرالية والمعتدلة في كثير من ارجاء العالم الاسلامي ضعيفة تنظيميا ولا تستطيع ان تصبح ذات شعبية مؤثرة، فان تجاهل الغرب لتلك الجماعات لمصلحة المتحاورين الاسلاميين سوف يديم بساطة ما هم عليه من ضعف والواقع ان احدى فرضيات هذه الدراسة هي ان الضعف المبدئي لهذه الجماعات يرجع الى التنظيم، وان ربطها معا بشبكات ضخمة سوف يقوب رسالتها ويوسع من تأثيرها ويجعلها قادرة على التنافس بفاعلية اكثر مع الجماعات الاسلامية في الساحة الاسلامية.

وبعد ادراج الدراسة لهذه الحجج الداعمة لفكرة اشراك الاسلاميين والحجج الراضة لهذه الفكرة تؤكد انه من الضروري ان يتم الحوار مع الاسلاميين وفي نفس الوقت يجب الدعم المالي والتنظيمي للمسلمين المعتدلين والليبراليين؟

فالدراسة لا ترى جدوى اشراك الاسلاميين في الوقت الراهن سنة 2007 تاريخ الدراسة - بل فقط يجب الحوار معهم دون قطع الصلة والنتابعة حتى يتأكد من اجابتهم عن الاسئلة التي تم طرحها والتي تحدد اقتلابهم من الديمقراطية من عدمه، وفي نفس الوقت تؤكد على ضرورة دعم المسلمين المعتدلين والليبراليين وتقويتهم ليكونوا جاهزين للتنافس في حالة سمح للاسلاميين - بعد تقديمهم تنازلات في القضايا الجدالية ورفع الشكوك حول مقاصدهم- وفتح باب الاصلاح السياسي والانتخابات الديمقراطية الحرة والنزيهة في المنطقة العربية¹

اذن وبعد هذا العرض للمراكز البحثية الثلاث وتفسيرتها المختلفة لظاهرة الاسلام السياسي يتبين لنا ان معرفة هذه المراكز -ورغم علاقتها بالاستخبارات ودوائر صنع القرار في امريكا- ليست سطحية فقد قدمت جهد كبير في تحليل وفهم الاسلام السياسي من خلال اجراء بحوث ميدانية ومقابلات مع زعماء وشخصيات اسلامية فاعلة، وبهذا استطاعت ان تجمع معطيات تفصيلية عن الاسلاميين وسلوكهم، لكن هذا لا يمنع من تقديم تقييم للتوصل للطريقة الافضل لاكتساب معرفة علمية بموضوع الاسلاميين.

¹ بن عمار، مرجع سابق، ص 204

المبحث الثاني: الاستشراق الاكاديمي ومداخله التفسيرية للاسلام السياسي

يقصد بالاستشراق الاكاديمي الجهود البحثية التي قام بها باحثون ينتمون الى الجامعات الامريكية والذين يحملون صبغة اكااديمية، وقد اخترنا ثلاث مستشرقين اشتهرت ابحاثهم بتقديم تفسيرات للظاهرة الاسلامية ، ، وهم برنارد لويس ومايكل كوك واصف بيات.

المطلب الاول: المستشرق برنارد لويس¹ ومقارنته للاسلام السياسي

قدّم المستشرق برنارد لويس Bernard Lewis نفسه واحدا من اشهر المستشرقين الامريكيين على الاطلاق، ويطلق عليه البعض بالمستشرق المخضرم لأنه عاصر الاستشراق القديم والاستشراق الجديد، وشكلت ابحاثه ودراساته مادة علمية شيقة للباحثين ومثيرة لوسائل الاعلام والباحثين عن الاتّارة فيما يتعلق بعلاقة الغرب والاسلام، وقد برز اسم برنارد لويس بقوة غداة هجمات سبتمبر متصدرا اسمه البرامج التلفزيونية والاذاعية في امريكا لتفسير ما حدث.

¹ برنارد لويس - Bernard Lewis (ولد في 31 مايو 1916 - و توفي في 19 مايو 2018) من مواليد لندن ببريطانيا هو أستاذ فخري بريطاني-أمريكي لدراسات الشرق الأوسط في جامعة برنستون. وتخصص في تاريخ الإسلام والتفاعل بين الإسلام والغرب وتشتهر خصوصا أعماله حول تاريخ الدولة العثمانية. لويس هو أحد أهم علماء الشرق الأوسط الغربيين التي طالما ما سعى صناع السياسة من المحافظين الجدد مثل إدارة الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش إلى الحصول على استشارتهم، ألف برنارد لويس عدة كتب وله عدة مقالات صحفية ،حيث تتمحور أغلب كتاباته حول الإسلام والشرق الأوسط وكذا المجتمعات الإسلامية وعلاقتها بالغرب وأيضا تم ترجمة أغلب مؤلفاته إلى 20 لغة منها العربية، الفارسية، التركية والأندونيسية وفي ما يلي أهم عناوين كتب برنارد لويس:

الشرق الأوسط والغرب . العرق واللون في الإسلام . مقدمة لعلم اللاهوت الإسلامي والقانوني . سامية ومناهضة للسامية . العرق والرق في الشرق . الإسلام والغرب . اللغة السياسية للإسلام . مستقبل الشرق الأوسط . الثقافات في الصراع . تاريخ نتذكره نستعيده نخترعه . عالم الإسلام . تشكيل الدولة الحديثة . الإسلام في التاريخ . فسيفاء في الشرق الأوسط . ظهور تركيا الحديثة . العرب في التاريخ . المسلمون في أوروبا . الحوار الديني في العصور الوسطى . الشرق الأوسط . الهويات المتعددة في الشرق الأوسط . اكتشاف اليهودية للإسلام . أرض السحرة . القتلة . الحوار الديني من النبي محمد الى الإستيلاء على القسطنطينية . ولي العهد ملوكي . الإسلام في التاريخ الأفكار والرجال والأحداث في الشرق الأوسط . ما هو الخطأ : الصدام بين الإسلام والحداثة في الشرق الأوسط . أزمة الإسلام: الحرب المقدسة وغير المقدسة . اكتشاف مسلم في أوروبا . من بابل الى دراغومانز . اليهود من الإسلام . الكلمات والأفكار السياسية في الإسلام . الإسلام الدين والناس . الإيمان والسلطة . موسيقى طبل بعيدة.

<http://www.umayya.org/studies-ar/7236>

لكن هناك من ينظر الى لويس أنه فاتحة الجيل الجديد من المستشرقين الذي اهتم بالموضوعات السياسية والتحويلات الراهنة للمجتمعات الإسلامية، وقد ركز في كتبه على موضوعات الأقليات والصراعات الأهلية والحروب الدينية في التاريخ الإسلامي¹.

في هذا السياق اشتهر جدله مع المفكر الفلسطيني - الأميركي «إدوارد سعيد»، الذي اعتبر في كتابه الشهير «الاستشراق» لويس نموذجاً للكتاب الغربيين في تناولهم للإسلام من منطلق المركزية الثقافية غير الموضوعية إرادة الهيمنة المبنية على سلطة المعرفة الإقصائية، مضافاً إلى ذلك كله خصوصية الموقف السياسي للويس الداعم بقوة لإسرائيل والقريب من الأوساط الصهيونية المتطرفة².

بيد أن الأطروحتين الأساسيتين اللتين تمحورت حولهما أعمال لويس الفكرية هما: القول بالجوهر السياسي للدين الإسلامي من حيث بنياته العقدية والتشريعية بما يجعله عصباً عن القيم الحداثية والليبرالية بالمقارنة مع المسيحية واليهودية، والنظر إلى الصراعات الاستراتيجية الدولية من منظور الصراع بين الثقافات الذي يتركز في الصراع بين الحضارتين الغربية والإسلامية، الأطروحتان مترابطتان لصدورهما عن نفس المنطلق الجوهراتي، أي النظر للإسلام بصفته نسقاً ثقافياً أحادياً مغلقاً خارج التاريخ لا يمكن أن يتأقلم ويتعايش مع العالم الراهن الذي صاغته المدنية الغربية الحديثة³.

الأطروحة الأولى بسطها لويس بوضوح في كتابه «المفردات السياسية للإسلام» وفي كتاب «السلطة والإيمان» وقد بناها على أن ما يميز الإسلام داخل التقليد الإبراهيمي هو أنه منذ نشأته ديانة سياسية لا يمكن أن تقوم دون الدولة ولا مكان فيها للتمييز بين السلطة الدينية والسلطة السياسية بل إن المؤسسة الدينية غائبة في الإسلام لأن الشأن الديني مستوعب ومتضمن في الحقل السياسي⁴.

¹ السيد ولد اباه : برنارد لويس والاسلام السياسي متوفر على الرابط :

<https://futureuae.com/en/Mainpage/Item/3961/%D8%A8%D8%B1%D9%86%D8%A7%D8%B1-%D8%AF-%D9%84%D9%88%D9%8A%D8%B3-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A> تاريخ الزيارة 15 / 01 / 2020

² المكان نفسه

³ المكان نفسه

⁴ المكان نفسه

الأطروحة الثانية ظهرت مبكراً في كتابات لويس (عام 1957) واشتهرت في مقالته «جذور الغضب الإسلامي».. بمجلة انتلانتيك مونثلي (1990) قبل أن يتبناها الكاتب السياسي الأميركي «صمويل هنتجتون»، ويستند إليها في قراءته للعلاقات الدولية ما بعد الحرب الباردة من منظور حرب الحضارات المتمحورة حول الصراع الثقافي ما بين الغرب والإسلام¹

يؤمن برنارد لويس إيماناً عميقاً بالاستشراق وهذا ما دفع إدوارد سعيد لدخول معركته الكتابية مع لويس، من خلال واحد من أهم الكتب العربية الحديثة التي تناولت علاقة الغرب بالاسلام وهو " الاستشراق"، والذي هاجم فيه إدوارد سعيد كل الدراسات الغربية التحديثية للاسلام، وربما يمكن تعليل برنارد الجامح نحو الاستشراق في انه قد تتلمذ على يد المستشرق البريطاني الشهير " هاملتون جب" الذي كان استاذة في رسالة الدكتوراه التي حصل عليها في العام 1938، فبعد عام واحد من حصول برنارد على الدكتوراه اندلعت الحرب العالمية الثانية، وهذا ما دفعه الى الانتقال الى الشرق الاوسط كجزء من مخابرات الخارجية البريطانية، وهذه وكانت فرصة لتعلمه اللغة العربية والفارسية والعبرية².

ويتميز برنارد لويس في تناوله للعالمين العربي والاسلامي في زاويته الحضارية بشكل واسع، فهو لا يركز على جزئية اسلامية كالأصولية فقط بل يتناول الموضوع بجوانبه الحضارية العامة، فقد كتب مجموعة من الكتب تتعلق بالعالم الاسلامي، ابرزها " من بابل الى المترجمين"، " ماذا جرى" " ازمة الاسلام" وهو الكتاب الذي استغل حالة الرعب التي سببتها احداث 11 سبتمبر في المجتمع الاميركي في المجتمع

الاميركي خصوصا والغربي عموما، حيث حقق كتاب " ازمة الاسلام" اعلى المبيعات في امريكا، واستغل ايضا كأرضية فكرية لسياسة بوش الابن ولنظرة المحافظين الجدد³ في العرب والمسلمين¹.

¹ المكان نفسه

² صلاح الدين خليل ربيع جابر، موقف ادارة بوش الابن من الاصولية الاسلامية في منطقة الشرق الاوسط، مذكرة

ماجستير، جامعة بير الزيت: كلية الدراسات العليا فلسطين: 2010، ص 141

³ المحافظون الجدد أو الشتراوسيين (بالإنجليزية: Neoconservatism) هي مجموعة سياسية أمريكية يمينية، تؤمن بقوة أمريكا وهيمنتها على العالم، تتألف هذه المجموعة من مفكرين استراتيجيين، ومحاربين قدامى، ومتقنين، من الجدير بالذكر أن اسم المحافظون الجدد Neo Conservatives أو " نيو كونز " Neo Cons لم يكن في البداية إلا لقب أطلق عليهم من قبل الليبراليين الأمريكيين من قبيل السخرية والحطّ أو النيل من قيمتهم الفكرية ويرجع ذلك إلى أنه برغم أن كل توجهات

بعد اقل من اسبوع من هجمات 11 سبتمبر نشر برنارد لويس مقالا تحت عنوان " يجب ان نكون واضحين" وفيه قارن بين اسباب هجوم اليابانيين على ميناء بيرل هاربر عام 1941*¹، وهجوم الاصوليين على امريكا سبتمبر 2001**²، وتبين ان اليابانيين كانوا يهدفون الى اخراج الولايات المتحدة من الحرب، بينما كان بن لادن يعتقد ان امريكا اصبحت" في موقف ضعف" ولا تتحمل خسائر².

يحدد برنارد اختلافاً مهماً يتعلق بعلاقة الثروة والسلطة عند الغرب وعند الشرق (والإسلام تحديداً)؛ فهو يرى أن النمو الاقتصادي، في الغرب، يتحقق عندما يكون الفرد الثروة في السوق، عن

وأفكار أتباع المحافظون الجدد هي توجهات يمينية= متشددة تتقارب بشكل كبير مع التوجهات المحافظة - إلا أن أنصار ستراوس قد ادعوا الليبرالية وأطلقوا على أفكارهم أو حركتهم اسم "الليبرالية الستراوسية" وقد دفع هذا بالليبراليين إلى إطلاق اسم أو وصف "المحافظين الجدد" على أنصار ستراوس - حتى يمكن تمييزهم عن القوى التي تمثل اليمين المحافظ التقليدي، ترتبط نشأة المحافظون الجدد بأفكار ليو ستراوس وهو مفكر يهودي ألماني هاجر إلى الولايات المتحدة عام 1938 وعمل أستاذاً للعلوم السياسية بجامعة شيكاغو الأمريكية. من هناك بدأت أفكار ستراوس السياسية والاجتماعية تتبلور فيما عُرف بـ "الليبرالية الستراوسية" Straussian Liberalism وهي نفس الأفكار التي اعتبرت بمثابة الجذور أو المنطلقات الفكرية للمحافظين الجدد.

أول مرة أُستخدم فيها مسمى "المحافظين الجدد" كان في بداية العشرينات حوالي سنة 1921، أُستخدم لنقد الليبراليين الذين انتقلوا إلى اليمين. أول من تبنى هذا المسمى كان إرفنج كرسنول عراب المحافظين الجدد وهو والد وليام كريستول مؤسس مشروع القرن الأمريكي الجديد.

¹ المرجع نفسه، ص 142.

*² الهجوم على بيرل هاربر (بالإنجليزية: Attack on Pearl Harbor) (أو العملية زد كما كان يسميها المقر العام للإمبراطورية اليابانية) هي غارة جوية مباغتة نفذتها البحرية الإمبراطورية اليابانية في 7 ديسمبر 1941 على الأسطول الأمريكي القابع في المحيط الهادئ في قاعدته البحرية في ميناء بيرل هاربر بجزر هاواي، غير هذا الحدث مجرى التاريخ وأرغم الولايات المتحدة على دخول الحرب العالمية الثانية. الباحث

**³ أحداث 11 من أيلول/سبتمبر 2001 هي مجموعة من الهجمات شهدتها الولايات المتحدة في يوم الثلاثاء الموافق 11 سبتمبر 2001. وفيه توجهت أربع طائرات نقل مدني تجارية لتصطدم بأهداف محددة، وقد نجحت في ذلك ثلاث منها. تمثلت الأهداف في برجى مركز التجارة الدولية الواقعة بمنهاتن ومقر وزارة الدفاع الأمريكية (البننتاجون). سببت هذه الأحداث 2973 قتيلا و24 مفقودا، إضافة لآلاف الجرحى والمصابين بأمراض جراء استنشاق دخان الحرائق والأبخرة السامة. أمر وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد بزيادة مستوى ديفكون إلى 3، كما أخذت الإحتياطات لزيادة مستوى ديفكون إلى 2، لكن هذا لم يحدث. ولم تفلح هذه الإحتياطات في صد هجمات الطائرات على البرجين ووجهت انتقادات شديدة لمسؤوليها الأمنيين، وقد انجر عن الهجمات غزو الولايات المتحدة لافغانستان سنة 2001 والعراق سنة 2003 وقد ادى هذا الى تغييرات عميقة في البنى السياسية والاجتماعية لكثير من بلدان الشرق الاوسط.

² المكان نفسه

طريق الإنتاج والتبادل، ثم يحاول من خلال ثروته الحصول على تمثيل سياسي والوصول إلى السلطة.. أما في الشرق الإسلامي والأوسط فإن الفرد يسرق السلطة ثم يحاول الحصول على الثروة فتفسد السلطة¹.

ورأى برنارد أن التحديثيين في العالم الإسلامي سواء كانوا إصلاحيين أو ثوريين ركزوا جهودهم في ثلاثة حقول هي: (العسكرية، الاقتصادية، السياسية) لكنها باءت بالفشل، فبناء جيوش حديثة انتهى بهزائم عسكرية، وبناء اقتصادات اشتراكية أو غيرها أدى بدولها نحو اقتصاد مفلس وفساد ولا بد له من عون خارجي، ونشدها الديمقراطية والاشتراكية أدى إلى نشوء أنظمة استبدادية بين أوتوقراطية تقليدية أو دكتاتوريات حديثة: «وكان دعاة التحديث - بالإصلاح أو الثورة - يركزون جهودهم في ثلاثة مجالات رئيسية هي المجالات العسكرية والاقتصادية والسياسية، ولكن النتائج كانت - إن شئنا التلطف في التعبير - مخيبة للأمل، إذ أدى السعي للنصر بجيوش محدثة إلى سلسلة من الهزائم المهينة، وأدى السعي للرخاء من طريق التنمية في بعض البلدان إلى الفقر وإنشاء نظم اقتصادية يعيبها الفساد وما تفتأ تحتاج إلى المساعدات الخارجية. وأدى في البعض الآخر إلى اعتماد غير صحي على مورد أوحده هو النفط والغاز، بل إن هذه الموارد نفسها قد اكتشفها - ويستخرجها وينتفع بها - أبناء الغرب بفضل ابتكاراتهم وجهودهم، وهي مكتوب عليها أن تنفذ أو أن يتجاوزها العالم إلى غيرها².

نشر برنارد مقالته ثم كتابه (ما الخطأ؟ التأثير الغربي و الرد الشرق الأوسطي) عام 2001 ****³ أي بُعيد أحداث 11 سبتمبر معلقاً عليها؛ حيث رأى أن حال العالم الإسلامي مع بداية الألفية الثالثة قد وصلت إلى ضعف وفقر وجهل أمام ما حققه الغرب من قوةٍ وغنىٍ وعلمٍ؛ فكان ذلك بمثابة نشوء أفكار عدوانية أدت إلى هجوم الحادي عشر من سبتمبر 2001³.

¹ خزعل الماجدي، مخالب الاستشراق الجديد ورؤسه الثلاثة، تاريخ الزيارة 14 / 01 / 2020 متوفر على الرابط: [/https://www.alittihad.ae/article/3881/2016](https://www.alittihad.ae/article/3881/2016)

²) Bernard Lewis. **What went Wrong** The Atlantic Monthly | January 2002. p1

****³ كتب لويس كتابه الشهير (ما الخطأ - what went wrong) قبيل أحداث 11 سبتمبر ولكنه نشر بعدها

مباشرة واحداث رجة كبيرة في الاوساط الاكاديمية، مما دفعه الى كتابة مقال اخر مكمل في مجلة اتلنتيك

³ المكان نفسه

الافتراض الرئيسي لبرنارد لويس في كتابه الذائع الصيت ما الخطأ؟ (what went wrong?)¹ هو ان العرب والمسلمون عموماً مختلفون عن الغرب، وغير قادرين على انتاج ادارة مجتمع لائق منفتح ومتحضر كالذي يريده الغرب.

فمهما نعمل - يقصد الغرب - فسيظلون محكمون بواسطة مستبدين، وبالتالي يجب ان يكون هدف السياسة الخارجية الامريكية الحرص على ان يكونوا مستبدين وودودين لا مستبدين عدوانيين، ويقول لويس ان وجهة النظر هذه المؤيدة للعرب، رغم انها ليست كذلك فهي لا تظهر أي احترام لتاريخ العرب وغير مهتمة بمستقبلهم².

الافتراض الثاني الذي يقول به لويس هو ان الحكم الاستبدادي الذي يسود معظم العالم الاسلامي اليوم ليس امراً اصيلاً فيه وليس له جذور في الاسلام:

يهاجم لويس النظرة الشائعة في العالم الغربي والتي تقول ان تشكل الانظمة الموجودة حالياً في العراق وايران لها جذورها العميقة في التاريخ العربي والاسلامي، فمن وجهة نظره ان هذا الادعاء غير صحيح على الاطلاق، لان النموذج الموجود في سوريا ولبنان والعراق تم فرضه من طرف القوى الاستعمارية فرنسا وبريطانيا اللتان تمكنتا من فرض نظام يشبههما، وبعد ذلك تم تشكيل حزب البعث الشبيه بالحزب الفاشي في ايطاليا والنازي في المانيا، وبالتالي هذا هو النموذج الأوروبي السائد في منطقة الشرق الاوسط³.

الافتراض الاخر الذي جادل به لويس هو ان المسلمين اصبحوا واعين بأن حضارتهم تختلف وكيف شرح ذلك؟ للإجابة على الافتراض يقول انه خلال 300 عام الاخيرة كان هناك وعي حاد في العالم الاسلامي، لان العالم الغربي يتقدم عليهم، اولا كان يهزمهم في ساحات المعارك ثم في يهزمهم في السوق وقاعات العلم، وفي كل جانب حضاري تقريباً⁴...

¹ Ahmed Jawad, The Great Orientalist Bernard Lewis). *Outstanding Honors Theses*, (2012), p03

² Bernard Lewis, Emission In Depth (06/04/03) on :<https://www.youtube.com/watch?v=EkQwc1QAies>

³ ibid

⁴ ibid

والمجتمع الاسلامي ليس مجتمعا بدائيا بل هي منطقة تضم اقدم الحضارات التي تعرفها البشرية، منطقة تملك وعيا حادا بالتاريخ، اكبر بكثير من وعي الغرب بتاريخه في العصر الحاضر، هناك وعي حاد بالتاريخ، في الحرب الايرانية العراقية (1980-1988)، استحدثت فيها الرموز التاريخية بشكل كبير¹.

نفس الامر ينطبق على خطابات اسامة بن لادن الذي قال " خلال ثمانين عاما عانينا نحن المسلمين من الهزيمة والاذلال"، فهم المسلمون ما قصده، ما كان يشير اليه هو اليه هو 1918 نهاية الحرب العالمية الاولى، وهزيمة الامبراطورية العثمانية اخر الدول الاسلامية واقواها فمنذ تلك الهزيمة دخل المسلمون عصر الانحطاط الذي انتهى بالاحتلال من طرف القوى الاستعمارية، والتعصب الديني تعلموه من اوربا في الحقيقة اكثر من ماضيهم².

نلاحظ من خلال هذه الافتراضات ان برنارد لويس كان اكثر مرونة وموضوعية في تحليله لظاهرة الانحطاط التي يعاني منها المسلمون والتي ارجعها لأسباب تاريخية تتعلق بالاستعمار ولم يتحدث عن الاسباب البنيوية داخل منظومة الاسلام كما يقول في مرافعات من قبل، لكنه رغم هذا يرى ان العالم الاسلامي غير مستعد للديمقراطية بسبب هذا الانحطاط وان الاستبداد الودود كما يسميه هو الحل لحكم المسلمين... يبدو ان برنارد لويس جانب الصواب في تحليله هذا فالتاريخ الحديث - وحتى تجربة بناء الدولة في التاريخ الاسلامي منذ القدم- يثبت ان بعض الدول العربية عرفت نشوء منظمات ونقابات واحزاب وبرلمانات قبل حتى بعض الدول الغربية لكن الاستبداد المدعوم من امريكا هو الذي اجهض هذه المكاسب، زيادة على ان تحليله لظهور القاعدة متناسيا الانتهاكات التي تحدث في الاراضي الفلسطينية على يد اليهود وفي بعض المناطق من العالم الاسلامي والظلم الذي تمارسه الانظمة المحلية التي فشلت في بناء مجتمع تحديثي.

¹ ibid

² Ibid

أزمة الإسلام الحرب الأقدس والإرهاب المدنّس رؤية المحافظين الجدد واليمين الأمريكي للإسلام المعاصر 2004****¹، وقد كان هذا الكتاب في الأصل مقالاً مطوّلاً نُشر في مجلة "النيويورك" الأمريكية، ثم تمّ تطويره بالاستناد إلى بحوث أخرى سابقة ولاحقة، ليرتقي إلى مستوى الكتاب الحالي، الكتاب محاولة للإجابة عن سؤال محوري يهّم أسباب الإرهاب الإسلامي، أو بعبارة أخرى لماذا ظهر التطرّف والعنف والإرهاب في دائرة الثقافة الإسلامية في هذه الحقبة بالذات¹؟

يُعدّ كتاب "أزمة الإسلام" عملية تشريح وتفكيك للحضارة الإسلامية منذ بداية الدعوة المحمّدية بمكّة إلى اليوم من خلال أشكال التديّن وسلوكيات المسلمين المختلفة. وهذا من شأنه أن يكشف الخلفيات الثقافية والأيدولوجية المؤسّسة لمراكز صنع القرار الأمريكي، باعتبار المكانة السامية التي يشغلها مؤلّف هذا الكتاب في السياسة الأمريكية منذ بداية الألفية الجديدة².

يربط لويس ربطاً ضمناً بين ذلك التصرّ الإطلاقي للنصّ القرآني المؤسّس وظاهرتين وسمتا التاريخ الإسلامي منذ القرون الهجرية الأولى إلى اليوم: تتمثّل الظاهرة الأولى في عدم فصل الإسلام بين الحكومة والمجتمع والدين على خلاف المسيحية التي تعطي لله ما لله ولقيصر ما لقيصر وقد استفادت بعض الحركات الأصولية من هذا المعطى، فذهب الإمام الخميني إلى حدّ اعتبار "الإسلام سياسة أو لا يكون". أمّا الظاهرة الثانية، وهي نتاج في حقيقتها لما تمّ ذكره من هيمنة النزعة السياسية، فتتصل بالطابع التوسّعي. إذ لم يقتصر الإسلام على مجاله الجغرافي أو الحيوي مثلما كان شأن بقية الحضارات الشرق أوسطية الأخرى، وإتّما اتّخذ طابعاً توسّعيّاً على أساس ختمه للديانات السماوية ورسالته العالمية لكافة الشعوب والأمم³.

لا جدال في أنّ إشارة لويس إلى تميّز الحضارة الإسلاميّة بنزعة توسّعية ينفرد بها دون بقية الحضارات الشرقية حكم لا يستقيم معرفياً وتاريخياً، ذلك أنّ كلّ الحضارات سواء القديمة أو الحديثة

****¹ صدر الكتاب باللغة الانجليزية أوّل مرّة سنة 2004 وترجم الى العربية سنة 2013 العنوان الاصلي :

The Crisis of Islam Holy War and Unholy Terror A lucid and concise work by the great
:Mideast scholar ...an indispensable prime

¹ عبد الباسط الغابري، قراءة في كتاب "أزمة الإسلام الحرب الأقدس والإرهاب المدنّس رؤية المحافظين الجدد واليمين الأمريكي للإسلام المعاصر" ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود على الرابط التالي :

https://www.mominoun.com/articles/ 3691 تاريخ الزيارة 2020/03/30.

² المكان نفسه

³ المكان نفسه

انصرفت إلى الهيمنة والتوسع. والشيء الوحيد الذي يتغير باستمرار كامن في الذريعة أو الحجة التي يتوسل بها في التمدد والانتشار¹.

ينبّه المفكر الأمريكي إلى ضبابية بعض المفاهيم في الحضارة العربية الإسلامية ليس لافتقار اللغة العربية لمرادفات حقيقية للمصطلحات الجديدة والمفاهيم المستحدثة فحسب، بل أيضاً لسوء التوظيف، فأشار على سبيل الذكر إلى أنّ وصف "جهادي" اليوم بالأصوليين وصف مضلل، كما أوضح أنّ جذور مصطلح "التطرف" بروستاننتية نظراً إلى أنه كان يعني اختلاف بعض الكنائس عن التيار العام، لكن ينبغي الإشارة إلى أنّ برنارد لويس لا يتعمق كثيراً في شرح تلك المصطلحات ومفاهيمها في معظم الحالات، وهو ما يقلص من قيمتها الإجرائية².

يحاول لويس في مقارنته لظاهرة الإرهاب إثبات تاريخية هذه الظاهرة في الحضارة الإسلامية من خلال آليتي الحفر اللساني والتاريخي. فبواسطة الآلية اللغوية والدلالية بيّن معنى الجهاد في اللغة العربية الذي يعني الكدح والجهد والنضال والقتال، وتطوّرات توظيفه في الإسلام من خلال آيات القرآن الكريم والسيرة النبوية، ولئن توقّف لويس في مسألة اقتران الجهاد بالبعد الروحي والمعنوي في الإسلام المبكر بمكّة فإنّه اعتبر تفسير الجهاد طيلة أربعة عشر قرناً من تاريخ الإسلام يهيمن عليه معنى "الصراع المسلح دفاعاً عن السلطة الإسلامية أو توسّعها". أمّا بالنسبة إلى آلية الحفر التاريخي فقد عمد لويس إلى توظيف بحثه حول الحشاشين الذي نال به درجة الدكتوراه للمقارنة بين "إرهابيي اليوم" وحشاشي الأمس، ولئن انتهت تلك المقارنة إلى تفضيل الحشاشين على إرهابيي "الأزمة الحديثة" عملاً بقاعدة الأخذ بأخف الأضرار، فإنّ دلالة تلك الإشارة مزدوجة التأثير. فمن ناحية يثبت المعنى فظاعة إرهابيي اليوم ووحشيتهم، ومن ناحية أخرى يقيم صلات ظاهرة الإرهاب في الحضارة الإسلامية³.

لا يشغل الاهتمام بالآليات الكاتب الأمريكي عن النفاذ إلى مضامين مختلف العوامل التي أسهمت في بروز ظاهرة الإرهاب. وهي في جملتها عوامل مركبة متغيرة، إذ فيها ما هو ناجم عن التمثّل الخاطئ للمرجعية الدينية من خلال التلاعب بتوظيف النصوص الدينية، وذلك بالاعتماد على أحاديث ضعيفة أو موضوعة، أو التوظيف المزدوج لعلم الناسخ والمنسوخ انطلاقاً من اعتبار بعضهم أنّ جلّ

¹ المكان نفسه

² المكان نفسه

³ المكان نفسه

الآيات التي تدعو إلى عدم الإكراه في الدين والتسامح آيات منسوخة، ولئن أشار لويس مباشرة إلى مثال الفتوى التي أصدرها الخميني في إهدار دم صاحب "الآيات الشيطانية" سلمان رشدي، فنظر في حقيقة معنى المرتدّ وعقوبته من منظور الفقه الإسلامي، فإنّه قد انصّب اهتمامه على الوهابية واقتربها بالمال السعودي وتأثيرها في الغرب نفسه من خلال المراكز الدعوية، معتبراً تأسسها في نطاق الدولة السعودية منعرجاً حاسماً في تاريخ المسلمين الحديث والمعاصر، يكتسب ذلك المنعرج أهميته في نشأة التطرف والإرهاب في كونه مثل دور الحاضنة التي احتضنت العديد من الحركات التي أفرغت الإسلام من بعده الروحي العميق وصيرته مجرد أيدولوجيا سياسية. ويقدم لويس في هذا النطاق حركة الإخوان المسلمين بمصر نموذجاً، ثم إنّ حركة الإخوان نفسها تطوّرت بعد ذلك سواء بواسطة التنظير الذي صاغه سيد قطب أو بواسطة بعض الأفراد أو الجماعات الأخرى المنبثقة عنه حمل الكاتب الأمريكي الغرب والولايات المتحدة تحديداً مسؤولية دعم الاستبداد العربي. وقد لفت النظر في هذا الإطار إلى أنّ جلّ منقّدي هجمات الحادي عشر من سبتمبر ينتمون إلى بلدان حليفة للولايات المتحدة شأن السعودية ومصر، بيد أنّ أهمية الإشارة إلى دور الاستبداد في نشأة التطرف والإرهاب تفقد جانباً من قيمتها عندما يحاول لويس الإلماح إلى علاقة المقاومة الفلسطينية بالإرهاب، فيذكر لقاء مفتي القدس الأمين الحسيني بهتلر، والتحالف مع النازية، والتعريض بأنشطة منظمة التحرير الفلسطينية وبقية الفصائل المقاومة مثل حماس وحزب الله، شأن عبد السلام فرج صاحب كتاب "الجهاد الفريضة الغائبة"¹

يعي لويس مخاطر التعصّب الديني في الحضارة الإسلامية الذي أنتج عنفاً وإرهاباً لا يقتصر تهديدهما على منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا فقط، وإنّما على الغرب نفسه، خاصة إذا ما اعتلت بعض تلك الحركات الأصولية سدّة الحكم ببلدانها، لذلك كان آخر ما اختتم به كتابه عبارة عن صرخة استغاثة لإفاقة البشرية من سباتها وتدارك ما فاتها².

اجملاً قدّم لويس رؤية استشراقية لإسلام الأسس، وخاصة للإسلام المعاصر، متمحورة حول مركزية ثقافية غربية تضبط المعايير والمقاييس انطلاقاً من نسقها الثقافي دون الانتباه إلى تباين خصوصيات المجالات التداولية من ثقافة إلى أخرى، بل إنّ الثقافة والفكر لا يمكن عزلهما عن مختلف السياقات الاجتماعية والتاريخية. وهي بسبب ذلك لا تحفل بالبحث في العوامل التي جعلت عدداً من

¹ المكان نفسه

² المكان نفسه

الموروثات الدينية والفقهيّة توظف في عصرنا في تأجيج نغرات التعصّب والكراهية وموجات القتل والإرهاب، على الرغم من أنّها كامنّة في التراث والثقافة العربيّة كمون النار في الحجر. بيد أنّ كلّ ذلك لا يحجب القيمة الهامة لهذا الكتاب، إذ ينبّه إلى أنّه دون إصلاح ديني حقيقي ونقد ذاتي عميق ومراجعات فكرية مضنية وتغييرات سياسية جدية يستحيل تحسين الذات والاستئناف الفعلي لدور العرب والمسلمين في إثراء الحضارة الإنسانية. وهي قيمة لا يمكن أن نجدها في القراءات التمجيدية التي تنطب في تمجيد الذات من خلال الاحتفال بالتراث والماضي المجيد للعرب والمسلمين¹، وقد عاب لويس على المفكرين الغربيين والمستشرقين على وجه الخصوص قصورهم في معرفة المزايا التي تمنحها الأيدولوجية الإسلامية لمعتقبيها، فهم يجدون صعوبة كبيرة في تقبل الأصالة التي يتسم بها التراث الإسلامي ويصفون كل من يوجه انظارهم لتلك الأصالة بأنهم يلتمسون المعاذير للإسلام عن طريق الدفاع الرومانتيكي². من خلال ما سبق يمكن ارجاع عجز الديمقراطية في الشرق الأوسط حسب لويس³:

- أولاً، عدم وجود مؤسسات سياسية دستورية.

- الثاني هو أن الثقافة السياسية في أزمة وتتميز بالاستبداد و السلطوية.

- والثالث هو عدم وجود أساسيات لمجتمع مدني نشيط.

لكن الواقع يثبت ان العالم العربي يحتوي على مؤسسات دستورية، وقد شهدت الكثير منها وجود انتخابات نزيهة افرزت فوز الاسلاميين في (الجزائر 1992، فلسطين 2006، تونس 2011، مصر 2012)، لكن تم اجهاض هذه التجارب ما عدا التجربة التونسية التي لازلت في اطار البناء، من طرف الانظمة العربية بدعم وسكوت من الغرب، كذلك نجد ان لويس لا يخبرنا كثيرا عن الحركات الاسلامية المعتدلة والتي تتبنى الخطاب السياسي المعتدل وان كان يرى في حركة الاخوان المسلمين في مصر حركة معتدلة، فهو لا يرى ان الوقت قد حان للديمقراطية ان تنمو في الشرق الاوسط، وكما يرى الباحث في هذه الدراسة ان التركيز على الاسلام الاصولي فقط، يعود الى الهواجس النفسية التي يعاني منها المستشرقون الغربيون من الاسلام، ولم يقترح برنارد لويس أي حل للمنطقة سوى مشروع "الشرق الاوسط

¹ المكان نفسه

² Bernard Lewis , **The Arab In History**, London: Huchinson &co.1950, 5th edition 1970, reprinted, New York: Harper, Row, 1975, pp 44/45.

³ Elaaf Rajih HADI, **The Impact of US' Neo-Orientalism On the Future of Nation-State in Iraq in the light of IS crisis**, Dissertation of Political Theory, University of Rome, Italy, 2016, p 150.

الكبير" الذي يجب ان يتحقق حسب نظره لدعم الاستقرار في المنطقة وهو بهذا يعلم ان هذا المشروع يصب بالدرجة الاولى في صالح اسرائيل والمصالح الغربية.

المطلب الثاني: المستشرق مايكل كوك¹ دراسة الحالة الاسلامية من منظور مقارن:

بفضل الثورة التي حدثت في مناهج العلوم الانسانية والاجتماعية، والتي استفاد منها الباحثون الغربيون في دراساتهم وابحاثهم فتطورت معها ادواتهم التحليلية واطرهم المعرفية والتفسيرية مما شكل اضافة مميزة لمخارج هذه الابحاث ونتائجها، ولم يكن الاستشراق الامريكي الجديد بمعزل عن هذا التطور فهو الاخر سرعان ما ادخل هذه المناهج والطرق التحليلية والادوات المعرفية لفهم ورصد وتعقب الظواهر المعروضة للدراسة.

من هؤلاء نجد المستشرق الاكاديمي الامريكي مايكل كوك Michael Cook، فالقارئ المطلع على كتابات كوك الأولى حول الإسلام، سرعان ما تتنابه حالة من الدهشة والإعجاب ربما لمدى عمق وغنى معرفة كوك بروح الإسلام في كتبه الأخيرة، مقارنة بالأولى، ونعني هنا بالتحديد كتابيه «الأمر

¹ مايكل كوك Michael Cook ولد عام 1940 بريطاني امريكي مؤرخ وباحث في التاريخ الاسلامي درس التاريخ والدراسات الشرقية في كلية الملك، كامبردج 1959-1963 واتم الدراسات العليا في كلية الدراسات الشرقية والأفريقية (SOAS) في جامعة لندن 1963-1966 تحت إشراف البروفيسور برنارد لويس . وكان محاضرا في التاريخ الاقتصادي مع الإشارة إلى منطقة الشرق الأوسط في SOAS 1966-1984 والقارئ في تاريخ الشرق الأدنى والشرق الأوسط 1984-1986.

في عام 1986 تم تعيينه أستاذ دراسات الشرق الأدنى في جامعة برنستون ..

اعماله :

الهجرية: صناعة العالم الإسلامي، عام 1977، مع باتريشيا كرون.

محمد : (الماضي الماجستير)، 1983.

القرآن: مقدمة قصيرة جدا، عام 2000.

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي لعام 2001 (الفائز في جائزة ألبرت حوراني كتاب).

النهي عن المنكر في الإسلام: مقدمة (الموضوعات في التاريخ الإسلامي)، عام 2003.

العقيدة الاسلامية في وقت مبكر: دراسة المصدر الحرجة، عام 2003.

دراسات في أصول الثقافة الإسلامية المبكرة والتقليد، عام 2004.

تاريخ موجز للجنس البشري، عام 2005.

الأديان القديمة، والسياسة الحديثة: الحالة الإسلامية في منظور مقارن

نشر: مطبعة جامعة برينستون، نيوجيرسي 23 مارس 2014

المصدر: المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية : <https://www.iicss.iq/?id=14&sid=1970>

بالمعروف والنهي عن المنكر» و«أديان قديمة وسياسة حديثة، الحالة الاسلامية من منظور مقارن»، إذ بدأ كوك في دراساته وكتبه الأولى، التي أعدّ بعضها برفقة زميلته وزوجته المؤرخة الراحلة باتريشيا كرون، كما في حال كتاب «الهاجريون»، أكثر تأثراً بالمنهج المشكك بسردية الإسلام المبكر، انطلاقاً من أن هذه السردية كُتبت في وقت متأخر¹.

وبالعودة إلى أعمال كوك الأخيرة، كان رضوان السيد، وبحكم إمامه الفريد بكل ما يكتب عن الإسلام التاريخي والمعاصر في الجامعات الغربية، قد تنبّه إلى أن تحولاً أخذ يشهده نتاج كوك حول الإسلام المبكر، ورغم أن السيد لا يشفي شغفنا بمعرفة أسباب هذا التغيير في منهج كوك؛ بيد أنه أتاح لنا من خلال ترجمته لكتاب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» التعرف على هذه القراءة الجديدة للإسلام، إذ بدأ كوك في هذا الكتاب متأثراً بكلام الإمام الغزالي في «إحياء علوم الدين»، عندما أشار إلى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أصل الإسلام وجوهر الدين².

وقد استطاع كوك من خلال بحثه في تاريخ هذه المقولة، أن يبين لنا كيف أن هذه العبارة وقّرت مدخلاً مناسباً للمسلمين للمشاركة في المجال العام والتصدي للمفاسد؛ كما كشف لنا عن معرفة أمريكية غنية وجديدة بالإسلام ومنقمة حتى على القراءات الأوروبية؛ وهي نتيجة كان قد توقعها المؤرخ الأمريكي زكاري لوكمان (تلميذ أدوارد سعيد) عام 2003، فقد أشار إلى أن الإسلام ورغم الحصار الذي يعيشه بعد أحداث 2001، إلا أنه يحظى باهتمام أقسام كبيرة من الجامعات الأمريكية على مستوى تاريخه وواقعه المعاش³.

في كتابه البارز "اديان قديمة وسياسات جديدة: الحالة الاسلامية من منظور مقارن" يستهل فيه مايكل كوك عن دور الاديان القديمة في السياسة الحديثة في بداية القرن الواحد والعشرين، غير ان منحى الاسلام السياسي في ذلك اعلى من أي من منافسيه، ويتساءل كوك عن سبب هذا بجمله من الاسئلة صدرها بقوله: هل يوجد شيء في طبيعة التقليد الاسلامي الشكلي والجوهري يجعل من الاستناد اليه خيارا جاذبا للأفراد المسلمين والجماعات الاسلامية الناشطين سياسيا في سياق حديث، لا يوجد في تقاليد دينية اخرى؟ هل يوجد ما يعلل كون المرء يمكن ان يفهم السياسة المعاصرة في الهند وامريكا

¹ محمد تركي الربيعو ، اديان قديمة وسياسات حديثة، كيف قرأ مايكل كوك الاصولية الاسلامية، منشورة على الرابط :

<https://www.alquds.co.uk/%EF%BB%BF> تاريخ الزيارة 2020/02/22

² الربيعو، المرجع نفسه

³ المكان نفسه

اللاتينية فهما جيدا دون ان يكون قد سمع بأمثال ماذا او توما الاكوييني من النخب المؤثرة في القرون الوسطى، في حين أنه لا يمكن فهم السياسة في العالم الاسلامي المعاصر من دون أن يكون قد سمع بإبن تيمية؟ وللاجابة على هذه الاسئلة قارب كوك الحالة الاسلامية في سياق يعتمد منهج المقارنة، يسعى فيه الى مقارنة دور الاسلام في السياسة الحديثة مع الدورين اللذين تؤديهما الهندوسية والمسيحية¹. وقدم كوك ثلاثة مفاهيم رئيسية في كتابه وقارن اهميتها ودورها في كل من الدين الاسلامي والهندوسية والكاثوليكية وهذه المفاهيم هي: الهوية، القيم الاصولية.

1/ الأصولية والإسلام:

يلقي مايكل كوك نظرة مقارنة في العمق على الهوية السياسية والقيم الاجتماعية والمواقف إزاء الحرب ووجهات النظر حول دور الدين في مختلف المجالات الثقافية وتصوّرات النظام السياسي. وهو يجد في كل هذه المجالات ما يدل على أنّ التراث الإسلامي يقمّ لأولئك المنخرطين في السياسة الحالية موارد أكثر ثراءً مما يقمّمه كلا التراثين الهندوسي والمسيحي، ويستعمل كوك هذا الاكتشاف ليفسر حقيقة أنه على الرغم من وجود نظائر في الهندوسية والمسيحية لبعض وجوه الإسلاموية، فإن الأخيرة ستبقى بكليتها، اليوم، ظاهرةً فريدةً من نوعها. كما يبين الكتاب أن الأصولية-بمعنى العزم على العودة إلى المصادر الأصلية للدين- هي سياسياً أكثر ملاءمة للمسلمين منها للهندوس أو المسيحيين².

وهذا ما دفعنا إلى التعريف بقراءة كوك للأصولية الإسلامية، وكيفية قراءته لأفكار أبو أعلى المودودي وسيد قطب. وكعادته في التعامل فيلولوجيا مع أي مصطلح، فقد حاول كوك تتبع جذور مصطلح الأصولية، إذ يرى أن لفظ «أصولية» وُضع سنة 1920 من قبل كورتيس لي لوز، الذي كان يعمل محرراً لإحدى الصحف الأمريكية، فخلال تعليقه على مؤتمر ديني حول «الأصول» يشير لوز إلى أن هذا الحدث جمع خليطاً متنوعاً عقدياً من بروتستانت أمريكا الشمالية: ممن ينتسبون إلى ما قبل القائلين بالنزعة الألفية، وإلى ما بعد القائلين بها³.

¹ مايكل كوك، اديان قديمة وسياسات جديدة: الحالة الاسلامية من منظور مقارن، (تر: محمد مراس المرزوقي)، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2017، ص 09.

² احمد عبد الفتاح، اديان قديمة وسياسات حديثة " لماذا نشأ اسلام سياسي ، متوفر على الرابط التالي:

<https://www.ida2at.com/old-religions-and-modern-politics-why-did-political-islam-arise>

تاريخ الزيارة 2020/02/22

³ الربيعو، مرجع سابق

وقد لاحظ لوز أن كلمة «محافظة» ذات نبرة كثيرة الرجعية، كما أنه رفض تسمية «ما قبل الألفيين» باعتبارها شديدة الضيق، ولذلك فقد اقترح أن يُطلق اسم «الأصوليين» على من ينوي أن يكافح من أجل الأصول الكبرى، ورغم أنه لم يكن يهدف إلى تطبيق هذا المصطلح على أديان أو جماعات أخرى، لكن الواقع سرعان ما أتاح لهذا المفهوم أن يغدو مستعداً للتطبيق على أي موروث ديني. ومنذ عام 1920 أخذنا نسمع عن الأصولية الإسلامية والهندوسية؛ ومع ذلك يرى كوك أن هذا المصطلح يبقى مصطلحاً إشكالياً وغير محدد بشكل دقيق¹.

ومن هنا حاول تطوير هذا المصطلح وتحديد ماهيته عبر القول، إن هناك أديانا تبدو غير مرتاحة في علاقتها بالعالم الحديث، ولذلك غالباً ما يعيش إرث هذه الأديان بطريقتين، طريقة مرنة وأخرى غير مرنة. ففي السياق البروتستانتي الأمريكي الشمالي كان من ينطبق عليه وصف المرونة من ذوي النزعة الحداثية، لكن ما يعنينا نحن يوجد في أشكال الدين التي ترفض الخضوع للحداثة. فهي يمكن أن تعرض عدم إرادتها، القبول بالحلول الوسطى بطريقتين، وإن كانتا مختلفتين: الأولى تتمثل في خيار «المنبع»، الذي يعني به خيار العودة إلى الأصول الأولى؛ والثانية تتمثل في خيار «المصب»، الذي يراكم عادةً كما كبيراً من الرواسب، وهو في حال الأديان يتمثل في الإرث الذي وصلنا من الأجيال السابقة وأفاضلهم الذين حافظوا على الأديان ولم يلوثوها. ولكن كيف أدرك الإسلاميون الأصولية في الأزمنة الحديثة؟²

ومن خلال قراءة هادئة، لا تخلو من تأويلات غير معهودة لنصوص المودودي وقطب؛ يعود كوك إلى رواية وجيزة عن حياة المودودي وفكره قدمها تلميذان من تلاميذه وصفاه فيها بالقول «لقد بين المودودي أن ما هو معياري وثابت من التراث الإسلامي يتمثل في مبادئ القرآن والسنة ولا شيء غير ذلك»؛ هذا الوصف يقدم المودودي بوصفه أصولياً صارماً. وبالفعل، فالكثير مما يقوله المودودي في عدد من منشوراته قد يطابق هذا التوجه. من ذلك شرحه للتجديد الإسلامي على أنه «تطهير الإسلام من كل العناصر غير الإلهية وتقديمه بجعله يزدهر بتفاوت زيادة أو نقصاناً في صورته الأصلية الخالصة». بيد أنه رغم هذا الرأي، يبيّن كوك أن المودودي بقي يولي اهتماماً للموروث. فقد وصفه أحد العلماء بكونه «أكثر من غيره من الإسلاميين الآخرين إرادة للاعتراف بالقيمة والأهمية اللتين للموروث الفقهي والتفسيري

¹ المكان نفسه

² المكان نفسه

ما قبل الحديث، لفهم الإسلام وتأويله في العالم الحديث». وقد لا تكون علل المودودي في ذلك تامة المبدئية، إلا أن ذلك لم يكن مجرد عدم تناسق في فكره، فهو يرى أن نزعته التجديدية تحصل في سياق سلسلة طويلة من الجهود التجديدية المنتشرة خلال القرون. وقد سعت بعض الشخصيات، التي من نوع النقي الأموي عمر بن عبد العزيز (حكم بين 717 و 720) وفقهاء القرنين الثامن والتاسع، الذين أسسوا مدارس المذاهب الأربعة، والعالم الغزالي وابن تيمية، إلى تجديد الإسلام قبل المودودي بكثير ويظهرون في المشهد. وفي ذكرهم والاستناد إليهم بوصفهم يمثلون سوابق، كان يستعمل طريقة الأصولي الواصل بين حلقات الموروث الإسلامي الأصيل. وقد أحس بكل يقين أن حركة تجديد في زمانه يمكن أن تستفيد من هذه التجارب التي سبقتها، بيد أن ما لا يمكن لحركة التجديد الحالية أن تفعله، هو التقيد بنموذج المعتقد والفكر لأي منها. والعلّة هي أن القطيعة بين زمانها وزماننا كبيرة جدا، إذ أننا نجابه الآن «مشاكل حياة لا تُحصى، لم يكن لهذه التجارب عنها أدنى فكرة». «لذلك فإن مصدر الهداية والاستيحاء الوحيد لحركة أيديولوجية من أجل نهضة الإسلام في هذا العصر، ينبغي أن يكون كتاب الله وسنة نبيه»¹.

وفي إيجاز فإن المودودي كان قادرا على إظهار الاحترام للموروث المدرسي من دون أن يترك له إمكانية اعتراض طريقه. وفي الغاية يبقى المودودي، وفقا لكوك، أصوليا، على الرغم من أنه منفتح وحسن الأدب عندما يتعلق الأمر بموروث العلماء².

إن حالة سيد قطب مماثلة لحالة المودودي، على الرغم من أن تحديده أقل حسما. ففي كتابه «معركة الإسلام والرأسمالية»، نجد أن هجومه على المدرسة التقليدية لم يكن بسبب أن محتواها خطأ، بل بالأحرى لأنه لا فائدة منها. فهو يقول لنا إن الأصول الإسلامية ينبغي أن لا نخلط بينها وبين الشروح والحواشي التي يُضيع علماء الأزهر وقتهم فيها. وهو يساند التخلي عنها استنادا إلى ما جربه شخصيا منها³.

مع ذلك يبقى قطب بالنسبة لكوك غير ملتزم بشدة بالأصولية، ففي أحد فقراته يحيل بتقدير إلى مؤسسي مذاهب الفقه الأربعة، ويواصل فيسمي، بالروح نفسها، خمسة من علماء القرنين الثالث والرابع عشر إلا أنه مع ذلك قلما يورد شواهد من مثل هؤلاء العلماء، باعتبارهم مرجعية علمية، أو بوصف آرائهم ذات أهمية. فهم لا يؤدون دورا كبيرا في حججه، سواء بوصفهم مفكرين أحرارا أم بوصفهم مؤولين

¹ المكان نفسه

² المكان نفسه

³ المكان نفسه

لنصوص الوحي. وفي الجملة يمكن أن نصف قطب بكونه أصوليا غير رسمي، فكره أكثر مرونة من فكر المودودي، لكنه لا يختلف عنه جوهريا. ولكن ما الذي يجعل الأصولية خيارا جذابا¹؟

يرى كوك أن ذلك يعود إلى عدد من العوامل أهمها أن القيمة الاجتماعية الأساسية في المجتمع المسلم الأول هي نزعة المساواة، ورغم أن نزعة المساواة الإسلامية لا تشمل النساء ولا العبيد أو الكفار، وهو ما لا يلائم عالم اليوم، إلا أنه وعلى الرغم من هذه القيود يوجد ما هو مغر بخصوص الموروث ذي النزعة القائلة بالمساواة. وهناك سبب آخر، وإن بدا غير ملحوظ، يتعلق بطابع الحرب وصورتها في أيام الإسلام الأولى. فروايات الجهاد الأكثر تفضيلا لدى الجهاديين هي بالطبع تلك المجموعة التي حصلت في حياة النبي. وكما سبق أن رأينا فإن الجهاد في الوضع القبلي الجاف للجزيرة العربية كان في الغالب شديد الاختلاف عن الحملات الكبرى التي قامت بها الدول الإسلامية لاحقا، التي كان لها مداخل زراعية جوهرية قادرة على توفيرها لجيوشها المحترفة. فالذين شاركوا في حملات محمد الخمس والستين كانوا مسلمين عاديين، ولم يكونوا أكثر من جنود محترفين. وكانوا يعملون في الغالب في فرق صغيرة ويخوضون ما يُسمى بالمعايير الحديثة حربا غير نظامية².

2/ علاقة الأصولية بالحدثة؟

بحسب كوك، توجد درجة من التقارب بين الأصولية والنزعة الحدثية، فبالنسبة لقطب ليست الصورة العينية للنظام السياسي في القرن السابع عشر هي التي ينبغي استعادتها مع كل ما يصحبها من ضنك الصحراء، بل إن النظام الإسلامي المتعين في ذلك النظام السياسي، يمكن أن يأخذ صورا عديدة بحسب تطور المجتمع وحاجات العصر. كما أن المودودي يميز بين ما لا يتغير من مقومات الشرعية التي تتأسس مباشرة على القرآن والسنة، أما ما عداها فهو منفتح على التغيير «بحسب حاجات الأزمنة المتغيرة ومقتضياتها»، حتى نتمكن بذلك من ضمان الحركية والتكيف والطبيعة التقدمية وقوة النمو المتطور لنظام الشريعة الإسلامية. ولعل ذلك لا يتجاوز النظرة اليابانية في القرن التاسع عشر القائلة إن «الأزمة الجديدة تقتضي قوانين جديدة تكون بروح الأزمنة الماضية لكنها تستجيب لحاجات الحاضر»³

¹ المكان نفسه

² المكان نفسه

³ المكان نفسه

يقدم كوك في خلاصته علاقة هذه المفاهيم ببعضها في الدين الاسلامي، فيرى في الهوية فإن الاصولية تعمل على تقوية البعد السياسي للاخوة الاسلامية في حين انها تقرب وتشيطان اعداء الخارج وبصورة اكثر تسببا للاضطراب اعداء الداخل، اما بخصوص القيم فهي تبرز خصائص النظام السياسي في العهد الاول مثل تبني المساواة ورفض الاستبداد، وهو ما يبدو - بحسب كوك- عند التقدير المتوازن جذابا بمنظور الظروف الحديثة، كما انها- وبحسب كوك دائما- تثير الحقبة الاولى من تاريخ الأمة عندما كان المسلمون لا يحاربون سوى الكفار وليس بعضهم بعضا، وكانوا يفعلون ذلك بطرق تذكر بالحرب غير النظامية للجهاديين الحاليين، وهي تؤسس مسبقا الشكل الاسلامي الذاتي لنظام الحكم الذي كان سائدا في تلك الحقبة، وبصورة اعم تركز الانتباه على زمن كانت فيه الامة الاسلامية ناجحة بصورة خارقة، وهو ما يشير الى مستقبل يمكن ان تصبح فيه الأمة مرة اخرى أكبر قوة على وجه الأرض¹.

تبدو اطروحة كوك رغم اصالتها وتحليلها العميق للأديان من خلال مداخل تحليلية تشكل لب الحركة الدينية المعاصرة (الهوية، القيم و الاصولية)، وذلك باتباع منهج مقارن، الا ان السؤال الذي يطرحه الباحث في هذه الدراسة هو: لماذا اختار كوك هذه الديانتين بالأساس وقارنها مع الاسلام، وتجاهل ديانات اخرى كالمسيحية البروتستانتية او اليهودية التي تفسر لنا السياسة المعاصرة في اغلب الحركات الحركات السياسية في اسرائيل على سبيل المثال التي تجاهر فيه الاحزاب السياسية ليس الدينية فقط وانما حتى العلمانية خاصة اليمينية بموروثها الديني وعلاقته بتوجهاتها السياسية؟ ربما الاجابة تكمن في الطريقة التي يقدم بها الاسلاميون انفسهم ربما كرجعيين واصوليين كما يراهم كوك والتي تلقى رفضا حتى من داخل المجتمعات المسلمة، او الطريقة التي يتعاطى بها الغرب مع الاسلام بصفة عامة والاسلام السياسي بصفة خاصة.

المطلب الثالث: المستشرق اصف بيات² واطروحة ما بعد الاسلام السياسي:

⁽¹⁾ ما يكل كوك، المرجع نفسه، ص 575-576

⁽²⁾ آصف بيات، عالم الاجتماع البارز الأميركي الإيراني الأصل، ولد بايران 1954 أحد أبرز خبراء الشرق الأوسط في الدوائر الأكاديمية الغربية، اشتهر بيات بدراسته لديناميكيات مجتمعات الشرق الأوسط التي أبرزها في كتابيه:

شكل فشل تيار الاسلام السياسي التقليدي في تقديم خطاب سياسي براغماتي رغم مشاركته في الحياة السياسية وإيمانه بقواعد اللعبة الديمقراطية، في إعادة تقديم مجموعة من المراجعات الفكرية كي يستجيب لتحديات الحاضر وتكيفاً مع روح السياسة ومقتضاياتها ومشكلاً قطيعة مع الافكار التي كانت هدفاً رئيسياً لنقاده، هذه المراجعات ومع ما رافقها من تحولات على مستوى الخطاب والممارسة دفعت البعض الى القول بنهاية الاسلام السياسي، او ان هذه الحركات دخلت مرحلة جديدة تسمى ما بعد الاسلامية.

الحديث عن نهاية الإسلام السياسي موجود في كثير من كتابات المستشرقين الجدد، ليس فقط المهتمين بدراسات العالم الإسلامي من الأوروبيين والأمريكيين، ولكن أيضاً من تأثروا بهم وحاولوا أن تكون كتاباتهم امتداداً لمدارسهم ومناهجهم النقدية. باحثون كالأمريكي الإيراني الأصل آصف بيات، الذي يعتبر حالياً، وفي العالم الغربي كما في دول المشرق، من أهم المراجع في مجال التحليل الثقافي للظواهر السياسية¹.

بيات بدأ مؤمناً بانحسار الأدبيات الإسلامية منذ وقت سابق على التطورات السياسية الأخيرة في المنطقة، حيث كان قد نشر في عام 1996 أحد أوراقه التي اكتسبت شهرة والتي جاءت تحت عنوان: «قدوم المجتمع ما بعد الإسلاموي». كان بيات ينطلق في ورقته تلك من الحالة الإيرانية، التي رأى أنها في طريقها لتجاوز الشعارات الثورية الإسلامية بعد أن استنفدت أغراضها وبدأت في بناء الدولة الحديثة. مستشهداً بولادة تيار إصلاحى جديد «ما بعد إسلاموي». تحدث بيات عن الرغبة الشبابية الجارفة في

• سياسات الشارع: حركة المستضفين في إيران " Street Politics: Poor Peoples Movements in Iran (1997)".

• والحياة كسياسات: كيف غير الناس العاديون الشرق الأوسط " Life as Politics: How Ordinary People Change the Middle East (2010)".

ويُعتبر أهم منظري مفهوم ما بعد الإسلاموية الذي أسس له في كتابه: إنشاء الديمقراطية الإسلامية: الحركات الاجتماعية ومنعطف ما بعد الاسلامية " Making Islam Democratic: Social Movements and the Post-Islamist Turn (2007)".

يعمل بيات حالياً أستاذاً لعلم الاجتماع ودراسات الشرق الأوسط بجامعة إلينوي-إربانا شامبين بالولايات المتحدة

¹ مدي الفاتح، نهاية الاسلام السياسي كنظرية استشراقية ، متوفر على الرابط:

<https://www.alquds.co.uk/%EF%BB%BF> تاريخ الزيارة 2020/02/25

تجاوز الدوغمائية التي ارتبطت بالعثورية الأولى من الثورة، وما اشتملت عليه من حالة استنفار فرضتها ظروف الحرب مع العراق¹.

مفهوم ما بعد الاسلاموية حسب اصف بيات²:

صك "آصف بيات" مصطلح "ما بعد الاسلاموية" في دراسته للحالة الإيرانية - عام 1996 - حيث ناقش ظهور تيارات اجتماعية وأفكاراً دينية جديدة بعد مراجعات جسدها ممثلو النزعات الإصلاحية، فكانت ورقته في اقتراحها لمفهوم "ما بعد الإسلاموية" موجّهة لتحليل الأوضاع الجديدة في الجمهورية الإيرانية، مع ملاحظة أنه لمس وجود نماذج عامة لهذه الصيغة التفسيرية خارج الحدود الإيرانية³.

وعلى الرغم من أن المفهوم أُخذ في بداياته على نحو وصفي وتصنيف تاريخي إشارة لنهاية مرحلة "تاريخية معينة" وبداية لمرحلة أخرى جديدة؛ فإن المفهوم تلقى انتقادات عديدة من قبل العديد من الباحثين والمفكرين نظراً لـ "تأطيره المفهومي القاصر من ناحية وعدم الوعي به جزئياً من ناحية أخرى"، إضافةً إلى انتقاد بعضهم الادعاء المفترض بانتهاء الإسلاموية و بروز مرحلة ما بعد الإسلاموية، محاججين بأن ما تغير إنما هو النمط الثوري من الإسلام السياسي أو أن ما يراه بيات من سمات "ما بعد الإسلاموية" عائدٌ إلى بعض التجديد في شكليات السياسة الإسلاموية⁴.

يستخدم "بيات" مصطلح الإسلاموية للإشارة إلى الأفكار والحركات التي تسعى لإقامة "نظام إسلامي" يتمثل في دولة دينية تُحكّم بالشريعة وتفرض القوانين الأخلاقية الخاصة بها في المجتمعات الإسلامية؛ وبناءً على هذا فإن الارتباط بالدولة ملمح أساس للحركات الإسلاموية وكذلك ارتباط هدفها الأساس بإقامة المجتمع العقائدي، وبالتالي فإن تأمين الرفاه والخدمات الاجتماعية سيتحققان تبعاً لتحقيق هذين الهدفين الاستراتيجيين. ويُعدُّ بيات هاتين الخصيصتين المميز الأهم بين من ينطبق عليه مفهوم الإسلاموية ومن لا ينطبق عليه، ومن ثم فإن جماعة التبليغ والدعوة الإسلامية لا يمكن عدّها حركة إسلاموية -برأيه-؛ إذ إنّ مشروعها يتمحور حول "إعلاء التقوى الفعالة" في نزوع مباشر نحو الاعتماد

¹ المكان نفسه

² AbuRumman, Mohammad Suliman, **Post Islamism: A New Phase or Ideological Delusions**, Jordan & Iraq; Published in 2018 by Friedrich-Ebert-Stiftung , 2018 p 24,23

³ عرابي عبد الحي عرابي، قراءة تحليلية لمفهوم ما بعد الاسلاموية في اطروحة اصف بيات ، مركز جسور للدراسات ، 2018، ص 02.

⁴ المكان نفسه

على الفردانية والسلفية الأصولية الهادئة لا لغرض إقامة دولة إسلامية وإنما لاستعادة الذات المسلمة والتبشير بها، فهي لا تهتم بالوصول إلى السلطة البتة وإنما ينصب اهتمامها على تحقيق الصّحة الروحية للمسلمين¹.

يجعل بيات مبدأ "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" أهم الأسباب التي تدفع الإسلاميين إلى التمسك بالوصول إلى السلطة، ويرى أن هذا المبدأ بقي غامضاً وذا تفسيرات مختلفة وتعريفات متقاطعة أحياناً ومتضاربة أحياناً أخرى، إلا أنه كان تاريخياً منطاً بالقضاة والغلاة في الحقب السابقة، بينما تجسدت هيكليات بعض الدول الحديثة على تادية هذا الدور وإعلاء أهميته، وذلك كما في الحاليتين "الإيرانية والسعودية"، ومن ثم فإن تحقق السلطة للحركات الإسلامية سيضمن لها -إضافة إلى التحكم بالدولة- تعزيز هذا المبدأ الغائي، هذه المحددات التي يشير إليها بيات تؤدي به إلى "أن رؤى الإسلاميين الشرعية والقيمية تؤكد على "واجبات" الناس أكثر من "حقوقهم" فهم محض رعايا ملزمون أكثر من كونهم مواطنين ذوي حقوق"².

يشير بيات في تعريفه "ما بعد الإسلاموية" إلى أنها تمثل "حالة" و "مشروعاً"، فقد أوضحت التحولات السياسية والاجتماعية التي أعقبت مرحلة تجريب الإسلاموية مدى استنزاف طاقاتها ومصادرها، كما أصبح الإسلاميون واعين بتماثلات خطاباتهم واختلافاتها، في الوقت الذي يحاولون فيه التأسيس لمراحل حكمهم القادمة، وأضحت أطرهم السياسية عرضةً للتساؤلات والانتقادات؛ مما دفع بعضهم إلى التخلي عن بعض المبادئ المؤسسة للإسلاموية في شكل يشبه إعادة اختراع للإسلاموية أو تحول عنها إلى شكل جديد من التعامل مع الخطاب الديني والسياسي، وقد مثل "بيات" لذلك بالحالة التجديدية الإيرانية في حقبة التسعينات، وتتمثل "ما بعد الإسلاموية" مشروعاً بكونها محاولة لصياغة مفاهيم عامة وتأطير استراتيجية جديدة لبناء منط متجاوز للإسلاموية في المجالات الفكرية والاجتماعية والدينية والسياسية، فهي بهذا المعنى ليست علمانية أو غير إسلامية؛ إذ إنها تسعى إلى دمج التدين بالحقوق، والإيمان بالحرية، والإسلام بالتحضر، من خلال قلب المبادئ المؤسسة للإسلاموية رأساً على عقب بالتأكيد على الحقوق محل الواجبات، والتعددية عوضاً عن السلطوية الفردية، والتاريخية بدلاً عن النصوص، والمستقبل مكان التاريخ، في مزوجة بين قيم الإسلام من ناحية والديمقراطية والحدثة من ناحية أخرى

¹ مرجع سابق، ص 03

² المكان نفسه

ابتغاء تحقيق "حادثة بديلة"؛ إذ في الوقت الذي تتحدّد الإسلامويّة فيه بربط الدين بالمسؤوليّة فقد عبّر عن "ما بعد الإسلامويّة" -بحسب بيات- بالاعتراف ببعض الأسس العلمانيّة مثل التحرّر من التزمّت، والقطيعة مع احتكار الحقيقة الدينيّة مع التأكيد على حرّيّة التديّن ودور الدين في المجال العامّ وأهمّيّة الحقوق والدولة المدنيّة¹.

يؤكد بيات على أنّ الحركات الإسلامويّة وإن اتّفقت في الهدف فإنّ أساليبها تتنوّع بحسب الطُّرق التي تتّخذها لتحقيق غايتها الاستراتيجيّة، فيسعى "الإصلاحيّون" إلى إقامة دولة إسلاميّة تدريجاً من خلال الأطر السلميّة والأساليب الدستوريّة، فهم إسلاميُّون انتخابيُّون يرفضون استخدام العنف ويسعون إلى العمل من خلال تبني الإجراءات الديمقراطيّة وتعبئة المجتمع المدنيّ من خلال الروابط المهنيّة والمنظّمات غير الحكوميّة والمساجد والجمعيات الخيريّة، وتمثّل جماعة "الإخوان المسلمين" -برأي بيات- في مصر والجزائر والسودان والكويت والأردن هذا الاتجاه، كما تمثّله "الجماعة الإسلامويّة" الباكستانيّة، وحركة "ميلّي غوروش" التركيّة. ويشير بيات إلى أنّ استراتيجيّة هذه الجماعات متطابقة مع منظور "غرامشي" في "بناء الهيمنة الأخلاقيّة والسياسيّة" تدريجاً تصاعديّاً بدءاً من القواعد بأسلمة المجتمع وانتهاءً بأسلمة الدولة، لجأت -بالمقابل- الحركات "المقاتلة" أو "الثوريّة" إلى الإرهاب والعنف الموجّه إلى مؤسسات دولها الرسميّة والمصالح الغربيّة والمدنيّين من غير المسلمين، ساعيةً إلى تحقيق ثورة ذات نمط لينينيّ للإطاحة بالدولة بالقوّة، الأمر الذي سيحقّق -حال نجاحه- أسلمة المجتمع من الأعلى، فتعمل هذه الحركات "الثوريّة" -في حقيقتها- حركات سياسيّة داخل دولها؛ إلا أنّها تستهدف "العلمانيّة" بشكل أساسيّ، وهو ما يميّزها عن التنظيمات الجهاديّة العابرة للحدود -كتنظيم القاعدة- التي تدفعها رؤاها "الخلاصيّة" في حركة الصّراع مع "الحضارات" الغربيّة، فهي تستهدف المُثُل المجرّدة التي تجسّدها الحضارة الغربيّة الفاسدة ومجتمعاتها "الكافرة"، أي أنّ غايتها الجهاد في حدّ ذاته، فهم يلجؤون للعنف بلا تمييز ضدّ أنفسهم وضدّ أهدافهم. وفي المحصّلة فإنّ هذه الحركات -الإسلامويّة الانتخابيّة أو الثوريّة- بعمومها تستخدم لغة دينيّة وتعتمد من الدين إطاراً للمفاهيم، ويفضّلون النظام الاجتماعيّ القائم على الأخلاق المحافظة والإقصاء كما يُشعرون الأفراد بأبويّتهم فلا يتسامحون -لذلك- مع الأنماط التجديديّة المغايرة لمبادئهم واعتقاداتهم، فتحوّلت أنماطهم الفكرية والحياتيّة إلى أيديولوجيّة تمتزج فيها صفتان عامتان: الالتزام الديني واستخدام لغة الحقوق، وهو ما يكوّن خصيصاً مفارقةً لرؤية ما بعد

¹ المكان نفسه

الإسلاموية، وتشير الدلائل إلى أنّ الحركات الإسلاموية تلقت الدعم من مجموعات متنوعة تقليدية وحديثة ومن أعمار مختلفة وطبقات اجتماعية شتى، مما ينقض التفسيرات التي تختزل الحركات الإسلاموية بجملتها ضمن الاتجاه "التقليدي" وطبقات معينة؛ إذ على الرغم من قرب الإسلامويين من الطبقات الفقيرة إلا أنّ العلاقة فيما بينهما تظلّ ضمن هامش الانتفاع المتبادل، فيمنح الفقراء الإسلاميين دعمهم مصلحياً مقابل مكاسب مادية أو اجتماعية وذلك بذات المنطق الذي قد يتعاملون به مع المجموعات اليسارية والعلمانية، ويحدّد بيّات بدايات ظهور ما بعد الإسلاموية في حقبة نهاية الحرب مع العراق عام 1988، ووفاة الخميني 1989، وبدء برامج الإعمار في عهد هاشمي رفسنجاني. لقد تجسّدت "الما بعدية" - برأيه- في ظهور حركات واتجاهات اجتماعية وخطابات دينية جديدة في أوساط الشباب والطلبة والعاملين في السلك الديني الذين طالبوا بالديمقراطية وحقوق الفرد والتسامح والمساواة بين الجنسين وفصل الدين عن الدولة، ممّا أجبر النخبة الدينية والفكرية على البدء بإحداث نقلة نوعية في النموذج الفكري، فأدانت مجموعات من الإسلاميين "الدولة الدينية" لكونها خطراً على الدولة والدين على حدّ سواء، وبذا فقد تشكّل داخل الدولة الإيرانية خصومٌ داخليون -كانوا أصدقاء سابقين- يدعون إلى علمنة الدولة مع المحافظة على الأخلاق الدينية في المجتمع¹.

يعيدُ بيّات قراءة أطروحته بناءً على المراجعات التي قدّمت عنها، فيستنتج أنّ الروايات المتنوعة لتغيّرات الحركات الإسلاموية تشير إلى مساراتٍ عدّة لظهور "ما بعد الإسلاموية"، فقد ظهر "التيّار الإصلاحيّ" في إيران بسبب فشل الطبقة الحاكمة في مخاطبة المواطنين بناءً على حقوقهم ومُتطلّباتهم، بينما اضطرّت الإسلاموية التركيبية إلى "التكيّف" مع الواقع السياسيّ في البلاد، وضمن الإطار ذاته تراجعت الأحزاب الإسلاموية في المغرب وإندونيسيا عن ماضيها الإسلامويّ، وأشارت التجارب السودانية والسورية إلى وجود توجهات ما بعد إسلاموية لمدّة طويلة قبل ظهور الحركات الإسلاموية عالمياً. إضافةً لما سبق يلاحظُ اختلاف العمق في تجربة الانتقال إلى "الما بعد الإسلاموية" بين دولةٍ وأخرى، لكنّ الجامع المشترك بينها حصولُ تغيّرٍ جذريٍّ في الرؤيا؛ إذ تدلُّ العلامات المحدّدة لـ "ما بعد الإسلاموية" إلى تحقّقها عند الانتقال إلى نقد الخطاب الإيديولوجيّ والخروج عن الحزمة الإسلاموية القائمة على

¹ المرجع نفسه ، ص 05

احتكار الحقيقة الدينية والإقصائية التي تؤكد على الالتزامات، نحو الإقرار بغموض النصوص والتعددية والاستيعاب والمرونة في المبادئ والممارسات¹.

يوكد بيات -من ثم- على أن "ما بعد الإسلاموية" (قطيعةً خطابيةً أو ذرائعيةً عن النموذج الإسلاموي)، منوهاً إلى أن الاتجاه الانتقال لا يتحول إلى ما بعد "الإسلامية" وإنما إلى ما بعد "الإسلاموية" في تأكيد على أنه ليس ثمة انقطاع عن الإيمان الديني نحو العلمنة، وإنما اتجاه إلى تجاوز مرحلة الأسلمة، وذلك من خلال الالتزام بمشروع ديني مغاير أكثر استيعاباً، يستمر الإسلام فيه ديناً من ناحية ومكوناً مؤثراً في المجال العام من ناحية أخرى، وعليه فإنه لا مسوغ لعد "ما بعد الإسلاموية" نوعاً من التجديد يختلف في شكله عن الإسلاموية فكأنه محض تنويع في النموذج الإسلاموي الواسع؛ إذ يدفع هذا الاختزال إلى الارتباك المنهجي في التصنيف نظراً للخطابات المتباينة التي تقدمها الأطراف المعنية تأسيساً كان أو تعاملاً، وبالمناظر ذاته لا يفي مصطلح "التكيف" لتحليل التحول الذي طرأ على التجربة الإسلاموية في تركيا؛ إذ إن الأمر في حقيقته قطيعةً بين حزب العدالة والتنمية وحركة ميللي غوروش كما هو الحال مع قطيعة الإصلاحيين الإيرانيين مع أفكار التيار المحافظ كالخمينيين².

وعلى الرغم من اتصاف بعض الحركات الإسلاموية بالمرونة الانتخابية كما هو الحال مع الجماعة الإسلاموية في باكستان، إلا أن ذلك لا يدخلها مرحلة "ما بعد الإسلاموية"، فهي وإن صُنفت ضمن التيار "المعتدل" إلا أن ذلك لا يعني انتقالها إلى "الما بعدية" بسببه؛ إذ الاعتدال في حد ذاته يخفي سمات "ما بعد الإسلاموية" المميزة لها، فيدلُّ على درجاتٍ من القطيعة ولكن على نحوٍ نسبيٍّ دائم؛ إذ قد يكون ما يُعدّ في إطار بعضٍ معتدلاً أمراً متطرفاً عند جهةٍ أخرى، تشترك ما بعد الإسلاموية -بحسب بيات- مع مساحةٍ واسعةٍ من "الإسلاموية الليبرالية" التي ترى الإسلام متوافقاً مع الديمقراطية والدولة المدنية وحرية الفكر، إلا أن "ما بعد الإسلاموية" تحلُّ ما هو أكثر من هذا المعنى كونها نقداً لمشروع خرجت منه؛ إذ هي متعلقةٌ بالقطيعة عن جذور الأفكار الإسلاموية، كما أنها تختلف عن الليبرالية في عدم سعيها إلى خصخصة الإسلام، حيث إنَّها تراه جزءاً من المجال العام، الذي يجب دعمه وتقويته³.

¹ المرجع نفسه ، ص 06

² المرجع نفسه، ص 07

³ المكان نفسه

يوصفُ "بيات" حالة "ما بعد الإسلاموية" رؤيةً نقديةً تتجاوز السياسات الإسلاموية المرتكزة على مبدأ الإيفاء بـ "الواجب"، كما أنها في ذاتها "قطيعة" نقديةً مع التيارات الإسلاموية في سبيل إصلاح تبعاتها الفكرية والسياسية، مع التأكيد على "أنها ليست مشروعاً دينياً استيعابياً متماسكاً"، ولذا فإنه من المبكر الحكم عليها، يمكن الإشارة إلى مفهومي "الإسلاموية" و "ما بعد الإسلاموية" فكرياً على أنهما نماذج تحليلية توضح الاختلاف والتغير وجذور التغير أيضاً، إلا أن الحياة الواقعية قد تُظهر نماذج لأشخاص يلتزمون الجانبين معاً في بعض المسائل أو أحدهما دون الآخر في مسائل أخرى، ومن ثم ينبغي التعامل مع "ما بعد الإسلاموية" على أنها قطيعةً نقديةً لا مرحلة تاريخية تبدأ بتاريخ معين -مع التأكيد على أن ذلك لا ينفي وجود أرضية تاريخية لها- فقد تظهر مفهومات التيارين بصفة متزامنة في بعض الشخصيات أو التنظيمات؛ مما يحتم إعادة التفكير في شروط التحول إلى "الما بعد" وعزوها إلى مفاهيم أكثر تحليلية¹.

أظهرت ثورات الربيع العربي احتلال الإسلاميين عموماً مكانة متقدمة في عملية التغيير التي يشهدها العالم العربي، بغض النظر عن النتائج التي أفضت إليها حتى اللحظة، سواء فيما شهدته في البداية صناديق الاقتراع في مصر وتونس، أو ما تدل عليه الآن موازين التنافس والصراع السياسي أو العسكري في مصر وسوريا واليمن والعراق وليبيا وسواها. ومن الواضح أن تعثر الربيع العربي واللحظة السياسية الراهنة في المنطقة وما تشهده من جمود سياسي وتردد وارتفاع في منسوب العنف قد أخذت تتعكس وما زالت، على شكل تحولات عميقة في كل الكيانات والحركات الإسلامية ولو بتفاوت فيما بينها. فبعض التيارات السلفية تشهد -مثلاً- تغييرات وميلاً نحو الإصلاح، وتحمل المزيد من المسؤوليات السياسية أكثر من ذي قبل، وحركة النهضة في تونس نتج عنها التخصيصية بالعمل السياسي لتكون جزءاً من الدولة القطرية الحديثة. أما الحركات الجهادية فلم تعد نموذجاً واحداً، فهناك نموذج القاعدة ونموذج آخر منافس لها؛ تنظيم الدولة الإسلامية، بل هناك نموذج ثالث يتصف بالمحلية كما هو شأن العشرات من الجماعات الإسلامية المسلحة في سوريا. وهناك حركات أخرى كانت تُنسب تقليدياً للحركات الإسلامية من قبل جمهور الباحثين، مثل حزب الله، الذي كان يجمعه العنوان "الإسلامي" و"المقاوم" مع بعض نظائره من القوى المقاومة الفلسطينية وسواها، قد أظهر تحولاً كبيراً بعد الثورات العربية وخاصة بعد

¹ المكان نفسه

مشاركته في سوريا ليصبح حزباً مُتَّهَمًا بأنه نموذج لحزب "طائفي" مرتبط بطموحات إيران في المنطقة، ويتصدر مجموعة من الميليشيات "الأجنبية الطائفية" في سوريا والعراق واليمن¹.

على الرغم من أن موجات الثورات العربية قد مثَّلت تحدياً للأسس الفكرية التي تقوم عليها المدرسة الاستشراقية، إلا أن الاستشراق أثبت قدرته على البقاء باعتباره المنظور التحليلي الأوسع والأرسخ الذي تنظر به مدارس التحليل الغربية للمجتمعات الإسلامية ككل والظاهرة الإسلامية على وجه الخصوص. فمن ناحية، ساد في التحليل الغربي القول بأن خيار الديمقراطية الذي نادى به الثورات هو الأبعد عن متناول الشعوب العربية، كما أشار لذلك برنارد لويس في حوار صحفي له في أعقاب الثورة المصرية. ومن ناحية، نظرت هذه المدرسة لصعود حركات الإسلام السياسي إلى سُدَّة الحكم في أعقاب الثورات خاصة في مصر وتونس على أنه تعبير عن جوهر إسلامي متمكن في ثقافتها، وتتسحب هذه النظرة الجوهريّة الاستاتيكية على الحركات الإسلامية؛ حيث تسود منظورات تنفي عنها إمكانية التغيير أو التحول، وتُرجع هذا إلى ركود الثقافة الأصيلة التي تعبر عنها هذه الحركات على تنوعها واختلاف سياقات فاعليتها. حتى تلك التوجهات التي تحاول رصد التحولات الطارئة على بنية وسلوك هذه الحركات تفنّد في تحليلها البحث عن منطق التحولات وأسبابها الكامنة وسياقاتها ومساراتها².

وقد برزت في هذا السياق بعض القراءات النقدية أو التكميلية لأطروحة "أصف بيات" منها قراءة "توماس بيريه المعنونة بـ"الاتجاه الإسلامي الاستثنائي في سوريا، الإصلاحيون السياسيون والعلماء والديمقراطية" التي خصصها للإشارة إلى عدم انطباق أطروحة "بيات" على حالة الإخوان المسلمين في سوريا وتحليل الأسباب التي جعلتهم متقدمين على غيرهم من الحركات الإسلامية في الأقطار الأخرى. في خاتمة قراءته النقدية لمفهوم "ما بعد الإسلاموية" يحلّل "توماس بيريه- "مُتعمِّقاً- البنية التي اعتمدها في فهم العلاقة بين مكونات التيار الإسلامي ومحدّدات العلاقة التي تربط هذه المكونات بنظام الحكم التسلّطي في سورية، مشيراً إلى أنّ "أصف بيات" يفترض أنّ التطوّرات في الخطاب" ما بعد الإسلاموي" تصدر عن مراجعاتٍ نقديةٍ تجترح نمطاً جديداً في التعامل الفكري والسياسي، كالقبول بوطنية الدولة وعلمانيّتها وسلطة الدّستور والإقرار بمبدأ الحرية الفردية؛ السبب الذي يشي بأنّ توجُّهاً جديداً يطرح عباءة الماضي يظهر -لدى الجماعات الدينية المنظّمة- ابتغاءً لتأسيس فعلٍ سياسيٍّ "ما بعديٍّ" مَقوِّدٍ

¹ شفيق شقير، التحولات في الحركات الإسلامية : 6 سنوات بعد الربيع العربي، مركز الجزيرة للدراسات، 2016

² محمد مسعي العربي، عرض لكتاب ما بعد الإسلاموية: الأوجه المتغيرة للإسلام السياسي، مركز الجزيرة للدراسات، 2018، ص 02.

بتجديدٍ فكريٍّ نحو سياقاتٍ آنيّةٍ ومستقبليّةٍ، وهو -بحسب "توماس" ممّا لا يتحقّق بعمومٍ مُطلقٍ، مستنداً - في ذلك- إلى تأصّل الممارسة الديمقراطية سياسياً في منهج حركة الإخوان المسلمين في سوريا، إضافةً إلى الاحتراز من الوقوع في فخّ المغالاة في افتراض تجانس جماعات هذا التيار وعدّها بنيةً متماسكةً بينما هي -في حقيقة الأمر- أصيلةٌ الاختلاف في بُناها الداخلية ومحدّاتٌ توجّهاتها الفاعلة . يشير "توماس" في مقدّمة قراءته إلى أنّ حملة القمع التي مارسها النظام السوري ضدّ حركة الإخوان المسلمين "أدت إلى ازدياد المظاهر الدينية في الحياة اليومية للمجتمع السوري، بل إنّ النظام ذاته -في سياق هذا التحوّل الاجتماعي- تخلّى عن مواقفه العلمانيّة" العدوانيّة "تدرّجاً مع إبدائه تسامحاً أكبر تجاه الأنشطة الدينيّة" غير السياسيّة". كما تبدي جماعة الإخوان المسلمين السوريّة مرونةً سياسيّةً تبدو استثنائيةً مقارنة بما عداها من الحركات الدينية في العالم العربي، ولعلّ ذلك عائد إلى التزامها طويل الأمدٍ بمواقف تميل إلى الليبراليّة السياسيّة¹ .

تلخّص أطروحة "بيريه" النقدية بمحاولة إضافة عناصر تحديدية أجلي من العناصر التي ارتأها "بيات" في تحديد الموصوفين بـ" ما بعد الإسلام السياسي" بشكل أدقّ، إلّا أنّه في الآن نفسه ارتأى خروج التيار الإسلامي السوري عن رؤية "بيات" لدواعٍ عديدة، منها تجذّر الخطاب الديمقراطي لدى جماعة الإخوان المسلمين مقابل رفض منظومة "العلماء" هذا الخطاب ومخرجاته، محدّداً في سبيل ذلك توصيفين -يراهما- دقيقين في التفريق بين تيار "الإسلاميين" في سورية، وذلك استناداً على مبدأ "التوظيف" المصلحة القطاع في حالة "العلماء" والتوجه نحو "المعارضة" في حالة "الناشطين" وبما أن العلماء يمتنعون عن المطالبة بالإصلاح السياسي نظراً لطبيعتهم القطاعية لا الأيديولوجية فإنّ النظام التسلطي سيندفع لدعمهم ما أقروا بالولاء له، معتمداً في الآن ذاته على تجبير جهودهم في كبت التوجّهات الإصلاحية لدى المفكرين المجدّدين وإبطال فاعليّتها، وبالتالي سيبقى تأثير الخطاب " ما بعد الإسلامي" - حال وجوده- طفيفاً ما لم يتحقّق تغييرٌ معنوّ به يمكن للانتقال نحو الديمقراطية، ممّا يدفع إلى القول: إنّ النجاح في جعل "الإسلام" ديمقراطياً في سوريا ليس متعلّقاً بدعم "الما بعديين" من

¹ عرابي عبد الحي عرابي، ما بعد الإسلاموية"عرضٌ وتحليلٌ لدراسة "مكوّنات التيار الإسلامي في سوريا، المُصنّفون

السياسيون، العلماء والديمقراطيّة" 2018. تركيا: مركز جسور للدراسات ص 2-3

الإسلاميين، وإتّما في توفير سياقٍ يسمح بالانتشار " للنشطاء السياسيين من ذوي المنحى الحقوقي مقابل العلماء الذين يؤكّدون على مبدأ الواجبات في التعامل مع النظم السلطوية¹ ."

يجادل الكثير من المتخصصين في الحركات الإسلامية ان عصر الحركات التقليدية قد ولى وبدأو باطلاق وصفات جديدة كالاسلاموية الجديدة او نهاية الاسلام السياسي او ما بعد الاسلاموية والمقصود هو ضرورة القيام بمراجعات على مستوى الخطاب والممارسة والتخلى عن مفهوم الشريعة وقبول مشاركة المرأة في الحياة السياسية، وتبني قيم الحداثة والليبرالية... الخ ويضرب هؤلاء الباحثون نموذج حزب العدالة والتنمية التركي الذي تمكن من الحفاظ على هويته الاسلامية بالمقابل قام بتبني القيم الغربية في السياسة والاقتصاد والمجتمع وحتى في علاقاته الخارجية.

نستنتج مما سبق ان الاستشراق الاكاديمي الامريكي من خلال النماذج الثلاثة المعروضة انه يعتمد في تحليله للظاهرة الاسلامية على مناهج العلوم الاجتماعية فبرنارد لويس مثلا في مقارنته للأصولية يستخدم المنهج التاريخي بصورة كبيرة ليصل لتحليلات راهنة للحركة الاسلامية المعاصرة، في حين يستخدم كوك المنهج المقارن لفهم تفرد الحركة الاسلامية عن غيرها من الحركات في الاديان الاخرى ، بينما نرى المنهج الاستنباطي في قراءة اصف بيات للحركة الاسلامية، غير ان المتتبع لهذه التفسيرات ورغم اهميتها يجدها تفتقر الى الجهد العلمي الميداني فقد اعتمد هؤلاء المستشرقون على القراءة الذاتية الاستنتاجية والتي قد لا تخلو من بعض التحيزات الشخصية والحضارية، وما يعاب عليها كذلك انها قراءاتها لراهن الحركات الاسلامية يتم وفق قراءة تاريخية للحضارة الغربية المسيحية واسقاط هذه النتائج على واقع الدين الاسلامي فيما اطلق عليه البعض تسميح الاسلام.

¹ المرجع نفسه، ص 8

المبحث الثالث: الاستشراق الاعلامي الامريكى ونظرتة للإسلام والمسلمين

يحتل الاعلام في الولايات المتحدة الامريكية¹¹ مكانة رفيعة كونه مساهم فعال في صناعة الرأي العام تجاه القضايا والمشاكل المطروحة، ويتطور الوسائل التكنولوجية اصبح الاعلام هو الذي يقوم بصياغة الافكار والاراء حول احداث او موضوعات معينة، وهو الذي يقوم باثارة مشاعر الغضب او التعاطف مع عناصر الحدث سواء بالصورة او الصوت او الكلمة واللقاء والمتابعة، وبعد هجمات 11 سبتمبر 2001 ازداد هذا الاهتمام بتناول الاسلام والمسلمين في الشرق الاوسط وكان ذلك على مستوى التلفزيون والاذاعة والقنوات والصحف والمجلات والسينما والتي صورت المسلمين كأشرار ومتعطشون للدماء.

سنحاول في هذا العنصر ان نتطرق الى تناول الاعلامي الامريكى كوجه من اوجه الاستشراق الجديد لظاهرة الحركات الاسلامية وما ارتبط بالإسلام من ظواهر كالإرهاب والعنف والديمقراطية والحادثة... الخ. من خلال مطلبين:

المطلب الاول: الاسلام والمسلمين في الصحف والقنوات التلفزية، اما المطلب الثاني فننتعرف فيه على هذه الصورة في السينما الامريكية باعتبارها اداة اعلامية هامة في صنع الرأي العام وتشكله في القضايا والظواهر الاجتماعية والسياسية للمجتمع الامريكى.

¹¹ ينبغي التنبيه ان للولايات المتحدة الامريكية ترسانة اعلامية قوية جدا وضخمة وهو احد ادوات القوة الناعمة الامريكية للسيطرة والهيمنة ثقافيا فغالبية الشركات العملاقة متعددة الجنسيات للصحافة والبيت التلفزيوني والاقمار الصناعية للبيت الفضائي موجودة في الولايات المتحدة الامريكية، اساس الشبكة العنكبوتية وراس مالها ومراكزها امريكية، كما ان 80% من الانباء العالمية التي تتداولها وكالات الانباء عن الدول النامية مصدرها الوكالات الامريكية القادرة على الفبركة والصياغة كما تريد هي حسب توجهات النظام العالمي الجديد ، بالاضافة الى ان خمس عشرة شركة اعلامية امريكية غربية تتحكم في المواد والوسائل والمؤسسات والتقنيات الاعلامية والاعلانية في العالم ، وان 75% من اجمالي الانتاج العالمي من البرامج التلفزيونية امريكى و 90% من اجمالي الاخبار المصورة و 82% من اجمالي المعدات الاعلانية والالكترونية و 90% من المعلومات المخزنة في الحواسيب الالكترونية جهد امريكى ' رأس المال البالغ نحو 489 مليار دولار الذي يتحكم في سوق التقنية الاعلامية غالبيته امريكى... المصدر: http:

المطلب الاول: صورة الاسلام والمسلمين في الصحف والقنوات التلفزيونية الامريكية:

سهّلت القنوات الفضائية والشبكة العنكبوتية ومواقع التواصل الاجتماعي وأدوات الاتصال الحديثة للمستشرقين الجدد عملهم في إنتاج مزيد من التصورات الخاطئة عن الإسلام ومنطقة العالم العربي، بدءاً من أن انعدام الديمقراطية في الشرق هو الذي أدى إلى خروج الإسلاميين من بلدانهم لتهديد المجتمعات الغربية، مروراً بأن الحل يكمن في إحلال الديمقراطية الأميركية ووصول الإسلام السياسي إلى سدة الحكم؛ كي لا تتكرر مأساة تفجير بُرجي التجارة العالمي من جديد.. هذه الأفكار رُوّجت لإعادة تقسيم المنطقة العربية على أسس طائفية وعرقية، وعجّلت بخلق جماعات تؤكّد وجهة نظر الغرب في الإسلام.

شكلت أحداث 11 سبتمبر 2001 في كل من نيويورك وواشنطن انعطافة حاسمة في سياق التغطية الاخبارية لشؤون العالمين العربي والاسلامي في الاعلام الامريكي، واستغلت وسائل الاعلام المكتوبة والمرئية والمسموعة المتحيزة ضد العرب والمسلمين الهجوم علي برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك ومبنى البنتاغون في واشنطن مناسبة لدمغ العرب والمسلمين بالاصولية والارهاب في مسعى لتبرير الهجوم على افغانستان ومحاولة استئصال ماسمته الادارة الامريكية في زمن جورج بوش الابن شبكات الارهاب الاسلامية، وهو ما يسمح لها بعسكرتها لمنطقة الخليج العربي خلال حرب الخليج الثانية، وقد كان الاعلام الامريكي مستعداً لتنفيذ الشق الاعلامي في المعركة من الهجوم الكاسح على العرب والمسلمين، والاتفاق على تقديم الصور النمطية لهذا الجزء من العالم، في لحظة لهذا الجزء من العالم، في لحظة تذكر بالمووروث الاستشراقي الذي بنى للشرق صوراً نمطية تبرر زحف الجيوش الاستعمارية الى المنطقة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين¹.

وقد قامت المحطات التلفزيونية الرئيسية في امريكا مثل CBN و ABC وصحف كبرى، النيويورك تايمز والواشنطن بوست، بضخ عدد هائل من التقارير والمقالات والتعليقات تشدد جميعاً على عداء العرب والمسلمين للغرب، وتحذر من الخطر الاصولي الاسلامي الذي يسعى لتدمير امريكا والدول الغربية الاخرى².

¹ فخري صالح، كراهية الاسلام كيف صور الاستشراق الجديد العرب والمسلمين، لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون ،

2016 ، ص 154

² المكان نفسه

ويمكن القول ان المرجعية المعرفية التي شكلت اساس هذه التقارير والتعليقات بنيت على اساس ما يسميه ادوارد سعيد معلومات من الدرجة الثانية او الثالثة يقدمها بعض المستشرقين المتحاملين على العالمين العربي والاسلامي يقدمها بعض المستشرقين المتحاملين على العربي والاسلامي، على رأسهم المؤرخ والباحث البريطاني برنارد لويس، حيث سارعت المحطات التلفزية والصحف والمجلات الامريكية الى استفتائه بشأن الاصولية الاسلامية التي تكن حقدا دفيناً على الحضارة الغربية¹.

لكن اذا كان لويس يمتلك معرفة معقولة بالعالمين العربي والاسلامي من خلال عشرات الكتب التي اصدرها، فان معلقين من نمط توماس فريدمان يكتبون وفي اذهانهم صور مسبقة عن هذه المنطقة من العالم، ويتميز توماس فريدمان بين هذه الجمهرة من المعلقين بانحيازه لاسرائيل، كما تتضح مقالاته في النيويورك تايمز، خصوصا بعد 11 سبتمبر 2001 بالعداء المطلق للعرب والمسلمين واصفا العرب بانهم يظهرون غير ما يبطنون وانهم يكونون عداء خفيا للغرب، وامريكا بالتحديد، ينطلق من ارضية عقائدية مبنوثة في التعليم والمسجد والقناعات العامة، لكن فريدمان لا يورد في تعليقاته الاسباب الفعلية للكراهية التي يكنها العرب والمسلمون لامريكا، التي تتمثل في انحياز الدولة الاعظم في العالم الى جانب الدولة العبرية ودعمها الكامل لكل ما تفعله اسرائيل من قتل وتهجير².

لم تكن الصور السلبية للعرب والمسلمين في الإعلام الأمريكي وليدة تدمير برج التجارة العالمية، إنما هي قديمة بدأت في النقشي والانتشار كظاهرة إعلامية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة وبلغت ذروتها لدى الأمريكان بسقوط البرجين، وليس أدل على ذلك ما قاله المفكر إدوارد سعيد في كتابه "تغطية الإسلام: كيف تحدد وسائل الإعلام والخبراء الطريقة التي نرى فيها العالم قبل أكثر من ثلاثين عاماً": "إن تغطية المسلمين والعرب ومناقشة أمورهم وفهمهم لا تخرج عن صورتي مؤردي نفظ أو إرهابيين محتملين، ولم يصل سوى القليل جداً من التفاصيل وكثافة البعد الإنساني وشغف الحياة العربية والإسلامية إلى وعي أولئك الأفراد الذين تقوم وظيفتهم على تغطية العالم الإسلامي³.

¹ المرجع نفسه، 155

² المكان نفسه

³ ادوارد سعيد، تغطية الاسلام (تر: محمد عناني)، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع 2005، ص 69

وقد كتب اموس بيرلميتير استاذ العلوم السياسية بالجامعة الامريكية ورئيس تحرير مجلة دراسات استراتيجية في عام 1995 يقول فيه ، ان انتهاء الحرب الباردة لا ينبئ بقيام نظام عالمي جديد، بقدر ما ينبئ باشتعال النزعات الاصولية والقومية المتعصبة، ان الايدلوجية الفاشية والايديولوجية النازية التي كانت في قائمة الثلاثينات ظهرت مرة اخرى في اماكن من العالم الاسلامي في صورة الاصولية الاسلامية التي تشكلت في حركات شعبية ديكتاتورية ومعادية للغرب، والتي تستهدف تعليم الصليبيين الحاليين بعض الدروس في العنف المتطرف، ولاشك ان مناطق العالم الني تعاني حاليا من اعمال العنف هي المناطق التي يظهر فيها المتطرفون الاسلاميون فالغرب لا يمكن ان يسمح بأن يحل نمط من الديكتاتورية محل الاخر... أي تحل الاصولية الاسلامية محل الشيوعية¹.

وانتج الصحفي ستيفن اميرسون المعروف بولائه الشديد لاسرائيل برنامجا تلفزيونيا لمحطة التلفزيون العامة PBC بعنوان " جهاد في امريكا" اذيع في 21 نوفمبر 1994 وقد اطلق اميرسون في هذا البرنامج من حادث مبنى مركز التجارة العالمي في نيويورك الذي ادين فيه مسلمون، وقد استهدف هذا البرنامج كما قال والتر جولدمان الناقد التلفزيوني لصحيفة نيويورك تايمز، اتهام جميع المنظمات الاسلامية في امريكا بأن لها علاقة بالمتطرفين الذين يقومون بأعمال العنف بعد ان كانت الفكرة السائدة هي ان المتطرفين الاسلاميين اقلية ضئيلة من المسلمين².

وقد رفع اميرسون في برنامجه شعارين اساسيين يركز فيهما على ان الاصولية الاسلامية حركة دولية قامت ببث الرعب في العالم الغربي، وان هناك شبكة وتنظيم دولي يجمع الحركات الاصولية تتخذ من الولايات المتحدة الامريكية مقرا لها، وقد فشل اميرسون في تقديم ادلة مادية على صحة اتهاماته هذه، وقد عبر عن ذلك فيليب ولكوكس مسؤول مكافحة الارهاب بالخارجية الامريكية، عندما قال في عام 1995 رغم وجود اتصالات غير رسمية بين الاسلاميين خاصة في الخارج حيث يجدون ملجأ امانا لهم وتزداد فرصهم لجمع التبرعات، الا انه ليس هناك دليل مادي مؤكد على وجود شبكة دولية تتسق بين

¹ ارثر لوري ، ابعاد الحملة ضد الاسلام في الاعلام الامريكي دراسة في الخطاب الصحفي، في كتاب مستقبل الاسلام

السياسي، محرر: احمد يوسف ، المغرب: المركز الثقافي العربي، 2001، ص 151.

² المكان نفسه

الجماعات الاسلامية المختلفة وتسيطر عليها، وعلى هذا الاساس لم تعط السلطات الامريكية المسؤولة اهتماما لاتهامات ايمرسون حول شبكة الارهاب الاسلامي في الولايات المتحدة¹.

وقد اعاد ايمرسون المحاولة في مقال طويل نشرته صحيفة نيو ريپبليك New Republic وفي 12 يونيو 1995 اتهم فيه الجماعات الاسلامية المتطرفة باقامة مراكز سياسية ومالية وصناعية لها في الولايات المتحدة، وادعى ان مكتب التحقيقات الفيدرالية FBI قد وضع متابعة هذه الشبكة على رأس اولوياته ، وقد اعتمد ايمرسون في اتهاماته على مصادر اسرائيلية ولم يعتمد على مسؤول فيدرالي واحد².

وقد انتهر ايمرسون فرصة وقوع حادث تفجير المبنى الفيدرالي بمدينة اوكلاهوما الامريكية في 19 ابريل 1995 ليعيد ترويح اتهامه للمسلمين، ففور وقوع الحادث ظهر ايمرسون اكثر من مرة على شاشات محطات التلفزيون القومية مؤكدا ان الارهابيين المسلمين هم الذين ارتكبوا الحادث، اذ قال: " ان طريقة تفجير المبنى الفيدرالي في اوكلاهوما مشابهة تماما للتفجيرات التي وقعت في بيونس ايرس وفي نيويورك، اذ استخدمت في الحوادث الثلاثة سيارة ملغومة لتحقيق اكبر قدر من الخسائر في الارواح، وهذه لطريقة لم تكن معروفة في الاراضي الامريكية قبل بداية عهد الارهاب الاسلامي في الولايات المتحدة، والحقيقة ان جماعات اسلامية محددة تحاول الاختباء تحت عباءة منظمات سياسية اسلامية قائمة بالفعل للقيام بمثل هذه الاعمال الارهابية، وقد وصفت مجلة The progressive هذه الاتهامات بانها قاسية ومتعصبة وعنصرية ومروجة للشائعات، وقالت انها نسبت في وقوع حوادث العنف التي ارتكبت ضد المسلمين الامريكيين في اعقاب الحادث³.

وعلى مستوى اخر يتبنى بعض الصحف والكتب رؤى اصدقائهم من الاسرائيليين حول الاصولية الاسلامية، وعلى سبيل المثال فقد شارك الكاتب المعروف ليسلي جيلب صديقيه الاسرائيليين ديفيد هارتمان وياهوشافت هركابي، وكتب في نيويورك تايمز 1992 يقول " ان الاسلام لا يعترف بالتعايش السلمي بين البشر كمبدأ اساسي لانه يتعارض مع المبادئ الاسلامية"⁴.

ويركز فريق اخر من الصحفيين والكتاب على مهاجمة حكومات بعض الدول في منطقة الشرق الاوسط التي تساند الارهاب الاسلامي - من وجهة نظرهم - مثل ايران والسودان، وعلى سبيل المثال كتب

¹ المرجع نفسه، ص152

² المكان نفسه

³ المكان نفسه

⁴ المكان نفسه

ستيفن هولمز من واشنطن حول كيف ان الاصولية الاسلامية سوف تقلب موازين القوى في الشرق الاوسط، مكررا الاتهامات الموجهة لايران برعاية ودعم مراكز لتدريب الارهابيين في الاراضي السودانية، ومنقدا العلاقات العسكرية والاقتصادية القوية بين ايران والسودان، دون ان يذكر سببا واحدا يمنع مثل هذه العلاقات القوية بين دولتين مسلمتين، وقد تبنى صحفيون كثيرون وجهة النظر الامريكية الرسمية حول الدول الشريرة (وهو تصنيف جديد للدول)، والتي تزعم ان هذه الدول تصدر الثورات للخارج، دون ان تحدد ماهية هذه الثورات، ودون ان تشير الى السخط الجارف ضد الحكومة الاسرائيلية، وضد بعض الحكومات العربية، بالاضافة الى ذلك فان هؤلاء الصحفيين نادرا ما يجرون لقاءات صحفية مع قادة الحركات الاسلامية، رغم سهولة الوصول الى معظمهم ورغم انهم تلقوا تعليما غربيا، والاستثناء البارز هنا هو الصحفية روبين رايت بصحيفة لوس انجلس تايمز التي جابت المنطقة الشرق اوسطية والتقت كثيرا مع قادة الحركات الاسلامية، ودلت في كتاباتها على تنوع واختلاف رؤى وجهات نظر هؤلاء القادة¹.

في مقابل روبين رايت يبرز اسم الصحفية جوديث ميللر الكاتبة بصحيفة نيويورك تايمز التي اجرت مقابلة صحفية مع الدكتور حسن الترابي وزعماء اخرين بالحركة الاسلامية، ولكنها على خلاف روبين رايت عمدت الى تأكيد تعميمات مضللة، مثل ان كل المسلحين الاسلاميين يعارضون الديمقراطية والتعددية السياسية، وانهم سيظلون ضد الغرب وضد الامريكيين وضد الاسرائيليين، وردا على هذا وضع الباحث ديكمجان في بحثه الذي صدر في 1995، تصنيفا لنحو 157 جماعة اسلامية في العالم العربي قسمها الى جماعات واقعية تؤمن بالتغيير التدريجي، وجماعات ثورية شيعية، وجماعات ثورية سنية وكتبت جوديث وميللر في مجلة " Foreign Affair " ربيع 1993 مقالا تقول فيه: " ان الدولة الاسلامية كدولة دينية لا تتوافق مع القيم والحقائق التي يؤمن بها الامريكيون ومعظم الغربيين اليوم، وبناءا على ذلك فان أي حوار امريكي مع القوى الاسلامية عديم الفائدة وفيه مضیعة للوقت".²

وقد نجحت الحملات الاعلامية في منع زيارة راشد الغنوشي زعيم حركة النهضة التونسية من زيارة امريكا 1994 للمشاركة في عقد ملتقيات وندوات، وقد نشرت صحيفة Forward التي تصدر في نيويورك مقالا على صفحتها الاولى بعنوان " الارهابي التونسي الشيخ الغنوشي يأتي بالرعب... هل يتم السماح بدخول أية الله الى الولايات المتحدة؟" زاعمة ان الغنوشي يؤيد ويدعم اعمال العنف التي تقع ضد الامريكيين وضد حلفاء امريكا ويحاول اعاقا عملية السلام في الشرق الاوسط، ونقلت الصحيفة عن

¹ المرجع نفسه، ص 153

² المكان نفسه

دانيال بايبس قوله " ان الغنوشي قد شارك في مؤتمرات وبين مزاعمه بوجود شبكة دولية للإرهاب الإسلامي يتجمع فيها ويديرها الشيوخ المعادين للولايات المتحدة¹ .

كان الهدف من هذه الحملات ضد حركات الإسلام السياسي وزعمائها هو التأثير على صانع القرار الأمريكي وتوجيه السياسة الخارجية الأمريكية نحو الشرق الأوسط بما يدعم الأنظمة الاستبدادية لمواجهة الحركات الإسلامية، وقد ايدت الولايات المتحدة الانقلاب على الإسلاميين في الجزائر وصنفت أنظمة حكم إسلامية كإيران والسودان.. معتبرة ان الإسلاميين لا يصلحون للديمقراطية ولا يسايرون طريق الحداثة والتقدم وانهم اعداء للقيم الغربية المبنية على اقتصاد السوق وحقوق الانسان والحرية... الخ .

وامام هذا الجو المشحون المتسم بالعداء للإسلاميين طيلة عقود طويلة، وقعت احداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 لتعطي دليلا قويا على صحة الفرضيات التي بناها الاعلام الأمريكي في وجود صلة بين الإسلاميين و العنف وعدائهم لأمريكا ، وظهرت عدة عناوين وبرامج تلفزيونية تهاجم الإسلام وترتبط بينه وبين الإرهاب ، فقد كانت الاجواء الفكرية والاعلامية مهيأة لتأجيج الصراع بين الغرب والإسلام ، وتم استحضار اطروحة " صدام الحضارات" لصموئيل هنتغتون" وبرنارد لويس واصبح وجودهما في البرامج التلفزيونية وكبريات الصحف يوميا لتحليل الاحداث وتأكيدا على ما طرحاه سابقا من افكار واره حول الإسلام والإسلاميين.

وانتشرت عدة عناوين في الصحف الغربية والأمريكية بشكل خاص وتلعب وسائل الإعلام الغربية دورا كبيرا في تعزيز الصورة النمطية للاستشراق بنسخته الأخيرة العدائية للمسلمين، ففي دراسة لوسائل الإعلام البريطانية قامت بها الجزيرة الإنجليزية لوحظ أن عدم التوازن في تغطية أخبار المسلمين في وسائل الإعلام يسهم بشكل كبير في "العداء" وكرهية الإسلام في الخطاب السياسي الغربي، وفي الولايات المتحدة تبدو الظاهرة أكثر عدائية، إذ تتضمن الخطابات الاستشراقية مثل التي يعبر عنها برنارد لويس خلطا هائلا بين الإسلام والإرهاب².

ومن مظاهر تشويه صورة الإسلام والمسلمين بعد هجمات 11 سبتمبر 2001م، هو ما نشره ريتش لوري Rich Lori في مقال بعنوان " ضرب مكة المكرمة بقنبلة نووية" وهذا في صحيفة National

¹ المرجع نفسه، ص 158

² عمران عبد الله، الاستشراق من ادوارد سعيد الى ترامب: انفجار كراهية الإسلام متوفر على الرابط التالي:

<https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2019/5/29> تاريخ الزيارة 2020/03/13

Review وهذه الاقلام ربما التقطت الفكرة من تصريحات مسؤولين في الادارة الامريكية تحدثت عن امكانية استخدام الولايات المتحدة الامريكية تحدثت عن امكانية استخدام الولايات المتحدة الامريكية للاسلحة النووية من اجل ضرب بؤر الارهاب في بعض الدول العربية والاسلامية ضمن حربها التي اعلنتها بعد هجمات سبتمبر 2001م وقد تعاطف مع ريتش لوري امريكيون اخرون مثل رودهر Rod Doher الذي قال "اعتقد ان بغداد وطهران والرباط يجب ان تشكل قائمة العواصم التي ينبغي ضربها بالسلح النووي وربما ايضا دمشق، وبالنسبة لمكة فان فكرة تدميرها تؤدي الى شعور جيد لكننا بذلك سوف نُغضب كل مسلم على الكرة الارضية لعصور وعصور¹."

وقد وقعت احدى الاساءات للاسلام والمسلمين في برنامج Hanti and kolmez وهو احد برامج قناة فوكس نيوز الامريكية، اذ استضاف المذيع شون هانتي hanti رجل الاعمال الديني اليميني المتشدد بات روتسون B.Robertson احد ابرز المبشرين المنتمين للكنيسة الانكليزية والتي تعرض لشخصية النبيء محمد، باساءات بالغة اذ يقول انه.. "هذا الرجل كان مجرد متطرف ذا عيون متوحشة تتحرك عبثاً من الجنون... لقد كان سارقاً وقاطع طريق وقاتلاً...وبان الاسلام ما هو الا خدعة هائلة وان القرءان ما هو الا سرق دقيقة من الشريعة اليهودية، وبالتالي فالقرءان ما هو الا كتاب كفاحي لادولف هتلر، فالتفكير في ان هذا الاسلام هو دين سلام فهو احتيال كبير، ولم يكتف روبرتسون Robertson بعرض رأيه على قناة فوكس نيوز Fox News فحسب بل ادلى فيه ان الاسلام يرفض ان يقيم المسلمون اية علاقات صداقة مع غير المسلمين، اذ يطالب القرآن المسلمون بقتل غير المسلمين اينما وجدوهم، كما ذكر ان هدف المسلمين هو التعايش حتى يتحكموا ويسيطروا، ويرى روبرتسون من جهته، انه فكرة "بوش" على ان الاسلام دين سلام وأكد ان الاسلام من وجهة نظره ليس دين سلام وأن القرآن يشير بوضوح الى هذا الامر المسلمين، اذ رأيت كافرا فيجب عليك قتله²."

وانتقلت موجة العداة والكرهية الى المسلمين الذين يعيشون داخل التراب الامريكي ففي تقرير صدر سنة 2019 لمختبر ظهور الاقليات في وسائل الاعلام التابع لكلية ميدلبوري الامريكية عن صور الاقليات في قواعد بيانات الصحف الرئيسية الامريكية تحت عنوان "2018 تغطية صحفية للامريكيين من اصل افريقي واسيوي واللاتينييين واليهود والمسلمين، وقدم التقرير تحليلا كاملا لتغطية اهم

¹ رضوان لجيمي بلخيري، العرب والمسلمون في السينما الامريكية بعد 11 سبتمبر 2001 بين التشويه والتنميط، مجلة دراسات العلوم الانسانية و الاجتماعية، المجلد 43 ملحق 5، ص 2039.

² المكان نفسه

خمس اقلية عرقية واثنية او دينية اعلاميا في عام 2018، وهم الامريكيون من اصل افريقي وهم يشكلون حوالي 13% من سكان الولايات المتحدة ، الاسيويون 5%، اليهود 2% والمسلمون 1%¹.

ومن بين مجموع الاقليات وجد الباحثون ان المسلمين هم الاكثر من تعرض للتشويه، حيث اشارت الدراسة الى ان 92% من المقالات التي تم نشرها سنة 2018 عن المسلمين كانت تدور احداثها في بلدان اخرى خارج الولايات المتحدة الامريكية، مقارنة ب 78% من المقالات التي تطرقت لمواضيع اليهود، و 70% من المقالات تتعلق بالامريكيين من اصل افريقي او اسوي او اللاتينيين، وازافت الدراسة عندما تغطي الصحف الامريكية ما يتم تناوله خارج البلاد، فانها تميل الى الاهتمام بالازمات والعنف اكثر اهتمامها بالقصص الايجابية، واضح الباحثون ان الامر يتعلق بنوعية الاخبار التي يتم تغطيتها، حيث ان المواضيع التي تتعلق بالثقافة او التعليم تكون اكثر ايجابية، فيما تلك التي تتحدث عن السياسة او القانون او الامن القومي فتكون في اغلبها ذات طابع سلبي².

ووجد الباحثون ايضا تغطية الصحف الامريكية، مثل نيويورك تايمز New York و واشنطن بوست Washington Post وول ستريت جورنال Wall Street Journal و يواس أي توداي USA To day كانت تستخدم لهجة سلبية مع المسلمين، بينما كانت تنتهج التغطية الشاملة للمجموعات العرقية الاخرى مثل الافريقيين والاسيويين واللاتينيين الامريكيين واليهود على مدار السنوات الخمس الماضية، كما لاحظ الباحثون اثناء تحليلهم للبيانات الاعلامية، انه على الرغم من 17% من المقالات التي تم نشرها عن اليهود في عام 2018 ذكرت مصطلح "معاداة السامية" مرة واحدة على الاقل، بينما لم يذكر سوى 2% فقط من المقالات التي تتعلق بالمسلمين مصطلح الاسلاموفوبيا³.

وتوصلت دراسة اخرى تم نشرها بمجلة " Justice Quarterly " في جانفي 2019 قام بها باحثون من جامعة الاباما Alabama، الى ان ربط المسلمين السلبي بالامن القومي يجعل وسائل الاعلام تركز على اعمال الارهاب التي يرتكبها المسلمون فحسب، واطهرت نتائج الدراسة ان الهجمات

¹ Arsalan Iftikhar ، MUSLIMS MOST NEGATIVELY PORTRAYED MINORITY IN US MEDIA: https://bridge.georgetown.edu/research/report-muslims-most-negatively-portrayed-minority-in-us-media/?fbclid=IwAR1diLbiz4pil8rCB-PCrwoyALc9PUe_mTtPRvDs0QPjPUxnf7_3-SLbWZI VISITE: 15,03, 2020

² ibid

³ ibid

أو أخرى خدمة الأجندة الدبلوماسية للدول الغربية في العالم العربي، لاسيما في وقت يزداد وزن الرأي العام العربي في صناعة القرار السياسي بطريقة أو أخرى¹.

المطلب الثاني: صورة الاسلام والمسلمين في السينما الامريكية

السينما والتلفزيون هما فن وتسليية على حد سواء، وهما ايضا مصادر للمعلومات، وتوفر الصور الظاهرة على الشاشات معلومات، وتساعد على صياغة القيم، ويعمد او بغير عمد، تملك الصور القدرة على تعليم الناس ممن يخافون، ومن يكرهون ومن يحبون²، وقد قال الفن توفلر Alvin Toffler - عالم المستقبلات الامريكي الشهير- ان قوة السينما او برامج التلفزيون يمكنها ان تنفك الى واقع بديل بدون مخاطر والنزوح وعدم الاستقرار والامان الذي يصاحب التغيير عادة، ويرى عالم الدراسات الاجتماعية للاعلام مانويل كاستيلز Manual Castells قوة النقل نفسها التي قال بها توفلر، ولكنه يمنح وزنا اكثر للتأثير³.

وتعتبر السينما الأمريكية واحدة من كبرى الصناعات في العالم اليوم، إذ تُظهر الأرقام الموثقة أنها في عام 2016 حققت مبيعات لتذاكر أفلامها بقرابة 40 مليار دولار، في حين حققت في أمريكا وحدها 11 مليار دولار، هذه الأرقام تبين مقدار الانتشار الواسع لإنتاج المؤسسة العملاقة حول العالم، وهي بهذا الحجم تحمل معها رسالة ثقافية عالمية، تنتشر من خلالها الرؤية الأمريكية للعالم، ويطلق مثقفون وأكاديميون على هذه الظاهرة "الغزو الثقافي الأمريكي"⁴.

ويؤكد المتابعون للمشهد الثقافي العالمي، أن الولايات المتحدة الأمريكية نجحت في تحويل صناعة السينما إلى سلاح ناعم تواجه به خصومها، أو من يشكل خطراً عليها، فعندما كانت في حالة عداء مع الاتحاد السوفييتي، كانت الأفلام المصنوعة آنذاك تسلط الضوء على الأوضاع دخل دول

¹ المكان نفسه

² جو كنشلو وشيرلي شتاينبرغ (تر: حسان بستاني)، التربية الخاطئة للغرب، كيف يشوه الاعلام الغربي صورة الاسلام، لبنان: دار الساقى، 2005، ص 241

³ نيثان مردلز ومايك مدافوي (تر: بثينة الناصري) الاعلام الامريكي بعد العراق حرب القوة الناعمة ، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2015 ص 146

⁴ صورة العربي والمسلم في السينما الامريكية، موقع الخليج اون لاين ، متوفر على الرابط التالي:

تاريخ التنصيح: 20.03.20120 <https://alkhaleejonline.net>

الاتحاد السابق، وتشوه تاريخ وثقافة المنظومة الاشتراكية، وحرصت هوليوود على تقديم النظام الشيوعي كأداة للقمع ومصادرة الحريات وامتهان الشعوب، ونجحت في ذلك بقدر كبير¹.

كما تشكل السينما الأمريكية مجالاً حيويًا لعمل وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، حيث تعمل هوليوود على الترويج للسياسة الخارجية الأمريكية من خلال أفلام تقدم الدعاية المباشرة لأجهزة التجسس الأمريكية، وكشفت مؤلفة كتاب "دور السي آي أيه في هوليوود"، تريشيا جنكيز، أن تدخل الوكالة في صناعة الأفلام وصل لذروته خلال الحرب الباردة، حيث كان الهدف صياغة السياسة الخارجية الأمريكية بشكل يستطيع كسب القلوب والعقول في الخارج، من خلال مركز أبحاث لمكافحة الأيديولوجية الشيوعية تابعة للوكالة، مهمتها التفاوض من أجل شراء حقوق نصوص الروايات وتحويلها إلى أفلام للترويج للسياسة الأمريكية، وتعزيز صورة الحياة الأمريكية في العالم².

بعد انتهاء الحرب الباردة بانتهاء الاتحاد السوفييتي اتخذت الدوائر الغربية من الإسلام عدوًا جديدًا، يدور حوله صراع الهوية والوجود في العالم، وبهذا الخصوص ذكرت المؤلفة البريطانية كارن أرمسترونغ، التي كانت راهبة كاثوليكية لكنها تركت الدير لتصبح باحثة ومؤلفة مرموقة: "يبدو أن الحرب الباردة ضد الاتحاد السوفييتي على وشك ان تستبدل بحرب باردة ضد الإسلام"، وأضافت في كتابها المعنون (محمد.. سيرة حياة نبي): "الغرب لديه تاريخ طويل من الشعور بالعداء تجاه الإسلام، وما يزال هذا العداء مستمرًا، وهو ما دفع بالسكرتير العام لحلف شمال الاطلسي للقول عام 1995 بأن الإسلام السياسي لا يقل خطورة على الغرب من الشيوعية"³.

ودخلت صناعة السينما الأمريكية مضمار هذه الحرب بكل قوة، فجدت أفلامها المسلمين بشكل عام والعرب بشكل خاص، بصورة بشعة، وظهر المسلم في الغالب كإرهابي وقاتل وجاهل متطرف دينياً، شهواني، يسيء معاملة النساء، شرس ومحب للدماء، وأخذت هذه الصورة تتبلور أكثر بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، التي شنت خلالها مجموعة من الهجمات في الولايات المتحدة الأمريكية، استهدفت مواقع

¹ المكان نفسه

² المكان نفسه

³ المكان نفسه

حيوية، عبر تحويل اتجاه أربع طائرات نقل مدني تجارية لتصطدم بمركز التجارة العالمي بمنهاتن، ومقر وزارة الدفاع الأمريكية ومواقع أخرى، أظهرت التحقيقات لاحقاً مسؤولية تنظيم القاعدة عنها¹.

ولان السينما من انجح الاساليب الاعلامية واكثرها تأثيرا لم تكف السينما الامريكية بصفة خاصة عن وصف المسلمين والعرب بأنهم مجموعة من الهمج والجهلة بل وارهابين، سواء بصورة مباشرة او غير مباشرة لتصل افكارهم الى المشاهد الغربي واحيانا للمشاهد العربي والمسلم، وكما وصف المتطرف الهولندي الشهير Quirt Flidrez صاحب فيلم "الفتنة" المسيء للاسلام والمسلمين يقول حرفيا " ان الحجاب والمساجد والرجال المسلمين بلحاهم وثيابهم الطويلة يشوهون منظر الشارع الهولندي، بينما وصفت المسلمين في فيلم فرقة احضار بن لادن، على انهم ارهابين يضعون الكوفية الفلسطينية على اجسادهم ويقومون باعمال ارهابية مع اقحام العلم التركي باعتباره وريث الدولة العثمانية ، والجدير بالذكر ان النقاد الامريكيين قد اعلنوا ان هوليوود قد انتجت ازيد كم 150 فيلما يسخر من الاسلام والمسلمين منذ 1986².

وفي دراسة معمقة للباحث جاك شاهين بعنوان "العرب الاشرار المترنحون: كيف تشوه هوليوود شعبا ما" المنشورة سنة 2001 قبيل احداث سبتمبر، درس فيها اكثر من 1000 شريط سينمائي وتلفزي³ على مدى قرن كامل تركز على صورة العرب والمسلمين في الافلام الامريكية التي انتجتها شركة Golan Globus Production ، انتجت هذه الشركة افلاما كثيرة عدة شاهين منها فيلم قوة الدلتا The Delta Force وفيلم " هوكر السعيد يذهب الى واشنطن The Happy Hooker goes to Washington" في اعلى قائمة اكثر الافلام التي تصور عدوانية ونمطية العرب⁴.

وترسم هوليوود صورة الشيخ غير المثقف الذي يحاول ان يمتلك مؤسسات اعلامية في فيلم الشبكة Network المنتج عام 1977، وصورة الشيخ الذي يحاول تحطيم الاقتصاد العالمي في فيلم رولوفر Rollover عام 1981، وفي فيلم جوهرة النيل Jewel of the Nile الذي يصور شيخا يخطف النساء

¹ المكان نفسه

² بلخيري، مرجع سابق، 2039

³ Hajer Ben Hadj Salem , American Orientalism: How the Media Define What Average Americans Know about Islam and Muslims in the USA, *international journal of humanities and cultural studies*, Volume 2 Issue 3 December 2015 p04

⁴ المنصوري الشيباني، مرجع سابق، 226

الغريبات المنتج عام 1985، وشيخا يوجه الاسلحة النووية تجاه اسرائيل والولايات المتحدة في فيلم Frantic الصادر سنة 1988، وفي سنة 1991 صدر فيلم يحاول التأثير في الساسة الخارجية الامريكية بعنوان American Ninja 4 وغيرها كثير¹.

وقد لقيت دراسة شاهين معارضة شديدة ولم تقبل من دور النشر الا بعد جهد جهيد وانتظار طويل حيث كتب يقول: ان الصور النمطية عن العرب متجذرة بعمق في السينما الامريكية، ومنذ سنة 1896 ومنتجو الافلام الامريكيون يجعلون كل العرب عدوا عاما عنيفا وبلا رحمة، غير متحضر، مبتدعا ومجنونا بجمع المال يرهب المتحضرين، لقد حدثت اشياء كثيرة منذ سنة 1896 م، وفي خضم كل ذلك فان الكاريكاتور العربي في هوليوود قد جاس خلال الشاشة، ومزال هناك ما يثير الاشمئزاز ولا يمثل العرب" ومن بين الاجراءات الفنية التي يقوم بها الانتاج السينمائي طمس الحقائق واعادة تركيب الوقائع بشكل يخرج من سياقاتها ويدمجها لا في تصوير الواقع كما هو بل كما يريده المنتج والمخرج ان تكون².

وتظهر الكثير من الافلام التي ظهرت بعد هجمات 11 سبتمبر حجم العداة والعنصرية للعرب والمسلمين ، ففي الدراسة الصادرة عن مختبر ظهور الاقليات في وسائل الاعلام التابع لكلية ميدلبوري الامريكية ان الطريقة التي يتم بها تصوير الاقليات في وسائل الاعلام الرئيسية لها تأثير كبير عن الكيفية التي ينظر بها الامريكيون اليها، فالمسلمون في الولايات المتحدة الامريكية هم اكثر من تحمل الصور النمطية السلبية التي نقلتها القنوات الاخبارية وافلام هوليوود على مدار 18 عاما منذ 11 سبتمبر 2001³.

وعند لقاء نظرة على ابرز الافلام التي تناولت الاسلام والمسلمين في السينما الامريكية والتي ساهمت هي الاخرى في تشكيل الصورة النمطية للمسلمين ولا سيما مسلمو الشرق والاطلس، يأتي على رأس هذه الافلام فيلم " الخائن " 2008 و فيلم "المملكة" 2007 فنجد ان فيلم الخائن طرح صورة المسلم من وجهة النظر الغربية فهو خائن وماكر ويتخلى كيف يكون وكيف يجب ان يكون عن تعاليم دينه ومبادئه في اتفه المواقف، في حين نجد ان فيلم المملكة تطرق الى صورة المسلم وقدمها على انها صورة شريرة وعنيفة تحب سفك الدماء واستهداف ارواح الابرياء خاصة الامريكيين، الذين تكن لهم عداة شديدا، كما تطرق فيلم الخائن الى المسلم على اعتبار انه بارع في استهداف الابرياء ويفضل العنف والقتل على

¹ المكان نفسه

² المكان نفسه

³ ibid)

السلم والامان، في حين تطرق فيلم المملكة بصورة جلية دعم الفكرة على المسلمين جميعا بأن امريكا تعطي المسلمين السلام والامن ليقابلوها هم بالعنف والقتل واستهداف ارواح ابنائها، لقد قدم المخرج من خلال فيلم الخائن اربعة نقاط اساسية جسدت النظرة الغربية للمسلم وهي: ان المسلم خائن ولا يمكن ان يؤتمن وهو يتصف بالغدر والخداع، وانه يتصف بالكذب فهو مستعد لان يكذب حتى في اتفه المواقف، وهو عنيف ويحب سفك الدماء ، يحرص على قتل الابرياء خاصة اذا كانوا امريكيين، وأن شخصية المسلم يتم بناؤها منذ الصغر منذ الصغر وهي متأصلة على قيم العنف والقتل والانتقام¹.

يشارك الفيلم في نقطة واحدة فهما قدما صورة الرجل الامريكي المحب للسلام والامن وأنه يؤدي مهامه باتقان ورسالته نبيلة، كما حرص الفيلم على تقديم فكرة ان المسلمين جميعا يكونون عداء صريحا وكرها شديدا لامريكا والامريكيين وهذا ما يرسخ كره المسلمين لدى شعوب العالم خاصة الامريكيين انفسهم، كما تطرق الفيلم الى موضوع الاطفال المسلمين يتعلمون الارهاب والعنف منذ الصغر ويحبذون القتل والاعتداءات التي يقوم بها ابائهم وان الاباء المسلمين يستغلون هذه الفئة الفنية والعقول النيرة ليزرعوا فيها كره الامريكيين ليصبحوا ارهابيين في المستقبل من خلال تشبع هؤلاء الاطفال بقيم الكراهية².

ما يميز فيلم المملكة عن فيلم الخائن هو انه ذو صبغة واقعية للغاية وما يؤكد هذا الطرح معالجته لحادثة مأخوذة من الواقع حدثت فعليا وهي تفجيرات الخبر 1996 بالسعودية، واعتمد على افلام وثائقية ورسوم توضيحية مرتبطة بعلاقة الامة الاسلامية (السعودية) بالامريكيين (واشنطن)، حيث يدخل هذا الفيلم ضمن ما يعرف بسينما الواقع لانها احداث وقع في المملكة العربية السعودية سنة 1996، ونلاحظ ان المخرج هنا ركز على الضحايا الامريكيين في حين تجاهل الضحايا السعوديين³.

واما فيلم المملكة ركز على الضحايا الامريكيين من التفجيرات في السعودية دون الاشارة الى الضحايا العرب والمسلمين كما قدم المخرج في هذا الفيلم رسالة للامريكيين في الشرق الاوسط على انها رسالة نبيلة، فنجد ان فريق التحقيق القادم من امريكا سرعان ما غادر فوز قتل الزعيم ابو حمزة، وابتدأ فيلم الخائن بالمصحف الكريم واختتمه بمشهد الصلاة الشاب المسلم (سمير) وفي ذلك دلالة على ان

¹ بلخيري، مرجع سابق، ص 2043

² المكان نفسه

³ بلخيري. مرجع سابق، ص 2044

مضمون هذا الفيلم يحمل تعاليم وقيم اسلامية محضة، بينما تبدأ قصة فيلم المملكة بصورة لشيخ ذو شماغ سعودي احمر وانتهى بمشهد يبدأ بوجه طفل سغير وينتهي بعينيه الحادثين المليئتين بالغضب دلالة الشيخ الذي يمثل صورة للحكمة والولاء ويحظى باحترام وتقدير، والطفل الصغير هذا العقل النير حيث استطاع المخرج ان يرسم ملامح الانتقام على طفل وهو في سن البراءة، حيث مرر الفيلم رسالة من العيار الثقيل على ان الاعمال الدامية التي تستهدف ارواح الابرياء ويقوم بها المسلمون في ارجاء العالم يورثها الاباء والاجداد للاحفاد والابناء ويزرعون فيهم الحقد والكره والعداء الامريكي¹.

صُور المسلم في فيلم المملكة على انه شرس وهمجي يمجد سفك الدماء كما يفضل القتل وجل اعمال العنف على السلام، لينقل بذلك الفيلم رسالة الى المشاهد الغربي والعربي مفادها ان امريكا تعطي الشعوب المسلمة والامن في حين يقابلونها بالعنف واستهداف ارواح الابرياء وتجسد ذلك من خلال المشهد الذي وظفه المخرج عندما قدمت المحققة حبة الحلوى للطفلة الصغيرة في حين قابلتها بكبرية رخامية تستخدم لصنع المتفجرات وعموما ما يقدمه الفيلم ان العرب والمسلمين غير قادرين على حل قضاياهم وهم بحاجة الى الرجل الابيض الامريكي صاحب المهام الصعبة والصفات النبيلة².

وهناك العديد من الافلام الاخرى التي تقدم صورة العربي المسلم على انه جبان ورعديد لديه نزعة نحو الشر وكلها تدور في نفس الفكرة التي قدمها فيلمي الخائن والمملكة ومن اشهر هذه الافلام فيلم المنطقة الخضراء المنتج سنة 2009، وفيلم ميونيخ سنة 2005 يحكي عن القضية الفلسطينية التي اتخذها المسلمون والعرب قضية مركزية لهم على مدار عقود الصراع مع الاحتلال، لم تكن غائبة عن هوليوود حيث عالجت العديد من الأفلام هذه القضية المعقدة، وكلها تظهر العرب كإرهابيين، يتجاوزون على اليهود المحتلين³.

غير ان اشهر الافلام والذي يصور الشخصية العربية في الشرق الاوسط المحبة للخطرسة والتسلط وحب النساء هو فيلم الديكتاتور (The Dictator) الصادر سنة 2012 فيلم أمريكي يناقش القضية المتكررة للقادة الديكتاتوريين في العالم. يتناول الفيلم قصة بطولية عن دكتاتور يُخاطر بحياته في سبيل أن لا تأتي الديمقراطية إلى بلده الذي يقمعه بحب، وهذا الديكتاتور هو القائد الاميرال علاء

¹ المكان نفسه

² المكان نفسه

³ المكان نفسه

الدين رئيس جمهورية خيالية هي وادية (Wadiya) يُقال أن الفيلم مستوحى من رواية زبيبة والملك ، ومن شخصية الرئيس العراقي الراحل صدام حسين.

ومع ذلك فإن شريط إعلان الفيلم يجعل شخصية الدكتاتور أقرب للزعيم الليبي معمر القذافي ، حيث يوضحه في زيارة للولايات المتحدة وسط حرسه النسائي. وما يعزز هذا الاعتقاد هو المقاطع من خطب الرئيس الأمريكي السابق باراك اوباما، ورئيس وزراء بريطانيا ديفيد كاميرون المُدبنة لتصرفات القذافي أثناء الثورة الليبية عام 2011.

غير انه ليست كل الافلام التي انتجتها هوليوود جاءت كما تريد الادارة الامريكية حيث فاجأ المخرج الامريكي الشهير "مايكل مور" الجميع بضرته السياسية المتمثلة في فيلم " فيهرنهايت 11/9" الذي يعد اول تجربة هوليوودية تتعرض للهجمات، وعكس ما تبناه البيت الابيض تناول الفيلم الحدث من منظور مختلف ومضاد للرواية الرسمية، وأثار ضجة واسعة وواجه مخرجه العديد من المصاعب والعقبات المالية والانتاجية حتى استطاع التوصل مع احدى شركات التسويق السينمائي لتوزيعه، وفي فيلمه يربط " مور" بين العائلة الحاكمة السعودية وعائلة بن لادن وعائلة بوش على انهم المستفيدون من وراء الهجمات، بالاضافة الى فيلم واجب مدني: "Civic duty - 2006" رؤية مغايرة لأحداث 11 سبتمبر، وعكس حالة التوتر التي اجتاحت الغرب والمجتمع الأمريكي خصوصاً، وقدم نظرة منطقية للعرب الذين يعيشون في أمريكا¹.

ورغم الضغوط السلبية وما انتجته السينما الامريكية عن الاسلام والمسلمين فانها لم تمنع من ظهور مبشرات ايجابية كزيادة رغبة الامريكيين في التعرف على الاسلام والمسلمين واعتراف غالبية الامريكيين (الثلثين) بعدم امتلاكهم معرفة كافية عن الاسلام واتساع رقعة التعاطف مع المسلمين والعرب في اوساط ليبرالية اميريكية دينية وعلمانية مختلفة بما في ذلك جماعات حقوقية كبرى واخرى معنية بحقوق الاقليات ونشر السلام.

¹ مراح مراد ، هوليوود والسياسة (فيلم فيهرنهايت 09/11 لمايكل مور نموذجاً)، مجلة الصورة والاتصال. جامعة وهران، العدد 17، (دت)، ص 04.

المبحث الرابع: دور المعرفة الاستشراقية في عملية صنع القرار الأمريكي

تتميز عملية صنع القرار في النظام الأمريكي بتعدد المؤسسات والشخصيات المشاركة في العملية من أجل الوصول الى قرارات اكثر عقلانية خدمة لمصالح الولايات المتحدة الامريكية، ولذلك سنسعى في هذا المبحث الى ابراز الدور الذي يؤديه المستشرقون الجدد في عملية صنع القرار الخارجي، واليات هذا الدور، ونبحث كذلك في طبيعة العلاقة بين المستشرقين الجدد كأفراد ومؤسسات وبين صناع القرار، وانعكاس ذلك على توجهات السياسة الخارجية الامريكية بعد هجمات 9/11.

لا بد من الإشارة إلى أنّ المراكز البحثية - كمؤسسات استشرافية- في الولايات المتحدة الأمريكية تتمتع بخصائص مميزة عن مثيلاتها في العالم، فعلى صعيد الحجم "يوجد في الولايات المتحدة 2000 منظمة منخرطة في عمليات التحليل السياسي، مقابل 2500 منظمة مماثلة في العالم ككل" ، أما على صعيد التأثير فيشير دونالد ابلسون إلى أنّه "وفي حين أصبحت مراكز الدراسات ظاهرة عالمية في السنوات الأخيرة، غير أنّ مراكز الدراسات الأمريكية تتميز عن مثيلاتها في الدول الأخرى بقدرتها على المشاركة بشكل مباشر وغير مباشر في صناعة السياسات، وتوجه صانعي السياسات الأمريكية نحو تلك المراكز لاستشارتها في مختلف القضايا ، وأما في ما يخص العلاقات البنوية بين مراكز الدراسات والأجهزة الحكومية، فيعتبر هاس أنّ "الباب الدوار بين المراكز البحثية والمؤسسات الحكومية والذي يتيح تبادل الخبرات والخبراء بينهما، فهو يعد خاصية مميزة للسياسة الأمريكية وأحد مصادر قوتها. ففي البلاد الأخرى، نجد فصلاً حاداً بين الموظفين الحكوميين وبين المحللين المستقلين، لكن ذلك غير موجود في الولايات المتحدة" ، أما على صعيد التمويل يقول أبلسون: "بعيداً عن نموذج المنظمات المختلفة، لا يتم تقييم نجاح مركز الدراسات عبر إنتاجها المالي، بل بمقدار تأثيرها في صناعة السياسات والرأي العام" ، ويضيف مفصلاً: "من بين الـ 2000 مركز في الولايات المتحدة الأمريكية، هنالك 25% منها فقط تعتبر مستقلة وحرّة"¹.

أما الأسباب البنوية لتنامي تلك الظاهرة بشكل لا نظير له في الولايات المتحدة، فيحاول أبلسون حصرها في ثلاثة أسباب قائلًا: ان اللاتمرکز العالي الكثافة في النظام السياسي الأمريكي، مضافاً الى فقدان الانتماء الملزم الى الأحزاب السياسية، وتوفر التمويل الهائل من قبل المؤسسات الرعائية، كل ذلك

¹ هادي قببسي ، دور مراكز الابحاث والدراسات في صناعة القرار امريكا نموذجا، مركز المعارف للدراسات الثقافية،

لبنان، على الرابط : <http://www.almaarefcs.org/4370/275>

قد تقاطع لانتاج هذه الشبكة المترامية من مراكز الدراسات في الربع القرن الأخير" ويشير آبلسون الى أربعة أجيال تشكل المسار التاريخي لتشكيل شبكة مراكز الابحاث الأميركية، ويعرفها بالتالي¹:

- الجيل الأول: مراكز الدراسات كمؤسسات سياسية بحثية

- الجيل الثاني: نشوء المراكز المتعاقدة مع الدولة

- الجيل الثالث: صعود نجم المراكز كمؤسسات تقدم الاستشارة

- الجيل الرابع: نشوء المراكز بفعل الإرث الفكري للشخصيات التاريخية في السياسة الأمريكية

مرت مراكز الفكر في الولايات المتحدة بمراحل تطور بالتزامن مع انخراط واشنطن في الشؤون الدولية، وهو ما مثّل حافزا لإنشاء المزيد من تلك المؤسسات التي تقدم تحليلات ودراسات معمقة بدأت تتناول كافة نشاطات المجتمع والدولة ذات الطابع الحساس والاستراتيجي، حيث يمكن تقسيم مراحل تطورها حسب رؤية رئيس "مجلس العلاقات الخارجية" ريتشارد هاس كالتالي²:

أ- **مرحلة النشأة:** وتمتد من مطلع القرن العشرين وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث مثّلت تلك المرحلة البداية الفعلية لمراكز الفكر بصورتها وأدوارها الحديثة مع إنشاء معهد كارنيجي للسلام 1910، وصولا إلى تأسيس مجلس العلاقات الخارجية عام 1921 على يد الرئيس الأسبق وودرو ويلسون.

ب- **مرحلة النمو والتخصص:** وتتضمن حقبة الحرب الباردة والتي تشمل في ثناياها تطور مراكز الفكر داخل بنية النظام الأميركي أفقيا بتنوع تخصصاتها واهتماماتها البحثية، ورأسيا بنشأة العديد من المراكز الجديدة وظهور المراكز الحزبية واستعانة الإدارات الأميركية (إدارتي كارتر وريجان) بمجموعة من خبراء تلك المراكز الحزبية والمستقلة.

ج- **مرحلة التطور (الطفرة):** وذلك منذ نهاية الحرب الباردة وحتى الآن مع وجود طفرة كبيرة في إنشاء مراكز الفكر وتشابك علاقاتها البيئية بالانخراط في مشاريع بحثية مشتركة، وزيادة اتصالها بدوائر

¹ المكان نفسه

² وحدة الدراسات السياسية، دور مراكز الفكر في دعم اتخاذ القرار اقليميا ودوليا، مركز الحكمة للبحوث والدراسات والاستشارات، الكويت، العدد 2، مايو 2020، ص 9

صنع القرار ومؤسسات الإعلام والعلاقات العامة، مما أهلها لاكتساب تأثير في تشكيل الرأي العام في الولايات المتحدة والمجتمع الدولي ككل.

وتكتسب مراكز الفكر الأميركية زخماً عالمياً تبعاً لانتشار بعضها في مناطق مختلفة من العالم، كما تساهم في وضع استراتيجيات دولية لمواجهة الأزمات الملحة بالتعاون مع مؤسسات حكومية وغير حكومية حول العالم، وهو ما انعكس في تعاون معهد بروكنجز مع وزارة الخارجية القطرية لبحث العلاقات بين الغرب والعالم الإسلامي في أعقاب هجمات سبتمبر 2001.

يعد دور مؤسسات الفكر والرأي من أكثر المؤثرات في صياغة السياسة الخارجية للولايات المتحدة، فقد قامت هذه المؤسسات التي تعد مراكز أبحاث سياسية مستقلة، والتي تشكل ظاهرة أمريكية مميزة، بصياغة التعاطي الأمريكي مع العالم لفترة تقارب المئة عام. وتجلّى نشاط هذه المؤسسات بإصدار الكتب والمجلات العلمية المحكمة وغيرها من المنشورات التي هدفت منها إلى التأثير في الشأن العام، لقد ساعدت هذه المؤسسات الإدارات الأمريكية في نشر الوعي بقضايا السياسة الخارجية في أوساط الجمهور الأمريكي والدفاع عن أفكار التدخل في الفترة التي ساد فيها الفكر الانعزالي في أمريكا في الفترة الفاصلة بين رفض الكونجرس الانضمام إلى عصبة الأمم واندلاع الحرب العالمية الثانية.

وتسعى معظم مراكز الأبحاث إلى تجنيد أكبر عدد ممكن من السياسيين المتقاعدين بغرض الاستفادة من خبراتهم وربط الحقل النظري بحقل السياسة. فعلى سبيل المثال: تلقى الرئيس كلينتون بعد انتهاء ولايته عروضاً للتدريس في جامعات عديدة فيما أصبح نائبه آل غور أستاذاً للصحافة في جامعة كولومبيا. وأنشأ جيمس بيكر معهداً للسياسة العامة في جامعة رايس في تكساس، ويعد هنري كيسنجر مستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق ثم وزير الخارجية في إدارة نيكسون، أشهر من ترك بصماته على السياسة الخارجية من المؤسسات الأكاديمية. وتضم هذه الفئة أيضاً زيغينو برجنسكي ومادلين أولبرايت وفي في إدارة بوش الابن كوندوليزا رايس.

إن هذه الظاهرة (ظاهرة التناوب الأكاديمي- السياسي) تعد على الرغم من نخبويتها من أبرز علائم التداخل المجتمعي مع الدولة في الولايات المتحدة ويطلق عليها اسم « سياسة الباب الدوار »، إن هذه المؤسسات لم تسع أول الأمر إلى التأثير في القرارات السياسية بشكل مباشر بل سعت إلى زيادة الوعي بين الجمهور وصناع القرار بمزايا تنفيذ مجموعة معينة من الخيارات السياسية. وتساعد هذه المؤسسات في إثراء الثقافة المدنية الأمريكية عن طريق تعريف مواطني الولايات المتحدة بطبيعة العالم

الذي يعيشون فيه. وقد زاد تسارع وتيرة العولمة من أهمية وظيفة التواصل مع الجمهور. فمع ازدياد اندماج العالم أكثر فأكثر باتت الأحداث العالمية تطال حياة المواطن الأمريكي العادي وتؤثر فيها.

إن مشاركة مراكز البحث الأمريكية في صنع القرار - بشكل مباشر أو غير مباشر - ومدى استعداد صانع القرار إلى الاستئناس بأرائها هو ما يعطي هذه المراكز القوة لممارسة أشد أنواع التأثير في مجال صنع القرار، ويعد الديمقراطيون أكثر ميلاً إلى استقطاب الأكاديميين من خصومهم الجمهوريين. ففي حين يأتي معظم صناع القرار في الإدارات الجمهورية من المجمع الصناعي الحربي وقطاع النفط (كما هو الحال في إدارة الرئيس السابق بوش) يتم شغل المناصب الكبيرة والمتوسطة في الإدارات الديمقراطية بالدبلوماسيين المحترفين والمحامين والأكاديميين.

مع وصول الرئيس بوش الابن إلى الرئاسة في العام 2000، ومع أنه لم يكن متحمساً بشكل خاص للأكاديميين غير أنه لم يتجاهلهم كلياً لكنه استبعد الليبراليين منهم واستعاض عنهم باليمين المحافظ فأصبحت كوندوليزا رايس أستاذة العلاقات الدولية في جامعة ستانفورد مستشارة الرئيس لشؤون الأمن القومي ومن ثم وزيرة للخارجية الأمريكية. وأصبح بول وولفيتز الأستاذ في جامعة هارفارد نائباً لوزير الدفاع ثم رئيساً للبنك الدول، وللدلالة على اعتماد الرئيس بوش الابن على الأكاديميين نشير إلى أسماء معدي الدراسة التي قدمت للرئيس بوش في مستهل ولايته الأولى وتناولت الوضع في الشرق الأوسط تحت عنوان: « الإبحار وسط العواصف: الولايات المتحدة والشرق الأوسط في القرن الجديد ». فقد ضمت المجموعة التي أعدت التقرير 56 اسماً لامعاً بعضها عمل في الحقل السياسي وانتقل إلى السلك الأكاديمي وبعضها الآخر خدم في الجامعات وانتقل إلى السلك الحكومي، والأكثرية خدمت في المجالين.

وبعد وقوع أحداث أيلول استغلت مراكز الأبحاث الأمريكية هذه الأحداث للتأكيد على دورها الأساسي في صناعة السياسة الخارجية الأمريكية، فوجد الرئيس بوش نفسه مضطراً للاعتماد بشكل متزايد على الأكاديميين، فجرى تعيين البروفيسور زلماي خليل زاد عضواً في مجلس الأمن القومي ومستشاراً للرئيس لشؤون أفغانستان، ثم سفيراً في العراق. وأصبح يستعين بالمستشرق برنارد لويس وفؤاد عجمي (أستاذ الشرق الأوسط في جامعة هوبكنز) لحضور اجتماعات مجلس الأمن القومي. وأخذت هذه المراكز تتجه بقوة نحو اليمين، وقد شهد مجلس العلاقات الخارجية الذي يعد أبرز مراكز البحث الليبرالية انعطافاً شديداً بهذا الاتجاه، بلغ حد تولي أحد رموز إدارة بوش - رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية - ريتشارد هاس رئاسته. والمعروف أن هاس أسهم في وضع العقيدة الأمنية الجديدة للولايات المتحدة وهو

أيضاً من أنصار مبدأ الضربة الوقائية. ونتيجة لانتقاله إلى هذا الموقع أخذت المؤسسة المعروفة بلبراليتها تتحو إلى تبني بعض أفكاره التي هي جزء من سياسات الإدارة الحالية ونظرياتها الأمنية.

ومن المفارقات التي فرضتها أحداث الحادي عشر من أيلول أنها حولت بعض الأفكار المهملة إلى سياسات وجعلت من أصحابها نجومياً في المجتمع الأكاديمي ووسائل الاعلام. والملفت أن أكثر المستفيدين من هذا الحدث لم يكونوا فوضويين من أمثال نعوم تشومسكي أو يساريين من أمثال عمانويل والشتاين - ممن دأبوا على انتقاد النظام السياسي الأمريكي وفضح لعبة الاحتكارات الكبرى المهيمنة عليه- بل أشخاص من المحسوبين على التيار المسيطر على المؤسسة السياسية والفكرية الأمريكية. وكان من بينهم أستاذ السياسة الدولية في جامعة هارفارد صموئيل هينغتون. ونشوته أنت من أن هجمات سبتمبر حولت نظريته « صراع الحضارات » إلى واقع بعد أن ظلت سنوات عديدة مجرد فانتازيا فكرية. أما برنارد لويس فقد جعلت الهجمات أفكاره وتوصياته -التي ظل ينادي بها على مدى نصف قرن- مرشداً للسياسة الخارجية الأمريكية.

وتتمتع مراكز الفكر بالعديد من آليات ووسائل التأثير في عملية صنع القرار تتمثل في¹:

- المشاركة في نقاشات لجان الكونغرس الرئيسية أو الفرعية التي تستدعي بعض خبراء تلك المؤسسات للحديث حول القضايا محل اختصاصهم.
- مخاطبة الرأي العام عبر الحديث في وسائل الإعلام والصحف.
- امتلاك الخبرة الحكومية ودورها في تعزيز الاتصال بدوائر صنع القرار.
- التواصل المباشر مع صناعات القرار في البيت الأبيض والخارجية الأمريكية.
- شبكة علاقات الهيئات الاستشارية في مجتمع الأعمال ودورها في توفير التمويل اللازم لبرامجها البحثية.

وكما رأينا في هذه الدراسة لقد أصبح الإسلام بكل ما يتعلق به من تيارات وجماعات هو مادة البحث الرئيسية عند مراكز الفكر الأمريكية عن طريق تسويق معرفة متحيزة تريد خلالها تجسيد واقع جديد في المنطقة العربية، وكُتبت في ذلك الأبحاث والتوصيات والتقارير، وتناولت العديد من الأبحاث صورة

¹ وحدة الدراسات السياسية، مرجع سابق، ص 10

الإسلام الذي يمكن أن يكون معتدلاً وسبل وآليات توجيه المسلمين لهذا النموذج الإسلامي "الأمريكي المعتدل"، وخاصة بعد أحداث 11 سبتمبر عام 2001، بل أصبحت فكرة استباق العدو _الإسلام والمسلمين_ والحرب الوقائية مكرسة في السياسة الأمريكية، وأصبحت جزءاً من استراتيجيتها الجديدة.

وكما سبق فإن مؤسسة راند المعروفة بقربها من دوائر صنع القرار وتداخلها معها، فتقارير هذه المؤسسة تمتاز بالعمق السياسي والاستراتيجي، ومن أخطر ما يمكن قراءته من تقارير صادرة عن هذه المؤسسة¹:

* تقرير راند 2005 الإسلام المدني الديمقراطي: وهو تقرير صرح بأنه لا يمكن إحداث الإصلاح المطلوب في المنطقة "الشرق الأوسط" إلا بفهم طبيعة الإسلام الذي يقف سداً منيعاً أمام محاولات التغيير، وأوصى بدعم التيارات العلمانية والحداثية ومحاربة الأصولية.

* تقرير راند 2008 كيف تتلاشى الجماعات الإرهابية: وهو تقرير خلص عبر دراسة متأنية أن التدخل العسكري الكامل ليس مجدياً، إنه لا يقضي إلا على 7 بالمئة من التنظيمات الإرهابية، فكانت التوصية أن يتم التعامل مع هذه الجماعات من خلال طرق أخرى أثبتت كفاءة أعلى، كدمجها في العملية السياسية عن طريق الضحك عليها بلعبة الديمقراطية.

* ومؤخراً في 2015 نشرت تلك المؤسسة تقريراً بعنوان "خطة سلام من أجل سورية"، تتضمن حلاً مقترحاً للأزمة، يقوم على إقامة مناطق آمنة في سورية لوقف إطلاق النار، ويكون ذلك من خلال تقسيم البلاد إلى مناطق على أسس طائفية وعرقية.

ولم يكن مشروع الشرق الأوسط الكبير سوى "تميع الهوية الشرقية وخلق هوية شرق أوسطية جديدة" لم يكن إلا أطروحة سياسية للمستشرق "برنارد لويس وهو من عائلة يهودية" الذي كان من أكثر الأكاديميين تأثيراً على صانع القرار في إدارة جورج بوش.

ولو دققنا جيداً في محتوى هذه الدراسات سنجد ترابطاً وامتداداً وتكملة لمشروع الولايات المتحدة الأمريكية الكبير في العالم الإسلامي، فعندما يتم مثلاً تبني استراتيجية "الإسلام المدني الديمقراطي" التي اعدتها شيرل بينارد -وهي زوجة زلماي خليل زاد السفير الاميركي السابق في افغانستان والعراق في فترة

¹ نسبية تامة، المعرفة، سلاح المستشرقين الجدد، مدونات الجزيرة منشورة على الرابط:

<https://www.aljazeera.net/blogs/2017/7/26>

بوش الابن - سيتم بذلك تجاوز الهوية الحضارية والثقافية للعالم الإسلامي من جذوره وبالتالي تعميق الانفصال والتجزئة بين دوله بعضها بعض كما هو حاصل الآن في أغلب دوله.

يتضح مما سبق ان هناك ترابطا عضوا ووظيفيا بين المستشرقين وبين مؤسسات الدولة الامريكية في مجال صناعة السياسة العامة ولاسيما في السياسة الخارجية التي يظهر فيه تأثير هؤلاء المستشرقين بشكل جلي وواضح فعلى سبيل المثال تتخذ مؤسسة راند - حسب ما تعرف به نفسها - على عاتقها مهمة تطوير السياسة العامة وتحسين عملية اتخاذ القرار من خلال ابحاثها ودراساتها ونلمس ذلك عمليا بعد عملية احتلال العراق والاطاحة بالنظام البعثي سنة 2003 حيث قال الحاكم الامريكي للعراق بول بريمر انه وجد توصيات من معهد راند في مكتبه في كيفية حكم العراق، في حين يسعى مركز كارنيجي الى تقديم نظرة معمقة عالمية ومستقلة واستراتيجية ، وأفكاراً جديدة ومبتكرة لصناع القرار من أجل تعزيز السلام الدولي. أما معهد واشنطن فيسعى لتعزيز فهم متوازن وواقعي للمصالح الأمريكية في الشرق الأوسط ودعم السياسات التي تضمن سلامتها متخذاً من شعاره " افكار، مبادرة، تأثير" عنواناً لإبراز الهدف من انشائه، كما تبرز عبارة تعريفية بالمعهد تقول " جلب المعرفة للتأثير على صنع السياسة الامريكية في هذه المنطقة من العالم" لتؤكد وبوضوح الترابط الوثيق بين هذه المراكز وصناع السياسة في الولايات الامريكية.

ومن الأمثلة الأخرى على ترابط رجال الاستشراق بالسياسة في أمريكا بعد وقوع أحداث أيلول استغلت مراكز الأبحاث الأمريكية هذه الأحداث للتأكيد على دورها الأساسي في صناعة السياسة الخارجية الأمريكية، فوجد الرئيس بوش نفسه مضطراً للاعتماد بشكل متزايد على الأكاديميين، فجرى تعيين البروفيسور زلامي خليل زاد عضواً في مجلس الأمن القومي ومستشاراً للرئيس لشؤون أفغانستان، ثم سفيراً في العراق ، واستعان ببرنارد لويس (أستاذ برينستون) وفؤاد عجمي (أستاذ الشرق الأوسط في جامعة هويكنز) لحضور اجتماعات مجلس الأمن القومي، وأخذت هذه المراكز تتجه بقوة نحو اليمين، وقد شهد مجلس العلاقات الخارجية الذي يعد أبرز مراكز البحث الليبرالية انعطافة شديدة بهذا الاتجاه، بلغ حد تولي أحد رموز إدارة بوش - رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية- ريتشارد هاس رئاسته. والمعروف أن هاس أسهم في وضع العقيدة الأمنية الجديدة للولايات المتحدة وهو أيضاً من أنصار مبدأ الضربة الوقائية. ونتيجة لانتقاله إلى هذا الموقع أخذت المؤسسة المعروفة بليبراليتها تتحو إلى تبني بعض أفكاره التي هي جزء من سياسات الإدارة الحالية ونظرياتها الأمنية.

تظهر بعض الأبحاث والدراسات أن البيت الأبيض في عهد الرئيس دونالد ترامب كان أقل اهتماماً بمراكز الفكر عن الإدارة السابقة للرئيس أوباما وأقل اعتماداً عليها أيضاً حيث قال مارك روم الأستاذ بجامعة جورج تاون أن إدارة أوباما من الواضح أنها كانت تفتخر بأنها إدارة فكرية عالية وأنها الإدارة التي أولت اهتمام واسع النظرير بالمراكز البحثية كما كان لها دور محوري في صنع القرار السياسي في تلك الإدارة للرئيس أوباما وذلك علي العكس تماماً فإن الإدارة الحالية للرئيس ترامب التي كانت صريحة تماماً من البداية من أنها لا تعني أية اهتمامات لمراكز البحوث ولا تثق في خبرائها وأن الرئيس ترامب كان يشك في مصداقية أي عمل تقوم به مؤسسة بحثية أو أي منشأة فكرية أمريكية فما بالننا بالتأثير في صنع السياسة العامة الأمريكية وأبرز الأدلة علي ذلك فيما يتعلق بالملف النووي الإيراني فإن العديد من المراكز البحثية قد أدلت بدلوها في مسألة إلغاء الاتفاق النووي الإيراني والتي تحدث عنها الرئيس ترامب كثيرا الفترة الماضية وأنه ينوي إلغاء هذا الاتفاق مع ايران متغافلا الأبحاث التي توصلت إليها تلك المراكز البحثية عن خطورة الموقف الأمريكي وضعفه حالة إلغاء الاتفاق الإيراني من الجانب الأمريكي، حيث تحدث مركز (مجموعة الأزمات والبحوث)، " أن الرئيس ترامب عليه الحفاظ علي معاهدة الاتفاق النووية وعدم الانسحاب منها "، وذكر (مركز بلفر للأبحاث) أيضا " أن الرئيس ترامب أعلن مؤخرا عن استعداده لتأكيد التزام إيران بالاتفاق النووي وفي سياقته تحدث مركز (ويلسون للأبحاث)" أن الاتفاق النووي الإيراني اتفاق ممتاز للإدارة الأمريكية عمل علي الحد من قوة ونفوذ إيران في المجتمع الدولي والمنطقة الشرق أوسطية وإذا قام الرئيس بالانسحاب بالتأكد ستكون الولايات المتحدة معزولة عن العالم، ولن تتمكن أيضا من الحد من النفوذ الكورية الشمالية بعد الآن¹.

مما سبق نخلص أن لمراكز الأبحاث دور هام في عملية صنع السياسة الأمريكية والتأثير في صنع القرار وأن الإدارات الأمريكية المختلفة قد تعاملت مع هذه المؤسسات بصورة مختلفة حيث إهتمت إدارة الرئيس بوش و أوباما اهتماما كبيرا بمراكز الأبحاث في حين أقل نجمها وتراجع دورها في إدارة الرئيس الحالي دونالد ترامب.

¹ علاء ابراهيم رجب، دور المراكز البحثية الأمريكية في عملية صنع القرار السياسي: دراسة حالة "مؤسسة راند"، المركز العربي للبحوث والدراسات، جمهورية مصر العربية: متوفر على الرابط: <http://www.acrseg.org/41175>

خلاصة الفصل

من خلال ما سبق نستنتج مايلي:

- 1) زادت اهمية الاهتمام بظاهرة الاسلام السياسي بعد هجمات 11 سبتمبر وخاصة من قبل مراكز البحث الامريكية الثلاث التي تتميز وتشتهر بتأثيرها على صانع القرار في الولايات المتحدة الامريكية فيما يخص منطقة الشرق الاوسط .
- 2) تختلف المقولات والحجج التي تنطلق منها مراكز البحث في هذه الدراسة فمنها من ترى انه لايجب التعامل مع حركات الاسلام السياسي فهي عدوة الديموقراطية كما يرى معهد واشنطن في حين معهد مركز كارنيجي يدعو الى ضرورة التفريق بين الحركات السياسية والحركات الجهادية المتطرفة ولا يمكن التعامل معهما بنفس الكيفية في حين تخبرنا مخرجات مؤسسة راند البحثية الى ضرورة محاربة الحركات الاسلامية العنيفة وتدجين الحركات الاسلامية المعتدلة وادخالها في العملية السياسية.
- 3) يلاحظ على هذه المقاربات التي جاءت بها مراكز البحث الامريكية انها تفتقر الى الدقة المنهجية والامانة العلمية لان جل تحليلاتها هي في الاساس مقدمة لصانع القرار الامريكي خدمة لمصالح امريكا، والا كيف نفسر سكوت امريكا وتورطها على عمليات الانقلاب التي حدثت ضد الحركات الاسلامية المعتدلة في كل من مصر وفلسطين، بل وتدعم الانظمة الاستبدادية في الشرق الاوسط.
- 4) اما فيما يخص المقاربات التفسيرية فيما اطلق عليها بالاستشراق الاكاديمي فيلاحظ عليها انها جاءت اكثر موضوعية واكل تحيزا من نظيرتها في مراكز البحث، وبعضها قدمت اسهامات كبيرة لصالح الحركات الاسلامية وتحولاتها ولاسيما اطروحة اصف بيات التي اخذت بها معظم الحركات الاسلامية السياسية بتبنيها خطاب الديمقراطية وقبولها بالانتخابات والبرلمان، ونسبة مشاركة المرأة في الحياة السياسية...الخ
- 5) يساهم الاستشراق الاعلامي وخاصة السينمائي بشكل كبير في رسم الصورة الذهنية والنمطية عن الاسلام والمسلمين والسياسة في الشرق الاوسط من خلال كمية الافلام المتدفقة الى عقل المشاهد الامريكي والتي لديها كبير في رسم صورة تخيلية عن الشرق في الثقافة الامريكية، وهذا ما اثبتته هذه الدراسة.

(6) اثبتت هذه الدراسة ان هناك تأثير للاستشراق الجديد في عملية صنع القرار في الولايات المتحدة الامريكية وخاصة في فترة الرئيسين جورج والكر بوش وباراك اوباما الذي عرف تقلد مستشرقين وباحثين من مراكز بحثية واكاديميين لمناصب سياسية ناهيك عن دورهم الاستشاري كخبراء ، بالإضافة الى ارتباطهم وظيفيا وعضويا بمراكز صنع القرار من خلال ما يعرف بسياسة الباب الدوار ، لكن في فترة الرئيس ترامب سجل تراجع لتأثير المراكز البحثية والاكاديميين على عملية صنع السياسة العامة واتخاذ القرار.

الفصل الرابع:

المطالبة النقدية للاستشراق
الأمريكي الجديد وحدوده المعرفية
والمنهجية

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكى الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

مقدمة الفصل:

لقد بذل المستشرقون الامريكيون الجدد جهودا كبيرة في تحليل الظاهرة الاسلامية في الشرق الاوسط واستفادوا من تطور المناهج في العلوم الاجتماعية، ودخل في هذا المضمار بحائثة من مختلف التخصصات - كما رأينا في الفصول السابقة- في تفكيك الظاهرة واعطاء تفسيرات لها، لكن هل يعني ان هذه الدراسات والمقولات تركز بالفعل على اسس منهجية واساليب علمية سليمة ونتائج دقيقة تسعى الى فهم الظاهرة الاسلامية بعيدا عن المعادلة الاستراتيجية للولايات الامريكية كدولة لها مصالح كبرى في منطقة الشرق الاوسط؟ وما تأثير العقل الاستشراقي الجديد على الرؤساء الامريكيين المتعاقبين منذ هجمات 9/11.

يسعى الباحث في هذا الفصل الى نقد الاسس المنهجية العلمية التي قامت عليها المعرفة الاستشراقية وتفكيك العلاقة بين هذه المعرفة وبين عملية صنع القرار في الولايات المتحدة الامريكية، وقياس التأثير المتبادل بينهما ، وانعكاس ذلك على الاحداث في الشرق الاوسط منذ هجمات 11 سبتمبر 2001، ويستعين الباحث في هذا الفصل بأراء كتاب وباحثين بارزين غربيين و أمريكيين مثل جون اسبوزيتو وزكاري لويمان وادوارد سعيد، جيل كيبل واوليفيه روا، وغيرهم لنقض افكار المستشرقين الجدد وعرضها على المشرحة النقدية واخضاعها الى قواعد البحث العلمي الحصيف ومدى ملائمتها لتكون اسس نظرية ثابتة لفهم الظاهرة الاسلامية وكل ما يتعلق بدراسة الاخر ولاسيما التراث الاسلامي والعربي. فهذا النقد سيأخذ شكل المباحث التالية:

المبحث الاول: نقد المنهجية في العلوم الانسانية الغربية

المبحث الثاني: اشكالية النموذج المعرفي للاستشراق الامريكى الجديد

المبحث الثالث: الازمة الراهنة للاستشراق الامريكى الجديد ومستقبله

المبحث الاول: الاشكالية المنهجية في العلوم الانسانية الغربية:

يتميز الفكر الاستشراقي الامريكي الجديد من استفادته من التطور الكبير في مناهج العلوم الانسانية والاجتماعية، هذه الاخيرة التي كانت وليدة البيئة الغربية التي لها كانت نتائج وانعكاسات على مجمل الدراسات والابحاث خاصة فيما يتعلق بالنظرة تجاه الاخر وبالشرق بصفة خاصة وهكذا فان أي نقد للاستشراق الجديد لابد وان يتم عبر منطلقاته الفكرية والمنهجية التي انطلق منها. واذا كان الاستشراق حسب ادوارد سعيد هو دراسات تهدف إلى فهم وتحليل شؤون الشرق الأوسط بشكل عام في الوسط الأكاديمي. فانه مع ذلك هو مجرد بلورة لأيديولوجية معادية في الغرب، وهو إضفاء الشرعية على التفوق الغربي وتعزيزه الهيمنة من خلال اختراع إيديولوجية ثنائية الغرب والإسلام¹.

يتصف الفكر الانجلو ساكسوني بميله الى المادية التاريخية، وبنزعة وضعانية ترى في الدليل المادي المعطى الوحيد الذي يمكن من خلاله تصور الحقيقة التاريخية، ويعتقد التجريبيون انهم عندما يتعاملون مع الاحداث يتخطون خطر الانزلاقات الايدولوجية، لكن تعويلهم هذا على الاحداث المادية هو وهم، فهم عندما يحاولون انطاق الحدث التاريخي يوفرون النواة العلمية التي تحتاج اليها الايدولوجيات²،

يؤدي منهج المستشرقين الى نتائج مختلفة -حتمًا-، قبالة الوعي المرتكز الى العامل الميتافيزيقي، ولكن نتائجه ليست موضوعية بالضرورة، فالانسجام مع المقدمة لا يؤخذ معيارا للموضوعية، والوعي التاريخي المرتكز الى عقلانية العوامل المادية- التاريخية يؤدي- بالضرورة- الى نتائج منسجمة مع أدواته، ومفرغة تماما من كل عنصر ميتافيزيقي، ولذلك فالمنهج التاريخي في معناه الغربي الاستشراقي هو في الحقيقة مقدمة ليس لاستبعاد الدين الاسلامي عن مسرح الحياة، وانما لعلمنة وطبعنة الاسلام، وهو امر تضمن انكارا لاصله الالهي، وليس في هذا امانة للمنهج العلمي، لاننا نميز بين محاولات انسنة الفكر الديني وتشغيل المفاهيم، وبين محاولة طبعنة الفكر، التي تتضمن عقلنة سلبية، تلغي الاصول، وتحل محلها جذرا تاريخيا مختلفا، وغير منسجم³.

¹ MOHAMMAD SAMIEI, Neo-Orientalism? The relationship between the West and Islam in our globalised world, **Third World Quarterly**, Vol. 31, No. 7, 2010 p 1146

² امنة الجبلاوي، مرجع سابق، ص 194-195

³ صلاح الجابري، الاستشراق قراءة نقدية، سورية: دار الاوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، 2009، ص 193.

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

اضافة الى ذلك، كان ينقص ذلك المنهج مقومات عديدة منها الاطلاع العميق على وضع العرب قبيل الاسلام، من النواحي الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، ومقارنة ذلك بالتحول الشامل في طبيعة الحياة في الجزيرة العربية، ان تلك المقارنات ستكشف عن فجوات واسعة في المنهج التاريخي، تعجز العوامل المادية عن ملئها، او تفسيرها، كما ان غياب الاحاطة بالشعور النفسي المصاحب للمرحلة التاريخية يؤدي الى افتقاد الكثير من مقومات الفهم الموضوعي لتلك المرحلة، ولعل الوضع اسوأ اذا كان البديل لذلك الشعور النفسي الخاص، والمادة التي ملأت تلك الفجوات هو الشعور الاوروبي-المسيحي، بقله التاريخي المعبأ بشحنة سلبية تجاه الدين الاسلامي، ويمكن ملاحظة مدى اساءة الفهم والاسقاطات النفسية التي ستحملها تلك المرحلة التاريخية بوقائعها الدينية، والسياسية، لذلك لا يمكن للمنهج التاريخي الفاقد لمقومات الموضوعية ان يأتي بنتائج منسجمة مع اساسيات الدين الاسلامي، وخصوصية الحضارة الاسلامية، فهو - اذن - لا يمكن ان يكون الا المنهج التاريخي الغربي الموجه بالمكون النفسي الاوروبي-المسيحي، وهذا يتقاطع مع الموضوعية ولا يوازها¹.

النقطة الثانية التي يمكن ملاحظتها من المنهج التاريخي عند المستشرقين، هي اننا لا ننكر اهمية هذا المنهج، والنتائج العلمية التي قد يؤدي اليها، ولكن يجب ان نعلم ان الانتاج الموضوعي لاي منهج ليس خاصة ذاتية للمنهج، انما ذلك لا ينفصم عن الاستخدام السليم له، الخالي من التحيز والاحكام المسبقة، وهذا مشروط بمقومات تتعلق بالوعي وطبيعة الرؤية، بمعنى آخر، ان الوعي غالبا ما لتأثير الاحكام المسبقة التي تفترضها الايدلوجية المحددة للرؤية، وفي مثل هذه الموضوعات غالبا ما يفشل الوعي في تفرغ ذاته من تلك الاحكام ، لانها اليات عمل لاشعورية، وهذا عائق موضوعي يقف حائلا دون الوصول الى رؤية واقعية للموضوع المدروس، واذا قورن هذا العائق بذلك الذي افترضه المستشرقون ضد الدارسين الاسلاميين، وهو عائق القداسة، لرأينا ان هذا العائق الاخير هو - في الحقيقة - موقف سيكولوجي يستمد وجوده من علاقة سيكولوجية تقع خارج اطار المنهج، لكنه يمكن ان يشكل عائقا بالفعل فيما لو افترضه الانسان مسبقا كمقدمة في البحث العلمي، ولذلك لا يمكن ان يتأسس نفي القداسة، بوصفه موقفا سيكولوجيا، تجاه الدين الاسلامي، وتراثه، على اساس انكار حقيقة المصدر السماوي

¹ المرجع نفسه، ص194

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

للإسلام كما فعل المستشرقون، وإنما يجي ان يستند على استبعاد المصادر في البحث العلمي التاريخي، ومن تلك المصادر القداسة¹.

تكتنف العلوم الانسانية التي كتبت بمناهجها وادواتها اعمال الاستشراق الجديد العديد من الاشكاليات العلمية والمنهجية التي تؤثر في درجة موضوعيتها وتقلل من شأن احكامها ونتائجها، وللتوضيح يجب تناول الموضوع من ناحيتين:

اولاً: موضوع الباحث: ان الانسان والمجتمع في العلوم الانسانية والاجتماعية هو موضوع البحث والاشكالية الرئيسية التي تواجه الباحث في ذلك تعود الى تفرد الحالة الانسانية واتصاف سلوك الانسان ومشاعره بالتعقيد والعفوية وحرية الارادة، ولكون الافعال الانسانية واعية وتصدر عن تدبر وروية، وهو الامر الذي يجعلها عرضة للتعديل والتبديل على اساس من الفهم والتبصر، وهو ما يؤدي الى تعذر استخلاص التعميمات اللازمة، وصعوبة التنبؤ واخضاعه للتجربة والقياس بخلاف الظواهر الطبيعية، فالاطراد في الظاهرة الانسانية اقل واضعف من الاطراد في الظواهر الطبيعية، وهذا ما يجعل التنبؤ في العلوم الانسانية عسيراً، ليس بسبب تعقد الابنية الاجتماعية فحسب، بل كذلك بسبب التعقيد الخاص الذي ينشأ عن الترابط بين التنبؤات نفسها، وبين الحوادث المتنبأ بها².

ان القيم والاحكام المعيارية جزء اساس وجوهري من الواقع التي يدرسها الباحث بوصفها التزامات باطنة في الظاهرة الانسانية نفسها، واذا امكن للعلوم الطبيعية تجاوز التفسيرات الغائية للكون وظواهره الطبيعية فان ذلك يستحيل في العلوم الانسانية لان الانسان والمجتمع موضوع الدراسة يتبعان غايات معينة، ويتحركان وفق منظومات قيمية واخلاقية، وعلى الرغم من ان لمعظم المجتمعات الانسانية عددا من النظم والمؤسسات المتماثلة، الا انها قد نشأت وتطورت استجابة لبيئات مختلفة، وتقاليدها ثقافية متباينة، وتراث اجتماعي متنوع، بحيث ان التركيب الداخلي لهذه النظم والعلاقات المتبادلة بينها تختلف من مجتمع لآخر وبناء على ذلك فالنتائج التي تصل اليها دراسة لمعطيات معينة مستخلصة من مجتمع واحد

¹ المرجع نفسه، ص 195

² صلاح قنصوة، الموضوعية في العلوم الانسانية: عرض نقدي لمناهج البحث، بيروت: التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ص 52-55.

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

لا يحتمل ان تصل اليها دراسة لمعطيات معينة مستخلصة من مجتمع واحد لا يحتمل ان تصدق على عينة مستخرجة من مجتمع اخر¹.

ثانيا: الباحث:

تتعدد الاشكاليات التي تؤثر في منهج الباحث في العلوم الاجتماعية والانسانية، وتضعف من شأن احكامه ويمكن ارجاعها الى ثلاث مستويات:

الذاتية: ان السلوك الخارجي الفردي والمجتمعي سلوك هادف ناتج عن تفاعلات ذاتية باطنة، ولا يمكن للباحث الذي يسعى لتحليل الظواهر الانسانية ان يتعرف الى هذه التفاعلات الداخلية الا عبر وسيط من خبرته الذاتية، والتي تشوبها النوايا والبواعث المختلفة، وتحركها الغايات والقيم الخاصة وهذا من شأنه التأثير على نتائج الباحث واحكامه، فيختلط عليه ما يعرف عن نفسه بالموضوع الذي يحاول دراسته².

القيمة: ان المضي في البحث داخل العلوم الانسانية لابد ان تسبقه اسئلة محفزة، ومشكلات بحثية يطمع الباحث في التفتيح عن اجابات عنها، هذه الاسئلة تعبر عادة عن اهتمامات الباحث الخاصة، والتي لا يمكن ان يكون الباحث عليها علميا خالصا، فهي اختيارات ونتائج لتقويمات الباحث واحكامه العامة على الاشياء، وهذه القيم التي تنتج الاسئلة، والتي يلتزم بها الباحثون لا تصبغ محتويات الكشوف والنتائج فحسب، بل تتحكم في تقديرها للشواهد والبيانات التي يؤسسون عليها تلك النتائج³.

الايدلوجية: يتفق المفكرون على ان الايدلوجية تعبير على نحو ما عن ارتباط الفكر بالاصول الاجتماعية وقد يكون هذا الارتباط في نظر البعض انعكاسا مباشرا وقد يصبح تحريفا متعمدا او دون قصد وغاية هذا الارتباط بين الفكر والخلفية الاجتماعية اما ان يكون سعيا الى ترسيخ الحالة الراهنة للجماعة، او سعيا للانقلاب عليها وتغييرها، ومن ثم ينذر الا يعبر أي تحليل للظواهر الانسانية عن موقف اجتماعي خاص، او يعكس المصالح والقيم السائدة لقطاع معين في المسرح الاجتماعي⁴.

¹ المرجع نفسه، ص 55-57.

² المرجع نفسه، ص 58-60.

³ المرجع نفسه، ص 60-62.

⁴ المرجع نفسه، ص 62-64.

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

ثالثا: اشكالية التحيز في المنهجية الغربية:

اثارت قضية التحيز في الفكر الغربي حفيظة الباحثين العرب كرد علمي ومنهجي لدحض المقولات الغربية في الجوانب السياسية والاقتصادية وحتى في علم النفس والدين وفي هذا الصدد يقول المفكر المصري عبد الوهاب المسيري، ان قضية التحيز في المنهج والمصطلح تواجه أي دارس في الشرق والغرب والشمال والجنوب، فمنذ نهاية القرن الثامن عشر، ومع انتشار الانسان الغربي التدرجي في العالم من خلال التشكيل الاستعماري الغربي، وقيامه بتدويل نماذجه الحضارية والمعرفية، بدا ايضا ما يسمى بالغزو الثقافي وهو محاولة الانسان الغربي فرض نماذجه على شعوب العالم¹.

ان مبعث التحيز المعرفي الغربي يرجع أساسا إلى القوة والهيمنة الثقافية والتقنية والعسكرية التي بنتها القوى الغربية في لحظات غفلة العقل المسلم. فبعض المدارس الغربية التي تنتمي للفترة الكونيالية أنتجت ولا تزال تنتج خطابا يضخم من مجهود بعض البعثات الثقافية والباحثين المنضوين تحتها، وقد أرسلت تلك البعثات قبل بدء حركة الاستعمار أو كانت أثناءه، وحققت نتائج مهمة كالنتقيب عن الآثار أو تحقيق المخطوطات وإخراجها للتداول أو الكشف عن اللغات والتاريخ القديم الشرقي، فهذه الكشوفات العلمية المهمة تعد أفضالا غربية على الشرق، لأن هذه المهمة فيها استعادة للذاكرة وإحياء للتراث وقفز على فترات ضمور الحضارة العربية والشرقية لما كان قبلها من حضارات أو لحظات صعود وعطاء. ثم عملوا على تقديم تأويلات تخدم الأغراض الاستعمارية لأغلب الكشوفات مع توجيه الأذهان والوعي الجمعي إلى كون الشرق إنما هو أسطورة قد انتهت وبقي فقط إعداده ليكون جسدا للتشريح وموضعا للبحث. فالاستشراق كما المستشرق الحديث بحسب الدكتور إدوارد بيري نفسه بطلا ينقذ الشرق من العتمة والاعتراب والغرابة، ويرى أنه الذي نجح في إدراك ذلك، فبحوثه أعادت تكوين ما فقد من لغات الشرق، ومن أخلاقه وطرائقه تفكيره، مثلما أعاد شامبوليون تكوين الحروف الهيروغليفية من حجر رشيد، ومن هنا يأتي تنبيه بعض الدارسين إلى خطورة الاستماع لكل التفسيرات التي تقدمها المدرسة الاستشراقية دون امتلاك قدرة على نقدها أو كشف زيفها أو امتلاك نظيرها من المنهاج والعلوم. ويقول الدكتور أيمن المصري في هذا السياق في رسالة له موجهة للباحثين والمراكز البحثية قائلا: "عليكم أن تكونوا على حذر شديد من تسويق ثقافات وقيم تنطوي تحتها هذه العناوين، حيث لا تخدم إلا أعداء الإنسانية وأعدائكم.

¹ عبد الوهاب المسيري، اشكالية التحيز : رؤية معرفية ودعوة للاجتهد، ج1، الولايات المتحدة: المعهد العالمي للفكر

الاسلامي، ط2، 1996، ص 3

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

ومن هذا المنطلق يرجى منكم أن تعيدوا قراءة تراثكم الفكري الفلسفي الإسلامي لا عن طريق نظارة المستشرقين من الغرب والسطحيين من الشرق، بل على أيدي متخصصين لتتعرفوا بشكل واقعي على تلك الكنوز العظيمة التي ترفع من قيمة الإنسان، ويأمل الدكتور أيمن من هذه المراكز أن تراجع حساباتها في طبيعة تعاطيها مع المنهج العقلي، وأن تتخلى عن نظرتها السطحية والسلبية للمنطق العقلي، منطلق الفطرة الإنسانية. كما يدعو إلى أن تقف هذه المراكز وقفة جدية لتقييم مسيرتها الفكرية التي قامت على أساس المنهج الحسي طيلة قرون، وما استتبع ذلك من فوضى معرفية ومشاكل ومفاسد أخلاقية واجتماعية وسياسية، ومن بين تلك المفاسد العظيمة، عدم القدرة العلمية لمواجهة تحديات الاستشراق وبناء بديل عنه أو على الأقل ببعث المدارس الإسلامية العقلية والمنهاج النقدية التي اغتنت بها بعض العلوم الإسلامية والعربية في لحظات تاريخية مجيدة أو محاولة مواجهة الغرب بمثل أسلحته العلمية ولو كانت المحاولة متأخرة¹.

ومن النتائج المهمة والخطيرة التي زرعتها المدارس الاستشراقية، والتي عمقت الجراح وأكدت على نشوء صراع متوهم بين الشرق والغرب بحسب الدكتور ادوارد هي أن الدراسيين الأوربيين قاموا بوصف الشرقيين بأنهم غير عقلانيين وضعفاء ومخنثين، على عكس الشخصية الأوروبية العقلانية والقوية والرجولية. ويعزي هذا التباين إلى الحاجة إلى خلق اختلاف بين الشرق والغرب بذلك لا يمكن تغيير جوهر الشرق، هذه الصورة النمطية التي خلقت وضخت وتم الحفاظ عليها في الذهن الغربية إلى الآن تدفع بمزيد سوء فهم وتنامي موجة المواجهة غير المتكافئة بين الشرق والغرب، ويساهم ذلك في إنكفاء الصراع والدفع بالثقافة الشرقية لنتموقع في جبهة تطرف ومواجهة غير مسبوقة، للدفاع عن نفسها مادامت الأخرى في موقف الهجوم والهيمنة وإرادة الاستعمار. وهذا يزيد من الشرخ توسعا والتوتر تصاعدا، ويخلق لدى الشرق هواجس تتغول حول ما وراء نوايا الغرب الحقيقية تجاهه، خصوصا عندما يتحدث عن مفاهيم حديثة كالمدينة والديمقراطية والحرية والعدالة الاجتماعية ودولة المؤسسات².

ولتوضيح النقد المنهجي للمنهجية الغربية بصورة اكبر تجدر الإشارة الى اهم منهجين استخدمه المستشرقون في تحليل ورصد كل ما يتعلق بالاسلام، وهما مناهج الفيلولوجيا الدينية والمنهج التاريخي:

¹ يوسف محمد بن الناصر، الرحلة التفكيكية لـ د. عبد الوهاب المسيري ود. إدوارد سعيد أنموذجا، مركز افكار للدراسات

والإبحاث، 2019

² المرجع نفسه

من المعلوم ان البحث في اصل الاشياء كان المشغل الاول الذي رافق تشكل العلوم الانسانية وقد تأثر بالنتائج المتوصل اليها تشارلز داروين في " اصل الاجناس" فبحث العلماء في ذلك الحين في اصل البشر واصل الاعراق واصل اللغات واصل الاديان مفترضين ان لكل فرع تاريخي نشأ عنه وأن التاريخ الثقافي للبشر تحكمه نفس القوانين الطبيعية في النشوء والارتقاء¹.

والفليلوجيا في سياقها الفلسفي التاريخي مرتبطة بالداروينية الاجتماعية التي تقول: ان قانون النشوء والارتقاء يحكم الانسان الثقافي كما يحكم الانسان الطبيعي، وفي مجال النصوص الدينية راح الفليلوجيون يبحثون عن " نص اور" تماما كما بحثوا عن اصل الانسان الاول والاصل الاول للغة، ولم يعد لهذا النوع من الابحاث أي معنى منذ التطورات الاولى للبنوية وتأثيراتها المباشرة والحاسمة في مختلف العلوم الانسانية وصولا الى مدارس ما بعد البنوية وما بعد الحداثة والتاريخانية الجديدة ، ليست العودة الى هذا المبحث مع القران فقط عودة ايدلوجية؟ وماذا سيضيف العودة الى هذا العلم البائد الى العلوم الدينية الكونية المعاصرة بالبرهنة على ان نسا دينيا ما قد استعار من لغة اخرى بعض مفرداتها او تراكيبها او تصوراتها الثقافية؟²

لقد عرفت الدراسات الدينية تطورات هائلة بعد ان تفرعت عن اغلب المناهج اللسانية والنفسية والاجتماعية والفلسفية والتاريخية والانثروبولوجية والاثنولوجية مقاربات مختصة بالحقل الديني فاختص عدد كبير من اساتذة الاديان في اللسانيات الدينية وعلم النفس الديني والفلسفة الدينية والتاريخ الديني وعلم الاجتماع الديني والانثروبولوجيا الدينية والاثنولوجيا الدينية وتفرعت عن كل هذه الاختصاصات مقاربات مقارنة نذكر من اهمها علم تاريخ الاديان المقارن وعلم الاجتماع المقارن للاديان والانثروبولوجيا المقارنة للاديان... واستندت جميعا الى تأصيل نظري علمي متماسك وتوصلت الى نتائج باهرة افادت الدراسات الدينية افادات دقيقة وقيمة اذن فلماذا العودة اليوم الى علم قديم: الفليلولوجيا، بدل اللسانيات السامية المقارنة، واشكالية قديمة للبرهنة على نفس النتيجة الاستشراقية التي سمعناها مرارا وتكرارا على ان القران ليس وحيا منزلا ومحمد ليس رسولا والاسلام ليس دينا ربانيا بل هو بدعة يهودية مسيحية؟³.

¹ المنصوري الشيباني، مرجع سابق، ص 193

² المكان نفسه.

³ المرجع نفسه، ص 195.

نلج الى البحث في المناهج التحليلية التاريخية، من خلال مناهج النقد التاريخي، الذي يركز اساسا على صلات الظرفية التاريخية بالمنطوق والمعقول والمفهوم: أي الالية الفكرية والمنتج الفكري ، فمن المعلوم ان المفكرين يكتبون عن الماضي للحاضر: أي انهم يعيدون كتابة الماضي والبحث في تفاصيله ودقائقه لغايات الواقع التاريخي الذي يكتبون له وفيه، وان كل الابحاث، كما تعلمنا التاريخية الجديدة، ليست سوى مقاربات غائية مهما ادعت الموضوعية وتمثيل الحقيقة او السعى اليها¹.

ميثافيزيقا التمركز: تنهض الاشكالية البدئية في موضوع الاستشراق على فكرة ميثافيزيقية قوامها تمركز ذاتي نبتت من حوله عوالم ثقافية وحضارية لتمركزات جانبية عززت من رسوخ فكرته، لا بل حولتها الى قناعة ومسلمة ونموذج جاهز يهدد العالم من حول الذات ويحددها منه في ان معا في غياب المعطيات الواقعية².

ولما كان الاستشراق هما غربيا بامتياز، فقد نصب هذا الاخير نفسه مخياليا في مركز العالم ، واقام تقابلا ثنائيا بين الذات (الغرب) والآخر (أي اخر)، وعلى مبدأ اسبقية الذات على الاخر بنى الغرب ميثافيزيقاه كلها، لذلك احيط هذا القطب بتمركزات عديدة نتجت عن مبدأ التمركز: تمركز عرقي، وتمركز لاهوتي، وتمركز عقلي، وتمركز ضوئي، وتمركز شمسي، باعتبارها منارة العالم وشمس معارفه التي تدور حولها بقية الافلاك، والملاحظ عن هذه المركزيات المتناسلة انها تقدم صورة عن كيان ميثافيزيقي وتفصله عن العالم في آن معا³.

ولا يخفى على دراس الاستشراق بأن اوهام التمركز الميثافيزيقي للغرب قد اختطت شرعتها منذ ايام ارسطو الذي قسم العالم القديم الى: اغريق احرار بالطبيعة وبرارة عبيد بالطبيعة عملا على تمييز امته عما سواها من الشعوب، حيث تحتل امة الاغريق كفة راجحة في ميزانه باعتبارها امة الاحرار بالطبيعة بينما تترج بقية الامم في كفة البرابرة وهم عبيد بالطبيعة، وفي العصور الوسطى استأنفت المسيحية هذا التقسيم، مستعيضة ثنائية غريق/ برابرة الارسطية بثنائية مؤمنون/ كافرون، وهو فصل

¹ المكان نفسه

² محمد الامين بحري، "من اجل نقد حدائني للاستشراق، من اوهام التمركز الى فتوحات المثاقفة" مداخلة المنتدى الدولي

محمد بن شنب والاستشراق ، المنظم بولاية المدينة 7 و 10 ديسمبر 2014

³ المكان نفسه

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

يولي الاولوية للمؤمن بالمسيحية لا غير، وما عداه من الاديان يعتبر ابقا على الديانة، وهو معيار يتمشى مع والطبيعة التبشيرية ذات التمييز الطائفي الديني¹.

اما في العصر الحديث فقد استشرت نزعة الزحف الغربي على الشرق والجنوب بكل انواع الانتداب والاستعمار معتمدا اخضاع الشعوب بكل وسائل الترغيب والقسر والاختراع للنموذج الغربي باعتباره الامثل والاصلح، مواصلة درب ارسطو والحملات المسيحية القروسطية لكن بثنائية مواكبة لطبيعة الهيمنة الغربية في العصر الحديث وهي ثنائيتها الجديدة التقدم/ التخلف، حيث مثل الغرب الغرب الطرف الاول وبقية العالم بما فيه الشرق ممثل في الشق الثاني المتخلف الذي يجب اصباغه بصبغة التقدم والتطور ليلتحق بركب الغرب المتطور، ولا نتفاجأ ان كان الاستشراق احدى مفرزات هذا الفكر الميتافيزيقي الغربي، وسائرا في سبيل تعزيزه حينما يزحف الغرب بخطابه نحو الشرق بكل ما يملك من وسائل ومعارف وافكار تسبق وجوده في أي منطقة من العالم، بدعوى نقله من التخلف الى التطور مستلهما قوة الحجة من حجة القوة².

ان هذا الزخم الفكري الذي ارتبط بالاستشراق لم يمنع من نشأة تيار فكري مضاد، نقدي له ليحد من بريقه وليبين مواطن ضعفه ونقائصه المنهجية، ومع ظهور كتابات ودراسات نقدية للاستشراق ومناهجه تبين بوضوح ان العلاقة التي رسمها الغرب والشرق لم تكن علاقة تواصل وحوار وتبادل ثقافي بل علاقة سيطرة وهيمنة من طرف الغرب على الشرق، هذه النظرة التسلطية اخضعت كل ما هو علمي ومعرفي لخدمة اغراض اخرى سياسية واقتصادية بحتة، جعلت من المستشرقين اداة طيعة في خدمة الهيمنة والعنصرية والاستعمار المباشر لجل اقاليم الشرق، ولعل ابرز من نبه لضرورة اعادة قراءة الدراسات الاستشراقية المفكر ادوارد سعيد في كتابه المرجع "الاستشراق" والذي رأى النور في بيئة غير اوروبية، بالاضافة كذلك الى جهود المفكر الفرنسي روجي غارودي Roger Garaudy صاحب كتاب Promesses de L islam الذي اثبت بالحجة والبرهان ان الاسلام الذي اراد غلاة الاستشراق نعتة بالدين المعيق للتفكير الحر، هو دين جامع قائل: " الاسلام هو تلك الرؤية لله وللعالم وللانسان التي تنبئ

¹ المرجع نفسه

² المرجع نفسه

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

بالعلوم وبال فنون، وبكل انسان وبكل مجتمع، مشروع بناء عالم الالهي وانساني لا انفصام فيه" وذلك ضمن مقارنة نفسية اجتماعية بالاساس¹.

لعل اسهامات إدوارد سعيد حول الاستشراق تنطوي على أفضل مقارنة لعلاقة الغرب بالشرق، فهو يرى أن الاستشراق ينقسم إلى ما هو تخيلي وجامعي واستعماري، وهذه كلها معان يحيل عليها هذا العلم، غير أن ثمة تبادلاً أو تضافراً بينها كلها لتحقيق أهداف معينة مسطرة مسبقاً من قبل دوائر الاستعمار الغربي، ف«الاستشراق كأسلوب غربي للسيطرة على الشرق، واستبناؤه، وامتلاك السيادة عليه». ولم يتم ذلك إلا عبر آلية القوة الخشنة كالحروب والقتال تارة، وعبر آلية القوة الناعمة عبر جهاز الاستشراق².

ويرى المستشرق مكسيم رودينسون انه يمكن التكلم عن نهاية الاستشراق يجب فحص السؤال بكثير من الدقائق، ليس ثمة " علم استشراقي يكون الله او تكون طبيعة الاشياء عرّفاً حدوده، لا يوجد سوى معضلات متعددة تبررها عدة ميادين علمية عامة، تطرحها ظاهرات متنوعة تتظاهر في بلدان ما كانت تجمع في الماضي، حسب تقطيع قابل للطعن تحت اسم "الشرق" ، ما هو في القضية هو انتهاء هيمنة الفيلولوجيا، بدأ التخلي عن الفكرة الضمنية المسيطرة منذ قرن من الزمان على هذه الدراسات والتي مفادها ان التنشئة الفيلولوجية يمكن ان تكفي كي تعالج بكفاءة كل المشكلات التي يطرحها ميدان دراسات يحده حد السني، هذه الفكرة التي لا يمكن اسنادها منطقياً كانت تأتي من الضرورة الامرة باعداد فيلولوجي لدراسة جدية للمشكلات المطروحة داخل هذا الميدان، ان تكاثر المواد التي في المتناول وكذلك تكاثر ادوات العمل وتقدم طرائق الدراسات، هذا يسمح الان ليس بحرق مرحلة الفيلولوجيا بل بتكريس وقت اقل لها، ولقد بين ايضاً تقدم العلوم الانسانية تعقد المشكلات التي من غير الممكن حلها بأسلحة المعرفة المتعمقة باللغة والحس السليم واحتماليا الهام افكار فلسفية بالغة العمومية، وحدها اذا اصبحت ممارسة الدراسات الشرقية، والدراسات الاسلامية بخاصة، اكثر صعوبة واكل خصوصية، وصارت التماسات مع

¹ صالح علواني، مركزية الذات عند المستشرقين وتمرد البعض عنها: روجي غارودي نموذجاً، ملتقى محمد بن شنب،

المنظم بولاية المدية يومي 7 و 10 ديسمبر 2014

² ادوارد سعيد ، الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، تر. كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت،

ط2005/7، ص 39

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكى الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

الميادين الاخرى بعد ان كانت ترفا، ضرورة أمره، التقدم الذي تلوح تباشيره مذهل والثمن المناسب دفعه ليس زائدا عن اللازم¹.

هكذا تساوق في تغيير المشهد جذريا عاملان اثنان: تحطم التاريخانية على مذبح اشكاليات مناهج العلوم التاريخية والاجتماعية، وصعود البنيوية التفكيكية، ومن جهة اخرى التلاصق بين السياقات السياسية والاستراتيجية من ناحية، وسياقات القراءة للحضارات من ناحية ثانية، مما غيب من بحوث الاستشراق الجديد ليس الحيادية وحسب، بل والموضوعية ايضا، فادوارد سعيد كشف السياقات القديمة لصعود الاستشراق والانتصارية الغربية والصهيونية كشفت السياقات الجديدة للبحوث والدراسات حول النص الاسلامي والتاريخ الاسلامي².

وتأتي المقاربة الانثروبولوجية للغرب والاسلام وثقافة منطقتنا وحضارتها وحاضرها ومستقبلها، ليس على انقاض الاستشراق، فالانثروبولوجيا ليست تخصصا حديثا، كما ان عنايتها باجتماعنا البشري والثقافي ليس من نتاج الحاضر، بل ان أحد اسباب بروز المقاربة الانثروبولوجية صعود " الاستشراق الجديد" نفسه والذي لا يتسم بسمات العلم، مما دفع بالمقاربات الاخرى الى الواجهة ودفع المستشرقين الجدد انفسهم الى الاستنصار او الاستغلال بتاريخانية مدعاة، او بانثروبولوجيا مختزلة³.

والخلاصة ان العلوم الانسانية الحديثة تعاني مأزق منهجية متعددة، قامت على اسس وضعية ملحدة، ترفض الغيب /الميتافيزيقا، وتأنس الاديان أي: تجعل الدين مجرد ظاهرة اجتماعية، انتجها الانسان بوصفه هروبا نفسيا لمواجهة الاخطار، بالاضافة الى تأثرها العميق بظروفها الشخصية بظروف نشأتها والتي ساهمت العوامل الثقافية والاجتماعية والسياسية، في التأسيس لها، ومع ذلك تدعي العالمية والشمول، وترفض في معظم الاحوال الوصف بالتحيز والخصوصية، هذه العلوم اذا طبقت على بيئة مختلفة بشكل عميق عن البيئة الغربية، كالبينة الاسلامية وهي اجمالا بيئة متدينة تتكون من انساق

¹ مكسيم رودينسون(تر: الياس مرقص)، جاذبية الاسلام ، لبنان: دار التنوير للنشر والترجمة، 2003ص 67

² رضوان السيد، نقد الاستشراق. مجلة الاجتهاد، لبنان: دار الاجتهاد للنشر والترجمة العدد51/52ربيع وصيف 2001

³ السيد ، مرجع سابق، ص 7.

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

اجتماعية لها طابعها الخاص وذاكرة جمعية مختلفة، وبنى ثقافية مغايرة النتائج في معظم الاحيان تخرج مشوهة وتفتقر للرصانة، والموضوعية¹.

وهذا لا يعني رفض نتائج هذه العلوم وادواتها بشكل قطعي وشامل لكونها تتضمن نماذج تفسيرية مفيدة ومداخل علمية مساعدة، واليات بحثية فاعلة، وانما هي اشارة نقدية مهمة تكشف عن مكونات واسس وخلفيات النظام المركزي الذي يحكم مختلف مناهج العلوم الانسانية، ويضعف صدقيتها، وتأثيرات ذلك على الاستشراق الجديد

المبحث الثاني: ازمة النموذج المعرفي في الاستشراق الامريكي الجديد.

يجب على أي تقييم لدراسات الشرق الاوسط ان يبدأ بموضوع المنطقة التي تستلزم انتاج هذا النمط المخصوص من المعرفة وهي تلك الجغرافيا المتوهمة التي لفتت كولونيليا وسميت "الشرق الاوسط"، اذ ان الاصل الكولونيالي للمنطقة المسماة الان الشرق الاوسط سابق على مسألة ادراج المعرفة في عصر الامبراطورية، بعبارة اخرى يتوفر جانبا المسألة موضوع البحث على فائض من التصنيفات لجزء من العالم كشرق اوسط، تدلل سلفا وبصوت جلي وواضح على الكيفية التي يتم وفقها انتاج المعرفة في عصر الامبراطورية، وان كانت امبراطورية مختلفة عن تلك الحالية، المسافة بين ذروة صعود الامبراطورية البريطانية في القرن التاسع عشر حين ابتدع مصطلح الشرق الاوسط في خمسينيات القرن التاسع عشر في المكتب البريطاني في الهند وحقبتنا الموسومة بالحرب على الارهاب، تدل على الحيز الذي تتباين فيه طرائق وانماط انتاج المعرفة وتأرجح تبعا للحاجة التي تملئها المشاريع الامبراطورية ورؤيتها للعالم بصورة تتوافق مع هيمنتها عليه².

ويذهب دباشي الى القول انه خلال قراءته لدراسة الراحل ادوارد سعيد في الاستشراق الى تأسيس جدلي حوله من ثلاثة مسارات مختلفة ولكنها متكاملة:

1/ القراءة المتفحصية في الاغريقية الكلاسيكية (الفرس لأسخيلوس ، 472 ق م والتي بالامكان تسميتها بالاستشراق التنافس).

¹ الوهبي ، مرجع سابق، ص 171-172

² حميد دباشي، مرجع سابق، ص 267

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

2/ المسيحية في العصور الوسطى: (الكوميديا الالهية لدانتي، 1308 / 1321، والتي يمكن اعتبارها استشراق البغض)، الامبراطورية العثمانية (عمل موزات من الحرملك 1782، ويمكن تسميتها استشراق الخوف).

3/ واخيرا نمط انتاج المعرفة الكولونيالي حول الشرق = Orient البعثات العلمية الاستشراقية، او استشراق السيطرة ، النأي بالأدوات الفكرية النقدية الخاصة بقراءة اختراع الشرق عن الأسلوب الادبي السعيدي الذي يتمحور الاستشراق حول المسألة الشائكة للتمثيل، واعادة توجيهها نحو فضاء سيوسولوجيا المعرفة الارحب والاعنى بالمضامين الجذرية والمستدامة وانقاذ سعيد سعيد مما سماه " الانسانية المتبقية" بالنتيجة.

ويفترض دباشي اننا نشهد اليوم شكلا من انتاج المعرفة مجردا من أي صفة للتمثيل، وهذا هو منهج العمل في امبراطورية بلاهيمنة، ثمة هذا التناضح المعرفي - انتاج المعرفة المعنية في مراكز الفكر وارتشاحها في المجال العام ، وهي واجناس مختلفة من معرفة منتجة معدة للاستخدام مرة واحدة، لاتقوم على معرفة ثابتة او مشروعة، وانما اشبه بالسلع ذات الاستعمال الواحد وغير قابلة للاستبدال، معرفة منتجة على شاكلة الوجبات السريعة، اكواب واشواك وملاعق بلاستيكية، كما هو الامل باستخدام ورقة قابلة للتحلل حيويا وتمكن اعادة تدويرها لاغراض بيئية¹.

يتواعم منشأ ودور هذا النمط من انتاج المعرفة مع الوهم الامبراطوري الذي يخدمانه، اذ ان معضلة انتاج المعرفة في عصر الامبراطورية تبدأ من الاصل السياسي لتلك الامبراطورية ، امبراطورية الولايات المتحدة، ومأزقها الما بعد حداثي، ووهما بامتلاك السيادة والمشروعية والسلطة، ما يجب تحطيمه هو سطوة الجذور العسكرية في مفهوم الامبراطورية والتي تمكن من انتاج المعرفة بغض النظر عن الاسلوب، تحطيمها في مصطلحيتها اللغوية الانجليزية الامريكي، على امتداد المسافة التي تميز بين المعاني المختلفة للسلطة².

وبناء عليه فان معرفة الثقافات الاخرى تخضع خاصة الى عدم الدقة غير العلمية، والى الظروف التي تكتنف التفسير، ورغم ذلك يمكننا ان نقول مبدئيا ان معرفة ثقافة اخرى هي ممكنة ومن المهم ان نضيف انها مستحبة اذا تحقق شرطان- وبالمناسبة فان هذين الشرطين لا تستوفيها مجمل الدراسات الشرق اوسطية او الاسلامية الراهنة:

¹ دباشي ، المرجع نفسه، ص 270

² المكان نفسه

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكى الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

اول هذين الشرطين ان يشعر الدارس انه مسؤول تجاه الثقافة او الشعب موضوع الدراسة وان اتصاله بهما لا يقوم على القسر او الاكراه، وقد نشأت المعرفة بالإسلام والشعوب الاسلامية وترعرعت لا من المواجهة والهيمنة فحسب وانما من الكراهية الثقافية ايضا، ونجد ان الاسلام يعرف تعريفا سلبيا على انه في موقع التناقض الجذري مع الغرب وينبثق من هذا التوتر اطار يحد جذريا معرفة الاسلام، وما بقي هذا الاطار قائما لا يمكن ان يعرف الاسلام بوصفه خبرة حيوية واقعية يحيهاها المسلمون، ويصح هذا القول بصورة خاصة، للأسف الشديد على الولايات المتحدة ولا تقل صحة ذلك عن اوروبا الا قليلا¹.

والشرط الاخر متمم ومكمل للأول، ان معرفة العالم الاجتماعي، في مقابل معرفة العالم الطبيعي، هي في الاساس ما درجت على تسميته بالتفسير، فهي تكتسب مكانة المعرفة بوسائل متنوعة بعضها فكري، واكثرها اجتماعي بل سياسي، فالتفسير اولا وقبل وكل شيء شكل من اشكال الصناعة، أي انه يعتمد على النشاط الارادي القاصد الواعي الذي يقوم به العقل الانساني مقولبا ومكونا الاشياء التي يهتم بها بعناية ودراسة، ويتم مثل هذا النشاط بالضرورة في زمان محدد ومكان محدد ، وبينهمك في ادائه شخص محدد المكان ذو خلفية خاصة وفي وضع خاص تحقيقا لعدد من الغايات الخاصة المحددة، وبناءا على ذلك فان تفسير النصوص وهو ما تقوم عليه اساسا معرفة الثقافات الاخرى لا يحدث في مختبر محصن بالامان كما انه لا يدعي لنفسه صفة النتائج الموضوعية، بل هو نشاط اجتماعي من غير المتاح ان نفصم ارتباطه بالوضع الذي نشأ فيه اولا، والذي من المحتمل ان يسبغ عليه فيما بعد مكانة المعرفة او يلفظه بوصفه غير جدير بتلك المكانة، ومن غير الممكن لاي تفسير ان يهمل هذا الوضع ولا يكتمل أي تفسير من غير تفسير الوضع ، ولا يخفى ان ازعاجات غير علمية على غرار العواطف والعادات والاعراف والتقاليد والقيم تشكل جزءا اصيلا من كل تفسير، فكل مفسر هو قارئ هو انا خاصة وعضو في مجتمع تربطه كافة انواع الارتباط بذلك المجتمع، وعلى المفسر الذي يعمل ضمن العواطف القومية كحب الوطن والعواطف الخاصة كاليأس ان يسعى بطريقة منتظمة الى توظيف العقل والمعلومات التي حصل عليها عن طريق التربية الرسمية حتى يتحقق الفهم اولا، ولا بد من بذل مجهود

¹ برنارد لويس ، ادوارد سعيد ، الاسلام الاصولي، بيروت: دار الجيل، 1994، ص 125

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

كبير لاختراق الحواجز القائمة بين وضع معين هو وضع المفسر ووضع اخر، هو الوضع الذي كان سائدا في زمان ومكان انتاج النص¹.

او اذا كانت المجموعة الاولى من المشكلات تتعلق بالاستشراق وقد اعيد النظر اليه من زاوية قضايا محلية مثل من يكتب ويدرس الاستشراق، وفي اية اجواء مؤسساتية وخطابية، ولأي جمهور، وبأية اغراض في الذهن، فان المجموعة الثانية من المشكلات تأخذنا ابعد بكثير، هذه القضايا التي أثارها المنهجية في البدء، ثم تم تطيرها على نحو حاد بفعل اسئلة من النوع التالي: كيف يقوم انتاج المعرفة بالخدمة الافضل للاغراض الجماعية بوصفها نقيض الاغراض الفئوية؟ كيف يمكن انتاج معرفة غير مهيمنة وغير عسفية في اجواء منخرطة بعمق في سياسة واعتبارات ومواقف واستراتيجيات السلطة؟ في هذه الحالات المنهجية والاخلاقية من اعادة النظر في الاستشراق يشير ادوارد سعيد الى مسائل مماثلة اثارها التجارب النسوية feminism او دراسات المرأة، ودراسات السود والاثنية، والدراسات الاشتراكية او المناهضة للامبريالية، وجميعها تستمد نقطة انطلاقها من حق الجماعات البشرية، التي لم تمثل او اسيء تمثيلها من قبل، في التعبير عن وتمثيل نفسها في ميادين جرى تحديدها سياسيا وفكريا بحيث تقصي تلك الجماعات وتغصب وظائفها الدالة والممثلة، وتطمس واقها التاريخي، وباختصار، فان اعادة النظر في الاستشراق من هذا المنظور الاعرض والتحريري لا ينطوي على اقل من خلق موضوعات جديدة لنوع جديد من المعرفة².

ويرى ان ادوارد سعيد ان هناك تعارضات عريضة، بين التحليلات النقدية العديدة التي تناولت الاستشراق كأيدلوجية وكمثال تطبيقي، بقدر ما يتصل الامر بأغراض تلك التحليلات على الاقل، البعض يهاجم الاستشراق كمقدمة للتشديد على فضائل هذه الثقافة الاهلية Native او تلك، وهؤلاء هم الاهليون Nativists، البعض الآخر ينتقد الاستشراق في سياق الدفاع ضد الهجمات التي تطل هذا المعتقد السياسي او ذلك، وهؤلاء هم القوميون، ولدينا ايضا فريق ينتقد الاستشراق بسبب تزييفه لطبيعة الاسلام، وهؤلاء في الاجمال هم الاصوليون، ويرى ادوارد سعيد ان لدى نقاد الاستشراق الراهنيين اهمية خاصة في نقطتين:

¹ المرجع نفسه، ص 126، 127

² ادوارد سعيد، (تر: صبحي حديدي)، تعقيبات على الاستشراق، عمان: دار الفارس للنشر والتوزيع، 1996، ص 35 و36.

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

الأولى هي اليقظة المنهجية الصارمة التي تفسر الاستشراق كنظام نقدي قبل ان يكون نظاما ايجابيا فتخضعه بالتالي الى تمحيص مكثف، والثانية هي التصميم على عدم السماح باستمرار فصل وعزل الشرق دونما تحد، ويضيف سعيد ان فهمه الخاص لهذه النقطة قاده الى الموقع الاقصى المتمثل في الرفض التام لتعيينات من نوع " الشرق " و " الغرب"¹.

وينتقد ادوارد سعيد المستشرق برنارد لويس حجج لويس المتعلقة بنقص المعرفة لدى المسلمين عن اوربا وكأنها المعيار الوحيد المقبول لضمان المعرفة الحقّة، وحجج لويس تقدم بوصفها نابعة من حياد الباحث غير المسيس، في حين انه تحول من جهة ثانية الى سلطة مسخرة لصالح الحملات الصليبية المناهضة للاسلام والمناهضة للعرب، وتلك الصهيونية وخدمة الحرب الباردة، والتي تنفذ بحمية متفجرة بمسحة تمدن ذات صلة واهية للغاية بذلك " العلم " و " التعلم " الذي يزعم لويس انه حامل لوائه².

ويواصل ادوارد سعيد هجومه على المستشرقين الغربيين وهذه المرة على المستشرق دانييل بايبس Daniel Pipes ، الذي تتجلى خبرته في كتابه " على درب الله : الاسلام والسلطة السياسية الصادر عام 1982 ، والموضوع كليا ليس في خدمة المعرفة بل خدمة معتدية وتدخلية هي الولايات المتحدة' يساعد بايبس في تعريف مصالحتها، ويشهد كتاب بايبس على مرونة الاستشراق الفريدة وعلى عزلته عن التطورات الفكرية في جميع الميادين الاخرى عن الثقافة، وعن غطرسته العتيقة البائدة سيما حين يتصل الامر بتلك الطروحات القاطعة التي لا تضع سوى اعتبار طفيف للمنطق والحجة، ويشك ادوار سعيد في ان ايا من الخبراء في أي مكان من العالم يمكن ان يتحدث عن اليهودية او المسيحية بمثل ذلك المزيج من السطوة والتحلل الذي يسمح بايبس لنفسه باستخدامه عند الحديث عن الاسلام، رغم ان المرء يمكن ان يلمح الى تطورات موازية وذات صلة بأساليب الانبعاث الديني في لبنان واسرائيل والولايات المتحدة على سبيل المثال، اما عند بايبس فان الاسلام حكاية متقلبة وخطرة ، وحركة سياسية تتدخل في شؤون الغرب وراحته ، وتحرّض على العصيان والتعصب في كل ارجاء العالم. وفي معرض هجوم سعيد على منهج بايبس الذي يصفه بالعنصري والمؤدلج وانه بعيد عن المعرفة والعلم او الفهم ، ينتقده على عدم الاستفادة من حالات التقدم الهائلة في النظرية النقدية والعلوم الاجتماعية والبحث الانساني وفلسفة التأويل، وبدل صرف جهد قليل في التعرف على ادب المخيلة الواسع الذي ينتجه العالم الاسلامي، ينحاز بايبس

¹ سعيد، المرجع نفسه، ص 41

² المرجع نفسه، ص 43

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكى الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

بصراحة وعناد الى صنف مستشرقين استعماريين من امثال سنوك هورغونه، والى مرتدين ما قبل كولونيليين صفقاء مثل نايبول بحيث يتاح له استسهال مراقبة الاسلام والحكم عليه من وكره العالي في وزارة الخارجية او مجلس الامن القومي¹.

ويرى مصطفى عبد الغني ان الخطاب الاخير للمثقف الغربي تتحدد دوافعه في انه²:

1- يهتم قبل كل شيء بالخطاب المعاصر بعد 11 سبتمبر، الذي بدت فيه التصورات الغربية التقليدية، تعبر عن نفسها بشكل اكثر شراسة وعتنا، انطلاقا من وعي امبريالي اكثر غلوا مما كان.

2- يهتم وينطلق من استراتيجية جديدة تبلورت عبر عصر عسكرة العولمة وتحويلها الى خدمة القطب الاوحد لحد الآن، سواء في النظرة الى الآخر ام في النظرة الى المصالح الامريكية النابعة من وعي القوة بنفسها، وهو ما يقترب من تيار الاستراتيجية الامبريالية الجديد الذي يحمل في روافده عديدا من عناصر الاستشراق السابق. كتاب المستشرقون الجدد ومراكز البحث الامريكى.

ويرى مصطفى عبد الغني في تحليله لمضامين الاستشراق الجديد انهم لم يكتفوا بتزييف الدوافع الامبريالية وحسب، وإنما قفزوا قفزا لربط العقيدة بالارهاب، حين أعادوا ما حدث في عاصفة مانهاتن الى شبكة اسلاموية، وهو معنى يراد به تشويش العقيدة الاسلامية والخروج عن جوهرها النبيل. ص 100. وقد جرى منذ بداية التسعينات البحث عن عدو جديد تؤكد به الاستراتيجية الامبريالية فقد صرح اكثر من مسؤول امريكى ان العدو التالي هو الاصولية الاسلامية، بل وقد اعلن الحلف الاطلسي في بيان له عام 1992 ان الاصولية الاسلامية هي العدو القادم للحلف، حيث ان الاسلام يملك مقومات سياسية شبيهة بالشيوعية ويسعى لمناهضة المشروع الرأسمالي الامبريالي، وفي ضوء هذا يمكن فهم الخطاب الاستشراقي الجديد الذي انصرف مباشرة الى الذين قاموا بهجمات سبتمبر 2001 لم يتصرفوا من تلقاء انفسهم، او دون دعم احد كما لم يفعلوا ذلك لأسباب مجهولة، لقد كان هؤلاء اعضاء في شبكة اسلاموية³.

¹ سعيد، المرجع نفسه، ص 45

² مصطفى عبد الغني، المستشرقون الجدد ومراكز البحث، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2007 ص 08

³ عبد الغني. المرجع نفسه، 101.

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

المبحث الثالث: اشكالية المفاهيم في الاستشراق الامريكي الجديد

يقول المستشرق الفرنسي جيل كيبل في كتابه النبي والفرعون ان انه لا بد من الاصطدام بالعجز عن فهم الشرق عند تناول حركة الاسلاميين، فالدهشة والذهول لهما قيمة تساعد على الاكتشاف وكعلاج للنزعة التلقيفة التي تختزل كل الاشياء غير المألوفة الى مقولات شائعة، او بمعنى اخر تنكر عدم الفتها، والمرء يجب ان يسمح لنفسه بعدم التفهم اذا ادرك الثراء الكامل لحركة الاسلاميين، ويضيف كيبل " انه ليس من قبيل النزوة ذكر هذه الاحتياطات الابستمولوجية الاولية، بسبب بضعة ظواهر معاصرة رصدت بسطحية شديدة وحكم عليها بشكل متسرع مثل هذه الحركة، ويبدو هذا واضحا في المصطلحات التي استخدمت لتعيينها¹، فكلمة الاصولية الاسلامية مثلا تنطق integrisme memusulman بالفرنسية و myslimfundantalisme بالانجليزية، وهذان المصطلحان انتقلا الى العالم الاسلامي بأدوات فكرية مزيفة لتفسر فترات محددة في تاريخ الكاثوليكية والبروتستانتية²، وليس هناك مبرر لهذا الانتقال³.

وينتقد مصطفى عبد الغني بشدة ترديد مصطلح islamicism فله دلالة خاصة في الكتابات الاستشراقية، خاصة الاستشراقية الجديدة منها، وهي دلالة القصد منها في الخطاب الغربي المعادي هو تسييس الدين، والقصد منه الاساءة للعقيدة الاسلامية، وهذا المصطلح يعني حركة دينية سياسية عنيفة ومتطرفة ومتعصبة تهدد العالم بما فيه العالم المسلم، وهو مصطلح او مفهوم يذكر كلما أراد الكاتب أن يسيئ الى اية ممارسة اسلامية، الاكثر من هذا، أنه يربط في الغرب بين الاسلاموية والبلشفية، بما يشير الى ان تعميم المصطلح ودلالاته يسبق استخدامه في البيان في الغرب كله، غير ان العود اليه هذه المرة يشير الى طبيعة الخطاب الامبريالي الجديد في نزوة صعوده، انها الاسلاموية التي اصبحت تترجم الى الارهاب⁴.

ويرى الباحث في الحركات الاسلامية جون اسبوزيتو John Esposito انه ليس للإسلام كدين وكتقافة موقف سلبي من الديمقراطية وحقوق الانسان، ثم انه لا يعتبر التسمية " اصولية " اصولية صحيحة،

¹ جيل كيبل (تر: احمد خضر)، النبي والفرعون، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1988 ص 231

² Marco Ceccarelli. **Analysing the Ideological Roots of Terrorism: La Civiltà Cattolica and Catholic Responses to Islamic Fundamentalism in the Twenty-first Century**, in the root causes of terrorism edited by Mohamoud Mesaeli & Rico Sniler, Cambridge Scholars Publishing 2017, p220

³ Gill kippel **the prophet and pharon**, Lebanon: dar essaqi, 1985 p 223,224

⁴ عبد الغني، مرجع سابق، ص102

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

فتسمية الاصولية fundamentalisme مآثرة كثيرا بالبروتستانتية الامريكية ، في حركة بروتستانتية القرن العشرين تؤكد على حرفية الكتاب المقدس المسر باعتباره اصلا للحياة والتعليم المسيحي¹.

وبالنسبة للكثيرين من المسيحيين المتحررين والعاديين تبدو كلمة اصولي تحد من قدر المرء وتدينه، لانها تطلق دونما تمييز على كل اولئك الذين يحبذون وضعا انجيليا حرفيا ومن ثم يعتبرون جامدين، ورجعيين ومتطرفين، ونتيجة لهذا كانت النظرة الشعبية للاصولية تراها اشارة الى اولئك الحرفيين الذين يريدون ان يعيدوا الماضي ويعيدوا استنساخه².

ويستخدم اسبوزيتو بدلا منها التسمية بالاحيائية او الفعالية ذلك انّ لمصطلح " اصولية" معناه المحدد، ضمن التاريخ البروتستانتى وهو لا ينطبق على ظواهر الاسلام المعاصر، بعدها يتصدى اسبوزيتو الى اسباب ظهور " الاحيائية الاسلامية" والاسلام السياسى، فقد نهض العرب والمسلمون الأخرى بعد الاستيلاء الاستعماري ليحاولوا التحرر من قبضته، وإنشاء اجتماعات وكيانات جديدة ومستقلة، لكن مشروع الدولة به صعوبات عديدة همشت في سياقها جماهير شعبية واسعة هي التي تحركت في اوساطها الاحيائية الاسلامية، اذ وسط الكوربواتية الوطنية والقومية السائدة جرى تجاهل مسائل رمزية ذات معنى كبير تتعلق بالهوية الثقافية والاصالة ورؤية المرء لذاته ودوره، وعندما فشل المشروع التنموي ولم تبق غير الانظمة الشمولية وجدت الاسئلة الرمزية حول المعنى والهدف اجوبة جاهزة لديها في الدين، فعلة الفشل في مواجهة اسرائيل، وتحقيق الوحدة والتنمية، البعد عن الله، والعودة الى الله في نظر الاحيائيين كفيلة بانتصار الهوية، والقوة والقيم الاسلامية، ولا يعتبر الاسلاميون انفسهم اعداء للثقافة او التقدم انما

يرفضون التغريب والعلمنة اللذين يعنيان خضوعا للغرب وقيمه ومصالحه بعد ان ناضل المسلمون والعرب طويلا للتخلص من سيطرته³.

¹ جون اسبوزيتو (تر: قاسم عبده قاسم) ، التهديد الاسلامي حقيقة ام خرافة، القاهرة: المركز القومي للترجمة ، 2009، ص 31.

² المرجع نفسه، ص 32

³ جون اسبوزيتو ، التهديد الاسلامي، وهم ام حقيقة مراجعة رضوان السيد ،مجلة الاجتهاد، لبنان: دار الاجتهاد للابحاث والترجمة والنشر، العدد 21 خريف، 1993، ص 229. 230

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الأمريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

نظرًا لاختلاف المجال التداولي وارتباط مصطلح الإسلام السياسي بالفضاء الأوروبي - الأمريكي وانطوائه على أبعاد أيديولوجية سياسية ونزعة مركزية غربية، رأى فهمي جدعان فيه بدعة أيديولوجية حديثة وانحرافًا عن الإسلام، ولا نغفل، في هذا المقام، جهد محمد سعيد العشماوي في قصف هذا المصطلح، في حين نجد مقابل ذلك عددًا من العلماء المعروفين مثل الشيخ يوسف القرضاوي يفند تهمة الإسلام السياسي وخطأ تقسيم الإسلام إلى أنواع متباينة؛ كإسلام أخلاقي وإسلام اجتماعي، وأن السياسة جزء من الشريعة لا تنفصل عنه¹.

تكشف التواريخ الحديثة عن فشل ذريع للقدرة التفسيرية والتنبؤية للعلوم الاجتماعية عمومًا وحقل الإسلاميات خصوصًا، فكبار الخبراء من الباحثين المشتغلين في حقل الإسلاموية وما بعدها، برهنوا عن إخفاق تام في مجال المستقبليات، فقد بشر أوليفيه روا، وهو من أشهر الباحثين في مجال الحركات الاجتماعية عمومًا والجماعات الإسلامية خصوصًا، مطلع تسعينيات القرن الماضي بفشل الإسلام السياسي، في كتابه «إخفاق الإسلام السياسي»، محاولًا استكشاف أوجه القصور التي شابته، الأمر الذي أفضى في النهاية حسب روا إلى إفراغه من مضمونه، وأفضى لتحوّله إلى سلفية جديدة، لا يشغله شاغل سوى تطبيق القانون الإسلامي، دون أن يخترع أشكالًا سياسية جديدة. وشدد روا على أن الإسلاموية فقدت محركها الأصلي ومحرضها الأول، وما عادت تقدم نموذجًا لمجتمع آخر، أو لغدٍ مشرق، الأمر الذي أفضى إلى ولادة مصطلح ما بعد الإسلام السياسي. وقد دحضت ثورات الربيع العربي أطروحات الفشل والأقول، كما أخفقت نبوءات آصف بيّات وهو أحد كبار المختصين في الحركات الاجتماعية في الشرق الأوسط وحركات الإسلام السياسي، فقد «بدا مؤمنًا بانحسار الأدبيات الإسلامية منذ وقت سابق على التطورات السياسية الأخيرة في المنطقة، حيث كان قد نشر في عام 1996 أحد أوراقه التي اكتسبت شهرة والتي جاءت تحت عنوان: «قدوم المجتمع ما بعد الإسلاموي»، وكان بيّات ينطلق في ورقته تلك من الحالة الإيرانية، التي رأى أنها في طريقها لتجاوز الشعارات الثورية الإسلامية بعد أن استنفدت أغراضها وبدأت في بناء الدولة الحديثة، مستشهدًا بولادة تيار إصلاحية جديد «ما بعد إسلاموي». وتحدث بيّات عن الرغبة الشبابية الجارفة في تجاوز الدوغمائية التي ارتبطت بالعيشية الأولى من الثورة، وما اشتملت عليه من حالة استنفار فرضتها ظروف الحرب مع العراق»، فنبوءة بيّات «حول الواقع الإيراني نفسه لم تكن موفقة، حيث أن النظام الإيراني تمسك أكثر بشريعته الدينية التي أعطاهها الأولوية

¹ مسفر بن علي القحطاني، صدام القيم قراءة ما بعد التحولات الحضارية، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 1، 2015، ص 122.

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

على حساب لعبة الديمقراطية والانتخاب، كما أثبتت الأيام أن ما بدا وكأنه تيار إصلاحى داخلى قوى داخل إيران لم يكن سوى وهم مهمته إضفاء بعض التوابل على مسار سياسى معطوب، رغم ذلك فإن الحديث عن نهاية الإسلام السياسى أو مرحلة ما بعد الإسلاموية ظل رائجاً¹.

رغم وجود اختلاف ظاهر بين أنصار مقارنة الإسلاموية ومرحلة ما بعد الإسلاموية، والمقاربة الاستشراقية التقليدية للإسلام، إلا أن ما بعد الإسلاموية لا تخلو من الأثر الاستشراقى فى سياق ظاهرة الاستشراق الجديد، وهى مقارنة مشبعة بالجهرانية والسكونية الأثيرة للمؤسسة الاستشراقية القديمة، فالأكاديميون ذوو وجهات النظر الليبرالية القديمة، والذين ينكرون تماماً وجود حركات مرحلة ما بعد الأسلمة، يناهزون إلى الجهرانية بدلا من السياقية. يصرّ الخطاب الاستشراقى الثقافوى الجديد على أن تمثّلات الإسلام المختلفة تكتيكية وليست استراتيجية، ولا فرق نوعى بين نهضة الغنوشى وخلافة البغدادى، فالجميع بهدف إلى ترسيخ أجندته الإسلاموية عبر تكتيكات والتفافات خطابية لا تتطوى على تبين مخلص للتعددية الديمقراطية².

يكشف التوسع باستخدام مصطلح «الإسلام السياسى» عن خلط وتشوش مع مصطلحي «الإسلام الجهادى» و«الإسلام الدعوى»، فى كتاب «إعادة التفكير فى الإسلام السياسى» وهو مجموعة من الدراسات والأبحاث والمقالات جمعها شادى حميد وويليام ماكانتس حول الإسلام السياسى من خلال تعريف ما يسميه الكاتبان «إسلاميو التيار السائد»، يستخدم حميد وماكانتس هذا المصطلح للإشارة إلى الأحزاب الإسلاموية «التي تعمل ضمن حدود السياسات المؤسسية، وتكون مستعدة للعمل داخل هياكل الدولة القائمة، حتى تلك البنى العلمانية ظاهرياً»، وتشمل المجموعات التي ينطبق عليها هذا الوصف جماعة الإخوان المسلمين فى مصر والأردن، وحزب الإصلاح فى اليمن، وحزب العدالة المزدهر فى إندونيسيا، وغيرها الكثير³.

رغم التنوع الكبير فى فهم الإسلام السياسى، يندرج محلو الإسلام السياسى فى فئتين رئيسيتين؛ الأولى: يمكن أن يُطلق عليها اسم «وجهة النظر السياقية»، والتي تعتقد بأن سياسات وممارسات الأحزاب

¹ حسن ابوهنية، مستقبل الإسلام السياسى، موقع حبر، تاريخ الزيارة 10 / 01

<https://www.7iber.com/politics-economics/the-future-of-political-islam2020>

² المرجع نفسه

³ ابو هنية، المرجع نفسه

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

السياسية لا تقودها الأيديولوجية بقدر ما تقودها الأحداث، وترى إلى هذه الجماعات باعتبار أنها تعمل برد الفعل وتميل إلى التكيف، ويلاحظ العالم السياسي ستيفن بروك أن أصحاب النظرة السياقية يعتقدون بأن الجماعات الإسلامية تسعى إلى التكيف مع الظروف والأعراف الخاصة بالبلد المعني، والهدف الرئيسي لهذه الجماعات هو البقاء على قيد الحياة كمنظمات متماسكة وكفاعلين سياسيين. وفي كثير من الأحيان، لا يعدو استخدامها للخطاب الديني كونه «كلام إسلامي»، أما المدرسة الثانية للفكر فهي تلك التي يمكن أن تدعى «وجهة النظر الجوهريّة»؛ وهي ترى أن الإسلاميين هم في الأساس أيديولوجيون، وأن أي تنازلات يقدمونها للمبادئ أو المؤسسات العلمانية إنما هي تحركات تكتيكية بحتة؛ حيث لا تمنعهم مشاركتهم في السياسات الانتخابية من الدعوة إلى الجهاد العنيف أيضاً، ووفقاً لهذه النظرة، فإن المفهوم الإسلامي الحقيقي للديمقراطية هو «رجل واحد، صوت واحد، مرة واحدة». وبعبارة أخرى، يرى الإسلاميون، بحسب أصحاب هذا الفكر، صندوق الاقتراع مجرد طريق إلى السلطة؛ وبمجرد أن يصبحوا هناك، فإنهم يستبدلون الديمقراطية بالثيوقراطية، والنتيجة الطبيعية لهذه الأطروحة هي الفكرة القائلة إن اللاهوت الإسلامي لا يعترف بأي فصل بين الدين والسياسة، وبذلك لا يستطيع الإسلامي الموثوق والحقيقي أن يتخلى عن أجدنته الأيديولوجية لصالح مقاربة أكثر براغماتية أو ديمقراطية¹.

في سياق الاستشراق ودراسة الحركات الإسلامية، لا تزال الأدوات والأهداف ذاتها. وستصبح مهمة مبشّري الليبرالية الأميركيين والأوروبيين، أي أولئك الذين يرون أن من سيفقد المجتمع الدولي في المستقبل لن يكون سوى رجل على دين العلمانية، التبشير بنظامهم القيمي ونموذجهم الاجتماعي والسياسي لكل المسلمين بُغية إنقاذهم وتخليصهم من النظام الاستبدادي الذي يحكمهم. وترنو هذه العملية التبشيرية إلى تحويل المسلمين والإسلام إلى الليبرالية الغربية ونظامها القيمي بَعْدَ النظام الوحيد العادل والعاقل الذي ينبغي على كوكب الأرض بأكمله تبنيه. وكما بين طلال أسد، فإن مهمة الليبرالية تتمثل في «إعادة تشكيل» التقليد الإسلامي «على شاکلة المسيحية البروتستانتية الليبرالية». وهي تُصوّر مقاومة المسلمين لهذه المهمة على أنها رفضٌ للحدثة ولقيم الليبرالية مثل الحرية، والتحرر، والمساواة، والحقوق المدنية، والمواطنة الديمقراطية، وحقوق النساء، والحقوق الجنسية، وحرية العقيدة، والعلمانية، والعقلانية، إلخ.

¹ المرجع نفسه

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

بصدد نقض مقولات الاستشراق الجديد، جادل فرانسوا بورغا منذ فترة بعيدة حول خطأ فرضية فشل الإسلام السياسي، وأكد على استمرار ثبات ثلاثة عوامل ذات صلة، وهي: أولاً: أسباب اجتماعية سياسية أدت إلى صعود الإسلاموية في المقام الأول، وثانياً: قدرة الخطاب الإسلامي حول الحداثة على تعبئة جمهوره بمصطلحات داخلية ذاتية، وثالثاً: التلاعب الذي تمارسه أنظمة مختلفة بخصوص التهديد الإسلامي. وفي ذات السياق عمل آلان روسيون على تفكيك الأشكال الجديدة للاستشراق في إطار ما بعد الإسلاموية، إذ يشكك روسيون في الباحثين السياسيين الفرنسيين المتخصصين في دراسة الإسلام، ويحذر من «الثقافات الفطرية» التي نجدها في تحليل ما يسمى بالأجندة السياسية لمرحلة ما بعد الأسلمة، ويعتقد روسيون أن أولئك الذين يجادلون لصالح فشل الإسلاموية أمثال جيل كيبييل وأوليفيه روا يعملون في ظل نفس المنطق المشوه الذي كان قد أدى بهم في السابق إلى تعليق أهمية مفردة على تحليل الواقع السياسي العربي - الإسلامي بالمصطلحات الإسلامية، فكيبييل وروا يعتقدون أن الإسلام يحدد أي شيء وكل شيء يدور في المجتمعات المسلمة¹.

ومما يؤخذ على الاستشراق الامريكي الجديد كذلك هو اشكالية تصنيف الحركات الاسلامية بين الاعتدال والتطرف، فلا يوجد مقياس موضوعي تصنف على اساسه الحركات الاسلامية فمثلا تصنف حركة الاخوان المسلمين في مصر وفروعها بالتطرف من طرف بعض المستشرقين وفي دوائر صنع القرار الامريكي رغم تبنيها العمل السياسي الديمقراطي وقبولها بالقيم الليبرالية كمشاركة المرأة والانتخابات ونبذ العنف بجميع اشكاله وتصنف حركة المقاومة الاسلامية في فلسطين حماس حركة ارهابية وهي حركة مقاومة ضد المحتل الاسرائيلي، كذلك الامر لحركة حزب الله اللبنانية الممثلة في البرلمان اللبناني المصنفة هي الاخرى منظمة ارهابية...الخ، فمهوم الاعتدال حسب الرؤية الامريكية هو الاعتراف بإسرائيل والقبول بالقيم الليبرالية الغربية السياسية والاقتصادية وحتى الاجتماعية اما التطرف فهو رفض كل هذه المبادئ والقيم، لكن الوقائع والاحداث تكشف ان الموقف من اسرائيل والمصالح الامريكية هو الذي يحدد بشكل كبير درجة الاعتدال او التطرف من طرف صانع القرار الامريكي.

¹ ابو هنية، المرجع نفسه

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الأمريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

يبالغ العقل الاستشراقي الأمريكي في الخطر الذي تشكله الحركات الإرهابية المحسوبة على الاسلام كالقاعدة وفروعها وداعش وجبهة النصرة، واعتبارها تشكل تهديدا للمصالح الأمريكية وامنها القومي، لكن يلاحظ ان جل الهجمات والضحايا للتنظيمات المتطرفة من المسلمين فوفقا لبيانات مؤشر الإرهاب العالمي، فإن من بين البلدان العشرة الأوائل التي تواجه أكبر تهديد للإرهاب، ثمانية بلدان ذات أغلبية مسلمة. وحسب تقرير صادر عن المركز الوطني الأمريكي لمكافحة الإرهاب تبين بعد تحديد الانتماء الديني لضحايا الهجمات الإرهابية، أن المسلمين كانت نسبتهم 82 إلى 97 في المئة من قتلى الهجمات خلال السنوات الخمس الماضية، وأكد المركز أن المسلمين أكثر عرضة من غير المسلمين بسبعة أضعاف، أن يكونوا ضحايا للهجمات الإرهابية مؤشر الإرهاب العالمي، الذي يدار من جامعة ميريلاند بتمويل من الحكومة الأمريكية، لا يعرف بالفعل من ينفذ 50 في المئة من الهجمات الإرهابية التي حصلت حتى اليوم، ومع ذلك، فإنه بين عامي 2001 و 2015، وقعت 75 في المئة من الوفيات من الهجمات الإرهابية في البلدان ذات الأغلبية المسلمة.

وكشفت نتائج مؤشر الإرهاب العالمي لمنطقة الشرق الأوسط 2019، ، عن قائمة الدول العشر الأكثر تأثراً بالإرهاب، وهي أفغانستان، العراق، نيجيريا، سورية، باكستان، الصومال، الهند ، اليمن، الفلبين، الكونغو الديمقراطية، وسجل المؤشر انخفاض عدد الوفيات بسبب الحوادث الإرهابية بنسبة 52% مقارنةً بالفترة ذاتها من عام 2014، والتي شهدت ذروة نشاط "داعش" و"بوكو حرام"، إلا أن الحوادث اليمينية المتطرفة في الغرب قد ارتفعت بنسبة 320%، مشيراً إلى أن الأيديولوجية السياسية تمثل قوة دافعة لارتفاع نسبة الدافع الإرهابي¹. وفي سياق ذي صلة قامت جامعتا جورجيا وألاباما الأمريكيتان بدراسة قارنتا فيها التغطيات الإعلامية التي تحظى بها الهجمات "الإرهابية" المرتكبة من قبل متشددين إسلاميين وبين تلك التي يرتكبها غير المسلمين في الولايات المتحدة، وجد الباحثون أن "الهجمات الإرهابية" التي يقوم بها متشددون إسلاميون تحظى باهتمام إعلامي أكبر بـ 357 في المئة مقارنة مع الهجمات التي نُفِدت من قبل غير المسلمين أو البيض، فالهجمات "الإرهابية" التي قام بها غير المسلمين والتي لم تُصنّف تحت اسم دين معين، كان نصيبها من التغطية الإعلامية ما يقارب الـ 15 عنواناً من عناوين الصحف، أما عدد العناوين التي ارتبطت بهجمات قام بها "متشددون إسلاميون" فبلغ 105 عنواناً.

¹ Global Terrorism Index 2019, The Institute for Economics & Peace, New York

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الأمريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

ونقل موقع BBC سنة 2019¹ وفقاً لبيانات "الإرهاب العالمي"، ان هناك فرق واضح في التغطية الإعلامية لجميع الهجمات "الإرهابية" بين عامي 2006 و 2015، إذ قام "الإرهابيون البيض" أو المتطرفون (من دون ذكر دياناتهم) بما يقارب ضعف عدد الهجمات التي قام بها "متشددون إسلاميون" بين عامي 2008 و 2016، وقالت الباحثة إيرين كيرنز، "صنّفنا تلك الهجمات وفقاً لنوعين مختلفين من المصادر، فوجدنا أن التغطية بشكل عام أكبر بكثير في أخبار الصحف الوطنية (الحكومية) منها في الصحف المحلية".

تناول فريق الباحثين 136 هجوماً إرهابياً، نُفّذت جميعها في الولايات المتحدة بين عامي 2006 و 2015 ، وقام الفريق بدراسة تحليلية لوسائل الإعلام المطبوعة والإلكترونية مستخدمين المعلومات التي حصلوا عليها من قاعدة "بيانات الإرهاب العالمي". فتبين أن المسلمين ارتكبوا في المتوسط نسبة 12.5 في المئة من تلك الهجمات، وهي نسبة ضئيلة مقارنة مع نسبة ما ارتكبه البيض، وقالت أليسون بيتوس، طالبة الدكتوراه بجامعة جورجيا، إن هذه النسبة العالية من التغطية الإعلامية كوّنت فكرة تقليدية لدى الأمريكيين مفادها أن الهجمات "الإرهابية التي ينفذها مسلمون" هي الأكثر انتشاراً في البلاد، وأشارت الدراسة إلى زيادة التغطية الإعلامية بنسبة 287 في المئة في حال اعتقال الفاعلين، وزيادة بنسبة 211 في المئة إذا كان المستهدف هو جهة رسمية أو حكومية، وزيادة بنسبة 46 في المئة في حال وقوع قتلى في تلك الهجمات.

وأوردت دراسة لجامعة جورجيا في عام 2017، مثالين في دراستها. الأولى كانت تفجير ماراثون بوسطن في الولايات المتحدة عام 2013 والذي نفذه شقيقان من أصول شيشانية، وقُتل وقتها ثلاثة أشخاص. حظي هذا الحادث بتغطية إعلامية تخطت 20 في المئة من إجمالي التغطيات التي تحدثت عن "الهجمات الإرهابية" خلال تلك الفترة، أما "الهجوم الإرهابي" الثاني، فارتكبه ديلان رون، وهو أمريكي ذو بشرة بيضاء في كنيسة أمريكية أفريقية بولاية كارولينا الجنوبية، وقتل تسعة أشخاص، لكن الحادث لم ينل أكثر من 7.4 في المئة من التغطية مقارنة مع الهجوم الأول، وتوصلت الدراسة من خلال بحثها في التغطية غير المتناسبة من قبل وسائل الإعلام الأمريكية، إلى أن هناك خوفاً من "الإرهاب الإسلامي" بين عامة الناس، أكثر بكثير من أي نوع آخر من الإرهاب الذي يقوم به من غير المسلمين، كما أظهرت

¹ الولايات المتحدة: لماذا تحظى "الهجمات الإرهابية للمتشددين الإسلاميين" باهتمام إعلامي أكبر؟، منشور على الرابط :

<https://www.bbc.com/arabic/world-47369538>

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكى الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

الدراسة أن التغطية الإعلامية غير المتناسبة التي يقدمها الإعلاميون سواء كان عن وعي أم من دونه، يساهم في خلق نمط من التفكير الذي يفضي إلى خوف الأفراد من الهجمات المرتبطة بالإسلام أكثر من غيرها.

المبحث الرابع: الازمة الراهنة للاستشراق الامريكى الجديد ومستقبله.

هناك مجموعة من العوامل التي تجعل الاستشراق الامريكى يعيش ازمة ليس فقط على المستوى المنهجي والابستمولوجي وانما حتى على المستوى الانطولوجي، بسبب فقدان الولايات المتحدة لمصادقيتها كدولة راعية للقيم الديمقراطية والانسانية وفشل سياستها في الشرق الاوسط وغموض مواقفها في التعامل مع الحركات الاسلامية التي وصلت الى سدة الحكم بعد الثورات العربية 2011 التي شهدتها بعض دول المنطقة، ورغم كثرة التنظير والتوصيات من مراكز البحث والاكاديميين بإمكانية التعامل مع حركات الاسلام المعتدل الذي تمثله حركة الاخوان المسلمين كنموذج قابل للنجاح ، الا ان الواقع اثبت العكس فقد توجست من وصولها الى الحكم بل وغضت الطرف عن الانقلاب الذي حدث في مصر سنة 2013 ليتبين تأثير المقولات الاستشراقية التي تضع جميع الاسلاميين في سلة واحدة لدى صانع القرار الامريكى الذي يمثلته اليمين المتطرف بقيادة الرئيس الامريكى دونالد ترامب الذي تتميز سياساته بالشعبوية والتأثير الواضح للفكر الاستشراقي في سياسته حيال مسائل الهجرة والارهاب وقضايا الديمقراطية في الشرق الاوسط، ونظرته للعرب والمسلمين.

المطلب الاول: الازمة الراهنة للاستشراق الامريكى الجديد

تعود جذور نقد الاستشراق الى عصر النهضة الفكرية الحديثة في العالم الاسلامي منذ بدايته، وكان محور هذا النقد دينيا دفاعيا، بالمعنى الذي تدل عليه الكلمة الانجليزية Apologetic ، اما العنصر السياسي فكان غائبا في كثير من الاحيان واذا وجد فقد كان هامشيا يرتد في نهاية الامر الى خدمة الهدف الديني، وهكذا فان الموجة الحالية في الهجوم على الاستشراق، التي كان معالمها كتاب احرز شهرة واسعة هو كتاب ادوارد سعيد، ليست جديدة في العالم العربي على الاطلاق، ولكن الجديد حقا هو ان الطابع السياسي- الحضاري قد اصبح المحور الاساسي لهذا النقد الجديد ، اما الجانب الديني فقد اختفى او توارى الى حد لم يعد يمثل معه الا واحدا فقط هو هدف مساعدة العالم الغربي في السيطرة على الشرق، بأوسع معاني هذه الكلمة، وهكذا فان بؤرة الاهتمام في هذا النقد الجديد قد انعكست، ولم يكن ذلك بالامر المستغرب، لان الذين حملوا لواءه لم يكن متوقع منهم، بحكم تكوينهم الثقافي ان يكونوا دعاة

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكى الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

دينين، وانما هم اساسا متقفون علمانيون، بل ان اهم مثل انور عبد المالك وادوارد سعيد مسيحيون ، ومن ثم كانت نظرتهم الى الاسلام حضارية في المحل الاول¹ .

بعد ان اصدر ادوارد سعيد كتابه الاستشراق بأربعة اعوام كتب برنارد لويس مقالة طويلة بعنوان مسألة الاستشراق يتناول فيها ما توصل اليه المستشرقون في مؤتمرهم العالمي في باريس عام 1973، فكان مما قاله" لقد اصبحت كلمة " مستشرق" منذ الان فصاعدا ملوثة هي الاخرى ايضا، وليس هناك امل في الخلاص ولكن الضرر هنا اقل لان الكلمة كانت فقدت قيمتها وحتى اولئك الذين تدل عليهم تخلوا عنها، وكانت مناسبة جيدة لإعادة النظر في طبيعة المؤتمر ووظائفه، ثم سرعان ما تبين لهم انهم متقفون جميعا على ضرورة التخلي عن هذه التسمية².اي ان كلمة مستشرق اصبحت محرجة في الغرب ولذا تم الاستعاضة عنها في الولايات المتحدة الامريكية بمسميات جديدة كدراسات الشرق الاوسط واستبدل مصطلح المستشرق بمصطلح الخبير او المتخصص.

ويرى رضوان السيد ان انتقاد الاستشراق تعبيرا عن العلاقة المعقدة بين الغرب من جهة، والغرب والمسلمين من جهة ثانية، ففي الوقت الذي كان فيه جمال الدين الافغاني ومحمد عبده وقاسم امين و رشيد رضا ينتقدون مقاربات الدارسين والسياسيين الفرنسيين والبريطانيين للمجتمعات الاسلامية وتقاليدها ودينها استنادا لقيم الحداثة والعدالة الاوروبية، كان المتقفون الهنود والجايون والأتراك يقومون بالأمر نفسه بالنسبة لرؤى دارسين وسياسيين اوروبيين لبلدانهم وتقاليدهم الاسلامية، وقد رأى الناقدون المسلمون ان تلك الرؤى والانطباعات تهدف لأمرين اثنين: كسر مقاومة المجتمعات الاسلامية للاستعمار بحجة انها تتسم بالهمجية وبالقروسطية، وتسويغ السيطرة الاوروبية باعتبار انها تحمل رسالة الرجل الابيض في المدينة والتقدم³. وهكذا يترأى ان انتقاد الاستشراق في تلك الفترة حمل لواءه كل المتقفين والمفكرين الشرقيين الذين يعيشون في الشرق.

¹ فؤاد زكرياء ، نقد الاستشراق وازمة الثقافة العربية المعاصرة نقد المنهج . المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، 2017ص

² مازن المطبقاني ، هل انتهى الاستشراق حقا، منشور على الشبكة العنكبوتية على الرابط التالي:

<https://www.kutub-pdf.net/downloading/76OPt.html> ، ص 287

³ السيد، نقد الاستشراق، مرجع سابق، ص 4

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

وبحسب دارسون ان انكسار الاستشراق يعود الى حملة ادوارد سعيد الشرسة والدامغة عليه، والواقع ان اكثر ما زرع من طمأنينة المستشرقين الثورة في الدراسات الانسانية والعلوم الاجتماعية، وحدة النقد الموجه الى التاريخانية التي ظلت تسود الاستشراق حتى مطلع الثمانينات، وجاءت القشة التي قصمت ظهر البعير فيما عرف بالاستشراق الجديد، والذي تمثل بدراسات وقراءات نقضة للقرءان والنبى والسيرة النبوية، بعد دراسات مماثلة عن السنة والتاريخ المبكر للدين الاسلامي، وقد عكست تلك القراءات الحادة والراديكالية نتائج الحرب الباردة في السياسة كما في الثقافة، انتصار الغرب الاطلسي، وانهيار المنظومات الثقافية التي استند اليها خصومه، وتعمق الكيان الصهيوني ومد انتصاره الى التاريخ البعيد، وتفكك العقلانية التوليفية في حقبة ما بعد الحداثة¹.

ولنا ان نتساءل ما الاسباب التي ادت الى ان تصبح كلمة "مستشرق ملوثة"؟ هل اتى هذا التلوث بما ارتكبه من اخطاء جسيمة في دراساتهم للاسلام ولتاريخ الامة الاسلامية" فلو توقفنا عند الاستشراق في القرون الوسطى الاوروبية نجد ان الاوروبيين انفسهم قد اكتشفوا ضخامة الاحقاد التي حملتها تلك الكتابات التي كانت حملتها تلك الكتابات التي كانت مدفوعة بمحاربة الاسلام وتشويه صورته في اذهان الغربيين حتى لا يُقبلوا على الاسلام، او حتى يستخدمها المنصرون الذين بدؤوا ينطلقون الى انحاء العالم لنشر ديانتهم او السيطرة على الشعوب الاخرى التي كانوا وما زالوا يرونها اقل منهم حضارة².

وقد ظهرت كتابات قديمة تنتقد الاستشراق القديم، ومنها على سبيل المثال ما كتبه ريتشارد سوذرن في كتابه "صورة الاسلام في القرون الوسطى" وكتاب نورمان دانيان "الاسلام والغرب" وفي بعض كتابات مونتغمري وات وغيره من الباحثين الغربيين³.

ولكن هل توقفت الصورة السلبية للاسلام في الكتابات المعاصرة؟ فهذا لويس الذي يؤكد نهاية الاستشراق كتب مدة تزيد عن نصف قرن حول الاسلام والمسلمين، اهتم في كثير من كتاباته الاولى بالفرق الاسلامية من امثال الشيعة والحشاشين والاسماعيلية وغيرهم، وأما كتاباته المعاصرة فقد اهتم فيها

¹ المرجع نفسه، ص 5

² المطبقاني، المرجع نفسه، ص 287

³ المرجع نفسه، ص 288

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

بالديمقراطية والاسلام والتعددية والحركات الاصولية - كما رأينا في الفصل السابق - مستقيدا من خبرته في التاريخ الاسلامي ليطعن في الاسلام والمسلمين¹.

والاسباب التي ادت الى تلوث مسمى استشراق كثيرة، ومن ذلك: ارتباط بعض المستشرقين بالدوائر السياسية والمخابراتية لبلادهم، حيث قدموا خدمة الاغراض السياسية على الاخلاص للبحث العلمي، كما ان بعضهم كان مدفوعا بأحقاد الماضي التي لم يستطع التخلص منها، وهل انتهى التلوث لهذا الاسم بعد لم يعد في معظم الجامعات الاوروبية والامريكية اقساما يطلق عليها اسم الاستشراق، فالذي يبحث في انتاج هذه الاقسام او الاساتذة الذين يعملون فيها او الاهتمام الذي يولونه لبعض العرب والمسلمين المتأثرين بالفكر الغربي في النظرة الى الاسلام والمسلمين او الذين ترفضهم المجتمعات الاسلامية فيجدون الملاذ الآمن في المجتمعات الغربية يعرف ان التلوث ما زال قائما، حتى في الاقسام الجديدة فقد تغير الاسم وبقي المسمى².

ويرى باحث آخر انه ليس هناك استشراق، ولكن هناك "علم صينيات او علم ايرانيات.. الخ، هناك فقط تخصصات علمية محددة من قبل موضوعها واشكالياتها الخاصة كعلم الاجتماع، وعلم السكان، وعلم الاقتصاد السياسي، وعلم اللسانيات... ويمكن تطبيق مناهج هذه العلوم على الشعوب والمناطق المختلفة في فترات مختلفة، عن طريق الاخذ بعين الاعتبار خصوصيات هذه الشعوب او المناطق وتلك الفترات³.

إن ظهور هذه الاسماء الجديدة او الاقسام والتخصصات والتفرعات الجديدة، لا يعني نهاية الاستشراق ونما تطور طبيعي لمجال معرفي كان محصورا في عدد محدد من المتخصصين في الشرق، وبخاصة العالم العربي الاسلامي، ولما اصبحت العلوم المختلفة ذات كيانات مستقلة كعلم الاجتماع وعلم الانسان والعلوم الاخرى واصبح لها معطيات ومناهج جديدة فلا بد ان يستفاد منها في دراسة الشعوب الاخرى، للتمكن من المعرفة الدقيقة لهذه الشعوب⁴.

¹ المرجع نفسه، ص 289.

² المكان نفسه

³ المكان نفسه

⁴ المكان نفسه

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكى الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

ويرى رودينسون انه بالرغم من ذلك فان كثيرا من المستشرقين ما زالوا مصرين على وجود هذا المجال، وانهم كما يقول سجناء الاستشراق منغلزون على انفسهم داخل غيتو، وهم سعداء في ذلك غالبا، بل ان مفهوم الاستشراق نفسه ناتج عن ضرورات عملية عابرة النقى عندها العلماء الاوروبيون المتمرسون بدراسة الثقافات الاخرى، وشوهت هذه الحالة بقوة رؤيتهم للاشياء¹.

وكان من الملاحظ في المؤتمر الاخير الذي عُقد تحت مسمى المؤتمر العالمي للدراسات الاسيوية وشمال افريقيا بودابست بالمجر 1997 التمسك بكلمة استشراق حيث ردد هذه الكلمة كثير من الباحثين الغربيين والعرب المسلمين في المؤتمر، ولم تكن لتثير أي اعتراضات، سوى ما كان من النقاشات الجانبية مع بعض الباحثين الامريكين او الاوروبيين الغربيين مؤكدين انه لم يعد هناك استشراق، ولكن دراسات اقليمية، ودراسات مناطق، ودراسات اجتماعية، وانثروبولوجية، وسياسية، وغيرها، حول الشعوب المختلفة².

وليس الامر صحيحا في ان مفهوم الاستشراق نفسه ناتج عن ضرورات عملية، وأن هذه الحالة شوهت بقوة رؤيتهم للاشياء، فما زال الباحثون الغربيون ينهلون من الكتابات الاستشراقية، وما زالت بعض كتاباتهم تحتوي على التشوهات نفسها التي ظهرت حتى في كتابات القرون الوسطى الاوربية، وقد اصبحت كتابات المستشرقين مصادر لكثير من الاعلاميين فانقلت التشوهات والاطياء والمفتريات الاستشراقية من المجال الاكاديمي الى المجال الاعلامي - كما راينا في الفصل السابق - فازدادت انتشارا وذلك لسيطرة وسائل الاعلام في مجال نشر الفكر والثقافة في العصر الحاضر، ويؤخذ على الاعلاميين انهم يأخذون ابحاث المستشرقين الغربيين على انها مسلمة ثابتة، وليست افكارا قابلة للخطأ والصواب، وقابلة للتحييز والانصاف³.

ويرى المفكر عبد اله بلقزيز ، ان ما يعد اليوم دراسات اسلامية في الغرب ليس من الاستشراق ولا من تقاليد العلمة في شيء، وهو من التردى والانحطاط بمكان لا يجوز نسبته الى الاستشراق، او حسبانه جزءا من تاريخه، انه الى الخطاب المركزي الغربي الفاعل الايديولوجية، اقرب، ويضف بلقزيز انه حينما يتحدث عن الاستشراق كما لم يحفل بأمره مثقفوا الحداثة العرب والذين خاضوا في نقد الاستشراق،

¹ المكان نفسه

² المرجع نفسه، ص 290

³ المكان نفسه

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكى الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

ومع تهاة ما يكتب في الغرب اليوم منذ السبعينات، تحت عنوان "الدراسات الاسلامية" فانه يطلعنا على ان المحاولة الوحيدة التي خطتها الثقافة الغربية نحو فهم عوالم اخرى، غير غربية، والاقتراب منها وتفهمها تبوء بالفشل وتزول الى اضمحلال وزوال، لتخلى المكان امام خطاب النرجسية والتفوق في تلك الثقافة¹.

ويبقى الاستشراق مهما بالغ المرء في موقفه الايجابي منه، ومهما اسرف في تقديره لانجازاته المعرفية في الجانب الاكاديمي البحثي منه، منتجا ثقافيا انسانيا محكوما بظروف المواجهة بين منتجها الغرب وموضوعها الشرق، وبمواقف طرفي هذه المواجهة واهوائهم، وافكارهم المسبقة كل عن الآخر، ومصالحهم الدنيوية في عالم تحفزه المصالح اكثر مما تحفزه القيم والمثل والمبادئ، انه معرفة دنيوية منغمسة تماما في الظروف والشروط المادية والمناخات السياسية والايولوجية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لانتاجها، وقد كانت بسبب فيروس القوة والسلطان الذي داخلها وبالا على موضوعها عندما وُظفت من اجل احتوائه واستغلاله والهيمنة عليه وعلى مقدراته والتحكم بمصائره واحباط تطلعاته نحو مستقبل افضل، أي انها، على خلاف ما يتوقعه المرء عادة من المعرفة، لم تقدم اية خدمة لموضوعها الشرق، ولم تسع الى الارتقاء بأي وجه من وجوه حياة افراده الشرقيين، او الى خدمة قضية تنمية مجتمعاتهم وتقديمها وتطورها، وكانت حصيلتها مأساوية في مجال العلاقات الانسانية بين الامم والشعوب والثقافات المختلفة وبدل ان تسهم في خلق تفاهم بين الشرق والغرب قائم على اسس مكيئة من الفهم والاحترام المتبادلين، كانت وللأسف من اكبر المسهمين في تعزيز سوء التفاهم الذي يهيمن على هذه العلاقة².

ومعنى هذا ان حل ازمة الاستشراق الراهنة لا يمكن ان يتم الا من خلال خلق بديل جذري لهذا التقليد الثقافي الملوث بفيروس السلطان والمنتج في مناخ المواجهة - بديل يرقى للمقارنة مع ما ينتج من معرفة خاصة بالامم والشعوب والمناطق الاخرى وبالطبع فان خلق التقاليد الثقافية لا يمكن ان يتحقق بين عشية وضحاها، ولكن انتظار خلق هذا البديل ينبغي الا يطول، فالزمن لا يخدم المتقاعسين، ولا يتحول

¹ عبد اله بلقزيز. نقد الثقافة الغربية في الاستشراق والمركزية الاوروبية، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، 2017، ص18-19.

² عبد النبي اصطيف، نحو استشراق جديد، مجلة الاجتهاد، لبنان: دار الاجتهاد للنشر والترجمة العدد 51/52 ربيع وصيف 2001 ص 62،

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

الى قوة ايجابية تقف الى جانب الانسان الا بالعمل الجاد والمخلص، كذلك فان مهمة خطيرة كهذه لا يمكن ان تُترك للآخرين ولمبادراتهم، بل يجب ان ينهض بها اساسا الداخليون من الشرقيين انفسهم والذين يشكلون موضوع الاستشراق ولاسيما انهم ينبغي ان يقطفوا ثمار هذا البديل، او ما اسميته الاستشراق الجديد، ان على الشرقيين وبخاصة اولئك المعنيين بعملية انتاج المعرفة عن الشرق، ان يبادروا الى الأخذ بزمام المبادرة وتولي المسؤولية كاملة في انتاج كل ما يتصل بتاريخهم ومجتمعاتهم وثقافتهم من معرفة، والّا يعتمدوا كل الاعتماد او جلّه، على الاخر الغربي بشكل خاص في انتاج المعرفة، لانهم بذلك يغامرون ان لم يكونوا يقامرون، بأمنهم واستقرارهم ومستقبلهم، والامن الحقيقي هو الامن المعرفي الذي يكفل المعرفة التي يحتاجها الشرقيون لفهم ماضيهم واستيعاب حاضرهم، وبناء مستقبلهم¹.

ويستثمر محمد أركون آخر إنجازات الفلسفة والعلوم الإنسانية في الغرب، من أجل تقويض الاستشراق من جهة ونقد العقل الإسلامي من جهة أخرى. إنه لا يتهم ولا يستهين بالمستشرقين، بل يحاور ويساجل بلغة العلم والفلسفة، وهو ما يثير، حفيظة دعاة التقليد والتراثوية، ورافضي الحداثة ومعلمي طوبى: سقوط الاستشراق. فتحديث العقل العربي والإسلامي عنده يوازي عملية تفكيك العقل الاستشراقي. والمسألة تمثل إشكالا واحدا، يتمحور حول ضرورة نقض المركزية التراثية أو الثيولوجية وإبراز مفارقات وتهاافت المركزية العرقية الأوروبية أو ما يسميه فلاسفة الاختلاف ورواد العقلانية المعاصرة بضرورة تفكيك التمرکز الإثنوي الأوروبي "Déconstruction de l'éthnocentrisme"، واستراتيجية أركون هي كالتالي: "إن الإسلاميات التطبيقية تريد أن تقضي على هذه الهيمنة أي هيمنة الآخر والاستشراق معا. وتشكل عملية بناء هذه الإسلاميات التطبيقية، مدخلا هاما لإعادة الاعتبار لقضية الاستشراق ورهانات التراث الملتهبة، وأسئلة الواقع الراهن، فهي إذن محاولة لخلق مسار إبستمولوجي نقدي يحاول تجاوز مغالطات الكثير من الدراسات التراثية من الجانب المرجعي وبناء تصور للكثير من القضايا المطروحة، كالمسألة الدينية والعلمانية والديموقراطية والمقدس والمخيال، والتطرف، والسلطة. وتبقى المنطلقات النظرية لمحمد أركون هي المحددة لأطروحاته حول الحداثة والعلمنة وإشكالية المعنى والأصولية. ونتائج الكثير من مباحثه العميقة هي في حاجة لإعادة بناء نقدي، من أجل تفعيل عقلانية عربية نقدية معاصرة، قادرة على التحرر من عوائق التراث واللامعقول.

¹ المرجع نفسه، ص 63

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

وخلافاً لما فهمه القراء من كتاب أدوارد سعيد حول القطيعة مع نتاج الاستشراق، يقترح حلاق بدلاً من هذا الطرح، أن يقوم المستشرقون أصحاب المهارات الفيلولوجية، بإعادة النظر في اهتماماتهم، بحيث تتحول النظرة الحداثية للتاريخ من نظرة قومية إلى نظرة أخلاقية تعامل الآخر (التاريخي والحاضر) باحترام معرفي مناسب¹.

ولعل ما يقصده حلاق هنا هو أنه لكي يستطيع المستشرق الخروج من أسوار التنوير الغربي، فإن عليه أن لا ينظر في المنظومة التراثية الشرقية، بوصفها موضوعاً للتقييم أو فرصة للعثور في مغارة علي بابا الشرقية على قيم مشابهة لقيم التنوير الأوروبية، وهو أسلوب لا يقتصر عليهم فقط، وإنما نراه اليوم لدى مثقفين مسلمين كأعمال الفيلسوف الإيراني عبد الكريم سروش الأخيرة، التي أخذت تعيد النظر في استراتيجيات خطابه الحداثي التقليدي، من خلال محاولة تأصيل أفكار الحداثة الغربية داخل التراث الإسلامي، باحثاً مثلاً عن مفهوم التعددية أو العقلانية في أفكار الشيخ جلال الدين الرومي (أنظر مقابلة معه «المتصوفة أنبياء التعددية» على موقع قنطرة). لذلك، يرى حلاق أن وظيفة المستشرق، لم تعد تكمن في الكشف عن الشرق العقلاني أو الليبرالي، كما حاول سعيد /وفق ما يراه حلاق، بل يغدو عمله بمثابة «الوسيلة البناءة التي يمكن من خلالها للذات السيادية (الإنسان الحديث/الغربي) البدء في مشروع الحفاظ على الروح أثناء عملية تأسيس تقنية جديدة للنفس²».

ورغم أن هذه الرؤية تبدو إشكالية أيضاً، بيد أن ما يحسب لحلاق هنا هو أنه يُعيد، بشكل أو بآخر، التصالح مع المستشرقين وكتاباتهم ومهاراتهم البحثية، ما يُعدُّ برأينا أهم ما جاء به هذا الكتاب، بعكس الصورة النمطية التي أحدثها كتاب «الاستشراق» لسعيد في ذهنية القارئ، رغم محاولات سعيد العديدة للتبرؤ من هذا التصور القاصر³.

استكمالاً لمشروعه في كتابه الجدلي "الدولة المستحيلة" يواصل وائل حلاق في كتابه الجديد "قصور الاستشراق" تركيزه الشديد في نقد الحداثة وتصوراتها، والحفر في عمق وعينا كذوات معاصر، إنه يقول ويكل وضوح وصراحة بأن الهوية الحداثية مفروضة علينا شئنا أم أبينا، ويتساءل من فرض الكولونيالية علينا ومن أين حصلنا على هذه الهوية كأفراد حداثيين؟ ما معنى أن نكون حداثيين؟ بل ما

¹ وائل حلاق، قصور الاستشراق منهج في نقد العلم الحداثي، لبنان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2019، ص 365

² محمد تركي الربيعو، وائل حلاق في قصور الاستشراق: إعادة الاعتبار لصور ودور المستشرق منشور على الرابط :

[/https://www.alquds.co.uk](https://www.alquds.co.uk)

³ المكان نفسه.

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الأمريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

معنى أن تكون حدثا في العالم الإسلامي؟ ويضيف بأنه قد تم فرض هويات جديدة علينا في العيش والتعلم والفهم والأكل واللبس والتصرف، بل ربما في التفكير والشعور بدون أن تتم استشارتنا، ويتابع حلاق في نقد شديدة ليقول إن مأساة واقعا الحالي الحقيقة تتمثل في قبولنا لكل ذلك على أنه أمر مفروغ منه من دون أن نعي ما طرأ علينا فعلا، بل لم نعد نفهم هويتنا كأفراد شكلتهم الحداثة، إنه نقد شديد وصارخ للحداثة وللدولة الحديثة وللعلمانية والليبرالية والرأسمالية، ولهذا كان كانت سهام حلاق مصوبة على كتاب إدوارد سعيد "الاستشراق"¹.

فوائل حلاق يقدم تشريحا مفصلا لإدوارد سعيد في نقده للاستشراق ويعتبر بأن سعيدا لم يفهم الاستشراق كما ينبغي، وأن دفاعه عن الشرق كان دفاعا يعاني مشاكل بنيوية من أهمها أن إدوارد سعيد تعامل مع الاستشراق على أنه مشروع سياسي، والأمر الآخر أن سعيدا لم يفهم الشرق أو الإسلام كما هو في حقيقته بل فهمه انطلاقا من خلفيته الليبرالية العلمانية. أي أن إدوارد سعيد دافع عن الإسلام - الشرق وهاجم مؤسسات الاستشراق بناءً على قيمه الحداثية التي لا تعتبر أن هناك خلاقات جوهرية بين الشرق وقيم الحداثة وتصوراتها².

في نظر حلاق فإن إدوارد سعيد عندما ينقد الاستشراق فهو ينقده نقدا سطحيا، ولكنه في نفس الوقت غارق حتى أذنيه في تبنيه للقيم الحداثية الغربية ويتبنى تصورهما عن نفسها وعن الآخر بشكل غير مباشر، ويذهب حلاق بعيدا بقوله إن إدوارد سعيد من حيث هو يعترض على فكرة الاختلاف بين الشرق والغرب من وجهة نظره كعلماني ليبرالي، لكنه وفي نفس الوقت تمتزج نظرتة للتراث وللدين بنظرة استهجان، فسعيد يعتبر الحداثة الغربية وانجازاتها باعتبارها المعيار الحصري لفهم الآخر بل فهم الشرق الذي يدافع عنه³.

يؤكد وائل حلاق بأن نقد إدوارد سعيد السياسي للاستشراق كان لا بد أن يبدأ بالأسس التي خلقت تصورا معيناً للطبيعة والليبرالية والعلمانية، وهذا الذي لم يفعله سعيد وبقية هذه المفاهيم بعيدة عن التمهيد، حتى في نقده لذوق سعيد الأدبي والفني والموسيقي يستنتج حلاق بأن إدوارد سعيد متحيز للغرب، فسعيد المعجب بالأعمال الأدبية والتي يقدرها أشد التقدير كأعمال جوزيف كونراد وريارد كيبلينغ،

¹ إدوارد سعيد ، كيف يراه وائل حلاق منشور على الرابط:

<https://www.ammonnews.net/index.php?page=article&id=489046>

² المكان نفسه

³ المكان نفسه

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

وليس أعمال لمشرقيين كغسان كنفاني أو عبد الرحمن منيف مثلاً. حتى في ذوقه الموسيقي فقد أحب وعزف موسيقى باخ وبيتهوفن، وليست موسيقى محمد عبد الوهاب أو رياض السنباطي أو سيد درويش¹.

ويتهم حلاق سعيد بأنه لم يعبأ قط باستطلاع إمكانيات التراث الشرقي والإسلامي شديد الثراء والخصب، لأنه نتاج ثقافة دينية لا يحبذها سعيد ولا ينظر لها باعتبارها قيمة إنسانية ذات بال، وينقل وائل حلاق عن الناقد وليام ميتشل بأن تعريف سعيد للدين بوصفه "متزمتاً ومتعصباً ومفتقدا للعقلانية والتسامح ومهووساً بالخرافة والتعميم وبفكرة غياب قدرة الانسان في وجود خطة إلهية لا يمكن سبر أغوارها"، والسبيل الوحيد المقبول والذي يمكن أن يتسامح فيه سعيد مع الدين والإسلام بشكل خاص ولتجنب الاتهام بالاستشراق هو وضع رؤية للإسلام والتاريخ الإسلامي تتسق مع الحداثة، لا سيما في ليبراليتها، ينتقد سعيد الاستشراق كوصفه مشروعاً سياسياً ينخيل الشرق كجزء معزول عن بقية العالم، ولكنه في نفس الوقت نفى عن الشرق بأن يكون شرقياً مختلفاً عن غيره، فسعيد في نظر حلاق وبكلمات مختصرة يقول للغرب بأن الشرق ليس شرقاً غير حدثي بل إنه حدثي بشكل كاف، وليس للشرق أية ميزة روحية أو مرجعية مفارقة، وأية محاولة لصيغ الشرق بقيم روحية أو أن الشرق يملك في جوهره إيماناً بقيم متجاوزة للمادية أو غيبية تعتبر في نظر سعيد بأنها محاولة استشراقية لاحتكار الحداثة غربياً².

ينتقد حلاق إدوارد سعيد باعتباره مفكراً حدثياً يؤمن بانتصار القيم الحداثية الليبرالية العلمانية، وبأن هذه القيم لم تجعله يرى الشرق بل أن يذل جهداً لمحاولة فهمه. وليس هذا فحسب فإن إدوارد سعيد لا يدرك حجم الإشكاليات العميقة التي تعاني منها الأفكار الحداثية وحجم الدمار التي الحقته بالإنسان وبيئته، ويتساءل حلاق لماذا تتزايد مشاكلنا الصحية والاجتماعية والمالية والبيئية بصورة مضطربة في الوقت الذي أضحت فيه علومنا وتكنولوجيتنا أكثر تقدماً وتوقفاً من أي مرحلة تاريخية سابقة. ويسأل حلاق أيضاً كيف فانت كل ذلك الإشكاليات حول الحداثة إدوارد سعيد ولماذا لم يضعها تحت مجهر تحليله الصارم وفكره الخلاق، بل تعامل معها كحتميات تاريخية يجب علينا نحن كشرقيين بأن نؤمن بها ونتبناها³.

¹ المكان نفسه

² المكان نفسه

³ المكان نفسه

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

المطلب الثاني: مستقبل الاستشراق الامريكي الجديد

بعد سرد الاشكاليات المنهجية والعلمية التي انفق فيها الباحثون جهودا فكرية كبيرة في تعرية مفهوم الاستشراق ومقولاته، يرى الباحث في هذه الدراسة ان الاستشراق الامريكي يعاني حتى من الناحية الانطولوجية كعرفة في دراسة الظواهر الشرقية بصورة علمية صحيحة ولهذا هناك مجموعة من المؤشرات والمتغيرات الايجابية¹ التي تدعم هذه الحجة وهي كالاتي² ومن جانب اخر سيتطرق الباحث الى تأثير العقل الاستشراقي الجديد حيال مسائل منطقة الشرق الاوسط في سياسة الرؤساء الاميركيين الثلاثة جورج والكر بوش George W. Bush ، باراك اوباما Barack Hussein Obama و دونالد ترامب Donald Trump.

أ/ العوامل والمتغيرات الايجابية :

1) الحضور المتزايد للمسلمين في الجامعات الغربية له تأثير فعال غيرت طريقة فهم الإسلام وتصويره وتحليله. كثير من الكتاب والمحليلين والنقاد والناشطين المسلمين معتدلون بشكل فعال والاختلاف ذاته الذي سبق أن نشره ادوارد سعيد نفسه في كتابه "الاستشراق"، وإن لم يكن مسلما ، كان كلاجئ فلسطيني علاوة على حضور العلماء المسلمين وقد مكنتهم أعمالهم عن الإسلام في الغرب من التعبير عن أنفسهم في الخطاب الغربي ، وبالتالي فقد تحطمت عقيدة مستشرقة أخرى لا يستطيع الشرق تعريفها بحد ذاتها.

2) لم يكن وجود المسلمين في الغرب مؤثراً في الانتاج الفردي للعلماء فقط ، ولكن أيضا في تمويل النهج المتعاطف مع الدين الاسلامي. الشركات الناجحة وزيادة الدخل من النفط لديهم مكن بعض رجال الأعمال المسلمين وبعض الدول الإسلامية من القيام بذلك التأثير على المؤسسات الأكاديمية الغربية من خلال مؤسساتها المالية الداعمة مثل الأمير الوليد بن طلال المشهور عالمياً رجل أعمال ومستثمر عالمي قام بتمويل العديد من الأنشطة الأكاديمية حول الإسلام.

1) Edmund Burke, Orientalism and World History: Representing Middle Eastern Nationalism and Islamism in the Twentieth Century, **Theory & Society** , 27:4 (August 1998) p 10-11

² Mohamed Samiai, Neo-orientalism? A critical appraisal of changing Western perspectives" Bernard Lewis, John Esposito and Gilles Kepel, *westmenister, kingdom* 2009 p 245.-246.

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكى الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

(3) ثورات العولمة والاتصالات في القرن الحادي والعشرين قد وفرت للبشرية المزيد من الفرص للتفاهم المتبادل. يمكن أن توفر الاتصالات المباشرة للعلماء الغربيين الفرص لإبداء ملاحظات وثيقة ويمكن إلى حد ما إزالة واحدة من المعوقات الرئيسية التي ذكرها سعيد وهي قلة التجريبية الملاحظة.

(4) وسائل الإعلام العالمية والإنترنت لاعبين غير مسبوقين في ذلك العصر. في تغطية الإسلام ، ناقش سعيد وسائل الإعلام الغربية و الطريقة التي غطوا بها الإسلام بشكل انتقائي في أوائل الثمانينيات منذ ذلك الحين ، ومع ذلك ، حدث تغييران هامان. قدمت الإنترنت تطوراً حاداً في الاتصالات العالمية و جلبت تعددية غير مسبوقة إلى محيط عالمي يمكن الوصول إليه.

(5) وبالمثل ، لعبت القنوات الفضائية المتنوعة دور بارز. كما لاحظ جيل كيبل ، الباحث الفرنسي الشهير للإسلام ، كانت الجزيرة عاملاً هاماً طوال الحرب على الإرهاب ". لأول مرة في الفترة المعاصرة" ، يلاحظ " سرد كبير للتاريخ بصوت ولغة لا تنتمي للغرب.

(6) الجاليات المسلمة المقيمة في الغرب بكامل حقها في المواطنة ، كانت مؤثرة للغاية. وجودهم في بلد ديمقراطي لقد وضع المجتمع علامة استفهام حول الليبرالية الغربية وقدرتها على التعامل بشكل ديمقراطي مع هذا المجتمع غير الليبرالي. نهج الغرب يجيب على هذا السؤال محلياً وثيق الصلة بالطريقة التي يتعامل بها معها على المستوى العالمي. كما يقترح بهيخو باربخ ، هناك ارتباط وثيق بين التنوع داخل المجتمعات وفيما بينها يمكن للمجتمع التعامل مع التعددية الثقافية العالمية المعاصرة 1150 ومن ثم ، فإن تجربة وجود مجتمعات مسلمة في الداخل كانت مفيدة للغاية لتعزيز رؤية عالمية جديدة يبدو أن الإدراك ثنائي القطب "نحن" و "هم" كثيراً أقل أهمية من الأجيال السابقة.

(7) يمكن أن يساعد التنوع المتصاعد للدراسات الإسلامية الغربية على تعزيز هذا المجال إلى مستوى غير مسبوق. آلاف الألقاب عن الإسلام نشرت سنوياً في اللغات الغربية تكشف عن مجموعة واسعة من المواقف تجاه الإسلام بمجرد أن تتجمع وجهات النظر هذه معاً.

(8) نظرية نمو المعرفة في فلسفة كارل بوبر توضح أنه سيكون لدينا تقدير أفضل ، وإن كان أكثر تعقيداً ما هو الإسلام حقا يمكن أن يدحض هذا النهج الاختزالي المتطرف الاستشراق التقليدي.

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

9) المشاركة الديمقراطية بحكم الواقع ، والنصر الإسلامي في بعض الأحيان أضعفت الحركات السياسية في بعض بلدان المستشرقين عقيدة تتعلق بالنظام السياسي للإسلام. كما صورها المستشرقون مثل برنارد لويس، حقائق المشاركة الديمقراطية للعديد من الإسلاميين من الجزائر إلى تركيا ، من حزب الله إلى حماس ومن أفغانستان للعراق ، ومع ذلك ، فقد أظهرت أن الإسلام السياسي لديه قدرة غنية على الديناميكية وقادرة على تصحيح وتطوير نفسها.

10) كما لاحظ جون إسبوزينو ، قدمت الحداثة الإسلامية أفضل بدائل للتقليدية والأصولية. نظريات مثل (العيش معا) التي يروج لها أنور إبراهيم ، " حوار الحضارات محمد خاتمي و "كوزمبوليتان".

11) تعزيز المعرفة من أجل السلام الدولي والتنمية¹ تحسين الإسلام والتنوع العالمي بقلم عبد الرحمن وحيد الصورة العامة للإسلام علاوة على ذلك ، قدمت الحداثة الإسلامية المسلمون بإحساس جديد بالثقة تمكنوا من تحقيقه حماية هويتهم بشروط عقلانية. لقد أحيى الحداثيون أيضًا الإسلام صوت يستحق حتى أن يسمعه المتقنون الغربيون. هذه كلها ضد عقيدة المستشرقين بأن "الشرق أبدي"

لكن في المقابل هناك بعض الاحداث المؤثرة والتي تطبع علاقة الشرق بالغرب وتعزز من ثنائية الاسلام والغرب مثل صعود اليمين المتطرف في الغرب ونشأة الحركات المتطرفة المحسوبة على الاسلام كداعش وجبهة النصرة والجانب المظلم من العولمة وتوحش الرأسمالية ، والتدخلات الاجنبية في شؤون المنطقة مما عزز من انتشار الفوضى وازعاج الدول المركزية واقترب بعضها من مؤشرات الدول الفاشلة، هذا فيما يتعلق بعلاقة الشرق بالغرب، ومن جانب اخر فان العلاقة بين التنظيمات الاسلامية هي ايضا محل تساؤل فالحركات الجهادية تضع الحركات الاسلامية المعتدلة ايضا ضمن اعدائها الذين يجب محاربتهم وهناك اتجاه اخر يضع الحركات الاسلامية المعتدلة ضمن الحركات الضالة والبدعية والحزبية المحرمة في الدين الاسلامي وهذا الاتجاه يدعمه التيار الوهابي السلفي المدعوم من قبل المملكة العربية السعودية.

¹ Ibrahim Haruna Hassan, Orientalism and Islamism: A Comparative Study of Approaches to Islamic Studies, Arts Social Sci J 2015 p03.

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

وفي ذات السياق لا زال الخطاب الغربي يعتبر العنف سمة مميزة للحركة الإسلامية بشكل عام ، و استعراض أسباب حدوث الإرهاب يظهر أنه يمكن تجميعها في الفئات التالية: تفسيرات نفسية (علم الأمراض ، الحرمان) ، تفسيرات مجتمعية (الاقتصاد ، الحكم) وتفسيرات الدولة (الرعاية ، الهيمنة ، الدول الفاشلة) قد تبدو أن التفسيرات الأكثر شيوعاً ما يسمى بـ "الإرهاب الإسلامي" (في حد ذاته تسمية خاطئة) غالباً ما تجمع بين الثلاثة تفسيرات. باختصار ، يقال إن المعتقدات الأصولية تجعل من المنتسبين نفسياً استعداداً لاستخدام العنف وتسليم حياتهم ، ذلك ان الظروف الاجتماعية السيئة والإحباط يعززان التطرف ، وذلك ان الاستبداد والعلمانية وكذلك الاضطهاد السياسي حفز على العنف رد فعل عنيف من الحركات الإسلامية. نجد هنا تناقضاً بين التفسيرات التي تعتبر استخدام العنف نتيجة لاستيعاب المعتقدات الإسلامية وتلك التي تحدد موقعها في الظروف الاجتماعية والسياسية الخارجية¹.

ان خطابات المستشرقين الجدد ووجهات النظر الدعائية أصبحت روتينية وأكثر انتشاراً في الطريقة التي تمثل بها وسائل الإعلام الغربية الإسلام، عالجت عالم الإسلام من منظور استشراقي يؤكد على اللاعقلانية وعنف "الآخر، يقدم "نموذج الدعاية" مدخلاً آخر ذا معنى لفهم الطرق التي يعامل بها الإعلام السائد الإسلام بعد 11 سبتمبر، بروز هذا الإطار في نهج وسائل الإعلام للإسلام يدعم الادعاء بأن "الحرب على الإرهاب" أصبحت "مرشحاً" أيديولوجياً جديداً في معاملة وسائل الإعلام الغربية / الأمريكية للصراعات الدولية. بالاعتماد على "نموذج الدعاية" الأصلي لهيرمان وتشومسكي ، تستمر القوى الهيكلية ونموذج الأعمال التجارية لوسائل الإعلام الإخبارية الذي يحركه السوق في منع وسائل الإعلام الغربية من تحقيق إمكاناتها الديمقراطية الكاملة ، "المراقبة". في مجال السياسة الخارجية ، جادل هيرمان في عام 1985 ، ان وسائل الإعلام الإخبارية تميل إلى أن تكون متعاونة للغاية مع الحكومة في خدمة "المصلحة الوطنية" ، وتعمل كأداة دعائية تنشر الأيديولوجية السائدة².

اما في المناهج المدرسية الامريكية فقد لاحظت العديد من الدراسات ان مسألة الربط بين الاسلام والعنف قد ازدادت بقوة بعد هجمات سبتمبر، متجاهلة القواسم المشتركة بين المسيحية والاسلام واليهودية، تناقش الكتب المدرسية في بعض الأحيان الله كما لو أن الكلمة تشير إلى إله غريب بعيد عن

¹ Are Knudsen, : Political Islam in the Middle East, Chr. Michelsen Institute Development Studies and Human Rights , 2003, p 11

² Aziz douai. sharon Lauricella, The 'terrorism' frame in 'neo-orientalism': western news and the sunni-shia Muslim sectarian relations after 9/11, International Journal of Media & Cultural Politics Volume 10 Number 1 2014 p20

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكى الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

التقاليد اليهودية والمسيحية. إلا أن تقارير المجلس الإسلامي في الآونة الأخيرة تفيد أن هناك تحسينات كبيرة في عرض الكتاب المدرسي¹.

اذن يمكن القول ان الاستشراق الامريكى في دراسته للإسلام السياسي محكوم بعدة عوامل كما شاهدنا في السطور السابقة، فهو في النهاية لا يخرج عن ثنائية الانا والآخر او الاسلام والغرب او العدو المتخيل ، وتبقى وسائل الاعلام ومراكز الابحاث الاكثر تأثيرا في رسم صورة نمطية سيئة عن الاسلاميين وتصويرهم على انهم اعداء الديمقراطية، ورغم سياسة الانفتاح والمرونة التي تبنتها ادارة الرئيس الامريكى السابق باراك حسين اوباما في التعامل مع الاسلاميين خاصة بعد فوزهم في الانتخابات الرئاسية في مصر والبرلمانية في تونس ونجاح الاسلاميين في تصدر الحياة السياسية بعد ثورات الربيع العربي، الا ان الامر لم يدم طويلا حيث اسفرت الانتخابات الرئاسية الامريكية عن وصول الجمهوريين الى الحكم والمعروفون بعنائهم للإسلاميين وعدم ثققتهم بهم وهو الاتجاه الذي تعزز في اوربا ذاتها بعد وصول اغلب احزاب اليمين المتطرف الى السلطة في نفس وقت وصول دونالد ترامب في الولايات المتحدة، ترافق ذلك ايضا مع الفشل النسبي الذي حققه الاسلاميون في الحكم خاصة في مصر، ومن جهة اخرى فشل الاسلاميون ولا سيما حركة الاخوان المسلمين في اقناع العالم الغربي بحدوث تحولات على مستوى الفكر والممارسة ، في هذه الاثناء كانت وسائل العلام الغربية تركز على العمليات الوحشية التي يقوم مسلحوا تنظيم الدولة الاسلامية في العراق والشام المعروفة اختصارا بداعش، ضد المدنيين وضد المصالح الغربية بشكل عام، هذا ما يثبت في الوقت الراهن ان الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة غير مستعدين لقبول الاسلاميين في سدة الحكم فهم لا زالوا اعداء في نظرهم وهي النظرة التي يتبناها مارتن كرامر² في كتابه منذ عشرين عاما وهو احد المقربين من دوائر صنع القرار في امريكا.

اذن فلا يمكن للباحث العربي ان يقبل بكل ما تمليه المنهجية الغربية بدون مراجعة او نقد فالمنظومة الغربية تجعل من مفاهيمها ومقولاتها هي المعيار، وفي هذا الصدد يشير الباحث سيف الدين عبد الفتاح انه ليس من قبيل المصادفة ان يبدأ الاستشراق هجومه على العقيدة في البداية، ثم تشويه النظم التي ارتبطت بالخبرة الاسلامية، واخيرا -كما اكدته هذه الدراسة -رسم سياسات للحركة وعملية الانماء حتى تكون عملية الاحلال راسخة، وعلى هذا تعد معظم الكتابات الغربية في التنمية السياسية والشرق الاوسط

¹ Marvin Wingfield and Bushra Karaman, American Orientalism: How the Media Define What Average Americans Know about Islam and Muslims in the USA, AK Press, 2007 p05

² Martin Kramer, Ivory Towers on Sand The Failure of Middle Eastern Studies in America, The Washington Institute for Near East Policy, 2001

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

ليس الا استشراقا جديدا اتبعت نفس اصول منهجية الاستشراق وان اختلفت اساليبها وأدواتها المنهجية¹، ومجمل القول انه لا يمكن مواجهة الفكر الغربي دون وعي منهجي.

ب/ تأثير العقل الاستشراقي الجديد على التوجهات السياسية للرؤساء الامريكيين: بوش، اوباما، ترامب

بعد ان اطلعنا على المتغيرات الايجابية التي تجعل من الاستشراق الامريكي يفقد الكثير من جاذبيته وأطروحاته والتي تبشر بمستقبل متفائل لعلاقة الشرق بالغرب وبناء علاقات دولية تقوم على مبدأ الاحترام المتبادل في ظل انتشار وسائل التواصل التي سهلت التواصل بين شعوب الكرة الارضية، لكن ممارسات الرؤساء في امريكا ونظرتهم لمنطقة الشرق الاوسط تحكها المصالح العليا لأمريكا وتعزيزها بكل الطرق وليس العواطف والخطب الرنانة ويهدف الباحث من خلال هذا العنصر الى تبيان ارتباط الاستشراق الامريكي بالدوائر السياسية و الرئاسية في الولايات المتحدة الامريكية.

إن وقوع هجمات 11 من سبتمبر 2001 داخل التراب الامريكي، الحق اضرازا ليس مادية وبشرية فقط وانما معنوية، فقد اهتزت هيبة امريكا عالميا بسبب تمكن مجموعة صغيرة من الانتحاريين من اختطاف ثلاث طائرات محملة بالركاب وضرب مناطق حيوية تشكل العمق الامريكي فالبنتاغون وبرجي التجارة العالميين يعتبران وجه امريكا كقوة عسكرية وسياسية واقتصادية، هذا الحدث سرعان ما كانت له تداعيات كبيرة على منطقة الشرق الاوسط بحكم أن الفاعلين أتوا من هذه المنطقة البعيدة، وبدأ التفكير من طرف صناع القرار في كيفية استرداد هيبة امريكا المجروحة وبالفعل كان الرد حاسما من طرف ادارة الرئيس جورج بوش (2001-2009) باحتلال افغانستان 2002 والعراق 2003 على اساس اعادة ترتيب الاوراق في الشرق الاوسط، وقد تأثر الرئيس بوش بالفكر الإستشراقي الذي نشط بقوة غداة تلك الهجمات.

اشتهرت فترة جورج بوش الرئاسية بسيطرة المحافظون الجدد على القرارات السياسية ولا سيما في السياسة الخارجية، ويؤمن هؤلاء بضرورة تصدير الديمقراطية بالقوة، وأن أي موقف رافض للقيم التي تقوم عليها الديمقراطية يعد رفضا للفضيلة، ويرتبط المحافظون الجدد باسرائيل والصهونية فكرا وعقيدة، ومن ابرزهم ايرفنج كرسيتول وهو باحث في معهد امريكان انتربراز و من وضع اساس ما اطلق عليه القرن الامريكي الجديد ، وكذلك ابنه وليام كرسيتول ، ونجد كذلك ريتشارد بيرل الذي وضع خطة الحرب على

¹ سيف الدين عبد الفتاح، حول المنهجية الاسلامية مقدمات وتطبيقات، مجلة المسلم المعاصر ، العدد 100 يونيو

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكى الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

العراق، ومن ضمنهم كذلك بول ولفويتز نائب وزير الدفاع الامريكى و مدير البنك الدولي السابق، ايليوت ابرامز المساعد الخاص للرئيس جورج بوش الابن، ديفيد ورمز الذي يعتبر من اشد المحرضين العنصرين على العرب، دوغلاس فايت، وهو احد الاعضاء المهمين في المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي، جون بولتون، دانيال بايبس مدير منتدى الشرق الأوسط ومن اشهر الاقلام التي تكتب للتشهير بالإسلام والإسلاميين في الصحافة الامريكية والإسرائيلية، بالإضافة الى جمع كبير من الصحفيين ابرزهم جوزيف بودانسكي، جوديث ميلر، ستيفن ايمرسون، ريتا كاتس، مارتن كريمر، ليفون باز، برنارد لويس... الخ¹.

كما انخرطت المراكز البحثية بقوة في دعم سياسات بوش الخارجية مقدمة التوصيات والتقارير في كيفية التعامل مع حركات الاسلام السياسي وظواهر الشرق الأوسط، ومن ابرزها مؤسسة راند، ومعهد واشنطن، و معهد كارنيجي، ومعهد بروكينز وامريكان انتربرايز، ومؤسسة الارث الامريكى... فكل هذه المعاهد والمؤسسات الاستشراقية الجديدة وغيرها ساهمت بشكل كبير في رسم تصور وإطار للرئيس جورج بوش في نظريته للإسلام والمسلمين في الشرق الأوسط، وتكمن عقيدة بوش في كرهه للإسلاميين بشكل عام ويعتبرهم خطراً على الأمة الامريكية ويرى نجاحهم في بلد ما قد يغري نظرائهم في دول عربية وإسلامية اخرى، وهذا ما يتماشى مع اطروحات المستشرقين الذين يضعون جميع الإسلاميين في سلة واحدة.

وبعد فترة الرئيس بوش جاء الدور على باراك اوباما سنة 2009 الذي كان اكثر تسامحاً مع الإسلاميين وخصوصاً حركة الاخوان المسلمين في مصر، وقد عرفت فترته تراجعاً لدور السياسة الأمريكية في الشرق الاوسط بعد اندلاع الازمات في سوريا واليمن وليبيا، و بسبب دخول فاعلين دوليين واقليميين وظهور تنظيمات اكثر تطرفاً ووحشية وقد وعد اوباما بتحسين علاقة الولايات المتحدة مع العالم الاسلامي في خطابه بجامعة القاهرة سنة 2009، الا انه لم يف بوعده حيث نجده يتبنى تفسيراً إنثروبولوجياً استشراقياً عن مجتمعات جنوب شرقي آسيا، وكيف تمارس تدينها في ضوء الحياة المعاصرة، فيقول إن تلك المجتمعات قد أصبحت تعتنق الصيغة «العربية أو المعربة» من الإسلام. إندونيسيا التي عاش فيها طفولته والتي كانت «متسامحة» ومنفتحة وفيها رؤى ووجوه متعددة للإسلام، كما يصفها، أصبحت في نظره، متشددة ويسود فيها الإسلام العربي، بحسب وصفه. فالإسلام «العربي» يعني التشدد

¹ احمد يوسف، الاسلاميون وأمريكا التحدي والاستجابة، الجزائر: دار قرطبة، 2005، ص 78-83

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكى الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

بطبيعة الحال في لغة الخطاب الاستشراقي السياسي الجديد. وكذلك الحجاب أيضاً، وارتداء النساء له على نطاق واسع، اجتماعياً ووطنياً. حكم أوباما على إندونيسيا كمجتمع كامل بالتشدد بسبب مثل انتشار الحجاب الذي لا يعني التشدد، وهذه حقيقة أولية يعرفها كل غربي له أدنى احتكاك بالعالم الإسلامي¹.

ويميضي أوباما في قراءته لمشهد التدين في إندونيسيا بالخصوص، وفي العالم مبرراً «التشدد» بالمال العربي، وبالذول السنية التي تنشر رؤية معينة للإسلام، وليس هذا فحسب، بل تصل تعميماته ومغالطاته إلى درجة القول إن هذه الدول تعمل على إثارة وإشعال النعرات الطائفية والكراهية تجاه الفريق الآخر المختلف مذهبياً.

وفي زمن ترامب واليمين الأوروبي ومايك بومبيو وجون بولتون يبدو أن الاستشراق تحول لنوع من الإسلاموفوبيا وكراهية المسلمين، ويتطلب ذلك نوعاً من القراءة الجديدة لأعمال إدوارد سعيد التي تفكك جذريا مشروع الحداثة الاستعمارية الأوروبي، فقد مهد سعيد الطريق بأفكاره النقدية وأشار لنا في الاتجاه الصحيح، ولكن تحولات الاستشراق المعاصر تتطلب دراسة جديدة لخطاب أكثر شدة واحتداداً.

إن "ترمب"، كما وصفه هنري كيسنجر في مقابلة مع الفاينانشال تايمز عام 2018، "قد يكون واحداً من تلك الشخصيات التي يبدو أنها تأتي بين فترة وأخرى في التاريخ لكي ترسم نهاية عهد وتجزّده من مزاعمه السابقة". حيث قامت الحكومة الجديدة، من خلال التخلّص من براديم القطب الواحد، بإعلان إستراتيجية جديدة كبرى².

على الرغم من الضحالة المعرفية لترامب حول الديانة الإسلامية لكنه يتماهى مع الأطروحة الاستشراقية والثقافية عن الإسلام يصيغتها الشعبية التي تضع الإسلام في حالة تلازم مع التطرف والإرهاب دون انفكاك وهي أطروحة سياسية عنصرية مهيمنة وشائعة في أوروبا وأمريكا وتعاضمت وازدهرت مع نهاية الحرب الباردة وبروز تنظيم القاعدة حيث تستند فرضية "تطرف الإسلام" إلى تحميل مسؤولية انتشار العنف على عاتق أطروحات الإسلام السياسي الإيديولوجية منذ نشأته التاريخية المبكرة

¹ امينة ابو شهاب، عقيدة اوباما، تعميمات استشراقية فوقية ووصاية ثقافية، مركز الخليج للدراسات، الامارات العربية المتحدة، 2016، متوفر على الرابط: <http://www.alkhaleej.ae/studiesandopinions/page/89A2B2F8-1548-4E3F-B7D7-1E9961FC2332>

² ويس منتشل واخرون، (تر: فرح عصام)، وداعاً للشرق الاوسط، هل أعاد ترامب بناء السياسة الخارجية الاميريكية ببراعة، جانفي 2020 متوفر على الرابط : <https://www.aljazeera.net/midan/reality/politics>

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكى الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

مرورا بالدولة الأموية وصولا إلى تنظيم الدولة الإسلامية وهي أطروحة لا تخرج عن جوهر النظريات الثقافية في تحليل أسباب تصاعد موجة العنف على الرغم من كونها نظرية فاشلة في طاقتها وامكاناتها التفسيرية وقدرتها التنبؤية ويكمن ضعفها البنيوي في محاولة فك الارتباط بين العوامل الداخلية والخارجية لنفي مسؤولية الغرب عن شيوعها وعدم رغبتها في تفهم دوافع الفاعلين التي تستند إلى مسائل وقضايا مركبة ومعقدة تتعلق بسلسلة من التدخلات الخارجية الدولية في المنطقة ودعم وإسناد إسرائيل وغياب أي تسوية وحل للقضية الفلسطينية وانسداد الأفق السياسية في معظم دول المنطقة وشيوع الاستبداد¹.

لا شك أن ترامب يتجاوز في مقارنته الشعبوية المتطرفة ضد الإسلام لوبيس وهنتغتون حيث كشفت تقارير إعلامية أمريكية عن أن المغذي الرئيس لأفكار ترامب المتشددة ضد الإسلام هو فرانك جافني وهو باحث معروف بخوفه من ظاهرة "الإسلاموفوبيا" ويعتمد عليه ترامب بترويج نظريات المؤامرة وسبق له العمل لأربع سنوات في وزارة الدفاع الأمريكية إبان حقبة الرئيس الأسبق رونالد ريغان ويصفه مركز "ساوثرن بوفرتي" المعني بمراقبة الدعوات والنزعات العرقية المتشددة بأنه "أحد أعتى دعاة الإسلاموفوبيا بأمريكا"²

هكذا فإن أحد أبرز أطروحات ترامب في حرب الإرهاب ترتكز إلى الأخذ بالنظريات الإستشراقية والثقافية إلى غاياتها النهائية فإذا كان الإسلام يتسم بالجوهريانية والسكونية ومثلثس بالعنف والتطرف والإرهاب فيجب منع المسلمين من دخول أمريكا وإذا لم يكن ممكنا طرد المسلمين الأمريكيين من أمريكا فلا بد من إخضاعهم لفحوصات الوطنية الأمريكية وقد دعا ترامب سابقا لمراقبة المساجد في الولايات المتحدة قائلا إنه لا يعنيه إذا كان قوله "صحيحا سياسيا" واقترح مراقبة المسلمين من قبل الجهات الأمنية كمبادرة لمكافحة الإرهاب وانتشرت تقارير كثيرة على أن ترامب يريد إنشاء قاعدة بيانات عن كل المسلمين

¹ حسن ابو هنية، مقارنة ترامب للحرب على الارهاب، موقع عربي 21، متوفر على الرابط:

[/https://arabi21.com/story/960081](https://arabi21.com/story/960081)

² المكان نفسه

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

الأمريكيين ولكنه نفى ذلك لاحقاً،¹ وفيما يلي مواقف دونالد ترامب من القضايا الرئيسية في الشرق الاوسط والتي تثبت تأثره بالفكر الاستشراقي²:

-الموقف من الإسلام السياسي: يتبنى دونالد ترامب رؤية لحركات الإسلام السياسي، وفي مقدمتها جماعة الإخوان المسلمين، باعتبارها خطراً لا يقل عن التنظيمات المتطرفة والإرهابية، ويرى أن احتواء الإسلام السياسي لا بد أن يكون أحد أهداف السياسة الخارجية الأمريكية والعالم أجمع، فكل جماعات الإسلام السياسي متطرفة، بما فيها جماعة الإخوان المسلمين. وبالفعل فإن البيت الأبيض أعلن في 30 أبريل بأن إدارة الرئيس دونالد ترامب تعمل على تصنيف جماعة الإخوان المسلمين تنظيمًا إرهابيًا أجنبيًا، ورغم الصعوبات القانونية والمؤسسية التي حالت دون إدراج جماعة الإخوان المسلمين على اللائحة الأمريكية للإرهاب، إلا أن موقف ترامب المتشدد تجاه جماعة الإخوان المسلمين يرجع إلى قناعاته بأنها تمثل الأساس الفكري الذي تستقي منه الجماعات المتطرفة والإرهابية أديباتها وأيديولوجياتها التي تحرض على العنف والكرهية، فالتنظيمات الإرهابية العابرة للحدود، وفي مقدمتها تنظيمي "القاعدة" و"داعش"، تستمد فكرها الإرهابي من أيديولوجيا الجماعة التي لا تؤمن بالأوطان وتسعى إلى الوصول إلى السلطة بمختلف الوسائل، حتى من خلال اللجوء إلى القوة والعنف.

-الحرب ضد التطرف والإرهاب: تتمحور رؤية ترامب حول قضايا التطرف والإرهاب، عن موقف الولايات المتحدة الثابت تجاه هذه القضية، والذي ينطلق من النظر إلى التنظيمات المتطرفة والإرهابية على أنها تشكل تهديداً متزايداً للمصالح الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، بالنظر إلى أن قاعدة تمركز هذه التنظيمات توجد بالأساس في هذه المنطقة، وهذا ما تؤكد بوضوح الاستراتيجية الأمريكية لمكافحة الإرهاب التي أعلنت عنها إدارة الرئيس دونالد ترامب في شهر أكتوبر 2018، والتي تضع مكافحة الإرهاب والتنظيمات المتطرفة في مقدمة أولوياتها، وخاصة تنظيمي "داعش" و"القاعدة".

- أزمات المنطقة وصراعاتها: تشير سياسات الرئيس الأمريكي دونالد ترامب منذ وصوله إلى البيت الأبيض في يناير عام 2017، إلى أنه يميل إلى تبني سياسة العزلة، والابتعاد عن صراعات

¹ المكان نفسه

² اشرف العيسوي، قضايا الشرق الاوسط في الانتخابات الامريكية 2020، والتحولت المحتملة في السياسة الامريكية، مركز ترندز للبحوث والاستشارات، جويلية 2020، الامارات العربية المتحدة على الرابط:

<https://trendsresearch.org/ar/insight>

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الأمريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

منطقة الشرق الأوسط، وعدم الانخراط في جهود تسويتها، وبالفعل فإن قراره بسحب القوات الأمريكية من سوريا في ديسمبر عام 2018 يجسد هذه السياسة، خاصة أن ترامب يرى أن تدخل بلاده في الشرق الأوسط كان أسوأ قراراتها على الإطلاق وكبدها تريليونات الدولارات، بل أنه ذهب إلى أن بلاده لن تلعب دور شرطي العالم، وأنه إذا كانت الدول المجاورة لمناطق الصراعات معنية بتلك الصراعات فعليها أن تتعامل مع ذلك الأمر بنفسها.

وقد قوبل قرار ترامب بالانسحاب من سوريا بمعارضة واسعة في الداخل الأمريكي من قبل الحزبين الجمهوري والديموقراطي على حد سواء، لأنه يمثل تهديداً للمصالح الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، بل أن أعضاء في مجلس الشيوخ الأمريكي انتقدوا هذا القرار، لأن الولايات المتحدة تواجه تهديدات من مجموعات إرهابية تعمل في سوريا وأفغانستان، معتبرين أن انسحابا متسرعاً للولايات المتحدة يمكن أن يعرض التقدم الذي تم إحرازه، وكذلك الأمن القومي الأمريكي للخطر.

-**إسرائيل والقضية الفلسطينية**، يسعى دونالد ترامب إلى إثبات أنه أكثر الرؤساء الأمريكيين تنفيذاً لوعوده في ما يتعلق بالقضية الفلسطينية ودعم إسرائيل، بالنظر إلى أنه قام بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس، واعترف بالسيادة الإسرائيلية على مرتفعات الجولان، ثم أعلن أخيراً عن خطته الداعمة لضم إسرائيل كل مستوطنات الضفة الغربية وغور الأردن، وهناك من يرى أن خطة السلام التي أعلن عنها ترامب في يناير 2020، والتي تشجع إسرائيل على ضم الكثير من أراضي الضفة الغربية، تستهدف في جانب منها إعادة انتخابه، من خلال حشد الدعم له في أوساط الأمريكيين الإنجيليين (الذين يشكلون حوالي ربع الناخبين).

-**الاتفاق النووي الإيراني**: يتبنى الرئيس دونالد ترامب موقفاً متشدداً من طهران، ويرى أنها تمثل تهديداً للأمن والاستقرار الإقليمي والدولي، ولهذا نفذ بالفعل الوعد الذي قطعه على نفسه إبان الحملات الانتخابية الرئاسية عام 2016 بالانسحاب من الاتفاق النووي، واتخذ هذه الخطوة في العام 2018، ثم شرع في تبني استراتيجية "الضغوط القصوى" ضد إيران، والتي تركز على تشديد العقوبات المفروضة عليها، ومنعها من بيع النفط الخام والوصول إلى الأسواق المالية الدولية، للحد من أنشطتها النووية والصاروخية ونقلص ممارساتها وسياساتها العدائية المزعزعة للأمن والاستقرار في المنطقة؛ حيث يدرك ترامب والعديد من أعضاء إدارته أن الاستمرار في تنفيذ استراتيجية "الضغوط القصوى" قد يؤدي إلى

الفصل الرابع المطارحة النقدية للاستشراق الامريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية

تغيير النظام الإيراني، نتيجة تصاعد الرفض الشعبي وتنامي حركة الاحتجاجات والمظاهرات في الشارع الإيراني، خاصة في ظل انهيار الأوضاع الاقتصادية والمعيشية.

وفي حال فوز ترامب بالانتخابات الرئاسية، فإنه سيواصل السياسات نفسها تجاه منطقة الشرق الأوسط في ولايته الثانية، خاصة أن ترامب يعد من الرؤساء الذين يتمسكون برؤيتهم ويعتقدون بصواب سياساتهم، لكن في حال فوز جو بايدن في السباق الانتخابي، فمن المحتمل أن تشهد السياسة الأمريكية بعض التغييرات تجاه بعض القضايا، والتي تعبر عن رؤيته للسياسة الخارجية ولطبيعة الدور الذي يفترض أن تلعبه الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط والنظام الدولي بوجه عام.

وما يمكن استنتاجه من خلال عرض وتحليل لسياسات الرؤساء الامريكيين الثلاث -جورج والكر بوش وباراك اوباما واخيرا دونالد ترامب - تجاه منطقة الشرق الاوسط، يتبين لنا ان هناك اختلافا في الرؤى والاساليب والاليات لكل رئيس رغم الاتفاق على الاهداف وهي حماية مصالح الولايات المتحدة وامن اسرائيل، والنفط ، فالرئيس بوش أعلى من شأن التدخل الامريكي في الشؤون الداخلية لدول الشرق الاوسط، واوباما كان اكثر ليبرالية بتشجيعه على مبادئ حقوق الانسان والديمقراطية، اما ترامب فكان اكثر واقعية مقدما المصالح الامريكية فوق أي اعتبار ومتخذاً من القاعدة الاقتصادية رابح -رابح معياراً في تعامله مع بقية الدول، كما يمتاز ترامب بالشعبوية وتحيزه الواضح لاسرائيل ويظهر ذلك في نقله للسفارة الامريكية الى القدس واستعداده لتنفيذ صفقة القرن وكرهه للاجانب والمهاجرين ومتأثراً بخطاب الاسلاموفوبيا وهذا كل بسبب الارث الاستشراقي الذي يعمل على ترسيخه الاعلام وبعض الاكاديميون والمثقفون وجزء كبير من مراكز البحث الامريكية.

خلاصة واستنتاجات:

من خلال هذا العرض للانتقادات المنهجية الموجهة للاستشراق الامريكي الجديد يمكن استخلاص النتائج التالية:

(1) ان كثيرا من الدراسات الامريكية جاءت محكومة بنظرة مسبقة عن الموضوع المدروس بتأثيرات من المركزية الغربية من جهة والتصورات الخاطئة للدين الاسلامي لذا كانت هذه الدراسات لأهداف محددة غالبا.

(2) ضعف المنهجية الغربية في التعاطي مع مواضيع ذات علاقة بالدين الاسلامي مما يضع هذه المنهجية قاصرة في فهم التحولات التي تمر بها الجماعات الاسلامية.

(3) عدم التزام الكثير من المستشرقين الامريكيين بالأمانة العلمية والمنهج الموضوعي السليم خاصة في مقولات ونتائج مراكز البحوث الامريكية فهي موجهة بالأساس الى صانع القرار الامريكي وليس الى المجتمع العلمي، بالإضافة تكريس الصورة النمطية الخاطئة عن الاسلام والمسلمين في الاعلام والسينما الامريكية والتي زادت حدتها بعد هجمات 11 سبتمبر 2001.

(4) جاءت اغلب الانتقادات واكثرها علمية من طرف مستشرقين امريكيين مثل زكاري لوكمان وجون اسبوزيتو وغيرهم والذين دحضوا المقولات والافتراءات والمزاعم الاستشراقية حول عدم ملائمة الحركات الاسلامية مع الديمقراطية وقيم الحداثة، بالإضافة الى دراسات عربية جادة انتقدت المنظور الاستشراقي الجديد على غرار عبد اله بلقزيز ، محمد اركون ،رضوان السيد، ادوارد سعيد، عبد الوهاب المسيري...الخ

(5) يمكن القول انه رغم الانتقادات الشديدة الموجهة للاستشراق الامريكي الا انه كشف جوانب ايجابية عديدة فقد ساهم في دفع الحركات الاسلامية الى اجراء اصلاحات وتحولات على مستوى الفكر والممارسة، واتسمت بعض الدراسات بالجدية والموضوعية في تحليل الظاهرة الاسلامية.

الختمة

حاولت هذه الدراسة التطرق إلى موضوع القدرة التفسيرية للاستشراق الأمريكي الجديد لتحويلات ظاهرة الاسلام السياسي في الشرق الاوسط بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001م، وذلك عبر فحص المقتربات والمقولات النظرية لمؤسسات الاستشراق الأمريكي الجديد بكل فروعه ومدى قدرتها على تفسير الظاهرة الاسلامية وتحولاتها الفكرية وانطلق الباحث من تفكيك البنية المفاهيمية للاستشراق شكلا ومضمونا جديد ، وصولا الى ظهور الاستشراق الجديد، كما اسهمت العوامل البنيوية والهيكلية التي حدثت في النسق الدولي بعد نهاية الحرب الباردة، ثم هجمات 11 سبتمبر 2001 على ابراج التجارة بنيويورك الى بروز الاستشراق الأمريكي المعاصر بشكله الجديد وبأوجه متعددة.

ويتبين لنا من خلال هذه الدراسة ان الاستشراق الأمريكي يتميز عن غيره من المدارس الاستشراقية الاخرى انه استفاد من تطور مناهج العلوم الانسانية والاجتماعية ، وعرف اقتحام هذا الفرع باحثين من فروع علمية مختلفة كعلم الاجتماع، وعلم السياسة، علم الاقتصاد، علم الانثروبولوجيا... الخ، ومن جنسيات اخرى ذات اصول شرق اوسطية ايضا، عكس الاستشراق الكلاسيكي الاوروبي الذي يعتمد على المناهج الفيلولوجية اللغوية والتاريخية، وكان الابداء والمؤرخون الاوروبيون فقط من يهتمون بدراسة الشرق ويطلق عليهم لفظ مستشرقون و اهتموا بدراسة الشرق و الحضارة الاسلامية بنظرة شاملة تتمثل في: القرءان الكريم والسنة النبوية والسيرة والتاريخ الاسلامي واللغة العربية على عكس الاستشراق الاميريكي الذي اهتم بدراسة الجوانب الجزئية للحضارة الاسلامية والمتمثلة في الحركات الاسلامية، والحركات الاحتجاجية، والديمقراطية، الاستبداد... الخ

الاستشراق الاميريكي الجديد واجه انتقادات واسعة من قبل باحثين من داخل المنظومة الغربية التي خرج من عباءتها، ولم يسلم من توصيفه بالادلجة وتأكيده الصورة النمطية للإسلام والمسلمين، واكثر من هذا هو خدمة للمصالح الاميريكية الامبريالية، وان كل ما قيل عن الاسلام السياسي لا يستند الى حقائق علمية واسس ثابتة، لان التجارب اثبتت انه بإمكان المسلمين التعايش مع الديمقراطية وحقوق الانسان التي تدعو لها اميركا، ومن ابرز هؤلاء المستشرقين نجد الاميريكي جون اسبوزينو الذي اقر بخرافة الصراع بين الاسلام والغرب، ونجد كذلك الباحث الاميريكي من اصل ايراني حميد دباشي الذي هاجم الاستشراق الجديد وانه احد وسائل السيطرة الأمريكية مؤكدا اطروحات المفكر ادوارد سعيد حول علاقة الاستشراق بالاستعمار، والمستشرق الاميريكي اليهودي زكاري لوكمان كذلك الذي هاجم الاستشراق

الكلاسيكي والجديد في كتاباته، بالإضافة الى المستشرق الفرنسي المعروف جيل كيبل الذي يرى ان لا يوجد تعارض بين الاسلاميين والديمقراطية، بالإضافة الى جملة من الكتاب العرب والمسلمين الذي انتقدوا الاستشراق الاميركي من خلال تحيزاته العلمية وافتراضاته المبنية على تصورات مسبقة، وغموض مفاهيمه وتصويراته وقصور مناهجه على فهم الحالة الاسلامية وعلى رأس هؤلاء المفكر اللبناني رضون السيد، علي النملة، عبد النبي اصطيف، عبد اله بلقريز، حسن هنية... الخ.

الاشكالية التي عالجتها الدراسة والتي طُرحت بشكل سؤال جوهرى حول مدى قدرة المقاربات والاطروحات الاستشراقية الأمريكية الجديدة في تفسير تحولات ظاهرة الاسلام السياسي في الشرق الاوسط بعد هجمات سبتمبر 2001م، فقد اكدت هذه الدراسة بعد سبر اغوار هذه المقولات والغوص في كنهها انه من الصعوبة بمكان تقديم تفاسير علمية ودقيقة للظاهرة الانسانية ولاسيما حركات الاسلام السياسي، وهذا راجع لعدة اسباب منها سرعة تدفق الاحداث الدولية امام التحليل الاكاديمي الذي يعجز عن ايجاد الادوات والوسائل الفكرية لفهم الظواهر التي تحدث في منطقة الشرق الاوسط خاصة، وقد اثبت الباحث صحة الفرضيات التي انطلق منها ومنه جاءت نتائج الدراسة كما يلي:

1) لعب السياق السياسي والثقافي والاجتماعي دورا كبيرا في بروز الاستشراق الاميركي ، فسياسيا جاء الاستشراق مع بروز الولايات المتحدة الامريكية كقوة عظمى بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، تزامن ذلك وأقول الاستشراق الكلاسيكي الاوربي بتراجع بريطانيا وفرنسا كقوتين استعمارييتين تقليديتين وهذا ما يثبت دور المعرفة الاستشراقية في خدمة الاستعمار ، اما ثقافيا فان مع نهاية الحرب الباردة وجدت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها كقوة وحيدة على المسرح الدولي فحاولت فرض ثقافتها ولغتها على بقية الدول مستغلة التطور التكنولوجي الهائل في وسائل الاتصال والتعليم ومثلت العولمة غطاء لهذه الهيمنة، وقد ساعد ذلك في فرض مفاهيم الحداثة والديمقراطية وحقوق الانسان، الارهاب... الخ فهذه المفاهيم كانت تنتج في مخابر البحث التي ورائها خبراء ومستشرقون من جميع الميادين ومنه وجب تأكيد الفرضية الاولى.

2) ما يميز الخطاب الاستشراقي الاميركي انه ليس خطاب واحد بل خطاب متعدد حتى داخل الفرع الواحد، وهذا بسبب اختلاف الفروع المعرفية التي ينطلق منها كل مستشرق، فميزة الاستشراق الجديد انه يضم الباحثين في العلوم السياسية والعلاقات الدولية وعلم الاجتماع

والتاريخ..بمعنى انه نجد تفاسير واطروحات وحجج تدعم المشاركة السياسية للاسلاميين في الحكم واخرى ترى عكس ذلك وهو ما لاحظناه في اطروحات مراكز الابحاث الامريكية، ونفس الملاحظة نراها في اطروحات الاستشراق الاكاديمي المتمثلة في مقولات برنارد لويس ومايكل كوك واصف بيات ، فهذا الاخير يدعو الحركات الاسلامية الى اعادة النظر في مسلماتها و منطلقاتها فيما اسماه **بما بعد الاسلاموية**.

(3) اسهم الاستشراق الاميريكي بشكل كبير في التأثير على صنع القرار في السياسة الخارجية الاميريكية عبر الاستشراق المؤسساتي المتمثلة في مراكز الابحاث التي يولي لها صانع القرار اهمية بالغة تجاه الشرق الاوسط والاسلام السياسي، فكثيرا ما تأتي توصياتها في شكل قرارات وعبارات على لسان وزير الخارجية الاميريكي او الرئيس، وخير مثال ما صرح به ذات مرة حاكم العراق بول بريمر انه وجد دليل من طرف مؤسسة راند في كيفية حكم العراق بعد الاطاحة بصدام حسين وتفكيك نظامه.

(4) اثبتت هذه الدراسة كذلك ان هناك تأثير للاستشراق الجديد في عملية صنع القرار في الولايات المتحدة الاميريكية وخاصة في فترة الرئيسين جورج والكر بوش وباراك اوباما و عرف تقلد مستشرقين وباحثين من مراكز بحثية واكاديميين لمناصب سياسية مثل زلماي خليل زادة وكوندوليزا رايس...الخ، ناهيك عن دورهم الاستشاري كخبراء ، بالإضافة الى ارتباطهم وظيفيا وعضويا بمراكز صنع القرار من خلال ما يعرف بسياسة الباب الدوار، لكن في فترة الرئيس ترامب سجل تراجع لتأثير المراكز البحثية والاكاديميين على عملية صنع السياسة العامة واتخاذ القرار بسبب سياسة الشعبوية والواقعية التي يتبناها ترامب وقلل من دور الخبراء في عملية صنع القرار

(5) اثبتت هذه الدراسة ان الاستشراق ليس مجرد سياسة يتبناها رئيس أو أي مسؤول امريكي وانما هي فكرة ومعتقد تجاه الاخر المختلف (المسلم) ، تتحدد من خلاله الاهداف والاستراتيجيات تجاه منطقة الشرق الاوسط وقد ساهمت المؤسسات الاميريكية التعليمية والاعلام في تكريس الصور النمطية عن الاسلام والمسلمين خاصة بعد هجمات 11 سبتمبر وكما اثبتت الدراسات فإن الأمريكيون اقل الشعوب معرفة بثقافات وانماط الشعوب الاخرى.

(6) لا يمكن اغفال أهمية الاستشراق الأميركي والاستشراق بصفة عامة في دراسة العالم الإسلامي بكل أفرعه وجزئياته، بشكل علمي حتى وإن شابته الإيدولوجية والدوافع الاستعمارية، ولكنهم تمكنوا وعبر المناهج النقدية من كشف أخطاء الأحزاب الإسلامية الفتنية ذات الصلة القصيرة بالديمقراطية مما دفع بكثير من هذه الأحزاب إلى إعادة النظر في مسلماتها ونظرتها السياسية وللغرب عموماً كي تتوافق مع روح العصر ومفاهيم الديمقراطية وهو يسمى في فقه الحركات الإسلامية بالمراجعات أو التحولات خاصة بعد فترة الربيع العربي 2011 وفشل الإسلاميين في استغلال المكاسب المتاحة، فكان تأثير أطروحة أصف بيات حول ما بعد الإسلاموية كبيراً على الحركات الإسلامية من خلال تبنيها لأفكار وأسس هذه الأطروحة، في حين لم تجد أطروحة ما يكل كوك أي صدى لدى الحركات الإسلامية لأنها اعتمدت على الأسلوب المقارن بالأساس معطية تفسير حول الروح الأصولية في الحركات المعاصرة الإسلامية، أما أطروحات برنارد لويس فكان صداها قويا لصانع القرار الأميركي.

(7) أثبتت هذه الدراسة صدق المنظور البنائي والنسوي والنقدي في العلاقات الدولية التي تحتاج بالارتباط الوثيق بين المعرفة والقوة حيث تتجلى أهمية المعرفة الاستشراقية لمنطقة الشرق الأوسط في تقديم خدمة للولايات المتحدة الأمريكية في كيفية التعامل مع قضايا أساسية كالحركات الإسلامية والديمقراطية وهو نفس ما أثبتته المفكر إدوارد سعيد في تحليله للاستشراق بالإضافة إلى دور متغير الهوية الذي برز في مقولات المستشرقين بإبراز الهوية الأمريكية والاعلاء من شأنها ومن ثمة تحديد الدور الذي يجب أن تقوم به، وقد ظهر هذا في الحربين على أفغانستان والعراق والتي جاءت بتوصيات من مستشرقين بحكم الدور الذي يجب أن تقوم به أميركا كراعية و حامية للقيم الليبرالية ومدافعة عن حقوق الإنسان، ومباركة الانقلاب على حركة حماس 2006 والانقلاب على الإخوان المسلمين في مصر سنة 2013، وبفضل متغير الهوية دائماً تتشكل المواقف السياسية لدى صانع القرار الأميركي تجاه القضية الفلسطينية، و أن الإصلاح السياسي في الشرق الأوسط يأتي بتبني الرؤى التي يطرحها المستشرقون الجدد من طرف صناع القرار الأمريكيين، ومن ثمة تحديد الدور الذي تلعبه الولايات المتحدة من خلال هويتها كمدافعة عن قيم الليبرالية، الديمقراطية ومبادئ حقوق الإنسان، واقتصاد السوق، وهذا ما أثبتته التدخل العسكري في أفغانستان والعراق في فترة بوش الابن، حيث نجد في مقولات المستشرقين أن رفض الديمقراطية يعني رفض الفضيلة، وهذا كتبرير للغطرسة الأمريكية، وفي فترة ترامب انتقل مفهوم الهوية من الخطاب إلى

الممارسة حيث حيث قام ببناء سور في الحدود الامريكية لمنع المهاجرين المكسيكيين من دخول الاراضي الامريكية كما اصدر قانونا بمنع دخول مهاجري ستة دول مسلمة وهي نيجيريا، تنزانيا، ارتيريا، السودان، فيرغيزتان وميانمار، كما حذر ترامب من التطرف الاسلامي الذي يحمله المهاجرون المسلمون وبهذا يظهر ترامب انه مهووس بظاهرتي الاسلاموفوبيا Islamophobia (الخوف المرّضي من الاسلام) والاكسونوفوبيا Xenophobia اي كره الاجانب .

(8) ما يؤخذ على الاستشراق الجديد انه يضع مفاهيم الاعتدال والتطرف حسب المصالح الامريكية والغربية والاسرائيلية، مما يؤدي الى الخلط بين الحركات الاسلامية السياسية التي تتبنى القيم الديمقراطية كحركة الاخوان المسلمين في مصر وحماس في فلسطين التي تعتبر حركة مقاومة ضد الاحتلال الاسرائيلي او حزب الله والحركات العنيفة الاخرى كالقاعدة وداعش، وتبقى اخطر وثيقة هي التي حررتها مؤسسة راند سنة 2009 والتي حملت عنوان "بناء شبكات مسلم معتدل" والتي تضع مجموعة من المعايير التي يمكن من خلالها تمييز المسلم المعتدل من المتطرف، وبالفعل قد بدأت بعض توصيات هذه الدراسة بالتنفيذ من خلال دعم بعض الدعاة المسلمين ودعمهم في القنوات الفضائية ودعم الاسلام الصوفي او الروحي الذي ترى بعده عن السياسة يخدم المصالح الامريكية وانه هو البديل عن الاسلام السياسي.

(9) يبالغ العقل الاستشراقي الأمريكي في الخطر الذي تشكله الحركات الارهابية المحسوبة على الاسلام كالقاعدة وفروعها وداعش وجبهة النصرة، واعتبارها تشكل تهديدا للمصالح الامريكية وامنها القومي، فعلى ارض الواقع يلاحظ ان جل الهجمات والضحايا للتنظيمات المتطرفة من المسلمين فوفقا لبيانات مؤشر الإرهاب العالمي الصادر سنة 2019، فإن من بين البلدان العشرة الأوائل التي تواجه أكبر تهديد للإرهاب، ثمانية بلدان ذات أغلبية مسلمة. وحسب تقرير صادر عن المركز الوطني الأمريكي لمكافحة الإرهاب تبين بعد تحديد الانتماء الديني لضحايا الهجمات الإرهابية، أن المسلمين كانت نسبتهم 82 إلى 97 في المئة من قتلى الهجمات خلال السنوات الخمس الماضية، وأكد المؤشر أن المسلمين أكثر عرضة من غير المسلمين بسبعة أضعاف، أن يكونوا ضحايا للهجمات الإرهابية مؤشر الإرهاب العالمي، الذي يدار من جامعة ميريلاند بتمويل من الحكومة الأمريكية، لا يعرف بالفعل من

ينفذ 50 في المئة من الهجمات الإرهابية التي حصلت، ومع ذلك، فإنه بين عامي 2001 و 2015، وقعت 75 في المئة من الوفيات من الهجمات الإرهابية في البلدان ذات الأغلبية المسلمة. وكشفت نتائج مؤشر الإرهاب العالمي لمنطقة الشرق الأوسط 2019، عن قائمة الدول العشر الأكثر تأثراً بالإرهاب، وهي أفغانستان، العراق، نيجيريا، سورية، باكستان، الصومال، الهند، اليمن، الفلبين، الكونغو الديمقراطية، وسجل المؤشر انخفاض عدد الوفيات بسبب الحوادث الإرهابية بنسبة 52% مقارنةً بالفترة ذاتها من عام 2014، والتي شهدت ذروة نشاط "داعش" و"بوكو حرام"، إلا أن الحوادث اليمينية المتطرفة في الغرب قد ارتفعت بنسبة 320%، مشيراً إلى أن الأيديولوجية السياسية تمثل قوة دافعة لارتفاع نسبة الدافع الإرهابي وتحظى الهجمات التي ينفذها مسلمون في الغرب بتغطيات اعلامية كبيرة عن تلك التي ينفذها يمينيون او من ديانات اخرى رغم ان تلك الهجمات التي ينفذها المسلمون اقل من التي ينفذها الاخرون.

10) تأسست دراسات الاستشراق الجديد على منظومة افكار جعلها مسلمات قاربت بها المجتمع العربي، وانطلقت في تفسير احداثه واستشراف مآلاته من خلالها، الا انها فشلت في التنبؤ بالثورات العربية التي هزت الاسس المنهجية والمعرفية لهذه الدراسات.

وفي نهاية هذه الدراسة يرى الباحث ان للاستشراق الامريكي الجديد ثلاثة اوجه ، الاستشراق المؤسساتي ذو اهداف وابعاد ايدلوجية غرضها ادامة الهيمنة والسيطرة الامريكية على مسرح العلاقات الدولية المتمثل في مراكز الفكر والبحث ، الاستشراق الاكاديمي بأبعاد علمية حاولت قدر الامكان الابتعاد عن الدوائر السياسية وتمثلت في اطروحات متخصصين اكاديميين في ظاهرة دراسة الظاهرة الاسلامية، واستشراق اعلامي بابعاد ثقافية ودعائية.، اذن نستشف ان للاستشراق الأمريكي الجديد ثلاث ابعاد:

1_ بعد ايدلوجي استعماري: يهدف الى الهيمنة والسيطرة على شعوب الشرق الاوسط وهو ما يظهر في مخرجات مراكز الابحاث الامريكية واطروحات برنارد لويس، وهو ما ظهر في فترة الرئيس جورج والكر بوش باحتلال العراق وافغانستان.

2_ بعد علمي فلسفي: يقوم على استحضار نظريات أنثروبولوجية وفلسفية وسياسية تعلي من قيمة الامريكيين وتحط من قيمة الإسلام المسلمين في الشرق الاوسط رغم وجود بعض الاصوات من داخل امريكا التي تذهب عكس ذلك لكنها غير مؤثرة وغير مسموعة .

3_ بعد ثقافي دعائي: ويهدف الى تشويه صورة الاسلام والمسلمين واعلاء خطاب الاسلاموفوبيا وبث الكراهية وتكريس النظرة النمطية على المسلمين كخوغاء وهمج وارهابين ولا يصلحون للديمقراطية، ويتخذ من وسائل الاعلام الامريكية وسيلة لذلك.

ويمكن القول ان هذه الابعاد الثلاثة للاستشراق ظهرت بشكل قوي في سياسات الرؤساء الامريكيين الثلاثة بوش واوباما وترامب، فمع الرئيسين الجمهوريين بوش وترامب يبدو تأثير الأبعاد الثلاثة بشكل قوي في سياساتهما بسبب السياق الذي حكم فيه الاول والذي تزامن مع هجمات سبتمبر 2001 و تراجع مكانة امريكا في الشرق الاوسط في فترة باراك اوباما بالنسبة لتوجهات ترامب الذي أعاد احياء افتراضات المنظور الواقعي في حقل العلاقات الدولية، اما فترة الرئيس الديمقراطي باراك اوباما فقد شهدت تغليب البعد العلمي والفلسفي للاستشراق بسبب سياسة الديمقراطيين القائمة على تعزيز القيم الديمقراطية والدفاع عن حقوق الانسان، ويتجلى هذا البعد في تصريحات اوباما لمجلة اتلانتيك THE ATLANTIC سنة 2016، والذي تبنى فيه نظرة انتروبولوجية وتاريخية عن الاسلام والمسلمين.

إن الإستشراق الامريكي هو وليد الاستشراق الاوروبي وخاصة المدرسة البريطانية الانجلوساكسونية وقد عرف هجرة الكثير من المستشرقين البريطانيين على غرار برنارد لويس ومايكل كوك وتحولهم الى مستشرقين اميركيين، ومما يربط الاستشراق الامريكي بالاستشراق الاوربي هو نفس الدافع اي دراسة الشرق لغرض استعماراه واخضاعه كما يقول ادوارد سعيد، وكما اثبتته هذه الدراسة ان الاستشراق الاميركي هدفه نشر الثقافة الاميركية واخضاع شعوب المنطقة، ونشر الاطروحات و التفاسير التي تشوه الاحزاب الاسلامية وترويج عدائها للديمقراطية مع ان بعض الطروحات من تدافع عن اسلام لا يتعارض مع المبادئ الديمقراطية متمثلا في بعض الحركات كحزب العدالة والتنمية في تركيا وحركة الاخوان المسلمين في مصر، والنهضة في تونس وحركة مجتمع السلم وفروعها في الجزائر، والاخوان في الكويت، فكل هذه الاحزاب تتبنى الخيار الديمقراطي وشاركت في المجالس المنتخبة والهيئات التشريعية في بلدانها.

قائمة المصادر

والمراجع

Les references

قائمة المصادر والمراجع

/المصادر والمعاجم

- 1) يحي مراد، معجم اسماء المستشرقين، لبنان: دار الكتب العلمية، 2004
- 2) محمد بن ابي بكر الرازي، مختار الصحاح، ترتيب محمود خاطر، القاهرة: الهيئة المصرية العامة.

الكتب باللغة العربية

- 1) احمد فاروق النبهان، الاستشراق : تعريفه، مدارسه، اثاره، المغرب: المنظمة الاسلامية للعلوم والثقافة اسيسكو، 2012،
- 2) احمد محمد جاد، فلسفة المشروع الحضاري بين الاحياء الاسلامي والتحديث الغربي، تحرير عبد الناصر العساسي في ملخصات كتب اصدارات مؤلفات المعهد العالي للفكر الاسلامي ج1، القاهرة- الزمالك : مركز الدراسات المعرفية، 2011
- 3) ادوارد سعيد ، الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، تر. كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط7/2005
- 4) ادوارد سعيد، (تر: صبحي حديدي)، تعقيبات على الاستشراق، عمان: دار الفارس للنشر والتوزيع، 1996
- 5) ادوارد سعيد، (تر: محمد عناني)، الاستشراق: المفهوم الغربي للشرق، ، القاهرة: دار رؤية، 2006.
- 6) احمد يوسف، الاسلاميون وأمريكا التحدي والاستجابة، الجزائر: دار قرطبة، 2005
- 7) ارثر لوري ، ابعاد الحملة ضد الاسلام في الاعلام الامريكي دراسة في الخطاب الصحفي، في كتاب مستقبل الاسلام السياسي، محرر: احمد يوسف ، المغرب: المركز الثقافي العربي، 2001

- (8) امنة الجبلوي، الاسلام المبكر الاستشراق الانجلوسكسوني الجديد (باتريسيا كرون ومايكل كوك اتمونجا)، المانيا- بغداد : منشورات الجمل، 2008.
- (9) امير عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن، نقلا عن مازن المطبقاني، الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الاسلامي.
- (10) اوليفيه مووس ،(تر: عومرية سلطاني)، تيار الاستشراق الجديد والاسلام، ، مصر: مكتبة الاسكندرية ، 2010
- (11) برنارد لويس ، ادوارد سعيد ، الاسلام الاصولي، بيروت: دار الجيل، 1994
- (12) بن سالم حميش، العرب والاسلام في مريا الاستشراق ، القاهرة: دار الشروق ، 2011
- (13) بلال التليدي، الاسلاميون ومراكز البحث الامريكية، بيروت: مركز نماء، 2014
- (14) جرنوت روتر، الدراسات العربية والاسلامية في جامعة توينجن، من كتاب الاستشراق الالمانى. الدراسات العربية والاسلامية بجامعة تويخين، تر: رضوان السيد، بيروت : دار صادر، (دت)
- (15) جو كنشلو وشيرلي شتاينبرغ (تر: حسان بستاني)، التربية الخاطئة للغرب، كيف يشوه الاعلام الغربي صورة الاسلام، لبنان: دار الساقى، 2005
- (16) جون اسبوزيتو (تر: قاسم عبده قاسم) ، التهديد الاسلامي حقيقة ام خرافة، القاهرة: المركز القومي للترجمة ، 2009
- (17) جيل كيبل (تر: احمد خضر)، النبي والفرعون، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1988
- (18) حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، القاهرة: الدار الفنية للنشر والتوزيع، 1991
- (19) حسن عزوزي، اليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الاسلامية، المغرب: سلسلة تصحيح صورة الاسلام، 2007.
- (20) حميد دباشي، ما بعد الاستشراق: المعرفة والسلطة في زمن الارهاب، ترجمة: باسل عبد الله وطفة. ايطاليا ، منشورات المتوسط ، 2015

- 21) خالد ابراهيم المحجوبي، الاستشراق والاسلام: مطارحات نقدية للطروح الاستشراقية، ط 1، ليبيا: اكااديمية الفكر الجماهيري، 2008.
- 22) خيرى منصور ، الاستشراق والوعي السالب، ط 2، بيروت : مكتبة مدبولي، 2005
- 23) رودى بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة مصطفى ماهر، القاهرة، مصر، 2011.
- 24) زكاري لويمان، تاريخ الاستشراق وسياساته ، تاريخ الصراع على تفسير الشرق الاوسط ، تر: شريف يونس، القاهرة: دار الشروق 2007
- 25) ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، الجزء الاول، ليبيا : دار المدار الاسلامي، 2002
- 26) الشيباني المبروك المنصوري.. صناعة الاخر: المسلم في الفكر الغربي المعاصر من الاستشراق الى الاسلاموفوبيا . بيروت : مركز نماء للبحوث والدراسات . 2014.
- 27) شيريل بينارد واخرون، بناء شبكات اعتدال اسلامي، تر: ابراهيم عوض، القاهرة: مركز نماء، 2016
- 28) شيريل بينارد،(تر: ابراهيم عوض) الاسلام المدني الديمقراطي الموارد الشركاء الاستراتيجيات ، القاهرة: مركز نماء للبحوث والدراسات ، 2013
- 29) صلاح الجابري، الاستشراق قراءة نقدية، سورية: دار الاوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، 2009
- 30) صلاح قنصوة، الموضوعية في العلوم الانسانية: عرض نقدي لمناهج البحث، بيروت: التنوير للطباعة والنشر والتوزيع. 2007.
- 31) ضياء الدين سرادار (تر: صالح فخري)، الاستشراق، صورة الشرق في الاداب والمعارف الغربية، الامارات العربية المتحدة، هيئة ابو ظبي للسياحة والثقافة، 2011
- 32) عادل الجوجري، برنارد لويس سياف الشرق الاوسط ومهندس سايكس بيكو 2 (دم) مكتبة جرير ، 2015

- 33) عبد اله بلقزيز . نقد الثقافة الغربية في الاستشراق والمركزية الاوروبية، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، 2017 .
- 34) عبد الوهاب المسيري، اشكالية التحيز : رؤية معرفية ودعوة للاجتهد، ج1، الولايات المتحدة: المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ط2، 1996
- 35) عبد الناصر جندلي، التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية والنظريات التكوينية، الجزائر، دار الخلدونية ، 2007.
- 36) فخري صالح، كراهية الاسلام كيف صور الاستشراق الجديد العرب والمسلمين، لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون ، 201 ادوارد سعيد، تغطية الاسلام (تر: محمد عناني)، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع 2005،
- 37) فريد.ماكرو دونر، القرآن في احدث البحوث الاكاديمية، في: القرآن في محيطه التاريخي ، اعداد جبرئيل سعيد رينولدز، (ترجمة: سعد الله السعدي)، بيروت: منشورات الجمل، 2012
- 38) فؤاد زكرياء ، نقد الاستشراق وازمة الثقافة العربية المعاصرة نقد المنهج . مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة 2017
- 39) مادلين غراويتز، مناهج العلوم الاجتماعية، ترجمة: سام عمر، (ط 1)، دمشق: المركز العربي للترجمة والتأليف والنشر، 1993
- 40) مازن المطبقاني، بحوث في الاستشراق الامريكي المعاصر، المدينة المنورة (دد)، 1999
- 41) مازن بن صلاح مطبقاني، الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الاسلامي، الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، 1995
- 42) مازن المطبقاني ، الاستشراق والمستشرقون" منشور على الرابط: <https://www.noor-book.com/-pdf>
- 43) مازن المطبقاني ، هل انتهى الاستشراق حقا، منشور على الشبكة العنكبوتية على الرابط التالي: <https://www.kutub-pdf.net/downloading/76OP>

- 44) مايكل كوك، اديان قديمة وسياسات جديدة: الحالة الاسلامية من منظور مقارن، (تر: محمد مراس المرزوقي)، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2017.
- 45) محمد الدعمي، الاستشراق الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الاسلامي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 2007.
- 46) محمد بن عبود، منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الاسلامي في مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الاسلامية ج1، 1985.
- 47) محمد عابد الجابري، الرؤية الاستشراقية في الفلسفة الاسلامية طبيعتها ومكوناتها الايدلوجية والمنهجية في: مناهج المستشرقين. 1985.
- 48) محمد فتح الله الزيايدي، الاستشراق اهدافه ووسائله، دراسة تطبيقية حول منهج بن خلدون في الدراسات الغربية، (دم)، دار قتيبة للنشر، 1998
- 49) محمد نصر عارف، ابستمولوجيا السياسة المقارنة (النموذج المعرفي، النظرية، التطبيق)، القاهرة: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،
- 50) محمد شلبي، المنهجية في التحليل السياسي، الجزائر: دن، 1997
- 51) محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، القاهرة: دار المعارف 1997.
- 52) مسفر بن علي القحطاني، صدام القيم قراءة ما بعد التحولات الحضارية، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 1، 2015
- 53) مصطفى عبد الغني، المستشرقون الجدد ومراكز البحث الامريكية، القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ط1، 2007
- 54) مكسيم رودينسون (تر: الياس مرقص)، جاذبية الاسلام ، لبنان: دار التنوير للنشر والترجمة، 2003

- 55) نصر محمد عارف، نظريات التنمية السياسية المعاصرة: دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الحضاري الاسلامي، القاهرة: دار القارئ العربي.
- 56) نيثان اردلز ومايك مدافوي (تر: بثينة الناصري) الاعلام الامريكي بعد العراق حرب القوة الناعمة ، القاهرة: المركز القومي للترجمة ،2015
- 57) هشام القروي، مراكز البحوث الامريكية ودراسات الشرق الاوسط بعد 11 سبتمبر، بيروت :مركز نماء للبحوث والدراسات، 2013
- 58) وائل حلاق، قصور الاستشراق منهج في نقد العلم الحداثي، لبنان، الشبكة العربية للابحاث والنشر، 2019
- 59) الوهبي عبد الله، حول الاستشراق الجديد مقدمات اولية . الرياض : البيان مركز البحوث والدراسات، 2014
- 60) يحي مراد، افتراءات المستشرقين على الاسلام والرد عليها، بيروت: دار الكتب العلمية، (د ت).

الكتب باللغة الاجنبية

1. said Edward, **orientalism**. UNITED STATES: vintage eddition , 1979
2. AbuRumman, Mohammad Suliman, **Post Islamism: A New Phase or Ideological Delusions**, Jordan & Iraq; Published in 2018 by Friedrich-Ebert-Stiftung , 2018,
3. Ariel I. Ahram **The theory and method of comparative area studies**, USA; Published by: sage, Department of Political Science, University of Oklahoma, 2011
4. Asaf hussain, **the ideology of Orientalism" in Orientalism , islam, and islamists**, ed AHussain et al Vermont, Vermont, USA: 1984
5. Beatriz Marín Aguilera, **ORIENTALISING SPAIN: THE ‘OTHER’ FROM WITHIN, SPAIN; EDITADO POR ARKEOGAZTE-K EDITATUA**. 2016

6. Bernard Lewis , **The Arab In History**, London: Huchinson &co.1950, 5th edition 1970, reprinted, New York: Harper, Row, 1975
7. Bernard Lewis, **British contribution to Arabic studies**, London. 1941
8. Bernard Lowis. **What went Wrong**, Published by Oxford University Press, Inc. 198 Madison Avenue, New York, New York 10016 2002
9. C.Breckenridge and P.van der veer,**Orientalism and postcolonial Predicament** (Philadelphia: University of Philadelphia Press, 1993,p111
10. Dounia Bouzar, **Désamorcer l'islam radical**, Paris: Éditions de l'Atelier/Éditions Ouvrières, 2014
11. Gill kippel, **the prophet and pharon**, Lebanon: dar essaqi 1985
12. Hakim El Karoui, **La fabrique de l'islamisme**, paris: Institut Montaigne, 2018, ,
13. Jukka joukhi, **Imagining the other, Orientalism and Occidentalism**, Finland: University of Jyväskylä, 2006
14. LAURENS Henry, **L'orientalisme français : un parcours historique, dans Penser l'Orient**, de Youssef Courbage et Manfred Kropp, ouvrage collectif
15. Marco Ceccarelli. **Analysing the Ideological Roots of Terrorism: *La Civiltà Cattolica* and Catholic Responses to Islamic Fundamentalism in the Twenty-first Century**, in the root causes of terrorism edited by Mohamoud Mesaeli & Rico Sniler, Cambridge Scholars Publishing 2017
16. Martin Kramer, **Ivory Towers on Sand The Failure of Middle Eastern Studies in America**, The Washington Institute for Near East Policy, 2001.
17. Simon Bromley, **Rethinking Middle East politics**, 1st University of Texas ,Press ed 1994.
18. Szanton David L, **The Politics of Knowledge: Area Studies and the Disciplines**, California; Published in association with University of California Press 2002
19. Ursula wokoek, **German Orientalism; the study of middle east and islam 1800 to 1945**, , Simultaneously published in the USA and Canada by Routledge 2009
20. Zachary Lockman, **Contending Visions of the Middle East *The History and Politics of Orientalism***, British: Cambridge press

- (1) الاستشراق الامريكى طبيعته وخلفياته، وجدة: مركز البحوث والدراسات الاجتماعية 2008
- (2) احمد باي، السياسة الامريكية بعد احداث 11 سبتمبر 2001 وقضية التحول الديمقراطي في العالم العربي، " مجلة دراسات استراتيجية"، الجزائر، العدد 11، جوان 2010
- (3) احمد محمود سلامي، الاستشراق المعكوس في فكر حسن حنفي، المجلة الاردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد 09، العدد:01،
- (4) انور عبد الملك (تر: حسن قبيسي)، الاستشراق في ازمة، مجلة الانماء العربي للعلوم الانسانية، العدد : 32 افريل/ جوان 1983
- (5) جميل حمداوي، الاستشراق والاستمزاغ والاستعراب والاستغراب (مقاربة مفاهيمية)، مجلة دراسات استشرافية، العدد 19، صيف 2019
- (6) جون اسبوزيتو ، التهديد الاسلامي، وهم ام حقيقة مراجعة رضوان السيد مجلة الاجتهاد
- (7) حميد بارسانيا، هادي بيكي ملك اباد (تر: حسن الصراف)، الاستشراق في عصر ما بعد الحداثة اسسه ونتائجه، مجلة دراسات استشرافية، العدد 10، شتاء 2017
- (8) حوسين بلخيرات، تراجع دراسات المناطق في الجامعات الامريكية واثرها على السياسة الخارجية الامريكية في الشرق الاوسط ، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية، العدد 10 جوان 2018
- (9) رضوان لجيمي بلخيرى، العرب والمسلمون في السينما الامريكية بعد 11 سبتمبر 2001 بين التشويه والتنميط ، مجلة دراسات العلوم الانسانية و الاجتماعية ، المجلد 43 ملحق 5
- (10) طلعت رميح، خطط تفتيت المنطقة : هل ستأخذ طريقها الى التنفيذ؟ مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الاستراتيجية، مارس 2011
- (11) عبد الحليم ريوفي، " ماهية الاستشراق، النشأة. المناهج والاهداف. الاصناف والوسائل" مجلة الانسان والمجتمع، جامعة تلمسان العدد 02، (ديسمبر 2001)،

- (12) عبد الفتاح نعوم ، "مساهمة الاستشراق الامريكى في صعود دراسات المناطق"، مجلة تبين، الدوحة، العدد 3/9، 2014.
- (13) عبد الفتاح نعوم ، اثر المعرفة المعاصرة في التنطيق الاستراتيجى للعالم: الاستشراق والفكر الاستراتيجى ودراسات المناطق، مجلة المستقبل العربى، مجلة المستقبل العربى العدد 453: تشرين الثانى/نوفمبر 2016
- (14) عبد النبى اصطيف ، نحو استشراق جديد ، مجلة الاجتهاد، لبنان: دار الاجتهاد للنشر والترجمة العدد51/52ربيع وصيف 2001
- (15) كنيث بولاك، الولايات المتحدة واستراتيجيات متكاملة في الشرق الاوسط رؤية امريكية " مجلة السياسة الدولية" القاهرة، العدد 175 يناير 2009
- (16) محمد المحفلي، ادوات التحليل اللغوي في نقد الاستشراق الجديد، مجلة الذاكرة، العدد 11 جوان، 2018.
- (17) محمد حسن زمانى، "الاستشراق، تاريخه ومراحله" مجلة دراسات استشرافية، العتبة العباسية المقدسة، العدد 01، (صيف 2014)
- (18) محمد مسعى العربى، عرض لكتاب ما بعد الاسلاموية: الواجه المتغيرة للاسلام السياسى، مركز الجزيرة للدراسات 2018
- (19) مراح مراد ، هوليوود والسياسة (فيلم فنهراثيت 09/11 لمايكل مور نموذجاً)، مجلة الصورة والاتصال. جامعة وهران، العدد 17، (دت)
- (20) يوسف جحيش، اشكالية القطيعة الابستمولوجية للاسلام السياسى بعد احداث 11 سبتمبر 2001 في العالم العربى- الاسلامى، " المجلة الجزائرية للسياسة العامة" الجزائر، العدد 01 ، سبتمبر 2011.
- (21) ابراهيم بن عمار، خصائص الاستشراق الامريكى، مجلة الحوار المتوسطى، المجلد التاسع، العدد 1، مارس 2018

(22) رضوان السيد، نقد الاستشراق. *مجلة الاجتهاد*، لبنان: دار الاجتهاد للنشر والترجمة العدد 52/51 ربيع وصيف 2001

(23) جون اسبوزيتو ، التهديد الاسلامي، وهم ام حقيقة مراجعة رضوان السيد ، *مجلة الاجتهاد*، لبنان: دار الاجتهاد للابحاث والترجمة والنشر، العدد 21 خريف، 1993

(24) يوسف محمد بن الناصر ، الرحلة التفكيكية لـ د. عبد الوهاب المسيري ود. إدوارد سعيد أنموذجا، مركز افكار للدراسات والابحاث، 2019.

(25) سيف الدين عبد الفتاح، حول المنهجية الاسلامية مقدمات وتطبيقات، *مجلة المسلم المعاصر* ، العدد 100 يونيو 2001.

المجلات والدوريات باللغة الانجليزية

- 1) Ahmed Jawad, The Great Orientalist Bernard Lewis, *Outstanding Honors Theses*, (2012).
- 2) Are Knudsen, : Political Islam in the Middle East, Chr. Michelsen **Institute Development Studies and Human Rights** , 2003.
- 3) Arsalan Iftikhar , MUSLIMS MOST NEGATIVELY PORTRAYED MINORITY IN US MEDIA:<https://bridge.georgetown.edu/research/report> visite: 15,03, 2020
- 4) Aziz douai. sharon Lauricella, The ‘terrorism’ frame in ‘neo-orientalism’: western news and the sunni–shia Muslim sectarian relations after 9/11, **International Journal of Media & Cultural Politics** Volume 10 Number 1 2014
- 5) Bernard Lewis, Emission In Depth (06/04/03) on [:https://www.youtube.com/watch?v=EkQwc1QAies](https://www.youtube.com/watch?v=EkQwc1QAies)
- 6) Bernard Lowis. What went Wrong **The Atlantic Monthly** | January 2002
- 7) Edmund Burke, Orientalism and World History: Representing Middle Eastern Nationalism and Islamism in the Twentieth Century, **Theory & Society** , 27:4 (August 1998)

- 8) Fred Halliday, Orientalism' and its Critics, **British Journal of Middle Eastern Studies**, Vol. 20, No. 2 (1993).
- 9) Global Terrorism Index 2019, The Institute for Economics & Peace, New York.
- 10) Hajer Ben Hadj Salem , American Orientalism: How the Media Define What Average Americans Know about Islam and Muslims in the USA, *international journal of humanities and cultural studies*, Volume 2 Issue 3 December 2015
- 11) Hossein Khosrowjah ,A Brief History of Area Studies and International Arabs studies ,**Arabs quarterly** ASQ 33.3/33.4 Produced and distributed by Pluto Journals,
- 12) Ibrahim Haruna Hassan, Orientalism and Islamism: A Comparative Study of Approaches to Islamic Studies, **Arts Social Sci J** 2015
- 13) Marvin Wingfield and Bushra Karaman, American Orientalism: How the Media Define What Average Americans Know about Islam and Muslims in the USA, **AK Press**, 2007
- 14) Meghana V. Nayak and Christopher Malone, American Orientalism and American Exceptionalism: A Critical Rethinking of US Hegemony, Pace University, **International Studies Review** 2009.
- 15) MOHAMMAD SAMIEI, Neo-Orientalism? The relationship between the West and Islam in our globalised world, **Third World Quarterly**, Vol. 31, No. 7, 2010.
- 16) Pradana Boy, Prophetic social sciences: toward an Islamic-based transformative social sciences, **Indonesian Journal of Islam and Muslim Societies**, Volume 1, Number 1, June 2011.
- 17) Sadik Jalal al-'Azm ,Orientalism and orientalism in reverse ,on; <https://libcom.org/library> visited in 15.07.2020
- 18) Salim Kerboua, From Orientalism to neo-Orientalism: Early and contemporary constructions of Islam and the Muslim world, **Intellectual Discourse**, (2016).

3/الاطروحات والرسائل الجامعية باللغة العربية

1) ابراهيم بن عمار، الاستشراق المعاصر ودوره في صنع السياسة الخارجية الامريكية تجاه منطقة الشرق الاوسط، اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية، جامعة وهران، 2019،

2) صلاح الدين خليل ربيع جابر، موقف ادارة بوش الابن من الاصولية الاسلامية في منطقة الشرق الاوسط ، مذكرة ماجستير ، جامعة بير الزيت : كلية الدراسات العليا فلسطين : 2010.

3) عصام بن الشيخ، مقارنة الجندر وانعكاساتها على الوضع السياسي للمرأة المغاربية، اطروحة دكتوراه ، تخصص علاقات دولية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2015

الرسائل والاطروحات باللغة الانجليزية:

- 1) Hassiba Boukhatem, "**American orientalism the east west dichotomy**" doctorat dissertation, Oran university 2, 2016
- 4) Elaaf Rajih HADI, **The Impact of US' Neo-Orientalism On the Future of Nation-State in Iraq in the light of IS crisis**, Dissertation of Political Theory, University of Rome, Italy, 2016
- 5) Mohamed Samiai, **Neo-orientalism? A critical appraisal of changing Western perspectives"**Bernard Lewis, John Esposito and *Gilles Kepel*, westminster, kingdom 2009
- 6) *Tinka van Wijngaarden neo orientalism post-9/11 fiction and film*) , thesis master, Lieden university Holland 2015.

- (1) احمد عبد الفتاح، اديان قديمة وسياسات حديثة " لماذا نشأ اسلام سياسي ، متوفر على الرابط <https://www.ida2at.com/old-religions-and-modern-politics-why-> التالي: <https://www.ida2at.com/old-religions-and-modern-politics-why-> /did-political-islam-arise تاريخ الزيارة 2020/02/22
- (2) ادوارد سعيد ، كيف يراه وائل حلاق منشور على الرابط: <https://www.ammonnews.net/index.php?page=article&id=489046>
- (3) الاسلاميون في السياسة:ديناميكيات المشاركة" مارينا اوتاي وعمر حمزاوي، 2008 المنشور على موقع المعهد: <https://carnegieendowment.org/files/greyzone>
- (4) تيم رويمر واخرون " اعادة كتابة القصة: استراتيجية مندمجة لمكافحة الارهاب" 2009.على الرابط : <http://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/rewriting-the-narrative-an-integrated-strategy-for-counterradicalizati>
- (5) حسن ابوهنية، مستقبل الاسلام السياسي ، موقع حبر ، تاريخ الزيارة 01 /10 /2020 <https://www.7iber.com/politics-economics/the-future-of-political-2020/islam>
- (6) حسين مجدوبي، الاستشراق الاعلامي، متوفر على الرابط :
- (7) خزعل الماجدي، مخالب الاستشراق الجديد ورؤسه الثلاثة، تاريخ الزيارة 14 /01 /2020 متوفر على الرابط: [/https://www.alittihad.ae/article/3881/2016](https://www.alittihad.ae/article/3881/2016)
- (8) روبرت ساتلوف واخرون " انتصار حماس واثره على السياسة والاقتصاد والاستراتيجية" ، 2006، على الرابط:
- (9) روبرت ساتلوف، " دروس من خط الجبهة في المعركة من اجل القلوب والعقول عامان لي في المغرب" 2004، منشورة على موقع معهد واشنطن: <http://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/lessons-from-the-front-line-in-the-battle-for-hearts-and-minds-my-two-years>

(10) روبرت ساتلوف، " كيف تستطيع واشنطن مساعدة تونس وثورات اخرى " 2011، منشور

على الرابط: <https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/how-washington-can-help-tunisia-and-other-arab-revolutions>

(11) روبرت ساتلوف، " كيف تستطيع واشنطن مساعدة تونس وثورات اخرى " 2011، منشور

على الرابط: <https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/how-washington-can-help-tunisia-and-other-arab-revolutions>

(12) روبرت ساتلوف، " مصالح الولايات المتحدة الامريكية في مصر : اعلان مقترح للسياسة

الامريكية" 2011 ، المنشور على الرابط :

<http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/u.s.-interests-in-egypt-a-proposed-statement-of-u.s.-policy>

(13) روبرت ساتلوف، " مصالح الولايات المتحدة الامريكية في مصر : اعلان مقترح للسياسة

الامريكية" 2011 ، المنشور على الرابط :

<http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/u.s.-interests-in-egypt-a-proposed-statement-of-u.s.-policy>

(14) روبرت مالي، روبرت ساتلوف " سياسة الولايات المتحدة اتجاه الاسلاميين: الاحتواء

مقابل الاقصاء" الرابط

(15) رويل مارك شارجن " معضلة الديمقراطية في الشرق الاوسط: هل الاسلاميون هم الحل "

2005، منشور على الرابط: <http://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/the-democracy-dilemma-in-the-middle-east-are-islamists-the-answer>

(16) السيد ولد اباه : برنارد لويس والاسلام السياسي متوفر على الرابط :

<https://futureuae.com/en/Mainpage/Item/3961/%D8%A8%D8%B1%D9%86%D8%A7%D8%B1%D8%AF-%D9%84%D9%88%D9%8A%D8%B3-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9>

[%85-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A](#)

تاريخ الزيارة 2020 /01 /15

(17) صورة العربي والمسلم في السينما الامريكية، موقع الخليج اون لاين ، متوفر على الرابط

التالي: <https://alkhaleeonline.net> تاريخ التصفح: 20.03.20120

(18) عارف حمزة، الاستشراق الاستعماري والمعاصر.. هل كان النموذج الألماني مختلفاً؟

<https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2019/11/30> الاستشراق -

الاستعماري-ألمانيا تاريخ الزيارة 2020/07/10.

(19) عبد الباسط الغابري، قراءة في كتاب " أزمة الإسلام الحرب الأقدس والإرهاب المدنّس

رؤية المحافظين الجدد واليمين الأمريكي للإسلام المعاصر " ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود على

الرابط التالي : <https://www.mominoun.com/articles/3691> تاريخ الزيارة

2020/03/30.

(20) عبد الرحمن مظهر الهلوش-القامشلي جدل الاستشراق مجددا.. رودنسون ووائل حلاق

في مواجهة إدوارد سعيد

<https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2020/2/11> تاريخ الزيارة:

2020/07/09

(21) عصام عيدو، سباق المخطوطات القرآنية ..الجدل الغربي والتباسات التلقي، جريدة

بيروت نيوز الالكترونية، يوليو 2015 تاريخ الزيارة 2019/11/07 متوفر على الرابط :

<http://www.beirutme.com/?p=13268>

(22) عمران عبد الله، الاستشراق من ادوارد سعيد الى ترامب: انفجار كراهية الاسلام متوفر

على الرابط التالي: <https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2019/5/29>

تاريخ الزيارة 2020/03/13

(23) عمرو حمزاوي ، مارينا اوتاوا واخرون " التساؤلات التي ينبغي على الحركات الاسلامية

الاجابة عنها: حركة الاخوان المسلمين في مصر نموذجا" على موقع المعهد:

https://carnegieendowment.org/files/islamists_egypt.pdf

- (24) عمرو حمزاوي ، نيثان براون واخرون، " الحركات الاسلامية والعملية الديمقراطية في العالم العربي، استكشاف المناطق الرمادية، 2006 على موقع كارنيجي:
<https://carnegieendowment.org/files/greyzone>
- (25) عمرو حمزاوي، سارة غريبوسكي " نبذ العنف وتبني الاعتدال: نهج المراجعة وتبني الاعتدال في الجماعة الاسلامية وجماعة الجهاد في مصر " 2010 ،في:
<https://carnegieendowment.org/files/greyzone>
- (26) مارينا اوتوي وعمرو حمزاوي " الاحزاب العلمانية في العالم العربي: الصراع على جبهتين " 2007، على موقع المعهد:
<https://carnegieendowment.org/files/greyzone>
- (27) مارينا اوتوي " دعم الديمقراطية في الشرق الاوسط: استعادة المصداقية " 2008، المنشور على الرابط:
<https://www.washingtoninstitute.org/uploads/Documents/pubs/PolicyFocus53.pdf>
- (28) مارينا اوتاي ومروان المعشر " الاحزاب الاسلامية في السلطة: عمل لما يكتمل " 2012، المنشور على الرابط <http://carnegie-mec.org/2012/05/23/ar-pub-48228>
- (29) محمد تركي الربيعو ، اديان قديمة وسياسات حديثة، كيف قرأ مايكل كوك الاصولية الاسلامية، منشورة على الرابط : <https://www.alquds.co.uk/%EF%BB%BF> تاريخ الزيارة 2020/02/22
- (30) محمد تركي الربيعو، وائل حلاق في قصور الاستشراق: إعادة الاعتبار لصور ودور المستشرق منشور على الرابط : <https://www.alquds.co.uk>
- (31) محمد مسعي العربي، عرض لكتاب ما بعد الاسلاموية: الاوجه المتغيرة للاسلام السياسي، مركز الجزيرة للدراسات
- (32) مدي الفاتح، نهاية الاسلام السياسي كنظرية استشراقية ، متوفر على الرابط:
<https://www.alquds.co.uk/%EF%BB%BF> تاريخ الزيارة 2020/02/25

- (33) علاء ابراهيم رجب، دور المراكز البحثية الأمريكية في عملية صنع القرار السياسي: دراسة حالة "مؤسسة راند"، المركز العربي للبحوث والدراسات، جمهورية مصر العربية: متوفر على الرابط: <http://www.acrseg.org/41175>
- (34) نسيبة تامة، المعرفة، سلاح المستشرقين الجدد، مدونات الجزيرة منشورة على الرابط: <https://www.aljazeera.net/blogs/2017/7/26>
- (35) وحدة الدراسات السياسية، دور مراكز الفكر في دعم اتخاذ القرار اقليميا ودوليا، مركز الحكمة للبحوث والدراسات والاستشارات، الكويت، العدد 2، مايو 2020
- (36) هادي قبيسي ، دور مراكز الابحاث والدراسات في صناعة القرار امريكا نموذجا، مركز المعارف للدراسات الثقافية، لبنان، على الرابط : <http://www.almaarefcs.org/4370/275>
- (37) اشرف العيسوي، قضايا الشرق الاوسط في الانتخابات الامريكية 2020، والتحولت المحتملة في السياسة الامريكية، مركز ترندز للبحوث والاستشارات، جويلية 2020، الامارات العربية المتحدة على الرابط: <https://trendsresearch.org/ar/insigh>
- (38) حسن ابو هنية، مقارنة ترامب للحرب على الارهاب، موقع عربي 21، متوفر على الرابط: <https://arabi21.com/> امينة ابو شهاب، عقيدة اوياما، تعميمات استشرافية فوقية ووصاية ثقافية، مركز الخليج للدراسات، الامارات العربية المتحدة، 2016، متوفر على الرابط: <http://www.alkhaleej.ae/studiesandopinions/page/89A2B2F8-1548-4E3F-B7D7-1E9961FC2332>
- (39) ويس متشل واخرون، (تر: فرح عصام)، وداعا للشرق الاوسط، هل أعاد ترامب بناء السياسة الخارجية الاميريكية ببراعة، جانفي 2020 متوفر على الرابط : [/https://www.aljazeera.net/midan/reality/politicsstory/960081](https://www.aljazeera.net/midan/reality/politicsstory/960081)

- 1) صالح علواني،(2014) مركزية الذات عند المستشرقين وتمرد البعض عنها: روجي غارودي نموذجاً، ورقة مقدمة للملتقى الدولي محمد بن شنب والاستشراق، المنظم بولاية المدية يومي 7 و10 ديسمبر 2014.
- 2) محمد الامين بحري،(2014) "من اجل نقد حدائي للاستشراق ، من اوهام التمركز الى فتوحات المثاقفة" مداخلة الملتقى الدولي محمد بن شنب والاستشراق ، المنظم بولاية المدية 7 و 10 ديسمبر 2014.

الفهرس

		شكر وتقدير
		الإهداء
الصفحة	العنوان	الرقم
أ-ق	مقدمة الدراسة	1
67-04	الفصل الأول: الاستشراق (المفهوم، المناهج والمدارس)	2
06	مقدمة الفصل الاول	3
07	المبحث الأول: تفكيك البنية المفاهيمية للاستشراق	4
07	المطلب الأول: الاستشراق لغة واصطلاحا	5
27	المطلب الثاني : التطور التاريخي لمفهوم الاستشراق	6
37	المبحث الثاني: المناهج الفكرية للمستشرقين في دراسة الاسلام	7
39	المطلب الأول: نظرة الاستشراق للفلسفة الاسلامية	8
41	المطلب الثاني: منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الاسلامي	9
46	المطلب الثالث: مناهج المستشرقين في دراسة القرآن الكريم و السنة النبوية	10
50	المبحث الثالث: المدارس الكلاسيكية الاستشراقية	11
51	المطلب الأول: المدارس الاستشراقية اللاتينية	12
58	المطلب الثاني:المدارس الاستشراقية الانجلوساكسونية	13
64	المطلب الثالث: المدرسة الاستشراقية السلافية	14
67	خلاصة واستنتاجات :	15
111-68	الفصل الثاني: الاستشراق الامريكي (البدايات.المسار، الخصائص)	16
69	مقدمة الفصل	17
70	المبحث الأول: الدراسات الاستشراقية في الولايات المتحدة الامريكية : الخلفية التاريخية	18
76	المطلب الأول: بواكير الدراسات الشرق اوسطية في امريكا	19
80	المطلب الثاني: نهاية الحرب العالمية الثانية و بروز دراسات المناطق	20
86	المطلب الثالث: الدراسات الشرق اوسطية بعد هجمات 11 سبتمبر 2001	21
92	المبحث الثاني: اسباب وعوامل انبعاث الاستشراق الامريكي الجديد	22
100	المبحث الثالث: الخصائص العلمية للاستشراق الامريكي الجديد	23
111	خلاصة و استنتاجات	24
207-112	الفصل الثالث: المقاربات التفسيرية والنماذج الفكرية للإستشراق الامريكي الجديد	25
113	مقدمة الفصل	26
115	المبحث الأول: الاستشراق المؤسساتي-النماذج التفسيرية لمراكز الابحاث الامريكية لظاهرة الاسلام السياسي	27
117	المطلب الأول: معهد كارنيجي : الافتراضات والحجج	28
128	المطلب الثاني: معهد واشنطن لسياسات الشرق الادنى : الافتراضات والحجج	29
138	المطلب الثالث: مؤسسة راند: الافتراضات والحجج	30
154	المبحث الثاني: الاستشراق الاكاديمي	31

154	المطلب الأول: المستشرق برنارد لويس ومقاربة الاسلام الاصولي	32
165	المطلب الثاني: المستشرق مايكل كوك - دراسة الحالة الاسلامية من منظور مقارن	33
172	المطلب الثالث: المستشرق اصف بيات واطروحة ما بعد الاسلام السياسي	34
182	المبحث الثالث: الاستشراق الاعلامي الامريكي ونظريته للاسلام والمسلمين	35
183	المطلب الأول: صورة الاسلام والمسلمين في الصحف والقنوات التلفزيونية	36
192	المطلب الثاني: صورة الاسلام والمسلمين في السينما الامريكية	37
199	المبحث الثالث: دور المعرفة الاستشراقية في عملية صنع القرار الامريكي	38
207	خلاصة واستنتاجات	39
209 - 258	الفصل الرابع: المطارحة النقدية للاستشراق الامريكي الجديد وحدوده المعرفية والمنهجية	40
210	مقدمة الفصل	41
211	المبحث الاول: الاشكاليات المنهجية في العلوم الانسانية الغربية	42
222	المبحث الثاني: ازمة النموذج المعرفي في الاستشراق الامريكي الجديد	44
228	المبحث الثالث: اشكالية المفاهيم في الاستشراق الامريكي الجديد	45
236	المبحث الرابع: الازمة الراهنة للاستشراق الامريكي الجديد ومستقبله	46
236	المطلب الاول: الازمة الراهنة للاستشراق الامريكي الجديد	47
246	المطلب الثاني: مستقبل الاستشراق الامريكي الجديد	48
258	خلاصة الفصل	49
259	الخاتمة	50
267	قائمة المراجع والمصادر	51
287	الفهرس	52
290	الملخص	53

المأخض

الملخص:

استحوذت حركات الاسلام السياسي على اهتمام الباحثين الغربيين والامريكيين على وجه الخصوص منذ ان تشكلت كفاعل قوي في المعادلات السياسية الداخلية للدول في العالمين العربي والاسلامي وبشكل اكثر تحديدا منذ الثورة الايرانية 1979، وازداد هذا الاهتمام اكثر بعد هجمات 11 من سبتمبر ضد برجى التجارة العالمي بنيويورك بالولايات المتحدة الامريكية.

هذه الهجمات اعادت طرح اشكالية العلاقة بين الغرب والاسلام من جهة وعلاقة الاسلام بالسياسة والارهاب والعنف والديمقراطية من جهة ثانية، في هذا السياق انبرت المؤسسات البحثية الامريكية والجامعات والمؤسسات الاعلامية في دراسة وتناول هذه القضايا فيما يعرف بالاستشراق الجديد الذي ظهر على يد مجموعة من الخبراء والمتخصصين والاكاديميين اطلق عليهم المستشرقون الجدد ، امثال برنارد لويس ودانيال بايبس وجون اسبوزيتو ومايكل كوك واصف بيات...الخ حاول هؤلاء الاقتراب اكثر من الظاهرة الاسلامية عبر مقاربات تفسيرية مختلفة.

تسعى هذه الدراسة الى استكشاف القدرات التفسيرية للاستشراق الامريكي الجديد لتفسير ظاهرة تحولات الاسلام السياسي في الشرق الاوسط منذ هجمات 11 سبتمبر 2011 ، ورصد السياقات والبنى التي تشكلت فيها الرؤى والافكار الاستشراقية الجديدة وتحليل العلاقة بين المعرفة الاستشراقية وسياسة الولايات المتحدة الامريكية الخارجية وتأثير المستشرقون الجدد على عملية صنع القرار الامريكي وعلى التوجهات السياسية للرؤساء الامريكيين الثلاثة بوش الابن وباراك اوباما ودونالد ترامب، ويحاول الباحث في هذه الدراسة كذلك التطرق الى ابرز الانتقادات الموجهة للاستشراق الامريكي الجديد منهجيا وابستمولوجيا ومفاهيميا.

الكلمات المفتاحية:

الاستشراق، الاستشراق الجديد، الاسلام السياسي، هجمات 11 سبتمبر 2001، دراسات الشرق الاوسط. دراسات المناطق.

Summary:

The Political Islam movements has been took a place at Western and American researchers four decades ago after Iranian revolution in 1979 where the islamists are ruling in Iran since that history , and through these years the Political Islam movements in Meddle East seemed non compatible and non compromise with liberal democracy according the western decision makers and researchers , than attacks 11/9 had confirmed this assumptions very deeply for them.

The emergence of the neo American Orientalism which emerged by a group of experts, specialists and academics called them neo orientalists, such as Bernard Lewis, Daniel Pipes, John Esposito, Michael Cook, Asef Bayat... They tried to get closer to the Islamic phenomenon through different interpretive approaches was accompanied by the emergence of Islamic movements as a dominant actor and control over social life in the Middle East countries after the failure of all the development and modernization projects adopted by the Arab regimes.

This study seeks to explore the interpretive capabilities of the neo American Orientalism to explain the phenomenon of political Islam after the attacks of 9/11 and trying to understand the contexts and structures in which neo orientalists visions and ideas were formed and its influence on decision makers in USA , then the researcher puts these ideas on the critical morgue scientifically , epstomogycally and methodologically

Keywords: American Orientalism, Neo Orientalism, Political Islam, Attacks of September 11. 2001, Middle East studies .studies of area

Résumé:

Les mouvements de l'islam politique ont été pris une place à des chercheurs occidentaux il ya quatre décennies après la révolution iranienne en 1979 où les islamistes sont au pouvoir en Iran depuis cette histoire , et à travers ces années, les mouvements de l'islam politique à Moyen-Orient semblait non compatible et non compromis avec la démocratie libérale selon les décideurs occidentaux et les chercheurs , que les attaques 11/9 avait confirmé ces hypothèses très profondément pour eux .

L'émergence de l'orientalisme néo-américain qui a émergé par un groupe d'experts, de spécialistes et d'universitaires les a appelés néo-orientalistes, tels que Bernard Lewis, Daniel Pipes, John Esposito, Michael Cook, Asef Bayat... Ils ont essayé de se rapprocher du phénomène islamique à travers différentes approches interprétatives a été accompagnée par l'émergence des mouvements islamiques comme un acteur dominant et le contrôle de la vie sociale dans les pays du Moyen-Orient après l'échec de tous les projets de développement et de modernisation adoptés par les régimes arabes.

Cette étude cherche à explorer les capacités d'interprétation de l'orientalisme néo-américain pour expliquer le phénomène de l'islam politique après les attaques du 11/9 et en essayant de comprendre les contextes et les structures dans lesquels les visions et les idées néo-orientalistes ont été formés et son influence sur les décideurs aux États-Unis , puis le chercheur met ces idées sur la morgue critique scientifiquement , epstomogycly et méthodologiquement

Mots-clés: Orientalisme américain, Néo Orientalisme, Islam politique, Attaque du 11 septembre. 2001, les études du Moyen-Orient .études de la région